

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

/ ٢ اللهم يسر يا كريم يا حلیم ! قال الشيخ الإمام العالم العامل العلامة ،
 الجبر البحر الفهامة ، المتقن الحافظ الضابط ، المجاهد في سبيل الله المرابط ،
 برهان الدين لسان المتكلمين حجة المناظرين سيويه هذا الحين أبو الحسن
 إبراهيم البقاعي الشافعي - بلغه الله من الأولى و الأخرى ما يتمناه ، وجعل ه
 الفردوس مقره و مأواه بمحمد و آله ١ .

سورة المائدة ٢

[و تسمى سورة العقود و سورة الأحبار - ٤]

مقصودها الوفاء بما هدى إليه الكتاب ، و دل عليه ميثاق العقل
 من توحيد* الخالق و رحمة الخلاق شكرًا لنعمه ٦ و استدفاعًا لنقمه ٧ ، ١٠
 و قصة المائدة ٨ أدل ما فيها على ذلك ، فان مضمونها أن من زاغ عن

(١) كتب فوقة في الأصل « الجزء الثاني من المناسبات في التفسير » ، و من هنا
 إلى آخر سورة الأنعام لم تبتسر لنا نسخة مد (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (٣) و هي مدنية في قول ابن عباس و مجاهد و قتادة ، و قال أبو جعفر بن بشر
 و الشعبي : إنها مدنية إلا قوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم » فانه نزل بمكة ،
 و عدة آياتها مائة و عشرون عند الكوفيين ، و ثلاث و عشرون عند البصريين
 و اثنان و عشرون عند غيرهم - راجع روح المعاني ٢ / ٢٣٩ (٤) زيد ما بين
 الحاجزين من ظ (٥) في ظ : توجيه (٦) في ظ : للنعمة (٧) في ظ : للنقمة .
 (٨) سقط من ظ .

الطمأنينة بعد الكشف الشافي و الإنعام الوافي نوقش الحساب فأخذه
العذاب ، و تسميتها بالعقود أوضح دليل على ما ذكرت من مقصودها
و كذا الأجر .

(بسم الله) [أى - ١] الذى تمت كلماته فصدقت وعوده^٢
و عمت مكرماته (الرحمن) الذى عم بالدعاء إلى الوفاء فى حقوقه
و حقوق مخلوقاته (الرحيم) الذى نظر إلى القلوب فثبت منها على الصدق
ما جبّله على التخلق بصفاته .

لما أخبر تعالى فى آخر [سورة - ١] النساء أن اليهود لما نقضوا المواثيق
التي^٣ أخذها عليهم ، حرم عليهم طيبات أحلت لهم من^٤ كثير من بهيمة
١٠ الأنعام المشار إليها بقوله ” و على الذين هادوا حرمنا كل [ذى - ٥]
ظفر “- الآية ، و استمر تعالى فى هتك أستارهم و بيان عوارهم^٥ إلى أن ختم بآية
فى الإرث الذى افتتح آياته بالإيصاء و ختمها بأنه شامل العلم ، ناسب
افتتاح هذه بأمر المؤمنين الذين اشتد تحذيره لهم منهم^٦ بالوفاء الذى جُلُّ
مبناه^٧ القلب الذى هو عيب ، فقال مشيراً إلى أن الناس الذين خطبوا
١٥ أول تلك تأهلوا^٨ لأول أسنان الإيمان و وصفوا بما هم محتاجون إليه ،
و تخصيصهم مشير إلى أن مَنْ فوقهم من الأسنان عنده من الرسوخ
ما يغنيه عن الحمل بالأمر ، و ذلك أبعث له على التدبر و الامثال^٩ :

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : دعوته (٣) فى ظ : الذى (٤) من
ظ ، و فى الأصل : منها (٥) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ٦ آية ١٤٦ .
(٦) فى ظ : اعوارهم (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : مشناه - كذا (٩) فى ظ : بامل .
(١٠) فى ظ : الامثال .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أى ادعوا ذلك بالسنتهم (أوفوا) أى صدقوا ذلك بأن توفوا (بالعقود) أى المهود الموثقة المحكمة، وهى تعم جميع أحكامه سبحانه فيما أحل أو حرم^١ أو ندب على سبيل الفرض أو غيره^٢، التى من جملتها الفرائض التى افترضها بلفظ الإيضاء الذى هو من أعظم العهود، وتعم سائر ما بين الناس من ذلك، حتى ما كان فى الجاهلية من عقد^٣ يدعو إلى بر^٤، وأما غير ذلك فليس بعقد، بل حل بيد الشرع القوية، تذكيرا^٥ بما أشار إليه قوله تعالى فى حق أولئك "اذكروا نعمتى - و أوفوا بعهدى أوفى بعهديكم وإياى فارهبون^٦"، وإخبارا لهم^٧ بأنه أحل لهم ما حرم على أولئك، فقال على سبيل التعليل مشيرا إلى أن المقصود من النعمة كونها، لا بقيد فاعل مخصوص، وإلى أن المخاطبين يعلمون^٨ ١٠ أنه لا منعم غيره سبحانه: (أحللت لكم) والإحلال من أجل العقود (بهيمة) [و بينها بقوله -^٩]: (الأنعام) أى أوفوا لأنه أحل لكم بشامل عليه و كامل قدرته لطفابكم و رحمة لكم ما حرم على من قبلكم من الإبل و البقر و الغنم باحلال أكلها و الانتفاع بجلودها و أصوافها و أوبارها و أشعارها و غير ذلك من شأنها، فاحذروا أن تنقضوا كما ١٥ نقضوا، فيحرم عليكم ما حرم عليهم، و يعد لكم من العقاب ما أعد لهم، و لا تعترضوا على نبيكم، و لا تعتصموا^{١٠} كما اعترضوا و تعتصموا^{١١}، فان ربكم

(١) فى ظ: جزم (٢) من ظ، وفى الأصل: غيرها (٣) فى ظ: ما ير - كذا.
(٤) من ظ، وفى الأصل: تذكير (٥) سورة ٢ آية ٤٠ (٦) من ظ، وفى الأصل:
اليهم (٧) فى ظ: لا يعلمونه (٨) زيد من ظ (٩ - ١٠) سقط ما بين الرقين
من ظ.

/ ٣

لا يستل عما يفعل،^١ وسيأتى^٢ فى قوله / " لا تسئلوا عن أشياء " ما يؤيد هذا.

ولما كانوا ربما فهموا^٣ من هذا الإحلال ما ألفوا من الميتات ونحوها

قال مستثيا من نفس البهيمة، وهى فى الأصل كل حى لا يميز، مخبرا

أن من أعظم العقود ما قدم تحريمه من ذلك فى البقرة: ﴿الاما يتلى عليكم﴾

هـ أى فى " بهيمة الانعام أنه محرم، فانه لم يحل لكم، ونصب^٤ ﴿ غير محلى

الصيد ﴾ على الحال أدل^٥ دليل على أن هذا السياق - وإن كان صريحه

مذكرا^٦ بالنعمة لشكر^٧ - فهو مشار به إلى التهديد إن كُفِرَتْ، أى أحل

لكم ذلك فى هذه الحال، فان تركتموها اتقى الإحلال، وهذه مشيرة

إلى تكذيب من حرم من ذلك ما أشير إليه بقوله تعالى فى التى قبلها

١٠. حكاية عن الشيطان " ولأمرنهم فليتكن اذان الانعام ولأمرنهم

فليغيرن خلق الله " من^٨ السائبة وما معها مما كانوا اتخذوه دينا، وفصلوا

فيه تفاصيل - كما سأتى صريحا فى آخر هذه السورة بقوله تعالى " ما جعل

الله من بحيرة ولا سائبة " - الآية، وكذا فى آخر الانعام، وفى الامر

بالوفاء بالعقود بعد الإخبار بأنه بكل شىء عليم غاية التحذير من تعمد

١٥ الإخلال بشىء من ذلك وإن دق، و^٩ فى افتتاح هذه المسألة بالمائدة بذكر

الأطعمة عقب^{١٠} سورة النساء - التى من أعظم مقاصدها النكاح والإرث،

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) آية ١٠١ (٣) فى ظ : انهما (٤) سقط

من ظ (٥) فى ظ : من (٦) فى ظ : تصيب - كذا (٧) فى ظ : ام - كذا .

(٨) من ظ ، وفى الأصل : مذكر (٩) فى ظ : ليشكر (١٠) آية ١١٩ (١١) آية

١٠٣ (١٢) فى ظ : عقيب .

المتضمن للوت المشروع فيها الولائم والمآتم^١ - أتم مناسبة، [و-^٢] قال ابن الزبير : لما بين تعالى حال أهل الصراط المستقيم ، ومن^٣ تنكب عن^٤ نهجهم ، ومآل الفريقين من المنضوب عليهم والضالين ، وبين لعباده المتقين ما فيه هدام وبه^٥ خلاصهم أخذوا وتركوا^٦ ، وجعل طي^٧ ذلك الأسهم الثمانية الواردة في حديث حذيفة رضى الله عنه من قوله : الإسلام ٥ ثمانية أسهم : [الإسلام سهم ، و-^٨] الشهادة سهم ، والصلاة سهم ، والزكاة سهم ، والصوم سهم ، والحج سهم ، والأمر بالمعروف سهم ، والنهي عن المنكر سهم ، وقد خاب من لا سهم له . قلت : وهذا الحديث أخرجه البزار عن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الإسلام ثمانية أسهم : الإسلام سهم ، والصلاة سهم - فذكره ، وصحح الدارقطني ١٠ وقفه ، ورواه أبو يعلى الموصلي عن علي رضى الله عنه مرفوعا والطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام عشرة أسهم ، وقد خاب من لا سهم له : شهادة أن لا إله إلا الله سهم ، وهي الملة ، والثانية : الصلاة وهي الفطرة ، والثالثة : الزكاة وهي الطهور ، والرابعة : الصوم وهي الجنة ، والخامسة : الحج ١٥ وهي الشريعة ، والسادسة : الجهاد وهي الغزوة^٩ ، والسابعة : الأمر بالمعروف

(١) في ظ : المساييم - كذا (٢) زيدت الواو من ظ (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) في ظ : العباد (٥) في ظ : فيه (٦) من ظ ، وفي الأصل : برا - كذا . (٧) في ظ : ظن (٨) زيد من مجمع الزوائد ٣٨/١ ، إلا أن هناك تقدما وتأخيرا . (٩) من مجمع الزوائد ٣٧/١ ، وفي الأصل و ظ : العروة .

و [هو الوفاء ، و الثامنة - ١] : النهى عن المنكر و هى الحجة ، و التاسعة : الجماعة و هى الآلفة ، و العاشرة : الطاعة و هى العصمة ؛ و فى سنده من^٢ ينظر فى حاله ؛ قال ابن الزبير : و قال [النبى - ٢] صلى الله عليه و سلم : بنى الإسلام على خمس ، أى فى الحديث الذى أخرجه الشيخان و غيرها ٥ عن ابن عمر و غير واحد من الصحابة رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، و أن محمداً رسول الله ، و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و الحج و صوم رمضان . قال ابن الزبير : و قد تحصلت - أى الأسهم الثمانية و الدعائم الخمس - فيما مضى ، و تحصل مما تقدم أن أسوأ حال^٥ المخالفين حال من ١٠ غضب الله عليه و لعنه ،^٦ و أن ذلك^٦ يغيثهم و عداوتهم و تقضهم اليهود ٤ / ” فيما / تقضهم ميثاقهم لعنهم “ و كان النقص كل مخالفة ، قال الله تعالى لعباده المؤمنين ” بآياتها الذين آمنوا أوفوا بالعقود “ لأن اليهود و النصارى إنما آتى عليهم من عدم الوفاء و تقض اليهود ، فحذر المؤمنين - انتهى . و المراد بالإنعام الأزواج الثمانية المذكورة فى الإنعام و ما شابهها من ١٥ حيوان البر ، و^٧ لكون الصيد مراد الدخول فى بهيمة الأنعام^٨ استثنى بعض أحواله فقال : ﴿ و أنتم حرم ﴾ أى أحلت البهيمة مطلقاً إلا ما يتلى عليكم (١) زيد من المجمع (٢) فى ظ : ممن (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ . (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : استوا حانة - كذا (٦ - ٦) تكرر ما بين الرقین فى الأصل (٧) سقطت الواو من ظ (٨) زبدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، فحذفناها كي تستقيم العبارة .

من ميتاتها و غيرها في غير حال الدخول في الإحرام^١ بالحج أو العمرة^٢
أو دخول الحرم، و أما في حال الإحرام فلا يحل الصيد أكلا ولا فعلا .
ولما كان مدار هذه السورة على الزجر و الإحجام عن أشياء
اشتد ألفهم لها و التفاتهم إليها، و عظمت فيها رغباتهم من الميتات^٣
و ما معها، و الأضرار و الذبح على النصب، و أخذ الإنسان بحريمة الغير،^٤
و الفساد في الأرض، و السرقة و الخمر و السوايب و البحار - إلى غير
ذلك؛ ذكر في أولها بالههود التي عقدوها على أنفسهم ليلة العقبة حين
تواثقوا على الإسلام من السمع و الطاعة في المنشط و المكروه و العسر
و اليسر فيما أحبوا و كرهوا، و ختم الآية بقوله معللا: ﴿ ان الله ﴾
أى ملك الملوك ﴿ يحكم ما يريد ﴾ أى من تحليل و تحريم و غيرها^٥ ١٠
على سبيل الإطلاق كالأنعام، و في حال دون حال كما شابهها^٦ من الصيد،
فلا يستل عن تخصيص ولا عن تفضيل ولا غيره،^٧ فما فهمت^٨ حكمته
فذاك،^٩ و ما لا فكلوه إليه، و ارجعوا في أن يلهمكم حكمته^{١٠}؛ قال
الإمام - وهذا هو الذى يقوله أصحابنا - : إن علة حسن التكليف هو
الربوبية و العبودية،^{١١} لا ما^{١٢} يقوله المعتزلة من رعاية المصلحة . ١٥

ولما استثنى بعض ما أحل على سبيل الإيهام شرع في بيانه، و لما
كان منه ما نهى عن التعرض له لا مطلقا، بل ما يبلغ محله، بدأ به
(١-١) في ظ : حجج او عمرة (٢) في ظ : الميتة (٣) من ظ ، و في الأصل :
شابهها (٤) سقط من ظ (٥-٥) في ظ : لا فهمتهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين
من ظ (٧-٧) في ظ : لا .

لكونه في ذلك كالصيد ، و قدم على ذلك عموم النهى عن انتهاك معالم
الحج المنبه عليه بالإحرام ، أو عن كل محرم في كل مكان وزمان ،
فقال مكرراً ' لندائهم تنويها بشأنهم وتنبيها لعزائمهم وتذكيراً لهم بما
ألزموه أنفسهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى دخلوا في هذا الدين طائعين
ه ﴿ لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾ أى معالم حج بيت الملك الأعظم الحرام ،
أو حدوده في جميع الدين ، وشعائر الحج أدخل في ذلك ، والاصطياد
أولاً .

ولما ذكر ما عممه في الحرم أو مطلقاً ، أتبعه^٢ ما عممه^٣ في الزمان
فقال : ﴿ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾ أى فان ذلك لم يزل معاقداً على احترامه
١٠ في الجاهلية والإسلام ، ولعله وحده والمراد الجمع^٤ إشارة إلى أن الأشهر
الحرم كلها في [الحرم -^٥] سواء .

ولما ذكر الحرم والأشهر الحرم ذكر ما يهدى للحرم فقال :
﴿ وَلَا الْهَدْيَ ﴾ وخص منه أشرفه فقال : ﴿ وَلَا الْقَلَائِدَ ﴾ أى
صاحب القلائد من الهدى ، وعبر بها مبالغة في تحريمه ؛ ولما أكد في
١٥ احترام ما قصد به الحرم من البهائم رقى^٦ الخطاب إلى من قصده من
العقلاء ، فانه مماثل لما تقدمه في أن قصد البيت الحرام حرام له وزاجر
عنه ، مع ما زاد به من شرف العقل فقال : ﴿ وَلَا آمِينَ ﴾ أى ولا تحلوا
التعرض للناس قاصدين ﴿ البيت الحرام ﴾ لأن من قصد بيت الملك كان
محترماً باحترام ما قصده .

(١) في ظ : مكرراً (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) في ظ : الجميع .
(٤) زيد من ظ (٥) في ظ : قى - كذا (٦) سقط من ظ .

ولما كان المراد القصد بالزيارة بينه بقوله: ﴿ يتغنون ﴾ أى حال كونهم يطلبون على سبيل الاجتهاد ﴿ فضلا من ربهم ﴾ أى المحسن إليهم شكرا لإحسانه، / بأن يثيبهم على ذلك، لأن ثوابه لا يكون [على - ١] وجه الاستحقاق الحقيقي أصلا، ولما كان الثواب قد يكون مع السخط قال: ﴿ ورضوانا ﴾ وهذا ظاهر فى المسلم، ويجوز أن يراد به أيضا الكافر، لأن قصده البيت [الحرام - ١] على هذا الوجه يرق قلبه^٢ فيهيئه للإسلام، وعلى هذا فهى منسوخة .

ولما كان التقدير: فإن لم تكونوا كذلك^٢ - أى فى أصل القصد^٣ ولا فى وصفه - فهم حل لكم وإن لم تكونوا أنتم حرما، والصيد حلال لكم، عطف عليه التصريح بما أفهمه التقييد فيما سبق بالإحرام فقال: ١٠ ﴿ وإذا حلتم ﴾ أى من الإحرام بقضاء المناسك والإحصار ﴿ فاصطادوا ﴾ وترك الشهر [الحرام - ١] إذ^٤ كان الحرام فيه حراما فى غيره، وإنما صرح به تنويفا بقدره وتعظيما لحرمة، ثم أكد تحريم^٥ قاصد المسجد الحرام وإن كان كافرا، وإن كان على سبيل المجازات بقوله: ١٥ ﴿ ولا يجزئكم ﴾ أى يحملكم ﴿ شأن قوم ﴾ أى شدة بغضهم .

ولما ذكر البغض أتبعه سبه فقال: ﴿ ان ﴾ على سبيل الاشتراط الذى يفهم تعبير الحكم^٦ به أنه سيقع، هذا فى قراءة ابن كثير وأبى عمرو،

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: القلب (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: الاصل (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) فى ظ: اذا . (٧) فى ظ: تحريمه (٨) فى ظ: الحكيم (٩) فى الأصل و ظ: ابى هريرة - كذا .

والتقدير في قراءة الباقيين بالفتح: لاجل أن ﴿صِدُوكُمْ﴾ أى فى عام
الحديبية أو غيره ﴿عن المسجد الحرام﴾ أى على ﴿ان تعتدوا﴾ أى
يشدد عدوكم عليهم بأن تصدوهم عنه^١ أو بغير ذلك، فإن المسلم من لم يزد
تعدي عدوه فيه حدودَ الشرع إلا وقوفا عند حدوده، وهذا قبل نزول
٥ "انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام"^٢ سنة تسع.

ولما نهاهم عن ذلك، وكان الانتهاء عن الحظوظ^٣ شديدا على النفوس،
وكان لذلك لا بد في الغالب من منته وآب، أمر بالتعاون في الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر فقال: ﴿وتعاونوا على البر﴾ وهو ما اتسع وطاب من
حلل الخير ﴿والتقوى﴾ وهى كل ما يحمل على الخوف من الله، فانه
١٠ الحامل على البر، فإن كان^٤ منكم من اعتدى فتعاونوا على رده، وإلا
فازدادوا بالمعاونة خيرا.

ولما كان المعين على الخير قد يعين على الشر قال تنبيهها على
[الملازمة في - °] المعاونة على الخير، ناهيا أن يغضب الإنسان لغضب
أحد من صديق أو قريب إلا إذا كان الغضب له داعيا إلى بر وتقوى:
١٥ ﴿ولا تعاونوا على الأثم﴾ أى الذنب الذى^٥ يستلزم الضيق ﴿والعدوان﴾
أى المبالغة في مجاوزة الحدود والانتقام والتشنى وغير ذلك، وكرر^٦
الأمر بالتقوى إشارة إلى أنها الحاملة على كل خير فقال: ﴿واتقوا الله﴾
أى الذى له صفات الكمال لذاته فلا تعدوا^٧ شيئا من حدوده؛ ولما كان
(١) من ظ، وفى الأصل: منه (٢) سورة ٩ آية ٢٨ (٣) من ظ، وفى الأصل:
الحدود (٤) زيد بعده فى ظ: كل (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) فى
ظ: كر (٨) فى ظ: لا يعتدوا.

كف النفس عن الانتقام وزجرها عن شفاء داء الغيظ وتبريد غلة الاحن في غاية العسر، ختم الآية بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الاعظم ﴿ شديد العقاب ٥ ﴾ .

ولما آتم الكلام على احترام أعظم المكان وأكرم الزمان وما لابسهما، فهذب^١ النفوس بالنهى عن حظوظها، وأمر^٢ بعد تخليتها^٥ عن كل شر^٣ بتخليتها بكل خير، عدّد على سبيل الاستئناف ما وعد بتلاوته عليهم مما حرم مطلقا إلا في حال الضرورة فقال : ﴿ حرمت ﴾ بانبا الفعل للمفعول لأن الخطاب لمن يعلم أنه لا محرم إلا الله، وإشعارا بأن هذه الأشياء لشدة قذارتها^٤ كأنها محرمة بنفسها ﴿ عليكم الميتة ﴾ وهى ما فقد الروح / بغير ذكاة شرعية، فإن دم كل ما مات حتف أنفه يحبس ١٠ / ٦ في عروقه ويتعفن ويفسد، فيضر أكله البدن بهذا الضرر الظاهر، والدين بما يعلمه أهل البصائر ﴿ والدم ﴾ أى المسفوح، وهو المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق ﴿ ولحم الخنزير ﴾ خصه بعد دخوله في الميتة لاتخاذ النصارى أكله كالدين ﴿ وما أهل ﴾ ولما كان القصد في هذه السورة إلى حفظ محكم اليهود المذكر بجلاله الباهر^{*}، قدم المفعول له فقال : ١٥ ﴿ لغير الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ به ﴾ أى ذبح على اسم غيره من صنم أو غيره على وجه التقرب عبادة لذلك الشيء، والإهلال : رفع الصوت. ولما كان من الميتات ما لا تعافه النفوس عياقتها لغيره، نص عليه

(١) في ظ : و هذب (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) في ظ : قذارتها .

(٤) سقط من ظ (٥) في ظ : الفاهر - كذا .

فقال: ﴿والمخنقة﴾ أى بجبل ونحوه، سواء خنقها خائق أو لا
 ﴿والموقودة﴾ أى المضروبة بمثل، من^١: وقده - إذا ضربه ﴿والمتردية﴾
 أى الساقطة من عال، المضطربة غالباً فى سقوطها ﴿والتبطية﴾ أى التى
 نطحتها شئ فانت ﴿وما أكل السبع﴾ أى^٢ كالذئب والنسر ونحوهما .
 ٥ ولما كان كل واحدة من هذه قد تدرك حية فتذكى، استثنى
 فقال: ﴿إلا ما ذكيتم^٣﴾ أى من ذلك كله بأن أدركتموه وفيه حياة
 مستقرة، بأن اشتد اضطرابه وانفجر منه الدم؛ ولما حرم الميتات
 وعد فى جعلتها ما ذكر عليه اسم غير الله عبادة، ذكر ما ذبح على الحجارة
 التى كانوا ينصبونها للذبح عندها^٤ تدبنا وإن لم يذكر^٥ اسم شئ عليها
 ١٠ [فقال -^٦]: ﴿وما ذبح على نصب﴾ وهو واحد الأنصاب، وهى
 حجارة كانت حول الكعبة تنصب، فيهل عليها ويذبح عندها تقرباً
 إليها وتعظيماً لها ﴿وان تستقسموا﴾ أى تطلبوا على ما قسم لكم
 ﴿بالإلزام^٧﴾ أى القداح التى لا ريش لها ولا فصل، واحداً بوزن
 قلم [وعمر -^٨]: وكانت ثلاثة، على واحد: أمرنى ربى، وعلى آخر:
 ١٥ نهانى ربى، والآخرة غفل، فان خرج الأمر فعل، أو الناهى ترك، أو الغفل
 أجملت ثانية، فهو دخول^٩ فى علم الغيب واقتراء على الله بادعاء أمره
 ونهيه، وإن أراد^{١٠} المنسوب إلى الضم فهو الكفر الصريح^{١١}، وقال
 (١) فى ظ: ما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: لم تدرك (٤) زيد من ظ، إلا أن
 فيه: عمرو (٥) من ظ، وفى الأصل: لآخر - كذا (٦) فى ظ: ذا قول -
 كذا (٧) فى الأصل: الأفراد - كذا، وسقط هذا اللفظ من ظ مع اللفظين بعده .
 (٨) فى ظ: الصراح .

صاحب كتاب الزينة: يقال: إنه كانت عندهم سبعة قداح مستوية من شوحط^١،
و كانت يد السادن، مكتوب عليها «نعم»، «لا»، «منكم»، «من غيركم»،
«ملصق»، «العقل»، «فضل العقل»، فكانوا إذا اختلفوا في نسب الرجل
جاءوا إلى^٢ السادن بمائة درهم، ثم قالوا للصنم: يا إلهنا! قد تمارينا في
نسب فلان، فأخرج علينا الحق فيه، فجاء^٣ القداح^٤ فان خرج القدح^٥ ه
الذى عليه «منكم»، كان أوسطهم نسباً، وإن خرج «الذى عليه» من
غيركم، كان حليفاً، وإن خرج «ملصق»، كان على منزلته لا^٦ نسب
له ولا حلف، وإذا أرادوا سفراً أو حاجة جاءوا بمائة فقالوا: يا إلهنا!
أردنا كذا، فان خرج «نعم»، فعلوا، وإن خرج «لا»، لم يفعلوا، وإن^٧
جنى أحدهم جناية، فاختلفوا فيمن يحمل العقل جاءوا بمائة فقالوا: يا إلهنا! ١٠
فلان جنى^٨ عليه، [أخرج الحق -^٩]، فان خرج القدح الذى عليه
«العقل»، لزم من ضرب عليه وبرئ الآخرون، وإن خرج غيره كان
على الآخرين العقل، وكانوا إذا عقلوا^{١٠} العقل ففضل الشئ منه تداروا
فيمن يحمله، فضربوا عليه؛ فان خرج القدح الذى عليه «فضل العقل»،
/ للذى ضرب عليه لزمه، وإلا كان على الآخرين الذين لم يضرب عليهم، ١٥
فهذا الاستقسام الذى حرمة^{١١} الله لأنه يكون عند الأصنام ويطلبون

(١) وهو شجر تتخذ منه القسي، وفي ظ: - سوا حط - كذا (٢) زيد بعده في
ظ: - سارق (٣) في ظ: لتحال (٤-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) سقط
من ظ (٦) في ظ: إذا (٧) من ظ، وفي الأصل: بجنى - كذا (٨) زيد من
ظ (٩) في ظ: عقل (١٠) من ظ، وفي الأصل: حرم.

ذلك منها، ويظنون^١ أن الذي أخرج لهم ذلك هو الصم، وأما إجمالة^٢ السهام لا على هذا الوجه فهو جائز، هو وتسام^٣ واقتراع^٤ لا استقسام^٥.
 و^٦ قال أبو عبيدة: واحد الأزلام زلم - بفتح الزاء، وقال بعضهم بالضم^٧، وهو القدح لا ريش له ولا فصل، فإذا كان مريشاً فهو السهم - والله أعلم؛ ويجوز أن يراد مع هذا ما كانوا يفعلونه في الميسر - على ما مضى في البقرة، فانه طلب معرفة ما قسم من الجزور، و يلتحق بالاول كل كهانة وتنجيم^٨، وكل طيرة يتطيرها الناس الآن^٩ من التشاؤم ببعض الأيام وبعض الأماكن والأحوال، فإياك أن تعرج على شيء من الطيرة، فتكون على شعبة جاهلية، ثم إياك!

١٠. ولما كانت هذه الأشياء شديدة الخبث أشار إلى تعظيم النهي عنها بأداة البعد وميم الجمع فقال: ﴿ ذلکم ﴾ أى الذى ذكرت لكم تحريمه ﴿ فسق^١ ﴾ أى فعله خروج من الدين .

ولما كانت هذه المنهيات معظم دين أهل الجاهلية، وكان سبحانه قد نهام قبلها عن^٢ إحلال شعار الله والشهر الحرام وقاصدى المسجد الحرام
 ١٥ بعد أن كان أباح لهم ذلك فى بعض الأحوال والأوقات بقوله " وأخرجوهم من حيث أخرجوكم - ولا تقتلوه عند المسجد الحرام^٣ حتى يقتلوكم فيه^٤ "، " الشهر الحرام بالشهر الحرام "، " وأقتلوه حيث

(١) فى ظ : يطلبون (٢) فى ظ : أحاله (٣) فى ظ : تسليم (٤ - ٤) فى ظ : الاستقسام (٥) من ظ ، وفى الأصل : قال (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ مخم (٨) من ظ ، وفى الأصل : من (٩ - ٩) سقط ما بين الرقین من ظ .
 (١٠) سورة ٢ آية ١٩١ (١١) سورة ٢ آية ١٩٣ .

تفتنوم^١ " علم^٢ أن الأمر بالكف عن انتهاز الفرص إنما هو للأمن^٣ من الفتور، وذلك لا يكون إلا^٤ من تمام القدرة، وهو لا يكون إلا بعد كمال الدين وإظهاره على كل دين - كما حصل به الوعد الصادق، وكذا الانتهاء عن جميع هذه المخارم إنما يكون لمن رسخ في الدين قدمه، وتمكنت فيه عزائمه وهممه، فلا التفات له إلى غيره ولا همه إلى سواه، ولا مطمع^٥ لمخالفه فيه، فعقب^٦ سبحانه النهى عن هذه المناهى كلها بقوله على سبيل النتيجة والتعليل: ﴿ اليوم ﴾ أى وقت^٧ نزول هذه الآية ﴿ يش الذين كفروا ﴾ أى لا بسوا الكفر سواء كانوا راسخين فيه أو لا ﴿ من دينكم ﴾ أى لم يبق لكم ولا لأحد منكم عذر فى شيء من إظهار الموافقة لهم^٨ أو التستر من أحد منهم، كما فعل حاطب بن أبى بلتعنة رضى الله^٩ عنه حين^{١٠} كاتبهم ليحى بذلك ذوى رحمته، لأن الله تعالى قد كثركم بعد القلة، وأعزكم بعد الذلة، وأحى بكم منار الشرع، وطمس معالم [شرع - ^{١١}] الجهل، وهذا منار الضلال، فأنا أخبركم - وأتم عالمون بسعة علمى - أن الكفار قد اضمحلت قواهم، ومات^{١٢} همهم، وذلك نخوتهم، وضعفت عزائمهم، فانقطع رجاؤهم عن أن يغلبوك^{١٣} أو يستميلوك^{١٤} إلى دينهم بنوع استمالة، فانهم رأوا دينكم قد قامت منارته، وعلت فى المجامع منابره، وضرب محرابه، وبرك^{١٥} بقواعده وأركانه، ولهذا سبب

(١) سورة ٢ آية ١٩١ (٢) فى ظ : اعلم (٣) فى ظ : للابن (٤) سقط من ظ .
(٥) فى ظ : عن (٦) فى ظ : فعقبه (٧) من ظ ، وفى الأصل « و » (٨) زيد من ظ (٩) من ظ ، وفى الأصل : مات (١٠) فى ظ : يعلتوكم (١١) فى ظ : ترك .

عما مضى قوله: ﴿ فلا تخشوم ﴾ أى أصلا ﴿ واخشون ﴾ أى واحضوا
الخشية لى وحدى، فان دينكم قد أكمل بדרه، وجل عن المحاق محله
وقدره، ورضى به الأمر، ومكنه على رغم أنف الأعداء. وهو قادر

/ على ذلك^١، [وذلك -^٢] قوله تعالى مسوقا^٣ مساق التعليل: ﴿ اليوم

٥ اكملت لكم دينكم ﴾ أى الذى أرسلت^٤ إليكم به أكمل^٥ خلقى لدينوا

به وتدانوا، وإكمله بانزال كل ما يحتاج إليه من أصل وفرع، نصا على^٦

البعض، ويانا لطريق القياس فى الباقي، وذلك يان لجميع الأحكام، وأما

قبل ذلك اليوم فهو وإن كان كاملا لكنه بغير هذا المعنى، بل إلى حين،

ثم يزيد فيه سبحانه ما يشاء، فيكون به كاملا أيضا وأكمل مما مضى،

١٠ وهكذا إلى هذه النهاية، وكان هذا^٧ هو المراد من قوله: ﴿ واتممت

عليكم نعمتى ﴾ أى التى قسمتها فى القدم من هذا الدين على لسان هذا الرسول،

بأن جمعت عليه كلمة العرب الذين قضيت فى القدم باظهارهم على من

ناوأم من جميع أهل الملل، ليظهر بهم الدين، وتنكسر شوكة المفسدين،

من غير حاجة فى ذلك إلى غيرهم وإن كانوا بالنسبة إلى المخالفين كالشجرة

١٥ البيضاء فى جلد الثور^٨ الاسود ﴿ ورضيت لكم الاسلام ﴾ أى الذى

هو الشهادة لله بما شهد به لنفسه من الوجدانية التى لمن^٩ يتبع الإذعان لها^{١٠}

الإذعان لكل طاعة ﴿ ديناً ﴾ تتجاوزون^{١١} به فيما بينكم، ويجازيكم به ربكم؛

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل:

لسوق - كذا (٤) من ظ، وفى الأصل: ارسلنا (٥) فى ظ: كل (٦) فى ظ:

عن (٧) سقط من ظ (٨) من ظ، وفى الأصل: النور (٩) فى ظ: بها.

(١٠) فى ظ: يتجاوزون.

روى البخارى فى المغازى وغيره، ومسلم فى آخر الكتاب، والترمذى فى التفسير، والنسائى فى الحج عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين! آية فى كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود [نزلت - ١] لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: ^٢ أى آية؟ قال: ^٣ "اليوم اكملت لكم دينكم" فقال عمر رضى الله عنه: قد ^٤ عرفنا ذلك اليوم هـ والمكان الذى نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم، نزلت وهو قائم بعرفة يوم الجمعة؛ وفى التفسير من البخارى عن طارق بن شهاب، قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً، فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين ^٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ^٦ أنزلت، وقال البغوى: قال ابن عباس رضى الله عنهما: كان ذلك ١٠ اليوم خمسة أعياداً: الجمعة وعرفة وعيد اليهود وعيد النصارى والمجوس، ولم تجتمع ^٧ أعياد أهل الملل فى يوم قبله ولا بعده، قلت: ويوم الجمعة هو اليوم الذى أتم الله فيه خلق هذه الموجودات بخلق آدم عليه السلام بعد عصره، وهو حين نزول هذه الآية إن شاء الله تعالى، فكانت تلك الساعة من ^٨ ذلك اليوم تماماً ابتداءً، وروى هارون بن ^٩ عنترة عن أبيه قال: لما ١٥ نزلت هذه الآية بكى عمر رضى الله عنه فقال له ^{١٠} النبي صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك يا عمر؟ فقال: أبكاني أنا كنا فى زيادة من ديننا، فإذا كمل

(١) زيد من ظ والمراجع الأربعة (٢ - ٢) سقط ما بين الرقنين من ظ.
 (٢) سقط من ظ (٤) من صحيح البخارى، وفى الأصل: لاتخذنا، وفى ظ:
 لاتخذها (٥) فى ظ ونسخة من الصحيح: حيث (٦) زيدت الواو بعده
 فى ظ (٧) فى ظ: لم تجمع (٨) فى ظ: فى (٩) وقع فى ظ: عن - خطأ.

فانه لم يكمل شيء إلا نقص، قال: صدقت! فكانت هذه الآية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم، عاش بعدها إحدى وثمانين يوما، وقد روى أنه كان هجيري^١ النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة من العصر إلى الغروب "شهد الله أنه لا إله إلا هو"^٢ - الآية، وكان ذلك كان جوابا^٣ منه صلى الله عليه وسلم لهذه الآية، لفهمه صلى الله عليه وسلم أن إنزال [آية - ٤] عمران سر الإسلام وأعظمه وأكملته، وهذه الآية من المعجزات، لأنها إخبار بمغيب صدقها فيه الواقع.

ولما تمت هذه الجمل^٤ الاعتراضية التي صار [ما - ٤] بينها وبين / ما قبلها^٥ وما بعدها بأحكام الرصف وإتقان^٦ الربط من الامتزاج أشد / ٩
١٠ مما بين الروح والجسد، المشيرة إلى أن هذه المحرمات هي التي تحقق بها أهل الكفر كمال المخالفة، فأيسوا معها من المواصلة والمؤالفة؛ رجع [إلى - ٤] تمت لتلك المحظورات، فقال مسيبا عن الرضى بالإسلام الذي هو الخنيفة السمحة المحرمة لهذه الخبائث لإضرارها بالبدن والدين: (فمن اضطر) أي الجبى إجماعا عظيما - من أي شيء كان - إلى تناول شيء مما مضى أنه حرم، ١٥ بحيث^٧ لا يمكنه [معه - ٤] الكف عنه (في مخمصة) أي بجاعة [عظيمة - ٤] (غير متجانف) أي متعمد ميبلا (لاشم لا) أي بالاكل على غير^٨ سد الرmq، أو بالبغى على مضطر آخر بنوع مكر أو العدو عليه

(١) من ظ، أي دأبه وشأنه صلى الله عليه وسلم، وفي الأصل: يتحرى - كذا.
(٢) سورة ٣ آية ١٨ (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، وفي الأصل: الجملة (٦) زيد بعده في ظ: بين (٧) في ظ: ايثاق (٨) من ظ، وفي

بضرب قهر ، و زاد بعد هذا التقييد ^١ تخويفا بقوله : (فان الله) أى
الذى له الكمال كله ^٢ (غفور رحيم) أى يحو عنه إثم ارتكابه لإنهى
ولا يعاقبه عليه [ولا يعاتبه - ^٣] و يكرمه ، بأن يوسع عليه من فضله ،
و لا يضطره مرة ^٤ أخرى - إلى غير ذلك من الإكرام و ضروب الإنعام .
ولما تقدم إحلال الصيد و تحريم الميتة ، و ختم ذلك بهذه الرخصة ، ه
و كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل الكلاب ، و كان الصيد
ربما مات فى يد الجراح قبل إدراك ذكاته ، سأل بعضهم عما يحل من الكلاب ،
و بعضهم عما يحل من ميتة الصيد إحلالا مطلقا لا بقيد الرخصة ، إذا
كان الحال يقتضى هذا السؤال ؛ روى الواحدى فى أسباب النزول بسنده
عن أبى رافع رضى الله عنه قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٠
بقتل الكلاب ، فقال الناس : يا رسول الله ! ما أحل لنا من هذه الأمة
التي أمرت بقتلها ؟ فأنزل الله تعالى : (يستلونك) .
ولما كان هذا إخبارا ^١ عن غائب قال : (ما ذآ أحل لهم ^٢)
دون « لنا » ، قال الواحدى : ^٣ أى من إمساك الكلاب و أكل الصيد
و غيرها ^٤ ، أى من المطاعم ، ثم قال الواحدى : رواه الحاكم أبو عبد الله ١٥
فى صحيحه ، و ذكر المفسرون شرح هذه القصة ، قال : قال أبو رافع
رضى الله عنه : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذن عليه ،
فأذن له فلم يدخل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قد أذنا
(١) فى ظ : القيد (٢) من ظ ، وفى الأصل : للمسكه (٣) زيد من ظ .
(٤ - ٤) فى ظ : يضر من (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : اذا (٧) فى ظ : اخبار .
(٨ - ٨) سقط ما بين الرقين من ظ .

لك ! قال : أجل يا رسول الله ! ولكننا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب ،
 فنظر فاذا في بعض بيوتهم جرو^١ ، قال أبو رافع : فأمرني أن لا أدع بالمدينة
 كلبا إلا قتلته ، حتى بلغت العوالى فاذا امرأة عندها كلب يحرسها فرحمها
 فتركته ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرني بقتله ، فرجعت إلى الكلب
 ٥ فقتلته ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الكلاب جاء أناس^٢
 فقالوا : يا رسول الله ! ما ذا يحل لنا من هذه الآمة التي أمرت بقتلها ؟
 فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ، فلما نزلت أذن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع^٣ بها ، ونهى
 عن إمساك ما لا تقع فيه ، وأمر بقتل الكلاب^٤ الكلب^٥ والعقور
 ١٠ وما يضر ويؤذى ، ورفع القتل عما سواها مما لا ضرر فيه ، وقال سعيد
 ابن جبير : نزلت هذه الآية في عدى^٦ بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين
 رضى الله عنهما ، وهو زيد الخيل الذى سماه / رسول الله صلى الله عليه
 وسلم زيد الخير ، وذلك أنهما جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقالا^٧ : يا رسول الله ! إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة ، وإن كلاب
 ١٥ آل درع^٨ وآل أبي حورية^٩ تأخذ البقر والحمر والظباء والضب ، فنه
 ١٠ ما ندرك^{١٠} ذكاته ، ومنه ما^{١١} [يقتل - ١١] فلا ندرك^{١٢} ذكاته ، وقد حرم الله
 (١) زيدت الواو بعده في ظ (٢) في ظ : الناس (٣) في ظ : تنتفع (٤-٤) سقط
 ما بين الرقبن من ظ (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : فقالوا (٧-٧) في ظ : الزرع .
 (٨) من البحر المحيط ٣ / ٤٢٨ ، وفي الأصل و ظ : ابى جورية (٩-٩) في ظ :
 من يدرك (١٠) في ظ : من (١١) زيد من ظ والبحر المحيط (١٢) من ظ والبحر ،
 وفي الأصل : لاندرك .

الميتة ، فماذا يحل لنا منها ؟ فنزلت : " يسئلونك " - الآية " الطيبات "
يعنى الذبائح ، و " الجوارح " الكواشب من الكلاب و سباع الطير -
اتتهى . فاذا أريد كون الكلام ' على وجه يعم قيل : ﴿ قل ﴾ لهم في
جواب من سأل ﴿ احل ﴾ [و بناء للفعول طبق سؤالهم و لأن المقصود
لا كونه من معين -^٢] ﴿ لكم الطيبات^٣ ﴾ أى الكاملة الطيب ، فلا خبث ه
فيها بنوع تحريم ولا تقدر^٢ ، من ذوى الطباع السليمة^٤ ، عالم يرد^٥ به
نص ولا صح فيه قياس ، وهذا يشمل كل ما ذبح وهو مأذون في
ذبحه مما كانوا يحرمونه على أنفسهم من السائبة و ما معها ، و كل ما أذن
فيه من غير ذبح كحيوان البحر^٦ و ما أذن^٧ فيه من^٨ غير انطعام^٩
﴿ و ما ﴾ وهو على حذف مضاف للعلم به ، فالمعنى : و صيد^٩ ما ﴿ علمت^{١٠}
من الجوارح ﴾ أى^١ التى من شأنها أن تخرج ، أو تكون^{١١} سببا للجرح
وهو الذبح ، أو من الجرح بمعنى الكسب " و يعلم ما جرحتم بالنهار^{١٢} "
وهو كواشب الصيد من^{١٣} السباع و الطير ، فأحل إمساكها للفتنة و صيدها
و شرط فيه التعليم ، قال الشافعى : و الكلب لا يصير معلما إلا عند أمور :
إذا أشلى استشلى ، و إذا زجر أنزجر و حبس و لم يأكل ، و إذا دعى أجاب ، ١٥
و إذا أراد له لم يفر منه ، فاذا فعل ذلك مرات فهو معلم ، و لم يذكر حدا

(١) فى ظ : الكلاب - كذا (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : بقدر (٤) فى ظ :
السليم (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يرد (٦) سقط من ظ (٧-٧) سقط ما بين
الرفقين من ظ (٨) فى ظ : الطامع (٩) زيدت الواو بعده فى ظ (١٠) فى ظ :
يكون (١١) سورة ٦ آية ٦٠ (١٢) من ظ ، و فى الأصل : و .

لأن الاسم إذا لم يكن معلوما من نص ولا إجماع وجب الرجوع فيه إلى العرف^١، وبنى الحال من الكلاب وإن كان المراد العموم، لأن التأديب فيها أكثر فقال: ﴿مكبين﴾ أى حال كونكم متكفين تعليم [هذه - ٢] الكواصب ومبالغين فى ذلك، قالوا: وفائدة هذه الحال ٥ أن يكون المعلم^٢ نحريرا فى علمه موصوفا به، وأكد ذلك بحال أخرى أو استئناف فقال: ﴿تعلبونهن﴾ وحوشا كن أو طيورا ﴿بما علمكم الله ن﴾ أى المحيط بصفات الكمال من علم التكليب، فأفاد ذلك أن على كل طالب لشيء أن لا يأخذه^٣ إلا من أجل العلماء به وأشد هم دراية له وأغوصهم على لطائفه وحقائقه وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أكباد الإبل، فكم ١٠ من آخذ من غير متقن قد ضيع أيامه، وعض عند لقاء التجارين إبهامه! [ثم - ٢] سبب عن ذلك قوله: ﴿فكلوا^٤﴾.

ولما كان فى الصيد من العظم وغيره ما لا يؤكل قال: ﴿مأمسكن﴾ أى الجوارح مستقرا^٥ إمساكها ﴿عليكم﴾ أى على تعليمكم، لا على جبلتها وطبيعتها دون تعليمكم، وذلك هو الذى لم يأكل منه ١٥ وإن مات قبل إدراك ذكاته، وأما ما أمسك الجارح على أى مستقرا^٥ على جبلته وطبعه، ناظرا فيه إلى نفاسة نفسه فلا يحل ﴿واذكروا اسم الله﴾ أى الذى له كل شيء ولا كفوء له ﴿عليه ص﴾ أى [على - ٢] ما أمسكن عند إرسال الجارح أو عند الذبح إن أدركت ذكاته، لتخالقوا سنة الجاهلية

(١) فى ظ: الخوف (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: مسله - كذا (٥) سقط من ظ (٦-٦) من ظ، وفى الأصل: يأخذه (٧) من ظ والقرآن الكريم، وفى الأصل: كلوا (٨) فى ظ: مستقر.

و تأخذه من ماله ، وقد صارت نسبة هذه الجملة - كما ترى - إلى "حرمت عليكم الميتة" نسبة المستثنى إلى المستثنى منه ، وإلى مفهوم "غير محلي الصيد و اتم حرم" نسبة الشرح .

ولما كان تعليم الجوارح أمرا خارجا عن العادة^٢ في نفسه وإن كان قد كثر ، حتى صار / مألوفا ، وكان الصيد بها أمرا تُعجب شرعته^٥ ١١ / و تهز النفوس كيفيته ، ختم الآية بما هو خارج عن عادة البشر^٢ و طرقها^٢ من سرعة الحساب و لطف العلم بمقدار الاستحقاق من الثواب و العقاب ، فقال محذرا من إهمال شيء مما رسمه : ﴿ و اتقوا ﴾ أى حاسبوا أنفسكم و اتقوا ﴿ الله ﴾ أى عالم الغيب و الشهادة القادر على كل شيء فيما أدركتم ذكاته و ما لم تدركوها ، و ما أمسك الجارح عليكم و ما أمسك^{١٠} على نفسه - إلى غير ذلك من أمور الصيد التى لا يقف عندها إلا من غلبت عليه مهابة الله و استشعر خوفه ، فاتقاه فيما أحل و ما حرم ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الجامع لمجامع العظمة ﴿ مريع الحساب ﴾ أى عالم بكل شيء و قادر عليه فى كل وقت ، فهو قادر على كل جزاء^٤ يريد ، لا يشغله أحد عن أحد و لا شأن عن شأن . ١٥

ولما كان قد تقدم النهى عن نكاح المشركات ، و المنافرة لجميع أصناف الكفار ، و بيان بغضهم و عداوتهم ، و الحث على طردهم و منابذتهم "هاتم اولاً" تجبونهم^٦ ، و نحوها اضعف^٧ الأمر إذ ذاك و شدة الحاجة إلى

(١) من ظ ، و فى الأصل : نسبه (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) فى ظ : طروقها (٤) فى ظ : خيرا (٥) سقط من ظ (٦) سورة ٣ آية ١١٩ (٧) فى ظ : اضعف .

إظهار الفضاظة^١ والغلظة لهم لتعظيم دين الله، حتى كانت خلطتهم من
 أمارات النفاق - كما سيأتى فى كثير من آيات هذه السورة، وكان
 [الدين -^٢] وصل عند نزولها من العظمة إلى حد لا يحتاج فيه إلى
 تعظيم معظم، وكانت مخالطة أهل الكتاب لا بد منها عند فتوح البلاد التى
 ٥ وعد الصادق بها، وسبق فى الأزل عليها، فكانت^٣ الفتنة فى مخالطتهم
 قد صارت فى حد الأمن^٤؛ وسع الأمر بحل طعامهم ونسائهم، فقال
 تعالى مكررا ذكر الوقت الذى أنزل فيه هذه الآيات، تنبيها على عظم
 النعمة فيه بتذكر ما هم فيه من الكثرة والأمن والجمع والألفة، وتذكر
 ما كانوا فيه قبل ذلك من القلة والخوف والفرقة، فقال معيدا لصدر
 ١٠ الآية التى قبلها إعلاما بعظم النعمة فيه^٥، ومفيدا بذكر وقت الإحلال
 أنه إحلال مقصود به الثبات، لكونه يوم إتمام النعمة فهو غير الأول:
 (اليوم) .

ولما كان القصد إنما هو الحل، لا كونه من محل^٦ معين، مع أن
 المخاطبين بهذه الآيات يعلمون أنه لا محل إلا الله، بنى الفعل^٧ للجهول
 ١٥ [فقال -^٨] : (أحل) أى ثبت الإحلال فلا ينسخ أبدا (لكم) أى
 أيها المؤمنون (الطيب^٩) أى التى تقدم فى البقرة وصفها بالحل لزوال
 الإثم وملازمة الطبع، فهى الكاملة فى الطيب .

(١) فى ظ : الفاظه - كذا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : وكانت .
 (٤) زيد بعده فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ نخذناها (٥) سقط
 من ظ (٦) فى ظ : حل (٧) من ظ ، وفى الأصل : المفعول .

ولما كانت الطيبات أعم من المأكّل قال : ﴿ و طعام الذين ﴾
ولما كان سبب الحل الكتاب ، ولم يتعلق بذكر مؤتيه غرض ، بنى الفعل
للجهول فقال : ﴿ اوتوا الكتب ﴾ [أى - ١] بما يصنعونه أو يذبحونه ،
وعبر بالطعام الشامل لما ذبح وغيره وإن كان المقصود المذبح ،
لا غيره^٢ ، ولا يختلف حاله من كتابي ولا غيره تصريحاً بالمقصود ه
﴿ حل لكم^٣ ﴾ أى تناوله لحاجتكم ، أى مخالطتهم للإذن فى إقرارهم على
دينهم بالجزية ؛ ولما كان هذا مشعراً بأبقائهم^٤ على ما اختاروا لأنفسهم
زاده تأكيداً بقوله : ﴿ و طعامكم حل لهم ذ ﴾ أى فلا عليكم فى بذله لهم
ولا عليهم فى تناوله .

ولما كانت الطيبات أعم من المطاعم* وغيرها ، وكانت الحاجة ١٠
إلى المناكح بعد الحاجة إلى المطاعم ، وكانت المطاعم حللاً من
الجانبين والمناكح من جانب واحد/ قال : ﴿ والمحضت ﴾ أى^٦ الحرائر
﴿ من المؤمت ﴾ ثم أكد الإشارة إلى إقرار أهل الكتاب فقال :
﴿ والمحضت ﴾ أى الحرائر ﴿ من الذين اوتوا الكتب ﴾ و بنى الفعل
للفعول للعلم بمؤتيه مع أنه لم يتعلق بالتصريح به غرض^٧ . ١٥

ولما كان يتأوّم الكتاب لم يستغرق^٨ الزمن الماضى ، أثبت الجار
فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ أى وهم اليهود والنصارى ، وعبر عن العقد بالصدق

- (١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ : لأن (٣) زيد من ظ و القرآن الكريم .
(٤) من ظ ، وفى الأصل : بأبقائهم (هـ) زيد بعده فى ظ : وكانت المطاعم .
(٦) زيد بعده فى ظ : من (٧) فى ظ : عوض (٨) فى ظ : يستغرق .

للابسة فقال مخرجا للامة لانها لاتعطى الاجر وهو الصداق^١، لانها
لا تملكه بل يعطاه^٢ سيدها : ﴿ اذ آآا يتيموهن اجورهن ﴾ أى عقدتم لهن^٣،
ودل مساق الشرط على تأكيد وجوب الصداق ، وأن من تزوج وعزم
على عدم الإعطاء ، كان فى صورة الزانى ، وورد فيه حديث ، وتسميته
٥ بالاجر تدل على أنه لا حد لأقله .

ولما كان المراد بالاجر المهر ، وكان فى اللغة يطلق على ما يعطاه^٤
الزانية أيضا ، بينه بقوله : ﴿ محصنين ﴾ أى قاصدين الإعفاف والعفاف
﴿ غير مسفحين ﴾ أى قاصدين صب الماء لمجرد الشهوة جهارا
﴿ ولا متخذى اخدان ﴾ أى صدائق لذلك فى السر ، جمع خدن ،
١٠ وهو يقع على الذكر والانثى ، فكانت هذه الآية مخصصة لقوله تعالى
” ولا تتكحوا المشركت حتى يومن^٥ “ فبقى على التحريم بما تضمنته تلك
ماعدة الكتابيات من الوثنيات وغيرهن من جميع المشركات حتى المنتقلة
من الكتابيات من دينها إلى غير دين الإسلام ، وصرح هنا^٦ بالمؤمنات
المقتضى لهن قوله تعالى فى النساء ” واحل لكم ما وراء ذلكم^٧ “ وقوله
١٥ ” ومن^٨ لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنت المؤمنت “ ، ولعل

(١) العبارة من هنا إلى « يعطاه سيدها » تكررت فى ظ بعد « وجوب
الصداق » (٢) فى ظ : يعطاها (م) فى ظ : بهن (٤) فى ظ : يدل (٥) من ظ ،
وفى الأصل : تعطاه (٦) سورة ٢ آية ٢٢١ (٧) فى ظ : هناك (٨) من ظ
والقرآن الكريم - آية ٢٤ ، وفى الأصل : ذلك (٩-٩) من القرآن الكريم -
آية ٢٥ . وفى الأصل وظ : فن .

ذكر وصف الإحسان الواقع على العفة للتنبيه على أنه لا يقصد المتصفه بغيره
لمجرد الشهوة إلا من سلب^١ الصفات البشرية، وأخذ إلى مجرد الحيوانية،
فصار في عداد البهائم، بل أدنى، مع أن التعليق بذلك الوصف لا يفهم
الحرمة عند فقده، بل الحل من باب الأولى، لأن من حكم مشروعية
النكاح الإعفاف، فإذا شرع إعفاف العفاف كان شرع إعفاف غيرهن ٥
أولى، لأن زناهما إما شهوة أو حاجة^٢، وكلاهما للنكاح مدخل عظيم في
نفيه - والله أعلم .

ولما كان السر في النهي عن نكاح المشركات في الأصل ما يخشى
من الفتنة، وكانت الفتنة - وإن علا الدين ورسخ الإيمان والتمين - لم
تنزل عن درجة الإمكان، وكانت الصلاة تسمى إيماناً لأنها من أعظم ١٠
شرائعه "وما كان الله ليضيع إيمانكم" أى صلاتكم، وروى الطبراني
في الأوسط عن عبد الله بن قرط رضى الله عنه قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن
صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله، وله في الأوسط
أيضاً بسند ضعيف عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله ١٥
عليه وسلم: أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة ينظر في صلاته، فإن
صلحت فقد أفلح، وإن فسدت فقد خاب وخسر. وكانت مخالطة
الازواج مظنة للتكاسل عنها، ولهذا أنزلت آية / "حفظوا على الصلوات" ١٣ /

(١) في ظ: سبب (٢) من ظ، وفي الأصل: اباحة (٣) سورة ٢ آية ١٤٣ .

(٤) سقط من ظ (٥) سورة ٢ آية ٢٣٨ .

كما مضى بالمحل الذى هو^٢ به ؛ لما كان ذلك كذلك ختمت هذه الآية بقوله تعالى منفرا من نكاحهن بعد إحلاله ، إشارة إلى أن الورع ابتعد^٣ عنه ، امثالاً للآيات الناهية عن موادة المحاد ثلثا يحصل ميل فیدعو إلى المتابعة ، أو يحصل ولد ، فتستميله لدينها : ﴿ ومن ﴾ أى ٥ أحل لكم ذلك و الحال أنه من ﴿ يكفر ﴾ أى يوجد و يحدد الكفر على وجه طمأنينة القلب به^٤ و الاستمرار عليه إلى الموت ﴿ بالایمان ﴾ أى بسبب التصديق القلبى بكل ما جاءت به الرسل و أنزلت به الكتب ، الذى منه حل الكتابات ، فیدعوه ذلك^٥ إلى نكاحهن ، فتحمله الخلطة على اتباع دينهن ، فيكفر بسبب ذلك التصديق فيكفر^٦ بالصلاة التى يلزم^٧ من^٨ الكفر بها الكفر^٩ به ، فاطلاقه عليها^{١٠} تعظيم لها^{١١} و ما كان الله ليضيع إيمانكم^{١٢} ” أى صلاتكم- ﴿ فقد حبط ﴾ أى فسد ﴿ عمله ﴾ أى إذا اتصل ذلك بالموت بدليل قوله : ﴿ وهو فى الآخرة من الخسرين ﴾ و الآية من أدلة إمامنا الشافعى على استعمال اللفظ الواحد فى حقيقته و مجازه ، فحيث قصد التحذير من الكفر حقيقة [فالإيمان حقيقة - ١٣] ، و حيث أريد الترهيب من إضاعة الصلاة فهو مجاز ، و مما يؤيد^{١٤} ذلك أن فى السفر الثانى من التوراة : لا تعاهدن^{١٥} سكان الأرض لكيلا تضلوا

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : اسدع (٤) فى ظ : فتستميله (٥-هـ) فى ظ : فیدعوا بذلك (٦) فى ظ : و يكفر (٧) فى ظ : لم يلزم . (٨) من ظ ، و فى الأصل : فى (٩) تكرر فى ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : عليه (١١) سورة ٢ آية ١٤٣ (١٢) زيد من ظ (١٣) فى ظ : يؤكد (١٤) من نص التوراة ، و فى الأصل و ظ : لا تعاهدون .

بأوثانهم ، و تذبحوا لآلهتهم ، أو يدعوك فتأكل من ذبائحهم ، و تزوج
 بذك^١ من بناتهم و بناتك من بنهم ، فضل^٢ بناتك خلف آلهتهم^٣ و يضل
 بنوك بآلهتهم ؛ و قال فى الخامس منها : و إذا أدخلكم الله ربنا الأرض
 التى تدخلونها لترثوها ، وأهلك^٤ شعوبا كثيرة من بين أيديكم : حثانين
 و جرجسانين^٥ و أموريانيين و كنعانيين [و فرزانيين - ٦] و حاوانيين^٥
 و يابسانيين - سبعة^٦ شعوب أكثر و أقوى منكم ، و يدفعهم الله ربكم فى أيديكم
 فاضربوهم و اقلوهم و انقوهم و حرموهم ، و لا تعاهدوهم عهدا^٧ و لا ترحمهم ،
 و تحاشوهم^٨ و لا تزوجوا بناتكم من بنهم ، [و لا تزوجوا بذككم من
 بناتهم - ٩] لئلا يغوين بذككم عن عبادتى ، و يخدعهم فيعبدوا آلهة
 أخرى ، و يشتد غضب الرب عليكم و يهلككم سريعا ، و لكن اصنعوا بهم ١٠
 هذا الصنيع : استأصلوا مذابحهم ، و " كمروا أنصابهم " ، و حطموا أصنامهم
 المصبوغة ، و أحرقوا أوثانهم المنحوتة ، لأنكم شعب طاهر لله ربكم - انتهى .
 و إذا تأملت [جميع - ١٢] ذلك ، و أمعنت^{١٣} فيه النظر لاح لك سر^{١٤} تعقيها
 بقوله تعالى فى سياق مشير إلى البشارة بأن هذه الأمة تطيع و لا تعصى
 فتؤمن و لا تكفر ، لما خص به كتابها من البيان الاتم فى النظم المعجز ١٥

(١) فى ظ : ابنك (٢) فى ظ : فيضل (٣) فى ظ : الههم (٤) من ظ ، و فى الأصل :
 اهل (٥) من ظ و التوراة ، و فى الأصل : جرجسانيين (٦) زيد من نصن
 التوراة (٧) من ظ و التوراة ، و فى الأصل : شعبة (٨) فى ظ : عبدا (٩) فى
 ظ : تحاسوهم (١٠) زيد من ظ و التوراة (١١-١٢) فى ظ : نشروا الصبائهم -
 كذا (١٢) زيد من ظ (١٣) من ظ ، و فى الأصل : معنت

مع^١ شرف التذكير بما أفاضه من [شرف-^٢] جليل الأيادي ، فافتح
 هذه السورة بالأمر بالوفاء بحق الربوية ، وأتبعه التذكير بما وفي به
 سبحانه من حق الربوية من نوع المنافع في لذة المطعم و توابه و لذة
 المنكح و توابه ، و قدم المطعم لأن الحاجة إليه فوق الحاجة إلى
 المنكح ، فلما أتم ما ألزمه نفسه الأقدس من عهد الربوية فضلا منه ،
 أتبعه الأمر بالوفاء بعهد العبودية ، و قدم منه^٣ الصلاة لأنها أشرفه بعد
 الإيمان ، و قدم الوضوء لأنه شرطها فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أى
 أقروا به^{١٢} صدقوه [بأنكم-^٢] (إذا) عبر بأداة التحقيق [بشارة-^٢]
 بأن الأمة مطيعة (قتم) / أى بالقوة ، وهى العزم الثابت على القيام
 ١٤ / الذى هو سبب القيام (الى الصلوة) أى جنسها محدثين ، لما بينه النبي
 صلى الله عليه وسلم بجمعه بعده [صلوات بوضوء واحد و إن كان التجديد
 أكمل ، و خصت الصلاة ومس المصحف من بين الأعمال بالأمر
 بالوضوء تشريفا لها-^٢] و يزيد حمل^٢ الإيمان على الصلاة حسنا تقدم
 قوله تعالى ” اليوم اكملت لكم دينكم “ الثابت أنها نزلت على النبي
 ١٥ صلى الله عليه وسلم بعد عصر يوم عرفة و النبي صلى الله عليه وسلم على
 ناقته يخطب ، و كان من خطبته فى ذلك الوقت أو^٢ فى يوم النحر أو^٢
 فى كليهما : ألا إن الشيطان قد آيس أن يعبد المصلون فى جزيرة
 العرب^٢ ، ولكن فى التحريش بينهم - رواه أحمد و مسلم فى صفة القيامة

(١) فى ظ : من (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل :

بجميعه (٥) من ظ ، وفى الأصل ” و “ .

و الترمذى عن جابر رضى الله عنه ، قوله « المصلون » إشارة إلى أن المأخوذ للشرك هو الصلاة ، فما دامت قائمة فهو زائل ، و متى زالت - و العياذ بالله - رجع ، و إلى ذلك يشير ما رواه مسلم فى صحيحه و أصحاب السنن الأربعة عن جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بين العبد و الكفر ترك الصلاة ، و للأربعة و ابن حبان فى صحيحه و الحاكم ٥ عن بريدة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الذى ' يننا و بينهم الصلاة ، فمن تركها فقد ' كفر ' ، و لأبي يعلى بسند ضعيف عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أزل ما أقرض الله على الناس من دينهم الصلاة ، و آخر ما يبق الصلاة .

و لما كان الوضوء فى سورة النساء إنما هو على سبيل الإشارة ١٠ إجمالاً ، صرح به هنا على سبيل الأمر و فصله ، فقال مجيباً للشرط إعلاماً بأن الأمر بالوضوء تبع للأمر بالصلاة ، لأن^٢ المعلق على الشئ بحرف الشرط يعدم عند عدم الشرط : ﴿ فاغسلوا ﴾ أى لأجل إرادة الصلاة ، و من هنا يعلم وجوب النية ، لأن فعل العاقل لا يكون إلا مقصوداً ، و فعل المأمور به لأجل الأمر هو النية ﴿ وجوهكم ﴾ * و حدّ الوجه ١٥ منابت شعر الرأس و منتهى الذقن طولاً و ما بين الأذنين عرضاً ، و ليس منه داخل العين و إن كان مأخوذاً من المواجهة ، لأنه من الحرج ،

(١) سقط من ظ (٢) تكرر بعده فى ظ : فمن تركها فقد كفر (٣) من ظ ، و فى الأصل : لا (٤) من ظ ، و فى الأصل : تعلم (٥) العبارة من هنا إلى « الخفيف فيجب » تأخرت فى الأصل عن « ملتقى العظمين » .

وكذا إيصال الماء إلى البشرة إذا كثفت اللحية خفف للخرج و اكتفى عنه^١
 بظاهر اللحية ، و أما العنقفة و نحوها من الشعر الخفيف فيجب ﴿ و ايديك ﴾ .
 و لما كانت اليد تطلق على ما بين المنكب و رأس الأصابع ، قال
 مينا أن ابتداء الغسل يكون من الكفين ، لأنها لعظم النفع أولى
 ٥ بالاسم : ﴿ الى المرافق ﴾ أى آخرها ، أخذنا من بيان النبي صلى الله عليه
 و سلم بفعله ، فانه كان يدير الماء على مرققيه ، و إنما كان^٢ الاعتماد على^٣
 اليان لأن الغاية تارة تدخل كقوله^٤ تعالى ” من المسجد الحرام الى
 المسجد الاقصى “ ، و تارة لا تدخل كقوله^٥ تعالى ” ثم اتموا الصيام
 الى آيل “ ، و المرفق ملتقى العظمين ، و عني عما فوق ذلك تخفيفا
 ١٠ ﴿ و امسحوا ﴾ و لما عدل عن تعدية الفعل إلى الرأس ، فلم يفعل
 كما فعل في الغسل مع الوجه ، بل آتى بالباء فقال : ﴿ برة و سكم ﴾ علم
 أن المراد إيجاد ما يسمى مسحا في أى موضع كان من الرأس ، دون
 خصوص التعميم و هو معنى قول الكشاف : المراد إلصاق المسح بالرأس ،
 و مسح بعضه و مستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح .

١٥ و لما كان غسل الرجل مظنة الإسراف فكان مأمورا بالاعتصاف
 فيه ، و كان المسح على الخف ساتعا كافيا ، قرئ : ﴿ و ارجلكم ﴾ بالجر
 على المجاورة^٦ إشارة إلى ذلك [أو لأن الغاسل يدلك في الأغلب ،

(١) سقط من ظ (٢-٢) في ظ : على اعتماد (٣) في ظ : لقوله (٤) سورة ١٧

آية ١ (٥) سورة ٢ آية ١٨٧ (٦) في ظ : المجاوزة .

قال في القاموس : المسح كالمسح : إمرار اليد على الشيء السائل . فيكون في ذلك إشارة أيضا إلى استجاب الدلك ، و القرينة الدالة على استعمال هذا المشترك في أحد المعنيين قراءة النصب و يان النبي صلى الله عليه و سلم ، و مر استعماله فيه - ^١] و [فيه الإشارة إلى الرفق - ^١] بالنصب على الأصل .

- ١٥/ / و لما كانت الرجل من موضع الانشعاب^٢ من الأسفل إلى آخرها ، خص بقوله دالا بالغاية على أن المراد الغسل - كما مضى في المرافق ، لأن المسح^٣ لم يرد فيه غاية في الشريعة ، و^٤ على [أن - ^١] ابتداء الغسل يكون من رؤس الأصابع ، لأن القدم بعظم^٥ نفعه أولى باسم الرجل : (إلى^٦ الكعبين^٧) و هما العظمان النابتان عند مفصل الساق و القدم ، ١٠ و نرى إشارة إلى أن لكل رجل كعبين ، و لو قيل : إلى الكعاب ، لفهم أن الواجب كعب واحد من كل رجل - كما ذكره الزركشي في مقابلة الجمع بالجمع من حرف الميم من قواعده ، و الفصل بالمسح بين^٨ المفصولات معلم بوجوب الترتيب ، لأن عادة العرب - كما نقله الشيخ محي الدين النووي في شرح المذهب عن الأصحاب - أنها لا تفعل ذلك إلا للاعلام بالترتيب ، و قال ١٥ غيره معللا لما ألزمت العرب : ترك التمييز بين النوعين بذكر كل منهما على حدته مستهجن^٩ في الكلام البليغ لغير فائدة ، فوجب تنزيه كلام الله
- (١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) في ظ : اشعاب (٣) في ظ : المراد .
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و في الأصل : العظم (٦) زيد من ظ و القرآن الكريم (٧) في ظ : مهجين - كذا .

عنه أيضا ، فدلالة الآية على وجوب البداءة بالوجه مما لا مدفع له لترتيبها
 له^١ بالحرامنة على الشرط بالفاء^٢ ، وذلك مقتضى لوجوب الترتيب في الباقي
 إذ لا قائل بالوجوب بالبعض دون البعض ، ولعل تكرير الامر بالغسل
 والتيمم للاهتمام بهما ، وللتذكير^٣ بالنعمة في التوسعة بالتيمم ، وأن
 حكمه باقي عند أمنهم وسعتهم كرامة أن يظن^٤ أنه إنما كان عند خوفهم
 وقتلهم وضيق التبسط^٥ في الأرض ، لظهور الكفار وغلبيتهم ، كما كانت
 المتعة تباح تارة وتمنع أخرى نظرا إلى الحاجة وفقدها ، وللإشارة إلى
 أنه من خصائص هذه الأمة ، والإعلام بأنه لم يُرد به ولا بشيء من
 المأمورات والمنهيات قبله الحرج ، وإنما أراد طهارة الباطن والظاهر من
 أدناس الذنوب وأوضار الخلائق السالفة^٦ ، فقال تعالى معبرا بأداة الشك
 إشارة إلى أنه قد يقع^٧ وقد لا يقع^٨ وهو نادر^٩ على تقدير^{١٠} وقوعه ،
 عاطفا على ما تقديره : هذا إن كنتم محدثين حدثا أصغر : ﴿ وان كنتم ﴾
 أي حال القصد للصلاة ﴿ جنبا ﴾ أي ممتزجين باحتلام أو غيره ﴿ فاطهروا ﴾
 أي بالغسل إن كنتم خالين عن عذر لجميع البدن ، لأنه أطلق ولم يخص
 ١٥ ببعض الأعضاء كما في الوضوء .

ولما أتم أمر الطهارة عزيمته بالماء من الغسل والوضوء ، وبدأ
 بالوضوء لعمومه ، ذكر الطهارة رخصة بالتراب ، فقال معبرا بأداة الشك
 إشارة إلى أن الرخاء أكثر من الشدة : ﴿ وان كنتم مرضى ﴾ أي

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : التذكير (٣) في ظ : تظن (٤) في ظ : البسط .
 (٥) في ظ : السائلة (٦-٧) في ظ : قد يقع (٧) في ظ : قادر (٨) في ظ : تقديره ،
 والعبارة من بعده إلى « ما تقديره » ساقطة منه (٩-١٠) سقط ما بين الرقين من ظ .

بجحراح أو غيره ، فلم تجدوا ماء حسا أو^١ معنى بعدم القدرة على استعماله
وأتم جنب^٢ ﴿ او على سفر ﴾ طويل أو قصير كذلك ، [ولما ذكر
الأكبر أتبعه الأصغر فقال - ٢] : ﴿ او جاء احد منكم ﴾ وهو غير
جنب ﴿ من الغائط ﴾ أى الموضع المظلم من الأرض وهو [أى - ٢]
مكان التخل ، أى قضيتم حاجة الإنسان التى لا بد له^٣ منها ، وينزه الكتاب ه
عن التصريح بها لأنها من النقائص المذكورة^٤ له بشديد عجزه وعظيم
ضرورته^٥ وفقره^٦ ليكشف من إعجابه وكبره وترفعه وبخه - كما ورد أن
بعض الأمراء لقي^٧ بعض البله فى طريق^٨ فلم يفسح له ، فغضب / وقال :
١٦ / كأنك ما تعرفنى ؟ فقال : بلى والله ! إني لأعرفك ، أولك^٩ نطفة مذرة
وآخرك جيفة قدرة ، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة " . ١٠

ولما ذكر ما يخص الأصغر ذكر ما^{١٢} يعم الأكبر فقال : ﴿ او لستم
النساء ﴾ أى بالذكر أو غيره أمنيتم أو لا ﴿ فلم تجدوا ماء ﴾ أى حسا
أو معنى بالعجز عن^{١٣} استعماله للرض^{١٤} بجرح أو غيره ﴿ فقيموا ﴾ أى
اقصدوا^{١٥} قصدا متعمدا ﴿ صعيدا ﴾ أى ترابا ﴿ طيبا ﴾ أى طهورا خالصا
﴿ فامسحوا ﴾ .

(١) من ظ ، وفى الأصل « و » ، (٢) فى ظ : جنبا (م) زيد من ظ (٤) سقط
من ظ (٥) فى الأصل و ظ : المذكورة (٦) فى ظ : سوره (٧) من ظ ، وفى
الأصل : فقر (٨) فى ظ : التى (٩) فى ظ : الطريق (١٠) فى ظ : تلك .
(١١) مى الغائط وأردأ ما يخرج من الطعام (١٢) فى ظ : بما (١٣) من ظ ،
وفى الأصل : من (١٤) فى ظ : للريض .

ولما كان التراب لكثافته لا يصل إلى ما يصل إليه الماء بلطافته،
 قَصَّر الفعل وعدَّاه بالحرف إشارة إلى الاكتفاء بمرة والعفو عن
 المبالغة، وبيّن السنة^١ أن المراد جميع العضو، فقال: ﴿بوجوهكم
 وابدأيكم منه^٢﴾ أى حال النية التى هى القصد الذى هو التيمم، ثم أشار
 ٥ لهم إلى حكمته سبحانه فى هذه الرخصة فقال مستأنفا: ﴿ما يريد الله﴾
 أى الغنى الغنى^٣ المطلق ﴿ليجعل عليكم﴾^٤ وأغرق^٥ فى التنى بقوله:
 ﴿من حرج﴾ أى ضيق علما منه بضعفكم، فسهل عليكم ما كان عسره
 على من [كان -^٦] قبلكم، وإكراما لكم لأجل نبيكم صلى الله عليه
 وسلم، فلم يأمركم إلا بما يسهل عليكم ليقل عاصيكم ﴿ولكن يريد ليظهركم﴾
 ١٠ أى ظاهرا وباطنا بالماء والتراب وبامثال الأمر على [ما -^٧] شرعه
 سبحانه، علقم معناه أولا، مع تسهيل الأوامر والنواهي لكيلا يوقعكم
 التشديد^٨ فى المعصية التى هى رجس الباطن ﴿وليم نعمته﴾ أى فى
 التخفيف فى^٩ العزائم ثم فى الرخص، وفى وعدكم بالأجر على ما شرع
 لكم من الأفعال ﴿عليكم﴾ لأجل تسهيلها، ليكون فعلكم لها
 ١٥ واستحقاقكم لما رتب عليها من الأجر مقطوعا به، إلا لمن لج طبعه فى
 العوج، وتماذى فى الغواية والجهل والبطر ﴿لعلكم تشكرون﴾
 أى^{١٠} فعل ذلك كله - هذا^{١١} التسهيل وغيره - ليكون حالكم لما سهل
 (١) من ظ، وفى الأصل: بالسنة (٢) سقط من ظ (٣-٢) فى ظ: أو عرف .
 (٤) زيد من ظ (٥-٥) فى ظ: ليلا يوقعكم الشديد (٦) فى ظ: «و» (٧) فى الأصل
 وظ: ولعلكم، والتصحيح من القرآن الكريم (٨) فى ظ: فى .
 (٩) عليكم
 ٣٦

عليكم حال من يرجي صرفه لنعم ربه عليه^١ في طاعته^٢ المسهلة له^٣
 المحمية إليه؛ روى البخارى في التفسير وغيره عن عائشة رضى الله عنها
 قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم^٤ في بعض أسفاره،
 حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لى، فأقام رسول الله
 صلى الله عليه وسلم^٥ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء ه
 وليس معهم ماء - وفي رواية: سقطت قلادة لى بالبيداء ونحن داخلون؛
 المدينة، فأناخ النبي صلى الله عليه وسلم ونزل، فثنى رأسه في حجرى راقدا -
 فأتى الناس إلى أبى بكر فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ فجاء
 أبوبكر* فلكزنى لكزة شديدة وقال: حبست النبي صلى الله عليه وسلم
 فى قلادة، فبى^٦ الموت لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ١٠
 أوجعنى، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ وحضرت الصبح فالتمس
 الماء فلم يوجد، فنزلت "يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة" - الآية،
 وفي رواية: فأنزل الله آية التيمم "فيمموا" فقال أسيد بن حضير^٧:
 لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبى بكر^٨ ما أتم إلا بركة لهم، وفي
 رواية: ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر^٩، قالت: فبعثنا^{١٠} البعير الذى ١٥

(١) فى ظ: عليكم (٢ - ٢) فى ظ: يشتمله - كذا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين
 من ظ (٤) زيد فى ظ: فى (٥) من ظ، وفى الأصل: أبابكر (٦) من صحيح
 البخارى، وفى الأصل: فهى، وفى ظ: فتى (٧) من الصحيح، وفى الأصل
 و ظ: الحضير (٨) فى ظ: فبعث .

كنت عليه فاذا العقد تحته^١، وفي رواية له / عنها في النكاح أنها استعارت
 من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناساً^٢
 من أصحابه في طلبها، فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا
 النبي صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم، فقال أسيد
 هـ ابن حضير: جزاك الله خيراً! فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك
 منه مخرجاً، وجعل للسليين^٣ فيه بركة. وهذا الحديث يدل على أن
 هذه الآية نزلت قبل آية النساء، فكانت تلك نزلت بعد ذلك لتأكيد
 هذا الحكم ومزيد الامتثال به، لما فيه من عظيم اليسر و ليحصل في
 التيمم من الجناية نص خاص، فيكون ذلك أغم لشأنها و أدل على
 ١٠. الاهتمام [بها - ^٤] .

ولما كان في هذه المأمورات والمنهيات خروج عن المألوفات،
 وكانت الصلاة أوثق عرى الدين، وكان قد عبر عنها بالإيمان الذي
 هو أصل الدين وأساس الأعمال، عطف عليها قوله تذكيراً^٥ بما يوجب
 القبول والالتقاد: ﴿واذكروا﴾ أى ذكر اتعاظ و تأمل و اعتبار .
 ١٥ ولما كان المقصود من الإنعام غايته قال: ﴿نعمة الله﴾ أى الملك
 الأعلى ﴿عليكم﴾ أى في هدايته لكم إلى الإسلام بعد أن كنتم على
 شفا حفرة من النار فأتقذك منها، وفي غير ذلك من جميع النعم، وإنما
 (١) من الصحيح، وفي الأصل: بحجته، وفي ظ: بمنه - كذا (٢) من ظ
 والصحيح، وفي الأصل: ناس (٣) من ظ والصحيح، وفي الأصل: للمسكين .
 (٤) زيد من ظ (٥) في ظ: تذكير .

لم تجمع^١ لثلا يظن أن المقصود تعداد النعم ، لا التذب إلى الشكر بتأمل
 أن هذا الجنس لا يقدر عليه غيره سبحانه ، وعظّم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم كما يستحقه بجعل فعله سبحانه فعله صلى الله عليه وسلم فقال :
 ﴿ وميثاقه ﴾ أى عقده الوثيق ﴿ الذى واثقكم به ﴾ أى بواسطة رسوله
 صلى الله عليه وسلم حين بايعكم ليلة العقبة على السمع والطاعة فى العسر^٥
 والنيسر والمنشط والمكره ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قلم سمعنا واطعنا ﴾
 وفى ذلك تحذير من مثل ما أراد بهم^٢ شاس بن قيس ، وتذكير^٣ بما
 أوجب له صلى الله عليه وسلم عليهم من الشكر بهدياته لهم إلى الإسلام
 المثمر لالتزام تلك العهود ليلة العقبة الموجبة للوفاء الموعد عليه الجنة ،
 والتفات^٤ إلى قوله أول السورة ” اوفوا بالعقود “ وحديث إسباغ^{١٠}
 الوضوء على المكاره مبين^٦ لحسن هذا التناسب .

ولما كان أمر الوفاء بالعهد صعبا ، لا يقوم به إلا من صدقت
 عريقته^٧ وصلحت سريره^٨ ، وإنما يحمل عليه مخافة الله قال : ﴿ واتقوا الله ﴾
 أى اجعلوا بينكم وبين ما يغضب الملك الأعظم - الذى يفعل ما يشاء -
 من نقض العهد وقاية من حسن القيام ، لتكونوا فى أعلى درجات وعيه^٩ ، ١٥
 ثم علل ذلك مرغبا مرهبا بقوله : ﴿ أن الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال
 ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم ﴿ بذات الصدوره ﴾ أى أحوالها من سرائرها^{١١}

(١) فى ظ : لم يجمع (٢) فى ظ : به (٣) من ظ ، وفى الأصل : تذكيرا (٤) فى
 الأصل و ظ : التفاتا (٥) فى ظ : عزيزته (٦-٦) فى ظ : الدرجات رعيه (٧) فى
 ظ : سائرهما .

وإن كان صاحبها لم يعلمها لكونها لم تبرز^١ إلى الوجود ، وعلانيتهما وإن كان صاحبها قد نسيها^٢ .

ولما تقدم القيام إلى الصلاة ، وتقدم ذكر الأزواج المأمور
فيهن بالعدل في أول النساء و أمثانها ، وكان في الأزواج المذكورات
هنا الكافرات ، ناسب تعقيب ذلك بعد الأمر بالتقوى بقوله تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أى أقروا بالإيمان ، ولما كان العدل في غاية الصعوبة
على الإنسان ، فكان لذلك يحتاج المتخلق به إلى تدريب / كبير ليصير صفة
راسخة ، عبر بالكون فقال تعالى : (كونوا قَوْمِينَ) أى مجتهدين في
القيام على النساء اللاتي أخذتموهن بعهد الله ، واستحلتم فروجهن
١٠ بكلمة الله ، وعلى غيرهن في الصلاة وغيرها من جميع الطاعات التي^٣
عاهدتم على الوفاء بها .

ولما كان مبنى السورة على الوفاء بالعهد الوثيق ، وكان الوفاء
بذلك إنما يخفى على النفوس ، ويصح النشاط فيه ، ويعظم العزم عليه
بالتذكير^٤ بجملة موثقه وعدم انتهاك حرمة ، لأن^٥ المعاهد إنما يكون
١٥ باسمه ولحفظ حده ورسمه ، قدم قوله : (الله) أى الذى له الإحاطة
بكل شيء - بخلاف ما مضى في النساء .

ولما كان من جملة المعاهد^٦ عليه ليلة العقبة - ليلة توافقوا على
الإسلام - أن يقولوا بالحق حيث ما كانوا ، لا يخافون في الله لومة لائم ،
(١) من ظ ، وفي الأصل : لم تبرزه (٢) في ظ : كسبها (٣) في ظ : اللاتي (٤) في
ظ : يخفى (٥) في ظ : بالتذكير (٦) من ظ ، وفي الأصل : إنما (٧) في ظ :
المعاقدين .

قال: ﴿ شهداء ﴾ أى متيقظين محضرين أفهامكم غاية الإحضار^١ بحيث لا يسد عنها شيء مما تريدون^٢ الشهادة به ﴿ بالقسط د ﴾ أى العدل، وقال الإمام أبو حيان فى نهـره: إن التى [جاءت - ٢] فى سورة النساء جاءت فى معرض الاعتراف على نفسه وعلى الوالدين والأقربين، فبدأ^٣ فيها بالقسط الذى هو العدل^٤ و السواء^٥ من غير محاباة نفس ولا والد^٦ ولا قرابة، و هنا ه جاءت فى معرض ترك العداوات والأحن^٧، فبدئ^٨ فيها بالقيام لله إذ كان الأمر بالقيام لله أولاً أرفع للمؤمنين^٩، ثم أرفع بالشهادة بالعدل، فالتى فى معرض المحبة والمحابة بدئ فيها بما هو أكد وهو القسط، و^{١٠} التى فى معرض العداوة والشنآن بدئ فيها بالقيام لله، فناسب كل معرض ما جرى به إليه، وأيضاً تقدم هناك حديث النشوز والإعراض وقوله "ولن تستطيعوا ١٠ ان تعدلوا^{١١}" وقوله "فلا جناح عليهما ان يصالحا" " فناسب [ذكر - ٢] تقديم القسط، و هنا تأخر ذكر العداوة فناسب أن يحاورها ذكر القسط - انتهى .

ولما كان^١ أمر بهذا الخبر، نهى عما يحجب^٢ عنه فقال: ﴿ ولا يحرمكم ﴾

- (١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تريدوان - كذا (٣) زيد من النهر - راجع البحر المحيط ٤٤٠/٣ (٤) من النهر، وفى الأصل وظ : فبدئ (هـ-هـ) فى ظ : السواء، وفى النهر: والسؤال - كذا (٦) فى ظ : ولد (٧) من ظ والنهر، وفى الأصل : فبدأ (٨) من النهر، وفى الأصل وظ : للمؤمن (٩) من النهر، وفى الأصل وظ : بدأ (١٠) سورة ٤ آية ١٢٩ (١١) فى النهر : يصلحا - راجع سورة ٤ آية ١٢٨ .
- (١٢) فى ظ : يحجب .

أى يحملنكم ﴿شأن قوم﴾ [أى - ١] شدة عداوة مَنْ لهم قوة على القيام فى الأمور من المشركين ، بحيث يخشى من إهمالهم ازدياد قوتهم ﴿على ألا تعدلوا﴾ أى [أن - ١] تتركوا قصد العدل ، وهو يمكن أن يدخل فيه بغض أهل الزوجة الكافرة أو ازدرائها^٢ فى شئ من حقوقها لأجل خسة دينها ، فأمرُوا بالعدل حتى بين [هذه - ١] المرأة الكافرة وضرأتها المسلمات ، وإذا^٣ كان هذا شأن الأمر به فى الكافر فما الظن به فى المسلم ؟ ثم استأنف قوله آمرا بعد النهى تأكيدا^٤ لأمر العدل : ﴿اعدلوا﴾ أى تحروا العدل واقصدوه فى كل شئ حتى فى هذه الزوجات وفيمن يجاوز^٥ فيكم الحدود ، فكلما عصوا الله فيكم أطيعوه^٦ فيهم ، فان الذى منعكم من التجاوز خوفه يريكم من النصرة وصلاح الحال ما يسركم .

ولما كان ترك^٧ قصد العدل^٨ قد يقع لصاحبه^٩ العدل اتفاقا ، فيكون قريبا من التقوى ، قال مستأنفا^{١٠} معللا : ﴿هو﴾ أى قصد العدل ﴿أقرب﴾ أى من ترك قصده ﴿للتقوى﴾ والإحسان الذى يتضمنه الصلح أقرب ١٥ من العدل إليها ، وتعدية "أقرب" باللام دون "إلى" المقضية لنوع بُدْ زيادة فى الترغيب - كما مر^{١١} فى البقرة ؛ [ولما كان الشئ لا يكون إلا بمقدماته ، وكان قد علم من هذا أن العدل مقدمة التقوى ، قال عاطفا

/ ١٩

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل و ظ : هى (٣) فى ظ : ان (٤) من ظ ، وفى الأصل : بتاكيدا (٥) فى ظ : تجاوز (٦) فى ظ : اطيعوا الله (٧-٧) فى ظ : القول - كذا (٨) فى ظ : لصاحبه (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : مضى .

على النهى أو على نحو: فاعدلوا - [١]: ﴿ واتقوا الله ٢ ﴾ أى اجعلوا ٣
 بينكم وبين غضب الملك الأعظم وقاية بالاحسان ٢ فضلا عن العدل ،
 ويؤكد كون الآية نازلة إلى النكاح مع ما ذكره ختام آية الشقاق التي
 في أول النساء بقوله ” ان الله ٥ كان عليا خيرا ٦ “ ، وختام قوله تعالى
 في أواخرها ” وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا “ بقوله ه
 ” فان ٧ الله كان بما تعملون خيرا “ وختام هذه بقوله معللا ٨ لما قبله ٩ :
 ﴿ ان الله ١٠ ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ خير بما تعملون ه ﴾ لأن ما بين
 الزوجين ربما دق علمه عن إدراك غير العليم الخبير ؛ وقال أبو حيان :
 لما كان الشئان محلله القلب ، وهو الحامل على ترك العدل ، أمر بالتقوى
 و أتى بصفة ” خير “ ومعناها ” عليم “ ولكنها بما تختص ١ بما لطف إدراكه - ١٠
 انتهى . ” وشهداء “ يمكن أن يكون من الشهادة ١٠ التي هي حضور
 القلب - كما تقدم من قوله ” او القى السمع وهو شهيد ١١ “ وأن يكون
 من الشهادة المتعارفة ، ويوضح المناسبة فيها مع تأييد إرادتها كونها
 بعد قوله ” ان الله عليم بذات الصدور “ ومع قوله تعالى ” ومن يكتنها

- (١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) في ظ : الذى جعل (٣) من ظ ، وفي
 الأصل : الانسان - كذا (٤) في ظ : ذكرنا (٥ - ٥) في ظ : انه (٦) آية ٣٥ .
 (٧) من القرآن الكريم آية ١٢٨ ، وفي الأصل و ظ : ان (٨-٨) سقط ما بين
 الرقيين من ظ (٩) من ظ و البحر المحيط ٣ / ٤٤١ ، وفي الأصل : يختص .
 (١٠) العبارة من هنا إلى « من الشهادة » سقطت من ظ (١١) سورة ٥٠
 آية ٣٧ .

فانه اثم قلبه^١، و ختام آية النساء التي في الشهادة بقوله^٢ ” وان تلوا^٣
او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خيرا^٤“ كما ختمت هذه بمثل ذلك .
ولما أمر سبحانه ونهى^٥، بشر و حذر فقال: ﴿ وعد الله ﴾ أى
الملك الذى له الكمال المطلق فله كل شيء ﴿ الذين امنوا ﴾ أى أقروا
٥ بالإيمان بأستنتهم ﴿ وعملوا ﴾ تصديقا لهذا الإقرار ﴿ الصلحت^٦ ﴾
وترك المفعول الثانى^٧ أقعد فى باب البشارة^٨، فانه يحتمل كل خير،
وتذهب النفس فى تحريزه^٩ كل مذهب .

ولما كان الموعد شيئين : فضلا وإسقاط حق ، قدم الإسقاط
تأمينا للخوف ، فقال واضعا له موضع الموعد فى صيغة دالة على الثبات
١٠ والاختصاص : ﴿ لهم مغفرة ﴾ أى لما فرط منهم لما طبع الإنسان عليه
من النقص نسيانا أو عمدا ، بعمل الواجبات إن كان صغيرة ، وبالتوبة
إن كان كبيرة ، وفيه إشارة إلى أنه لا يقدر^{١١} أحد أن يقدر^{١٢} الله حق
قدره ؛ ولما أمنهم بالتجاوز أتبعه الجود بالعطاء فقال : ﴿ واجر ﴾ أى
على قدر درجاتهم من حسن العمل ﴿ عظيم ﴾ أى لا يدخل تفاوت
١٥ درجاته تحت المحصر .

ولما قدم الوعد لأنه فى سورة الذين آمنوا أتبعه الوعيد لأضدادهم ،
وهو أعظم وعد لأجابه المؤمنين أيضا فقال : ﴿ والذين كفروا ﴾
أى غطوا ما اتضح لعقولهم من أدلة الوحداية ﴿ وكذبوا ﴾ أى زيادة
(١) سورة ٢ آية ٢٨٣ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٤ آية ١٣٥ (٤) زيدت
الواو بعده فى ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : الابشارة - كذا (٦) فى ظ :
تجويزه (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

على الستر بالعناد : ﴿ بآيَاتِنَا ﴾ على ما لها من العظمة في أنفسها و بإضافتها
إلينا ﴿ أولئك ﴾ أى البغضاء البعداء من الرحمة خاصة ﴿ اصحب الجحيم ٥ ﴾
أى النار التى اشتد توقدها فاشتد احمرارها ، فلا يراها شيء إلا أجحم
عنها ، فهم يلقون^١ فيها بما أقدموا على ما هو أهل للاجحام عنه من
التكذيب بما لا ينبغي^٢ لأحد التكذيب به ، ثم يلزمونها فلا ينفكون ٥
عنها كما هو شأن الصاحب .

و لما كان من الأجر ما يحصل من أسباب السعادة فى الدنيا ، قال
تعالى ذاكرًا لهم بعض ذلك مذكرا ببعض ما خاطبهم به^٣ ليقدموا على
مباينة الكفرة و يقفوا / عند حدوده كائنه ما كانت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ٢٠ /
أى صدقوا بالله و رسوله و كتابه ﴿ اذكروا نعمت الله ﴾ أى الذى ١٠
أحاط بكل شيء قدرة و علما ﴿ عليكم ﴾ عظمتها بإيهاها ، ثم زادها تعظيما
بالتذكير بوقتها فقال : ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ هم قوم ﴾ أى لهم قوة و منعة
و قدرة على ما يقومون فيه ﴿ ان يسطوا اليكم أيديهم ﴾ أى بالقتال
و القتل ، و هو شامل - مع ذكر من أسباب نزوله - لما^٤ اتفق صديحة
ليلة العقبة من أن قريشا تنطست^٥ الخبر عن البيعة ، فلما صح عندهم طلبوا ١٥
أهل البيعة فقاتلهم إلا أنهم أدركوا سعد بن عبادة بأذاخر ، و المنذر بن
عمرو أخا بنى ساعدة ، و كلاهما كان نقييا ، فأما المنذر فأعجزهم ، و أما سعد
فأخذوه^٦ فربطوه و أقبلوا يضربونه ، حتى خلصه الله منهم بجبير بن مطعم
(١) فى ظ : يقولون (٢) فى ظ : ينبغي (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : بما (٥) أى
نجست و بحثت ، و فى ظ : تنطست - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : فآخذوا .

والحارث بن حرب بن أمية بما كان بينه وبينهما من الجوار، فكان في سوق الآية بعد آية الميثاق الذي أعظمه ما كان ليلة العقبة أعظم مذكر بذلك ﴿ فكف ايديهم عنكم ٥ ﴾ أى مع قلتكم وكثرتهم^١ وضعفكم وقوتهم، ولم يكن لكم^٢ ناصر^٣ إلا الذى^٤ آمنت به تلك الليلة وتوكلتم عليه وبايعتم^٥ رسوله، فكف يبعض^٦ الأعداء عنكم أيدي بعض، ولو شاء لسلطهم عليكم كما سلط ابن آدم على أخيه؛ وينبغي^٧ أن يعلم^٨ أن القصة التي عزيت في بعض التفاسير هنا إلى نبي قريظة في الاستعانة في دية القتيلين إنما هي لبني النضير، وهي كانت سبب إجلائهم.

ولما أمرهم بذكر النعمة، عطف على ذلك الأمر الأمر^٩ بالخوف ١٠ من المنعم أن^{١٠} يدل نعمته بنقمة فقال: ﴿ واتقوا الله^{١١} ﴾ أى الملك الذى لا يطاق انتقامه لأنه لا كفوء له، حذرا من أن يسلب عليكم أعداءكم^{١٢} من غير ذلك من سطواته.

ولما كان التقدير: على^{١٣} الله وحده في كل حالة فتوكلوا، فانه جدير بنصر من انقطع إليه ولم يعتمد إلا عليه، عطف على ذلك قوله تعيما ١٥ وتعليقا للحكم بالوصف: ﴿ وعلى الله^{١٤} ﴾ أى وحده لكونه لا مثل له ﴿ فليتوكل المؤمنون ١٥ ﴾ أى في كل وقت فانه يمنهم إذا شاء كهذا المنع وإن اشتد الخطب وتعاضم الأمر، فتوكلوا ولا تنكسوا عن^{١٥} أعدائكم الذين وعدكم الله أرضهم وديارهم وأبنائهم وتهيأوا جموعهم كما هاب^{١٦}

(١) في ظ: كثرتكم (٢) في ظ: لهم (٣) في الأصل وظ: ناصر (٤) في ظ: الذين.
(٥) في ظ: بعض (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) سقط من ظ (٨) في ظ: فعل (٩) في ظ: على (١٠) في ظ: هابوا.

بنو إسرائيل - كما سيقص عليكم ، و قوله هنا " المؤمنون " و^١ في قصة
 بني إسرائيل " ان كنتم مؤمنين " شديد التأخى^٢ ، معلم بمقامى الفريقين ،
 و حيثذ حسن كل الحسن تعقيها مع ما تقدم من أمر العقبة و أمر بني
 النضير في نقضهم عهدهم و غدرهم ، بما هموا به من قتل النبي صلى الله عليه
 و سلم بالقاء الرحي عليه من سطح البيت الذى أجلسوه إلى جانبه ، بقوله ه
 إشارة إلى أن اليهود ما زالوا على النقض قديما ، تحذيرا للمؤمنين من
 أن يكونوا مثلهم في النقض لئلا يحل بهم ما حل بهم من الصغار ،
 و إعلاما بأن عاداته سبحانه في الإلزام بالتكاليف قديمة غير مخصوصة بهم ،
 بل هي عامة لعباده و قد كلف أهل الكتاب ، تشريفا لهم بمثل ما كلفهم
 به ، و رغبهم و رهبهم ليسبقوهم في الطاعة ، فان الأمر إذا عم هان^٣ ، ١٠
 و الإنسان إذا سابق اجتهد في أخذ الرهان^٤ ، و أكد الخبر بذلك
 لئلا يظن لشدة انهماكهم في النفس^٥ أنه لم يسبق لهم عهد^٦ قبل ذلك^٧ فقال
 تعالى / : ﴿ و لقد اخذ الله ﴾ أى بما له من جميع الجلال و العظمة و الكمال ٢١/
 ﴿ ميثاق بنى اسرائيل ج ﴾ أى العهد الموثق بما أخذ عليكم من السمع
 و الطاعة ﴿ و بعثنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ منهم اثني عشر نقيبا ﴾ ١٥
 أى شاهدا ، على كل سبط نقيب يكفلهم^٨ بالوفاء بما عليهم من الوفاء
 به - كما بعثنا منكم ليلة العقبة^٩ اثني عشر نقيبا^{١٠} و أخذنا منكم الميثاق على

(١) سقط من ظ (٢) آية ٢٣ (٣) في ظ : الناجى (٤) في ظ : هناك - كذا (٥) من
 ظ ، و في الأصل : البراهين (٦) في ظ : الفسق (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٨) في ظ : يكفلهم (٩-٩) تكرر في ظ بعد « منكم الميثاق » .

ما أحاله^١ الإسلام - كما قال كعب بن مالك رضى الله عنه فى تخلفه عن تبوك : ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواقنا على الإسلام ، وأما تفصيله فذكر فى السير ، والنقيب : الذى ينقب عن أحوال القوم كما قيل : عريف ، لأنه يتعرفها ، ومن ذلك المناقب ه وهى الفضائل ، لأنها لا تظهر إلا بالنقيب عنها ﴿ وقال الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة وعلما لبني إسرائيل ، وأكد^٢ لتكرار^٣ جزعهم وتقلبهم فقال : ﴿ انى معكم^٤ ﴾ وهو كناية عن الكفاية لأن القادر إذا كان مع أحد كان كذلك ؛ إذا لم يغضبه .

ولما أنهى^٥ الترغيب بالمعية استأنف^٦ بيان [شرط -^٧] ذلك بقوله ١٠ مؤكدا لمثل ماضى : ﴿ لئن اقمتم ﴾ أى أنشأتم^٨ ﴿ الصلوة ﴾ أى التى هى صلة ما بين العبد والخالق ، بجميع شروطها وأركانها ؛ [ولما كان -^٩] المقصود من الإنفاق المؤاساة بالإيتاء قال : ﴿ وانتم الزكاة ﴾ أى التى هى بين^{١٠} الحق والخلاق .

ولما كان الخطاب مع من آمن بموسى عليه السلام ، وكانوا [فى -^{١١}] ١٥ كل قليل يتردعون عن اتباعه أو كمال اتباعه ، وكان سبحانه عالما بأن ميلهم بعده يكون أكثر ، فرتب فى الأزل أنه تواتر إليهم بعده الرسل يحفظونهم عن الزيغ ويقومون منهم الميل قال^{١٢} : ﴿ وانتم برسلى ﴾ أى (١) من ظ ، وفى الأصل : اعاله (٢) من ظ ، وفى الأصل : ذاكرا - كذا (٣) فى ظ : ليكرر (٤) فى ظ : لذلك (٥) فى ظ : انتهى (٦) تقدم فى الأصل على « انتهى الترغيب » ، وزيد بعده فى الأصل : شرطا ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : استأنم - كذا (٩-٩) فى ظ : الخلق والخالق (١٠) سقط من ظ .

أدتم (١٢) ٤٨

أدتم الإيمان بموسى عليه السلام ، و جدتم الإيمان بمن يأتي بعده ،
فصدقتموه^(١) في جميع ما يأمرونكم به^(٢) (وعزرتهم) أى ذبيتم عنهم
ونصرتهم ومنعتموه أشد المنع ، والتعزيز والتأخير من باب واحد .
ولما كان من أعظم المصدق للإيمان ونصر الرسل بذل المال
فهو البرهان قال : (و اقرضتم الله) أى الجامع لكل وصف جميل ه
(قرضا حسنا) أى بالإتفاق في جميع سبل الخير ، وأعظمها الجهاد
و الإعانة فيه للضعفاء .

ولما كان الإنسان محل النقصان ، فهو لا ينفك عن زلل أو تقصير
و إن اجتهد في صالح العمل ، قال سادًا - بجواب القسم الذى وطأت
له اللام الداخلة على الشرط - مسدّ جواب الشرط : (لا كفرن) أى ١٠
لا سترن (عنكم سيئاتكم) أى فعلكم لما من شأنه أن يسوء (ولا دخلنكم)
أى فضلا منى (جئت تجرى) ولما كان الماء لا يحسن إلا بقربه وانكشافه
عن بعض الأرض قال : (من تحتها الانهر) أى [من - ٢] شدة
الرى (فن كفر) [ولما - ٢] كان الله سبحانه لا يعذب حتى يبعث
رسولا ، وكان المهلك من المعاصى بعد الإرسال ما اتصل بالماوت فأحبط ١٥
ما قبله ، نزع الجار فقال : (بعد ذلك) أى [الشرط المؤكد - ٣] بالامر
العظيم الشأن (منكم) [أى بعد ما رأى من الآيات وأقر به من
المواثيق - ٢] (فقد ضل) أى ترك و ضيع ، يستعمل قاصرا بمعنى :
حارًا ، ومتعديا كما هنا (سوء) أى وسط و عدل (السيل ه)

(١) فى ظ : فصدقتموه (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى
الأصل : الامر (ه) فى ظ : جار (٦) فى ظ : عده .

أى^١ لأن ذلك كفر بعد البيان العظيم فهو أعظم من غيره ، وفى هذا تحذير شديد لهذه الأمة ، لأن المعنى : فإن نقضتم^٢ الميثاق - كما نقضوا - بمثل استدراج شاس بن قيس و غيره^٣ ، صنعنا / بكم ما صنعنا بهم حين نقضوا ، من إلزامهم الذلة والمسكنة و [غير -^٤] ذلك من آثار الغضب ،
 ٢٢ / هـ وإن وفيتهم بالعقود آتيناكم أعظم مما آتيناكم من فتح البلاد و الظهور^٥ على سائر العباد ؛ قال ابن الزبير : و لهذا الغرض و الله أعلم - أى غرض^٦ التحذير من نقض العهد - ذكر هنا العهد المشار إليه فى قوله تعالى " و اوفوا بعهدى^٧ " فقال تعالى " و لقد اخذ الله^٨ ميثاق بنى اسرائيل - إلى قوله - فقد ضل سواء السبيل " ثم بين نقضهم و بنى^٩ اللعنة و كل
 ١٠ محنة ابتلوا بها عليه فقال " فبما نقضهم ميثاقهم " و ذكر تعالى عهد الآخرين فقال " و من الذين قالوا انا نصرى اخذنا ميثاقهم^{١٠} - الآية ، ثم فصل تعالى للمؤمنين أفعال الفريقين ليتبين^{١١} لهم ما تنقضوا فيه من ادعائهم فى المسيح ما ادعوا ، و قولهم^{١٢} نحن أبناء الله و أحباؤه ، و كفهم عن فتح الأرض المقدسة ، و إسرافهم فى القتل و غيره ، و تغييرهم أحكام التوراة - إلى غير
 ١٥ ذلك مما ذكره فى هذه السورة ، ثم بين تفاوتهم فى البعد عن الاستجابة فقال تعالى " لتجدن اشد الناس عداوة^{١٣} للذين آمنوا^{١٤} - الآية - انتهى . و ينبغى ذكر النقباء من هذه الفرق الثلاث بأسمائهم و ما دعى إلى ذلك تحقيقا

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : نقضهم (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) زيد من ظ (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ لحذفناها (٦) سورة ٢ آية ٤٠ (٧) فى ظ : بين (٨ - ٨) سقط ما بين الرقعين من ظ .

للأمر وزيادة تبصرة^١، أما اليهود فكان^٢ فيهم ذلك^٣ مرتين: الأولى:
قال في السفر الرابع من التوراة: إن الرب تبارك اسمه كلم موسى النبي في جبل
سينا وفي قبة الأمد في أول يوم من الشهر الثاني في السنة الثانية لخروج
بنى إسرائيل من مصر وقال الله: أحص عدد جماعة بنى إسرائيل كلها في
قبائلهم، كل ذكر من أبناء عشرين سنة إلى فوق، كل من يخرج في الحرب، هـ
وأحصهم أنت^٤ وأخوك هارون^٥، وليكن معكما من كل سبط رجل،
و يكون الرجل رئيسا في^٦ بيته، ثم بين بعد ذلك أن كل رجل منهم
يكون قائد جماعته، ينزلون بنزوله^٧ حول قبة الزمان ويرحلون برحيله،
و يطيعونه فيما يأمر به، ففعل^٨ موسى و هارون ما أمرهما الله به و اتدبوا
اثني عشر رجلا كما أمر الله، فمن سبط روبيل: إليصور بن شداور، و من ١٠
سبط شمعون: سلوميل بن صوريشدي^٩، و من سبط يهودا: نحشون^{١٠}
ابن عميئاذاب، و من سبط إيشاخار: تنائيل بن ضوغر^{١١}، و من سبط
زابلون: أليب بن حيلون^{١٢}، و من سبط يوسف من آل^{١٣} إفرايم: إليسمع
ابن عميهوذ، و من سبط منشا: جليلال بن فداهصور^{١٤} - قلت: و منشا هو

(١) في ظ: لنصرة (٢ - ٣) في ظ: ذلك فيهم (٣ - ٣) في ظ: و هارون اخوك.
(٤) زيد بعده في ظ: من (٥) في ظ: من (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: بفعل.
(٨ - ٨) من ظ و التوراة، وفي الأصل: سلوميل بن صوريشدي - كذا (٩) من
التوراة، وفي الأصل وظ: نحشون (١٠) من التوراة، وفي الأصل: صوغر،
و في ظ: ضوغر - كذا (١١) من ظ و التوراة، وفي الأصل: علون (١٢) في
ظ: اول (١٣) من التوراة، وفي الأصل: بصور، و في ظ: برصور - كذا.

ابن يوسف وهو أخو إفرائيم - ومن سبط بنيامين : أيدان بن جدعوني، ومن
سبط دان^١ : أخيعزر بن عميشدي^٢ ، ومن سبط آشير : فجمايل بن عخرن^٣،
ومن سبط جاد : إليساف^٤ بن دعوائيل^٥ ، ومن سبط نفتالي^٦ : أخيراع
ابن عيان^٧ ؛ وسبط لاوي هم سبط موسى وهارون عليهما السلام لم يذكروا
ه [لأنهم - ^٨] كانوا لحفظ قبة الزمان، فوسى وهارون عليهم كما كان
النبي صلى الله عليه وسلم على قومه - كما سيأتي، والمرة الثانية كانت ليحسوا^٩
أمر بيت المقدس، قال في أثناء هذا السفر: وكلم الرب موسى و^{١٠} قال له :
أرسل قوما^{١١} يحسون الأرض التي أعطى بني إسرائيل، وليكون^{١٢} الذين
ترسل^{١٣} رجلا من [كل - ^{١٤}] سبط من رؤساء آبائهم، فأرسلهم موسى
١٠ من بركة فاران عن قول الرب، رجلا^{١٥} من رؤساء بني إسرائيل،
/ وهذه أسماءهم من سبط روبيل : ساموع بن ذكور، ومن سبط شمعون :

/ ٢٣

سافاط بن حوري، ومن سبط يهوذا : كلاب بن يوفنا^{١٦}، ومن سبط
إشاخار : إجال^{١٧} بن يوسف، ومن سبط إفرائيم^{١٨} : هوساع بن نون،

(١) في ظ : ذان (٢ - ٢) في ظ : هينون ابن واما عميصهري - كذا (٣) في ظ :
عجرن (٤) في ظ : البساق - كذا (٥) من التوراة، وفي الأصل : رعوايل،
وفي ظ : زعوايل - كذا (٦) من التوراة، وفي الأصل و ظ : نفتال (٧) من
التوراة، وفي الأصل : غير، وفي ظ : عين - كذا (٨) زيد من ظ (٩) في ظ :
ليحسو - كذا (١٠) سقطت الواو من ظ (١١) في ظ : قومك (١٢) في ظ : يكون.
(١٣) في ظ : يرسل (١٤) في ظ : رجلا (١٥) في ظ : موقنا (١٦) من التوراة،
وفي الأصل و ظ : بغائل - كذا (١٧) من التوراة، وفي الأصل و ظ : افرام
- كذا .

و من سبط بنيامين: فلتى^١ بن رافو، و من سبط زابلون: جدى^٢ إيل^٣
 ابن سودى، و من سبط^٤ يوسف من سبط منشا: جدى بن سوسى،
 و من سبط دان^٥: عميال بن جلى، و من سبط آشير: ساتور^٦ بن ميخائيل،
 و من سبط^٧ نفتالى: نجى بن وفسى^٨، و من سبط جاد^٩: جوائل^{١٠} بن
 ماخى؛ هؤلاء الذين أرسلهم^{١١} و تقدم إليهم بالوصية^{١٢}. و أما النصارى^{١٣} ففى
 إنجيل متى مانصه: و دعا^{١٤} يعنى عيسى عليه السلام - تلاميذه الاثنى عشر،
 و أعطاهم سلطانا على جميع الأرواح النجسة لكي يخرجوها و يشفوا كل
 الأمراض؛ و فى إنجيل مرقس: و صعد إلى الجبل و دعا الذين أحبهم
 فأتوا إليه، و تختب اثنى عشر ليكونوا معه، و لىكى أرسلهم ليكرزوا^{١٥}،
 و أعطاهم سلطانا على شفاء الأمراض و إخراج الشياطين؛ و فى إنجيل^{١٦}
 لوقا: و دعا الاثنى عشر الرسل و أعطاهم قوة و سلطانا على جميع
 الشياطين و إشفاء المرضى^{١٧}، و أرسلهم ليكرزوا بملكوت الله و يشفون
 الأوجاع، و هذه أسماءهم: شمعون^{١٨} المسمى بطرس، و أندراوس أخوه،
 و يعقوب بن زبدي^{١٩}، و يوحنا أخوه - و قال فى إنجيل^{٢٠} مرقس: و سمأهما

(١) من التوراة، و فى الأصل: باطى، و فى ظ: ممطر - كذا (٢) من ظ
 و التوراة، و فى الأصل: جدى (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) من
 ظ و التوراة، و فى الأصل: سابور (٥-٥) من التوراة، و فى الأصل:
 نقتال نجى بن وفسى، و فى ظ: بقتال يحيى بن وفس - كذا (٦) سقط من ظ.
 (٧) فى ظ: عوائل - كذا (٨) من ظ، و فى الأصل: ليكرزوا (٩) زيد بعده فى
 الأصل: و أعطاهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و الإنجيل فحذفناها (١٠) من الإنجيل،
 و فى الأصل و ظ: سمعان (١١) فى ظ: زندي (١٢) من ظ، و فى الأصل: الانجيل.

باسم^١ يوانرجس^٢ اللذين هما ابنا الرعد - و فيلبس^٣ ، و برتولوماي^٤ ،
 [و توما - ^٥] ، و متى العشار ، و يعقوب بن حلفا ، و ليا الذي يدعى
 بداسوس ، و قد اختلفت الاناجيل في هذا ، ففي إنجيل مرقس بدله : تدي ،
 و في إنجيل لوقا : يهودا بن يعقوب ، ثم اتفقوا : و شمعون^٦ القاناني - و في
 ٥ إنجيل لوقا^٧ : المدعو الغيور^٨ - و يهودا الإسخريوطي الذي أسلمه . و أما نقيب
 الإسلام فكانوا ليلة العقبة الأخيرة حين بايع النبي صلى الله عليه وسلم
 الأنصار رضی الله عنهم على الحرب و أن يمنعه إذا وصل إلى بلدهم ،
 و قال لهم صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلى منكم^٩ اثني عشر نقيبا يكونون
 على قومهم كما اختار موسى من قومه ، و أخرجوا منهم اثني عشر نقيبا :
 ١٠ تسعة من الخزرج و ثلاثة من الأوس ، فقال لهم : أتم على قومكم بما فيهم
 كفلاء ككفالة الحوارين لعيسى ابن مريم ، و أنا كفيل على قومي ، قالوا :
 نعم ، و هذه أسماؤهم من الخزرج : أبو أمامة أسعد بن زرارة ، و سعد بن
 الربيع ، و سعد بن عبادة ، و عبد الله بن رواحة ، و رافع بن مالك بن
 العجلان ، و البراء بن معرور^٩ ، و عبد الله بن عمرو بن حرام^{١٠} أبو جابر ،
 ١٥ و عباد بن الصامت ، و المنذر بن عمرو^{١١} ، و من^{١٢} الأوس : أسيد بن حضير^{١٣} ،
 و سعد بن خيصة ، و رفاع بن عبد المنذر ، و أبو الهيثم بن^{١٤} التيهان ، قال

(١) من ظ ، و في الأصل : باسماء (٢) من الإنجيل ، و في الأصل : يوانرجس ،
 و في ظ : يوانرجس - كذا (٣) من ظ و الإنجيل . و في الأصل : فيلبس - كذا .
 (٤) زيد من ظ و الإنجيل (٥) من الإنجيل ، و في الأصل و ظ : سمعان .
 (٦) زيد بعده في ظ : يهودا (٧) في ظ : لغيور (٨) سقط من ظ (٩) في ظ :
 معاور (١٠) من سيرة ابن هشام ١٥٥/١ و التهذيب ، و في الأصل و ظ : حزام .
 (١١) من السيرة ١٥٦/١ ، و في الأصل و ظ : الحضير .

ابن هشام : وقال كعب بن مالك يذكرهم فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري
وذكر أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعه فقال :

أبلغ أبيًا أنه قال^١ رأيه و حان غداة الشعب والحين واقع
أبي الله^٢ ما متشك^٣ نفسك إنه بمرصاد^٤ أمر الناس راء^٥ و سامع
و أبلغ أبا سفيان أن قد بدا لنا بأحد نور من هدى^٦ الله ساطع^٥
/ فلا ترغب^٧ في حشد أمر تريده و ألْب و جمع كل ما أنت جامع / ٢٤
و دونك فاعلم أن نقض عهدنا أباه عليك الرهط حين تبايعوا^٨
أباه البراء [و-^٩] ابن عمرو كلاهما وأسعد ياباه عليك و رافع
و سعد أباه الساعدي و منذر لآتقك^{١٠} إن حاولت ذلك^{١١} جادع^٩
و ما ابن ربيع إن تناولت عهده بمسلمه^{١٢} لا يطمعن^{١٣} ثم طامع^{١٠}
و أيضا فلا يعطيك ابن رواحة و إخفاره^{١٤} من دونه السم نافع^{١٥}
وفاء به و الفوقلي^{١٦} بن صامت^{١٧} بمندوحة عما تحاول^{١٨} يافع^{١٩}
أبو هيثم أيضا وفي^{٢٠} بمثلها وفاء بما أعطى من العهد خانع
و ما ابن حضير إن أردت بمطمع فهل أنت عن^{٢١} أحموقه^{٢٢} النى نازع^{٢٣}

(١) من نسخة من السيرة ، وفي الأصل وظ و السيرة : قال (٢) من السيرة ،
وفي الأصل وظ : لله (٣) في ظ : فيك (٤) في ظ : مرصاد (٥) من ظ
و السيرة ، وفي الأصل : يدي (٦) من ظ و السيرة ، وفي الأصل : تتابعوا .
(٧) زيدت الواو من السيرة (٨) في ظ : ذاك (٩) من السيرة ، وفي الأصل :
خادع ، وفي ظ : جازع - كذا (١٠) من السيرة ، وفي الأصل : بمسلمة ، وفي
ظ : بمسلمة (١١) من السيرة ، وفي الأصل وظ : اخفاه (١٢) في ظ : نامع .
(١٣ - ١٤) في ظ : بمندرج عما تحاول - كذا (١٥) من السيرة ، وفي الأصل
و ظ : نافع (١٦) - مقط من ظ (١٧) في ظ : منازع .

و سعد أخو عمرو بن عوف فانه ضروح لما حاولت ملائمة مانع
أولاك^٢ نجوم لا يغيبك^٣ منهم عليك بنحس في دجى الليل طالع
فأما نقباء اليهود في جئ^٤ الأرض فلم يوف منهم إلا اثنان - كما سيأتى
قريبا عن بعض التوراة التى^٥ بين أيديهم ، وأما نقباء النصارى^٦ فنقض
٥ منهم واحد - كما مضى عند قوله تعالى " وما قتلوه وما صلبوه " و سيأتى
إن شاء الله تعالى فى الأنعام عند قوله تعالى " لاندركم به ومن بلغ " ، و أما
نقبائنا فكلهم وفى وبرّ بتوفيق الله وعونه فله^٧ أنهم الحمد .

ولما ذكر سبحانه ما أخذ على اليهود من الميثاق ووعيده لهم إن
كفروا بعد ذلك ، ذكر^٨ أنهم نقضوا مرة بعد مرة - كما تقدم فى
١٠ سورة البقرة وغيرها كثير^٩ منه عن^{١٠} نص ما عندهم من التوراة - فاستحقوا
ما هم فيه من الخزي ، فقال تعالى مسيبا عما مضى^{١١} مؤكدا بما النافية لصد
ما أثبتته الكلام^{١٢} : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾ [أى - ١٦] بتكذيب الرسل
الآتين من بعد موسى عليه السلام ، وقتلهم الأنبياء ، ونبذهم كتاب الله
وراء ظهورهم فى كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ،

(١) من ظ و السيرة ، أى من الأمر ، وفى الأصل : ما الامر - كذا (٢) فى ظ :
أولا - كذا (٣) من السيرة ، وفى الأصل : لا يغيبك ، وفى ظ : لا ينفك .
(٤) من ظ ، وفى الأصل : فنى (٥) فى ظ : نحيس - كذا (٦) من ظ ،
وفى الأصل : بالتى (٧) فى ظ : الانصار (٨) سورة ٤ آية ١٥٧ (٩) آية ١٩ .
(١٠) فى ظ : كلمة - كذا (١١) من ظ ، وفى الأصل : اذكر (١٢) من ظ ،
وفى الأصل : كثيرة (١٣) فى ظ : على (١٤) زيد بعده فى ظ : مسيبا (١٥) فى ظ :
بالكلام (١٦) زيد من ظ .

[لا بغير ذلك - '] كما نقض بنو النضير^٢ فسلطكم الله عليهم بما أشار إليهم في سورة الحشر ﴿لَعْنَهُمْ﴾ أى أبعدناهم بعد أنا وعدناهم القرب بالكون معهم إن وفوا .

و لما كان البعيد قد يكون رقيق القلب ، متأسفا^٢ على بعده ، ساعيا في أسباب قربه ، باقيا^٤ على عافية ربه ، فيرجى بذلك له^٥ الغفران^٥ لذنبه^٦، أخبر أنهم على غير ذلك بقوله : ﴿ وجعلنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ قلوبهم قسية ﴾^٧ أى صلبة عاسية^٨ بالغش^٩ فهى غير قابلة للنصيحة ، لأن الذهب الخالص يكون لنا ، والمغشوش يكون فيه يبس و صلابة ، وكل لين قابل للإصلاح بسهولة ، ثم بين قساوتها بما دل على نقضهم بقوله : ﴿ يحرفون الكلم ﴾ أى يحددون^٩ كل وقت تحريفه ﴿ عن مواضعه ﴾^{١٠} فانهم كلما وجدوا شيئا من كلام الله يشهد بضلالهم حرفوه إلى شهواتهم ، وأرلوه التأويل الباطل بأهوائهم ، فهم يحرفون الكلم و معايبها .

و لما كانوا قد تركوا أصلا و رأسا ما لا يقدرון لصراحته على تحريفه ، قال معبرا بالماضى إعلاما بحرمتهم بالبراءة من ذلك : ﴿ ونسوا حظا ﴾ أى نصيبا نافعا / معليا لهم ﴿ مما ذكروا به ﴾^{١١} أى من التوراة على الستة أنبيائهم ١٥ / ٢٥ عيسى و من قبله عليهم السلام ، تركوه ترك الناسى للشيء لقلة مبالاته

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : بنى النضير (٣) فى ظ : متشفا (٤) من ظ ، وفى الأصل : باكيا (٥) تقدم فى ظ على « بذلك » (٦-٦) فى ظ : غفران ذنبه (٧) فى ظ : عاسية (٨) من ظ ، وفى الأصل : بالغشى (٩) فى ظ : متجددون .

به^١ بحيث لم يكن لهم رجوع إليه^٢، وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه^٣
قال: قد^٤ ينسى المرء بعض العلم [بالمعصية - ٢] - وتلا هذه الآية .
ولما ذكر سبحانه ما يفعلونه في حقه في كلامه الذى هو صفته ،
أتبعه ما يعم حقه وحق نبيه صلى الله عليه وسلم على وجه معلم أن الحياة
• ديدنهم^٥ ، تسلياً له صلى الله عليه وسلم فقال^٦: ﴿ ولا تزال ﴾ أى بما
نظلمك^٧ عليه يا أكرم الخلق ! ﴿ تطلع ﴾ أى تظهر ظهوراً بليغاً ﴿ على
خاتنة ﴾ أى خيانة عظيمة تستحق أن تسمى^٨ فاعلها الخؤون^٩ لشدها
﴿ منهم ﴾ أى فى حقك بقصد الأذى ، وفى حق الله تعالى باخفاء
بعض ما شرعه لهم^{١٠} ﴿ الا قليلا منهم ﴾ فأنهم يكونون على نهج
الاستقامة إما بالإيمان ، وإما بالوفاء وهم متمسكون بالكفر . ثم سب
عن هذا الذى فى حقه صلى الله عليه وسلم قوله : ﴿ فاعف عنهم ﴾ أى
امح ذنبهم ذلك الذى اجترحوه ، وهو دون النقض والتحريف ،
فلا تعاقبهم عليه .

ولما كان العفو لا يمنع المعاتبة قال^١: ﴿ واصفح ﴾ أى وأعرض
١٥ عن ذلك أصلاً ورأساً . فلا تعاتبهم عليه كما لم تعاقبهم ، فإن ذلك
إحسان منك ، وإذا أحسنت أحبك^٢ الله ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له جميع
صفات الكمال ﴿ يحب المحسنين ٥ ﴾ وذلك - كما روى الشيخان وغيرهما
عن عائشة رضى الله عنها - أن النبى صلى الله عليه وسلم سحره رجل من

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : عليه (٣) زيد من ظ (٤) من ظ . وفى الأصل :
دينهم (٥) فى ظ : يظلمك (٦-٧) فى ظ : فاعله للخوف - كذا (٧) فى ظ : بهم .
(٨) فى ظ : احب .

اليهود يقال له ليد بن الأعصم - و في رواية للبخارى : انه ^١ رجل من
 بنى زريق حليف ليهود ^٢ و كان منافقا - حتى كان ^٣ يخيل إليه أنه يأتي
 النداء ولا يأتيهن ، و ذلك أشد السحر ، ثم إن الله تعالى شفاه و أعله
 أن السحر في بئر ذروان ، فقالت له ^٤ عائشة رضى الله عنها : أفلا أخرجته ؟
 فقال : لا ، أما أنا فقد عافاني الله و كرهت أن أثير ^٥ على الناس شرا ، هـ
 فأمر ^٦ بها فدفنت ، و هو في مخرج الطبراني الكبير - و هذا لفظه - و مسند
 أبي يعلى الموصلى و سنن النسائي الكبرى ^٧ و مسند عبد بن حميد و أبي بكر
 ابن أبي شيبة و أحمد بن منيع عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : كان
 رجل ^٨ يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم . فعقد له عقدا فجعله في بئر
 رجل من الأنصار ، فأتاه ملكان يعودانه فقعد أحدهما عند رأسه ١٠
 و الآخر عند رجله ، فقال أحدهما : أتدرى ما وجعه ؟ قال : فلان الذي
 يدخل عليه عقد له عقدا فألقاه في بئر فلان الأنصارى ، فلو أرسل
 [إليه - ١٠] رجلا ^٩ لوجد الماء أصفر ، فبعث رجلا فأخذ العقد فحلها ^{١١}
 فبرأ ، فكان الرجل بعد ذلك يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر
 [له - ١٢] شيئا منه ولم يعاتبه ^{١٢} . و للشيخين عن أنس رضى الله عنه أن ١٥
 (١) في ظ : ان (٢) في ظ : اليهود (٣) سقط من ظ (٤) من صحيح البخارى -
 كتاب الطب ، و في الأصل : اشير ، و في ظ : اسير (هـ) سقط ما بين
 الرفين من ظ (٦) من الصحيح ، و في الأصل و ظ : فامرت (٧) في ظ : الكبير .
 (٨) في ظ : برحن (٩) سقط من مجمع الزوائد ٢٨٠/٦ (١٠) زيد من المجمع .
 (١١) في ظ : فجعلها (١٢) زيد من ظ و المجمع (١٣) في ظ : لا يعاتبه .

امراة يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها،
فجئ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأها عن ذلك فقالت : أردت
لأقتلك ، قال : ما كان الله ليلسطك على ذلك - أو قال : على - قالوا :
فلا تقتلها ؟ قال : لا ، قال : فازلت أعرفها في لهوات النبي صلى الله عليه
وسلم . وفي رواية : إنها كانت سبب موت النبي صلى الله عليه وسلم
بانقطاع أبهره الشريف منها [بعد - ٢] سنين ٢ ، وفي سنن أبي داود من
وجه مرسل أنه قتل اليهودية ، و الأول هو الصحيح ، و سيأتي لهذا
الحديث / ذكر ، في هذه السورة عند " و الله يعصمك من الناس " ،
فهذا غاية العفو و الإحسان أمثالا * لامر الله * سبحانه .

١٢٦

١٠ . و لما دخل النصارى فيما مضى لأنهم من بني إسرائيل ، خصهم
بالذكر لأن كفرهم أشد و أسمع فقال : ﴿ و من الذين قالوا ﴾ أى مسمين
أنفسهم ملزمين لها النصره لله ، مؤكدين قولهم ردا على من يرتاب فيه :
﴿ انا نصرى ﴾ أى مبالغون فى [نصره - ٢] الحق ، فالتعير بذلك دون
' و من النصارى ' تنبيه على أنهم تسوا بما لم يفوا به ﴿ اخذنا ﴾ أى
١٥ بما لنا من العظمة ﴿ ميثاقهم ﴾ أى كما أخذ على [الذين - ٢] من قبلهم .
و لما كان كفرهم فى غاية الظهور [و الجلاء - ٢] ، لم ينسبهم إلى
غير الترك فقال : ﴿ فسوا ﴾ أى تركوا ترك الناسى ﴿ حظا ﴾ أى
(١) زيد بعده فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ لفحذفناها (٢) من ظ ،
و موضعه فى الأصل بياض (٣) من ظ ، و فى الأصل : سنيان - كذا (٤) فى
ظ : ذكره (٥-٥) فى ظ : لامره (٦) فى ظ : غيرك .

نصيا [عظيما - ١] يتنافس^٢ في مثله ﴿ مما ذكروا به ﴾ أى فى الإنجيل
مما سبق لهم ذكره فى التوراة من أوصاف^٣ نبيه^٤ صلى الله عليه وسلم
وغير ذلك من الحق .

ولما أدى ذلك إلى تشعبهم فرقا، فأتج تشاحنهم وتقاطعهم وتدابهم،
سبب عنه قوله : ﴿ فاغرنا ﴾ أى ألقنا بعظمتنا إصاق ما هو بالغراء^٥ .
لا ينفك بل يصير كجزء الشيء ﴿ بينهم ﴾ أى النصارى بعد أن جعلناهم
فرقا متباينين [بتفريق - ١] الدين ، وكذا بينهم وبين اليهود ﴿ العداوة ﴾
ولما كانت العداوة^٦ قد تكون^٧ عن بغى [ونحوه ، إذا - ١] زال^٨ زالت
أو خفت ، قال معلما أنها لأمر باطنى نشأ من تزوين الهوى ، فهو ثابت
[غير منفك - ١] : ﴿ والبغضاء ﴾ بالاهواء المختلفة ﴿ الى يوم القيامة^٩ ﴾ ١٠
ولما أخبر بنكدهم^{١٠} فى الدنيا ، أعقبه^{١١} ما [لهم فى - ١]^{١٢} الأخرى فقال :
﴿ وسوف ينبتهم ﴾ أى يخبرهم ﴿ الله ﴾ أى الملك الاعلى المحيط بكل
شئ قدرة وعلما إخبارا بعظيم الشأن بما فيه من عظم التقريع والتوبيخ
فى الآخرة بوعيد لا خلف فيه ؛ ولما كانت حياتهم قد صارت لهم
[فيها ملكات بما لازموا منها حتى ضربوا بها و تذبوا^{١٣} عليها ، حتى ١٥

(١) من ظ ، وموضعه فى الأصل بياض (٢) من ظ ، وفى الأصل : تنافس .

(٣) فى ظ : اوف - كذا (٤) فى ظ : مجد (٥) فى الأصل : بالعا ، وفى ظ :

بالفر - كذا (٦-٧) سقط ما بين الرقمن من ظ (٧) فى ظ : زالت (٨) فى ظ :

بتكذيبهم (٩) فى ظ : اتبعه (١٠) زيد ما بين الحاجزين من ظ (١١) فى ظ :

تذبوا - كذا .

صارت لهم [أحوالا لأنفسهم و أخلاقا^١ لقلوبهم^٢ ، سماها [صنائع -^٣ فقال : ﴿ بما كانوا يصنعون^٤ ﴾ أى دربوا أنفسهم [عليه -^٥] حتى صار كالصنعة^٦ ، فيجازيهم عليه بما يقيم عليهم من الحجة .

ولما علم بذلك كله أحوال الفريقين ، أقبل عليهم واعظا مناديا^٧ .
 ٥ . متلطفًا^٨ [مستعطفًا -^٩] مرغبا مرهبا فقال : ﴿ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ أى عامة ﴿ قد جاءكم رسولنا ﴾ أى الذى أرسلناه بما لنا^{١٠} من العظمة^{١١} ، فيظهرون بذلك على من [ناراه -^{١٢}] ﴿ بين^{١٣} لكم ﴾ أى بوضح إيضاحا شافيا ﴿ كثيرا مما كنتم ﴾ أى بما لكم من جبلة الشر والكذب والحياة ﴿ تخفون من الكتاب ﴾ أى العظيم المنزل عليكم ، من صفة ١٠ . محمد صلى الله عليه وسلم و حكم الزنا و غيرها ، لإحياء سنة و إماتة^{١٤} بدعة - كما مضى منه ما شاء الله فى سورة البقرة ، و ذلك دال بلا شبهة على صحة رسالته ﴿ و يعفوا عن كثير^{١٥} ﴾ أى فلا يفضحكم باظهاره امتثالا لأمرنا له بذلك - كما تقدم أنه إحسان [منه -^{١٦}] صلى الله عليه وسلم إليكم ، لأنه لا فائدة فى إظهاره إلا فضيحتكم .

١٥ . ولما أخبر عن فصله للخفايا ، و كان التفصيل لا يكون إلا بالنور ، اقتضى الحال توقع الإخبار بأنه نور ، فقال مفتتحا بحرف التوقع و التحقيق :

(١) من ظ ، وفى الأصل : اختلافا (٢) فى ظ : لقوتهم (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) من ظ ، و موضعه فى الأصل بياض (٥) فى ظ : كالضيعة (٦) فى الأصل : منا ، وفى ظ : مادا - كذا (٧) سقط من ظ (٨) سقط من بين الرقيين من ظ (٩) فى ظ : تبين (.) من ظ ، وفى الأصل : اقامة .

(قد جاءكم) و عظمه بقوله معبرا بالاسم الأعظم : (من الله) أى الذى له الإحاطة بأوصاف الكمال (نور) أى واضح النورية ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذى كشف ظلمات الشك 'و الشرك' ، و دل على جمعه مع فرقه^٢ بقوله : (وكتب) أى جامع (مبین^٣) أى

بين فى نفسه ، مبین لما كان خافيا على الناس من / الحق . ٥ / ٢٧

و لما كانت هدايته مشروطة بشرط صلاح الجلبة ، بين ذلك بقوله واصفا له : (يهدى به) أى الكتاب (الله) أى الملك الأعظم القادر على التصرف فى البواطن و الظواهر (من اتبع) أى كلف نفسه و أجهدها فى الخلاص من أسر الهوى ' بأن تبع ' (رضوانه) أى غاية

ما يرضيه من الإيمان و العمل 'صالح' ، و معلوم أن ذلك لا يكون إلا بتوفيقه ، ١٠

ثم ذكر مفعول " يهدى " فقال : (سبل) أى طرق^٤ (السليم) أى الله ، باتباع شرائع دينه و العافية و السلامة من كل مكروه (و يخرجهم من الظلمات) أى كدورات النفوس و الأهواء و الوسوس الشيطانية (الى النور) أى الذى دعا إليه العقل ، فيصيروا عاملين بأحسن الأعمال

كما يقتضيه اختيار من هو فى النور (باذنه) أى بتمكينه . ١٥

و لما كان من^٥ فى النور قد يغيب عنه غرضه الأعظم فلا ينظره^٦ لغيبته عنه بعده منه ، و تكثرت عليه الأسباب فلا يدري أيها يوصل أو يقرب إيصاله و يسهل أمره ، قال كافلا لهم بالنور مريحا من تعب

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) فى ظ : قربه (٣) من ظ ، وفى الأصل :

طريق (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : فلا ينظر (٦) فى ظ : يكثُر .

السير: ﴿و يهديهم﴾ أى بما له من إحاطة العلم و القدرة ﴿الى صراط مستقيم ٥﴾ أى طريق موصل إلى الغرض من غير عوج أصلا ، وهو الدين الحق ، و ذلك مقتضى للتقرب^١ المستلزم لسرعة الوصول .

و لما تم ذلك موضحا لأن من لم يتبع الكتاب الموصوف كان

٥ كافرا ، و عن الطريق^٢ الأمم جائرا^٣ حارا ، وكان محصل حال اليهود

- كما رأيت فيما تقدم و يأتى من نصوص التوراة - أنهم لا يعتقدون على

كثرة ما يرون^٤ من الآيات أن الله مع نبيهم دائما ، وكان أنسب الأشياء

بعد الوعظ أن يذكر حال النصارى فى نبيهم ، فانه مبين لحال اليهود

من كل وجه ، فأولئك على شك فى أنه معه ، و هؤلاء اعتقدوا أنه هو ،

١٠ فقال تعالى مبينا أنهم فى أظلم الظلام و أعمى العمى: ﴿لقد﴾ أو يقال: إن

اليهود لما فرطوا فكفروا ، أفهم ذلك أن النصارى لما أفرطوا كفروا ،

فصار حالهم كالنتيجة لما مضى فقال: لقد ﴿كفر الذين قالوا﴾ وؤكد

لبعد ما قالوه من العقل فهو فى غاية الإنكار ﴿ان الله﴾ أى على ما له

من جميع صفات الكمال التى لا يحهلها من له أدنى تأمل إذا رجع الهدى

١٥ و انخلع من أسر الهوى ﴿هو المسيح﴾ أى عينه ، و هو أقطع الكفر

و أينه بطلانا ، و وصفه بما هو فى غاية الوضوح فى بطلان قولهم بعده

عن رتبة الألوهية فى الحاجة إلى امرأة فقال: ﴿ابن مريم^٥﴾ فهو

محتاج إلى كفالتها بما لها من الأمومة .

و لما بطل مدعاهم على اتقن منهاج و أخصره ، و كان ربما دق

(١) فى ظ : للتقرب (٢) فى ظ : طريق (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : يريدون .

على بعض الأفهام ، أوضحه بقوله : ﴿ قل ﴾ دالا^١ على أن المسيح عليه السلام عبد مملوك لله ، مسيا عن كفرهم ﴿ فن يملك من الله ﴾ أى الملك الذى له الأمر كله ﴿ شيئا ﴾ أى من الأشياء التى يتوهم أنها قد تمنعه مما^٢ يريد ، بحيث يصير ذلك^٣ المملوك أحق به منه ولا ينفذه فيه تصرف ﴿ ان اراد ﴾ أى الله سبحانه ﴿ ان يهلك المسيح ﴾ وكرر ه وصفه بالبنوة إضاحا للراد فقال : ﴿ ابن مريم ﴾ وأزال الشبهة جدا بقوله : ﴿ واه ﴾ ولما خصهما دليلا على ضعفهما المستلزم [للراد ، عم دلالة على عموم القدرة المستلزم - °] لتام القهر لكل من يماثلها^٤ المستلزم لعجز الكل المبعد / من رتبة الإلهية ، فقال موضحا^٥ للدليل بتسويتها ببقية المخلوقات : ﴿ ومن فى الارض جميعا^٦ ﴾ أى فن يملك^٧ منه من ذلك . ١٠ .
ولما كان التقدير : فان ذلك كله لله ، يهلكه كيف شاء متى شاء ، عطف عليه ما هو أعم منه ، فقال معلما بأنه - مع كونه مالكا مَلِكًا^٨ - له تمام التصرف : ﴿ والله ﴾ أى الملك الأعلى الذى [لا شريك - °] له ﴿ ملك السموت ﴾ أى التى بها قيام الارض ﴿ والارض و ما بينهما^٩ ﴾ أى ما بين النوعين وبين أفرادهما ، بما^{١٠} به تمام أمرهما ، ثم استأنف قوله ١٥ دليلا على ما قبله و نتيجة له : ﴿ بخلق ما يشاء^{١١} ﴾ على أى كيفية أراد

(١) من ظ ، وفى الأصل : دال (٢) من ظ ، وفى الأصل : بما (٣) من ظ ، وفى الأصل : بذلك (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : لصايلها - كذا (٧) من ظ ، وفى الأصل : يوحى - كذا (٨) فى ظ : يملكه (٩ - ٩) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٠) فى ظ : ملك (١١) من ظ : وفى الأصل : ما .

- كما تقدم أن له أن يعدم ما يشاء كذلك ، فلا عجب في خلقه بشرا من أنثى فقط ، لا بواسطة^١ ذكر ، حتى يكون سبياً^٢ في ضلال من ضل به^٣ ؛ ولما دل ذلك على تمام القدرة على المذكور عم^٤ فقال : (والله) أى ذو الجلال والإكرام (على كل شيء) أى من ذلك وغيره (قديره) .

و لما عم سبحانه في ذكر فضائح بنى إسرائيل تارة^٥ ، و خص أخرى ، عم بذكر طامة من طوامهم^٦ ، حملهم عليها العجب و البطر بما أنعم الله به عليهم ، فقال : (وقالت اليهود والنصرى) أى كل طائفة قالت ذلك على حداثها خاصة لنفسها دون الخلق أجمعين (نحن ابتؤا الله) أى بما هو ناظر إلينا به من جميع صفات الكمال (واحبآؤه^٧) أى غريقون

١٠ في كل من الوصفين - كما يدل عليه العطف بالوار ، ثم شرع ينقض هذه الدعوى نقضا بعد نقض على تقدير كون النبوة على حقيقتها أو مجازها ، و الذى أورثهم هذه الشبهة^٨ - إن لم يكونوا قالوا ذلك عنادا - أن^٩ في موضع من التوراة عن قول الله تعالى لموسى عليه السلام : شعبي بكرى^{١٠} ، و قال^{١١} فى أول^{١٢} نبوة موسى عليه السلام^{١٣} - كما ذكرته [فى

١٥ الأعراف -]^{١٤} : و قل لفرعون : هكذا^{١٥} يقول الرب : ابني بكرى^{١٦} إسرائيل أرسل^{١٧} ليعبدنى ، فان آيت أن ترسل ابني فاني أقتل ابنك بكرك^{١٨} - و نحو هذا ؛ و فى كثير مما بين أيديهم من الإنجيل عن قول عيسى عليه السلام :

(١) من ظ ، و فى الأصل : بواسطة (٢) فى ظ : سبيلا (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : طوابهم (٥) فى ظ : الشبهة - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : بكر (٧-٧) سقط ما بين الرقيمن من ظ (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ فخذناها (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ : هذا .

افعلوا كذا لتكونوا بنى أيسكم الذى فى السماء - ونحو ذلك ، وقد يفت معناه على تقدير صحته بما يوجب رده إلى المحكم بلا شبهة فى أول سورة آل عمران ؛ قال اليبضاوى فى أول سورة الكهف : إنهم كانوا يطلقون الأب و الابن فى تلك الأديان بمعنى المؤثر و الأثر ، و قال فى البقرة فى تفسير " بديع السموات " أنهم كانوا يطلقون الأب على الله باعتبار أنه ه السبب الأصلى ، ثم ظنت الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة ، فلذلك كفر قائله و منع منه منعاً مطلقاً [انتهى - ٤] . فأول نقض نقض به سبحانه و تعالى هذه الدعوى بيان أنه يعذبهم فقال : ﴿ قل فلم يعذبكم ﴾ أى إن كنتم جامعين بين كونكم أبناء و أحياء بين عطف البنوة و حنو المحبة ﴿ بذنوبكم ﴾ و عذابهم مذكور فى نص توراتهم فى غير مواطن^٦ و مشهور ١٠ فى تواريتهم بمحملهم قرودة و خنازير و غير ذلك ، أى فإن كان المراد بالبنوة الحقيقة^٧ فإن^٨ الإله لا يكون له [ذنب - ٩] فضلاً عن أن يعذب به ، لأن الابن لا يكون إلا من جنس الأب^{١٠} - تعالى الله عن النوعية و الجنسية و الصاحبة و الولد علواً كبيراً ! و إن [كان - ٩] المراد المجاز ، أى بكونه يكرمكم إكرام الولد و الحبيب ، كان ذلك مانعاً من التعذيب . ١٥ ولما كان معنى ذلك أنه يعذبكم " لأنكم لستم " أبناء ولا " أحياء ،

(١) آية ١١٧ (٢) من ظ ، وفى الأصل : الابن (٣) فى ظ : ولذلك (٤) زيد من ظ ، و زيد بعده أيضاً : قال (هـ-هـ) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : موطن (٦) فى الأصل : الحقيقة ، وفى ظ : والحقيقة (٧) من ظ ، وفى الأصل : فإن (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : الابن - كذا (١١-١١) فى ظ : انكم لست . (١٢) سقط من ظ .

/ ٢٩

عطف عليه نقضا آخر أوضح من الأول / فقال : ﴿ بل انتم بشر من خلق^١ ﴾ وذلك أمر مشاهد، والمشاهدات من أوضح الدلائل، فأنتم مساوون لغيركم في البشرية والحدوث، لا مزية لأحد منكم على غيره في الخلق والبشرية، وهما بمنعان البتة، فإن القديم لا يلد بشرا، والآب ه لا يخلق ابنه، فامتنع بهذين الوصفين البتة، و امتنع بتعذيبهم أن يكونوا أحباء الله؛ فبطل الوصفان اللذان ادعوهما^٢.

ولما كان التقدير: يفعل بكم ما يفعل بسائر خلقه، وصل به قوله جوابا لمن يقول: وما هو فاعل بمن خلق؟ : ﴿ يغفر لمن يشاء ﴾ أى من خلقه منكم ومن غيركم فضلا منه تعالى ﴿ ويعذب من يشاء^٣ ﴾ عدلا ١٠ كما تشاهدونه^٤ يكرم ناسا منكم في هذه الدار ويهين آخرين .

ولما كان التقدير: لأنه مالك خلقه وملكهم لا اعتراض عليه في شيء من أمره، عطف عليه قوله نقضا^٥ ثالثا بما هو أعم مما قبله فقال: ﴿ والله ﴾ أى الذى له الأمر كله، فلا كفوة له ﴿ ملك السموات ﴾ وقدمها لشرفها دلالة على ملك غيرها من باب أولى، و صرح بقوله: ١٥ ﴿ والارض وما بينهما ﴾ أى وأتم بما بينهما، وقد اجتمع بذلك مع المَلِكِ والإبداعِ المِلْكُ والتصريف^٦ والتصرف التام، وذلك هو الغنى المطلق، ومن كان كذلك لم يكن محتاجا إلى شيء من ولد ولا غيره، ولا يكون لأحد عليه حق، ولا يسوغ عليه اعتراض .

ولما كان التقدير: فنه وحده^٧ الابتداء، عطف عليه قوله:

(١) في ظ: ادعاهما (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: يشاهدونه - كذا (٤) من ظ، وفي الأصل: امرهم (٥) في ظ: بقضا - كذا .

﴿ و اليه ﴾ أى وحده ﴿ المصيره ﴾ أى الصيرورة و الرجوع و زمان ذلك و مكانه معنى فى الدنيا بأنه لا يخرج شئ عن مراده ، و حسا فى الآخرة ، فيحكم بين مصنوعاته على غاية العدل - كما هو مقتضى الحكمة و شأن كل ملك فى إقامة ملكه بانصاف بعض عبيده من بعض ، لا يمحوز عنده فى موجب السياسة إطلاق قويهم على ضعيفهم ، فان ذلك يودى إلى خراب ه الملك [و ضعف الملك - ١] ، فاذا كان هذا شأن الملوك فى العبيد الناقصين فافظك ٢ بأحكم الحاكمين ! فاذا عاملهم كلهم بالعدل أسبغ على من يريد ملابس * الفضل .

و لما دحضت حجبتهم ٦ ، و وضحت أ كذوبتهم ٦ ، اقتضى ذلك الالتفات إلى وعظهم على وجه الامتان عليهم و إبطال ما عساهم يظنوننه ٨ حجة ، فقال ١٠ تعالى : ﴿ يآهل الكُتُب ﴾ أى من الفريقين ؛ و لما كان ما حصل لهم من الضلال بتضييع ما عندهم من البينات و تغييرها ما ٨ لا يتوقع معه الإرسال ، قال معبرا بحرف التوقع : ﴿ قد جاءكم رسولنا ﴾ أى الذى عظمت من عظمتنا ، فاعظامه و إجلاله واجب لذلك ، ثم بين حاله مقدما له على متعلق ” جاء “ بيانا لأنه أهم ما إلى الرسل إليهم إرشادا إلى قبول كل ١٥ ما جاء به بقوله : ﴿ يبين لكم ﴾ أى يوقع لكم البيان فى كل ما ينفعكم بيانا شافيا لما تقدم و غيره .

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : من (٣) فى ظ : ظنكم (٤) فى ظ : واذا (٥) فى ظ : تلبس (٦ - ٦) فى ظ : و الدر وبتهم - كذا (٧) فى ظ : يظنون (٨) من ظ ، و فى الأصل : كما .

و لما [كان - ١] مجيئه ملتبسا ببيانه و ظرفاً له غير منفك عنه ، و كان
يانا مستعليا على وقت مجيئه و ما مضى قبله و^٢ ما يأتي بعده ببقاء كتابه ،
محفوظا لعموم^٣ دعوته و ختامه و تفرده ، فلا نبي بعده ، قال معلقا بجاء :
﴿ على قرة ﴾ أى طويلة بالنسبة إلى ما كان يكون بين النبيين من بنى إسرائيل ،
٥ مبتدئة تلك الفترة ﴿ من الرسل ﴾ أى انقطاع من مجيئهم ، شبهه^٤ فقدم و بُعِد
العهد بهم و نسيان أخبارهم ، و بلاء رسومهم و آثارهم ، و انطاس معالمهم
و أنوارهم بشيء^٥ كان يفنى ففترة^٦ ، لم يبق من وصفه المقصود منه
إلا^٧ أثر خاف^٨ و رسم دارس ، يقال : فتر الشيء - إذا سكنت^٩ / حدثه
و صار أقل عما كان عليه ، [و - ١٠] ذلك لأنه كان بين عيسى و بين النبي
١٠ صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة فسد فيها أمر الناس ، و لعله عبر بالمضارع
في " بين " إشارة إلى أن دينه و بيانه لا ينقطع أصلا بحفظ^{١١} كتابه ،
فكلما درست سنة منح الله بعالم يرد الناس إليها بالكتاب المعجز القائم
أبدا ، فلذلك لا يحتاج الأمر إلى نبي مجدد إلا عند الفتنة التى لا يطيقها
العلماء ، وهى فتنة الدجال و يأجوج و مأجوج ، ثم^{١٢} علل ذلك بقوله :
١٥ ﴿ ان ﴾ أى كراهة^{١٣} أن ﴿ تقولوا ﴾ أى إذا حشرتم^{١٤} و سئلتم عن
(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : طر حا - كذا (٣) فى ظ : قد .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : عموم (٥) من ظ ، و فى الأصل : بيه - كذا (٦-٧) فى
ظ : كما يعلى فقير - كذا (٧-٧) فى ظ : امر حان - كذا (٨) من ظ ، و فى
الأصل : سكنت (٩) زبدت الواو من ظ (١٠) فى ظ : لحفظ (١١) من ظ ،
و فى الأصل « و » (١٢) زيد بعده فى ظ : يقولوا (١٣) فى ظ : حشرتم .
أعمالكم

أعمالكم ﴿ ما جاءنا ﴾ ولنا كيد النفي قيل: ﴿ من بشير ﴾ أى يبشرنا
لترغب فتعمل بما يسعدنا فنفوز ﴿ ولا نذير ﴾ أى 'يحذرنا لتهرب'
فتترك ما يشقينا فنسلم، لأن الإنسان موزع النقصان بين الرغبة والرهبة،
وقد كان اختلط في تلك الفترة الحق بالباطل فالتبس الأمر وجهل الحال،
لكنه لم يجهل^٢ جهلا يحصل به عذر في الشرك، وسأبينه في أول ص ٥٠
ولما كان المعنى: فلا تقولوا [ذلك -^٢]، سبب عنه قوله:
﴿ فقد جاءكم^١ ﴾ [أى من هو متصف بالوصفين^٣ معا فهو -^٢] ﴿ بشير
و نذير^٤ ﴾ أى كامل^٥ في كل من الوصفين وإن تباينا؛ ولما كان ربما
كان^٦ توهم أحد من ترك الإرسال زمن^٧ الفترة، ومن ترك التعذيب
بغير حجة الإرسال، وبالعدول^٨ عن بنى إسرائيل^٩ إلى بنى إسماعيل^{١٠}
شيئا في القدرة، قال كاشفا لتلك الغمة^{١١}: ﴿ والله ﴾ أى جاءكم والحال
أن الملك الذى له الكمال كله ﴿ على كل شيء ﴾ أى من أن يرسل في كل
وقت وأن يترك ذلك، وأن يهدى بالبيان وأن يضل، ومن أن يعذب
ولا يقبل عذرا وأن يغفر كل شيء وغير ذلك ﴿ قدير ﴾ وفى الختم
يوصف القدرة وإتباعه تذكيرهم ما صاروا إليه من العز بالنبوة والملك^{١٥}
بعد ما كانوا فيه من الذل بالعبودية والجهل إشارة إلى أن إنكارهم

(١-١) من ظ، وفى الأصل: ليحذرنا فتهرب (٢) فى الأصل: لم يجعل، وفى
ظ: لم يحصل - كذا (٣) زيد من ظ (٤-٤) من ظ والقرآن الكريم،
وقد سقط من الأصل (٥) فى ظ: بالوصف - كذا (٦) من ظ، وفى الأصل:
الكامل (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: من (٩) فى ظ: بالعدل (١٠-١٠) سقط
ما بين الرقيين من ظ (١١) فى ظ: النعمة.

لأن يكون من ولد إسماعيل عليه السلام نبي يلزم منه إنكارهم^١ للقدرة .
ولما ذكر سعة مملكته وتمام علمه وشمول قدرته أتبع ذلك
الدلالة عليه بقصة^٢ بنى إسرائيل في^٣ استنقاذهم من أسر العبودية والرق
وإعلاء شأنهم وإيراثهم أرض الجبارين^٤ بعد إهلاك فرعون وجنوده
وغير ذلك مما تضمنته القصة ، إظهاراً^٥ - بعدم ردهم إلى مصر التي باد
أهلها - لتمام القدرة وسعة الملك ونفوذ الأمر ، وهي مع ذلك دالة
على نقضهم الميثاق وقساوتهم ونقض ما ادعوه^٦ من بنوتهم ومحبتهم ،
وذلك أنها ناطقة بتعذيبهم وتفسيقهم وتبرئهم من الله ، ولا شيء من
ذلك فعل حبيب ولا ولد ، فقال عاطفاً على "نعمة" في "واذكروا
١٠ نعمة الله عليكم" تذكيراً لهذه الأمة بنعمة التوثيق للسمع والطاعة
التي أباه بنو إسرائيل بعد ما رأوا من الآيات ، وبما كف عنهم على
ضعفهم وشجع به قلوبهم ، و ألزمهم الطاعة وكره إليهم المعصية بضد ما
فعل بنى إسرائيل - وغير ذلك مما يرشد إليه إنعام النظر في القصة :
﴿ واذ ﴾ أى واذكروا^٢ حين ﴿ قال موسى لقومه ﴾ أى من اليهود
١٥ ﴿ يقوم اذكروا^٣ ﴾ أى بالقلب واللسان ، أى ذكر اعتبار و اتعاظ
بما لكم من [قوة - ^٤] القيام بما تحاولونه ، ليقع منكم الشكر ﴿ نعمة الله ﴾
أى إنعام الملك الأعظم الذى له الإحاطة بالجلال والإكرام ، وعبر عن
(١) من ظ ، وفى الأصل : انذارهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
من (٤) فى ظ : الجابرة (٥) من ظ ، وفى الأصل : اظهار (٦) فى ظ : ادعوا .
(٧) من ظ ، وفى الأصل : عطفاً (٨) زيد من ظ .

الإنعام بالغاية لأنها المقصود ﴿عليكم﴾ وعظم ذلك التذكير بالاسم الأعظم،
 / و نه بذكر ظرفها على أجل النعم ، وهى النبوة المنقذة لهم من النار فقال :
 ٣١ / ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ جعل فيكم ﴾ و بشرهم بمن يأتى بعده من الانبياء
 من نبي إسرائيل فجمع جمع الكثرة فى قوله : ﴿ انبياء ﴾ أى يحفظونكم
 من المهالك الدائمة ، ففعل معكم - بذلك و غيره من النعم التى فضلكم
 بها على العالمين فى تلك الأزمان - فعل المحب مع حبيبه و الوالد مع
 ولده ، و مع ذلك عاقبكم حين عصيتم ، و غضب عليكم إذ أيتم ، فلم أن
 الإكرام و^١ الإهانة دائران بعد^٢ مشيئته^٣ على الطاعة و المعصية .

ولما نقلهم من الحيثية التى كانوا فيها عبيدا لفرعون ، لا يصلحون
 معها لملك^٤ ، و لا تحدثهم أنفسهم به ، إلى حيثية الحرية القابلة^٥ لأن يكون
 ١٠ * كل منهم^٦ معها ملوكا^٧ بعد أن أرسل فيهم رسولا و بشر بأنه^٨ يتبعه
 من الانبياء ما لم يكن فى أمة من الأمم غيرهم ، قال : ﴿ و جعلكم ملوكا^٩ ﴾
 أى فكم^{١٠} جعلكم كذلك بعد ما كنتم غير طامعين فى شيء منه ، فقد نقله
 منكم و جعله فى غيركم بتلك القدرة التى أنعم عليكم بها ، و ذلك لكفركم
 بالنعم و إثارتكم الجهل على العلم ، فانكاركم لذلك^{١١} و تخصيص^{١٢} النعم بكم
 ١٥ تحكم و ترجيح بلا مرجح ، و يوضح ذلك أن كفر النعمة سبب لزوالها^{١٣} ،
 و قد كانوا يهددون فى التوراة وغيرها بما هم فيه الآن من ضرب الذلة

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : سنه - كذا (٣) فى ظ : الملك (٤) فى ظ : القائمة .

(٥ - هـ) فى ظ : كلهم (٦) من ظ ، و فى الأصل : نابه - كذا (٧) فى ظ : فما .

(٨) فى ظ : كذلك (٩) زيد بعده فى ظ : و غيرها (١٠) فى ظ : زوالها .

و المسكنة التي لا يصلحون معها لملك إن هم كفروا - كما سيأتي بعض ذلك في هذه السورة .

ولما ذكروهم تعالى بما ' ذكروهم به ' من النعم العامة ، أتبعه التذكير بنعمة خاصة فقال : ﴿ وانذكركم ما لم يؤت ﴾ أى فى زمانكم ولا فيما
 ٥ قبله من سالف الزمان - كما اقتضاه التعبير [بلم - ٢] ﴿ احدا من العالين ٥ ﴾ من الآيات التى أظهرها على يد موسى عليه السلام ، فأخرجكم بها من الظلمات إلى النور ، والكتاب الذى جعله تبياناً لكل شئ : [ثم - ٤] أتبعه ما يقيد به هذه النعم من الشكر بامثال الامر فى جهاد الأعداء فى سياق مؤذن بالنصر معلم بأنه نعمة أخرى يجب ١٠ شكرها ، فلذلك ٥ وصله بما قبله وصل ' المعلول بالعلة ' فقال : ﴿ يقوم ادخلوا ﴾ [عن أمر الله الذى أعلمكم بما صنع من الآيات أنه غالب على جميع أمره - ٢] ﴿ الارض المقدسة ﴾ أى المطهرة المباركة التى حكم الله أن يطهرها بأنبيائه ورسله من نجس الشرك ووضر المعاصى والإفك ، و يبارك فيها ، [ثم - ٢] وصفها بما يوجب للؤمن الإقدام ١٥ لتحقيق النصر فقال : ﴿ التى كتب الله ﴾ أى الذى له الامر كله فلا مانع لما أعطى ﴿ لكم ﴾ أى بأن تجاهدوا أعداءه فترثوا أرضهم التى لا مثل لها ، فتحوزوا سعادة الدارين ، وهى بيت المقدس التى وعد ٧
 (١) من ظ ، وفى الأصل : ما (٢) فى ظ : آية - كذا (٣) زيد من ظ (٤) زيد
 كى تستقيم العبارة ، والعبارة من بعده إلى « معلم بأنه » سقطت من ظ (٥) فى
 ظ : ولذلك (٦-٦) من ظ ، وفى الأصل : المفعول بالصلة (٧) من ظ ،
 وفى الأصل : وعدا .

أباكم إبراهيم عليه السلام أن تكون^١ ميراثا لولده بعد أن جعلها مهاجرة .
ولما أمرهم بذلك نهام عن التقاعد عنه ، فقال مشيرا إلى أن
مخالفة أمر الله لا تكون إلا^٢ بمعالجة للفترة الأولى : ﴿ ولا ترتدوا ﴾
أى تكلفوا أنفسكم الرجوع عن أخذها ، و صَوَّر لهم الفتور عن أخذها
بما يستحي من له همة من ذكره فقال^٣ : ﴿ على ادياركم ﴾ ولما جمع ه
بين الأمر والنهي ، خوفهم عواقب العصيان معلما بأن ارتدادهم سبب
لهلاكهم بغير شك ، فقال [معبرا بصيغة الانفعال - ٤] : ﴿ فتقبلوا ﴾
أى من عند أنفسكم من غير قالب بسلط عليكم ﴿ خسرين ه ﴾ أى بخزى
المعصية عند الله و عار الجبن عند / الناس و خيبة السعى من خيرى الدارين .

٣٢ /

ولما كان هذا السياق محركا للنفس إلى معرفة جوابهم عنه ، أورده ١٠
على تقدير سؤال من كأنه قال : إن هذا لترغيب^٥ مشوق و ترهيب مقلق ،
فما قالوا فى جوابه ؟ فقال : ﴿ قالوا ﴾ معرضين عن ذلك كله بهمهم
سافلة و أحوال نازلة ، مخاطبين له باسمه جفاء و جلالة و قلة أدب ﴿ يُمُوسَى ﴾
و أكدوا قولهم تأكيد من هو محيط العلم ، فقالوا مخاطبين بجرأة و قلة
حياء لأعلم أهل زمانه : ﴿ ان فيها ﴾ أى دون غيرها ﴿ قوما جبارين قبيح ﴾ ١٥
أى عتاة قاهرين لغيرهم^٦ مكرهين له على ما يريدون ﴿ و انا لن ندخلها ﴾
خوفا منهم ﴿ حتى يخرجوا منها ع ﴾ ثم صرحوا بالإتيان بالجملة الاسمية المؤكدة

(١) فى الأصل : تكونوا ، وفى ظ : يكون (٢) سقط من ظ (٣-٢) سقط ما بين
الرقين من ظ (٤) زيد من ظ (٥) فى الأصل و ظ : الترغيب (٦) من ظ ،
وفى الأصل : جوابهم (٧) فى ظ : لغيركم .

بتهالكهم على الدخول وأنه لا مانع لهم^١ إلا الجبن فقالوا: ﴿فان يخرجوا منها﴾
 أى بأى وجه كان، وعبروا بأداة الشك مع إعلام الله لهم باهلاكهم على
 أيديهم جلالة منهم وعراقه طبع في التكذيب ﴿فانا دخلون ه﴾ فكأنه
 قيل^٢: إن هذه لسقطة ما مثلها، فما اتفق لهم بعدها؟ فقيل: ﴿قال رجلن﴾
 ه وأشار إلى كونهما من بنى إسرائيل بقوله ذما لمن تقاعس عن الأمر منهم:
 ﴿من الذين يخافون﴾ أى يوجد منهم الخوف من الجبارين، ومع ذلك
 فلم يخافا وثوقا منهما بوعده الله، ولما كان بنو إسرائيل أهلا لأن يخافهم من
 يقصدونهم^٣ بالحرب لأن الله معهم بعونه ونصره، قرئ: يخافون - مبينا
 للفعول ﴿انعم الله﴾ أى بما له من صفات الكمال ﴿عليهما﴾ أى بالتثنية
 ١٠ على العمل بحق النقابة، وهما يوشع بن نون و كلاب بن يوفنا - كما أنعم
 عليكم أيها العرب و خصوصا النقباء بالثبات في كل موطن ﴿ادخلوا عليهم
 الباب ه﴾ أى باب قريتهم امثالا لأمر الله و إيقانا بوعده .

ولما كانا يعلمان أنه لا بد من دخولهم عليهم و إن تقاعسوا^٤ وإن
 طال المدى، لأن الله وعد بنصرهم عليهم و وعده حق، عبرا^٥ بأداة التحقيق
 ١٥ خلاف ما مضى لنجا مبرهم فقالا^٦: ﴿فاذا دخلتموه﴾ ثم أكد^٧ خبرهما إيقانا
 بوعده الله فقالا^٦: ﴿فانكم تغلبون﴾ أى لأن الملك معكم دونهم ﴿وعلى الله﴾
 أى الملك الاعظم الذى وعدكم بارثها وحده ﴿فتوكلوا﴾ أى لا على عدة منكم
 ولا عدة ولا حول ولا قوة .

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: قل (٣) في الأصل وظ: يقصدونه.

(٤) في ظ: تقاعسوا - كذا (ه) في ظ: عبر (٦) في ظ: فقال (٧) في الأصل:

أكدوا، وفي ظ: أكد .

ولما كان الإخلاص يلزمه التوكل وعدم الخوف من غير الله ،
 ألهمهم بقوله : ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة وطبعاً ﴿ مؤمنين ٥ ﴾
 أى عريقين فى الإيمان بنبيكم صلى الله عليه وسلم و التصديق
 بجميع ما أتى به ، فكأنه قيل : لقد نصحا لهم وبراً ، واجتهداً فى
 إصلاح الدين و الدنيا فما خدعا ولا غرّا ، فما قالوا ؟ فقيل : لم يزدكم ذلك ٥
 [إلا - ٢] نفاروا و استضعافاً لأنفسهم لإعراضهم عن الله و استصغاراً لأنهم
 ﴿ قالوا ﴾ معرضين عن مخاطبهم غير عادين^٣ لها ، ﴿ يمسى ﴾ وأكّدوا نفهم
 للأقدام عليهم بقولهم : ﴿ انا ﴾ و عظموا تأكيدهم بقولهم^٤ : ﴿ لن ندخلها ﴾
 و زادوه تأكيداً بقولهم : ﴿ ابدأ ﴾ و قيدوا ذلك بقولهم : ﴿ ما داموا ﴾
 أى الجبارة ﴿ فيها ﴾ أى لهم اليد عليها ، ثم اتبعوه بما يدل على أنهم^٦ فى ١٠
 غاية الجهل بالله الفعال لما يريد ، / الغنى عن جميع العيد ، فقالوا مسيين
 عن نفهم ذلك قولهم : ﴿ فاذهب انت و ربك ﴾ أى المحسن إليك ،
 فلم يذكروا أنه احسن إليهم كثافة^٧ طباع و غلظ أكباد ، بل^٨ خصوه
 بالإحسان ، وهذا القول [إن - ٢] لم يكن قائلوه يعتقدون التجسيم^٩ فهم
 مشارفون له ، وكذلك^{١٠} أمثاله ، و^{١١} كان اليهود الآن عريقين فى التجسيم ، ١٥
 ثم^{١٢} سبوا عن الذهاب قولهم : ﴿ فقاتلاً ﴾ ثم استأنفوا قولهم مؤكدين
 لأن من له طبع سليم و عقل مستقيم لا يصدق أن أحداً يتخلف عن

(١) فى ظ : اجتهد (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : عادلين (٤) فى الأصل و ظ :

لهم (٥) فى ظ : بقوله (٦) فى ظ : انه (٧) فى ظ : كافة - كذا (٨) سقط من ظ .

(٩) العبارة من هنا إلى « فى التجسيم » سقطت من ظ (١٠ - ١٠) فى الأصل :

و أمثاله - كذا (١١) من ظ ، و فى الأصل « و » .

أمر الله لا سيما إن كان بمشافهة الرسول : ﴿ انا ههنا ﴾ أى خاصة
 ﴿ قعدون ٥ ﴾ أى لا نذهب معكم ، فكان فعلهم فعل من يريد السعادة
 بمجرد ادعاء الإيمان من غير تصديق له بامتحان بفعل [ما - ١] يدل
 على الإيقان ؛ روى البخارى فى المغازى و التفسير عن عبد الله بن مسعود
 ٥ رضى الله عنه قال : قال المقداد بن عمرو يوم بدر : يا رسول الله !
 لا نقول كما قال قوم^٢ موسى " اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قعدون " ،
 ولكن^٣ امض^٤ ونحن^٥ معك ، نقاتل عن يمينك و عن شمالك [و بين
 يدك - ٥] و خلفك ، فرأيت النبي صلى الله عليه و سلم أشرق وجهه
 و سره . فكانه قيل : فما قال موسى عليه السلام ؟ فقيل^٦ : ﴿ قال ﴾ لما
 ١٠ أبس منهم معرضا عنهم شاكيا إلى الله تعالى^٧ ﴿ رب ﴾ أى أيها
 المحسن إلى .

ولما كان من حق الرسول أن يقيه كل أحد بنفسه و ولده فكيف
 بما دون ذلك ، فكان لا يصدق أحد^٨ أن أتباعه لا يطيعونه ، جرى على
 طبع البشر و إن كان يخاطب علام الغيوب فقال مؤكدا : ﴿ انى ﴾ ولما
 ١٥ فهم من أمر الرجلين لهم بالدخول أنهما قيذا دخولهما بدخول الجماعة ،
 خص فى قوله : ﴿ لا أملك الا نفسى و اخى ﴾ أى و نحن مطيعان لما تأمر به
 ﴿ فافرق بيننا ﴾ أى^٩ أنا و اخى^{١٠} ﴿ و بين القوم الفسقين ٥ ﴾ أى الخارجين

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و صحيح البخارى ، وفى الأصل :
 لكننا ، و زيد بعده فيه : نقول ، ولم تكن الزيادة فى ظ و الصحيح لحذفناها .
 (٤-٤) سقط ما بين الرقيمين من ظ (٥) زيد من ظ و الصحيح (٦) زيد بعده
 فى ظ : قال (٧) فى ظ : احدا (٨-٨) فى ظ : مع اى اخ لنا - كذا .

عن الطاعة قولاً وفعلاً ، ولا تجمعنا معهم في بين^١ واحد ، في فعل ولا جزاء
 ﴿ قال فانها ﴾ أى الأرض المقدسة ﴿ محرمة عليهم ﴾ أى بسبب أقوالهم
 هذه و أفعالهم ، لا يدخلها من قال هذه المقالة أو رضىها أحد ، بل يمشون
 ﴿ اربعين سنة ^٢ ﴾ ثم استأنف جواباً لمن تشعب^٣ فكره في تعرف حالهم
 في هذه الأربعين و محلهم من الأرض قوله : ﴿ يتيهون ﴾ أى يسبسون
 متحيرين^٤ ﴿ في الأرض ﴾ حتى يهلكوا كلهم ، و التيه : المفاضة التى
 يحير سالكها فيضل عن وجه مقصده ، روى أنهم أقاموا هذه المدة
 في ستة فراسخ يسبسون كل يوم جادين ، ثم يمشون في الموضع الذى
 ساروا منه ، ثم سبب عن إخباره بعقوبتهم قوله : ﴿ فلا تأس ﴾ أى
 تحزن حزناً مؤسباً^٥ ﴿ على القوم ﴾ أى الأقوياء الأبدان الضعفاء القلوب ١٠
 ﴿ الفسقين ﴾ أى الخارجين من قيد الطاعات ، ثم بعد هلاكهم أدخلها
 بينهم الذين نشأوا في التيه لسلامتهم من اعوجاج^٦ طباعهم التى ألبيستهم
 إياها بلاد الفراعنة ، فأنى كتبته لبنى إسرائيل ، ولم أخبر بتعيينهم - وإن
 كانوا معينين في على - كما اقتضت ذلك حكمتى ؛ و في هذه القصة أوضح
 دليل على^٧ نقضهم للهود^٨ التى بنيت السورة على طلب الوفاء بها و افتتحت ١٥
 بها ، و صرح بأخذها عليهم في قوله ” و لقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل -

(١) من ظ ، و فى الأصل : نفر - كذا (٢) فى ظ : يتشعب (٣) زيد بعده فى
 الأصل : فى الأرض ، و لم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٤) فى ظ : قاموا .
 (٥) فى ظ : المواضع (٦) من ظ ، و فى الأصل : موتاً - كذا (٧) فى ظ :
 الاعوجاج (٨-٨) فى ظ : بعضهم للعهد .

/٣٤

إلى أن قال : و'انتم' / برسلى وعزرتهم " وفي ذلك تسليّة للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعلونه 'معه' ، وتذكير^١ له بالنعمة على قومه بالتوفيق ، وترغيب لمن أطاع منهم ، وترهيب لمن عصى ، ومات في تلك الأربعين كل من قال ذلك القول أو رضىه حتى النقباء العشرة ، وكان الغمام يظلمهم من حر الشمس ، ويكون لهم عمود من نور بالليل يضيء ههنا^٢ عليهم - وغير هذا من النعم ، لأن المسح^٣ بالتيه كان تأديبا لهم لا غضبا فانهم تابوا .

شرح هذه القصة مما بين أيديهم من التوراة وذكر بعض ما عذبهم فيه بذنوبهم ، قال في السفر الرابع منها : وكلم الرب موسى وقال له^٤ :
 ١٠ أرسل قوما يحسبون الأرض التي أعطى بنى إسرائيل ، فأرسلهم موسى من برية فاران رجالا^٥ من رؤساء بنى إسرائيل - اثني عشر رجلا - فيهم كلاب بن يوفنا وهوساع بن نون ، ودعا موسى هوساع بن نون يوشع ، وأرسلهم^٦ ليستخبروا أرض كنعان وقال لهم : اعرفوا خبر الشعب الذي بها ، أقوى هو أم ضعيف ؟ أكثر هو أم قليل ؟ وما خبر الأرض التي هم فيها ، أخصبة أم لا ؟ أفها شجر أم لا ؟ وفي نسخة : وما المدن التي يسكنونها ؟ وأن كانت محوطة عليها أم لا ؟ وتقووا^٧ واخذوا من ثمار الأرض ؛ فصعدوا فاستخبروا الأرض ، وأخذوا من برية^٨ صين حتى
 (١-١) في ظ : معهم وتذكيرا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : النعم .
 (٤) في ظ : عدتهم (٥) في ظ : رجلا (٦) في ظ : يقولوا (٧) في ظ :
 تربه - كذا .

اتھوا إلى راحوب^١ التي في مدخل حمات^٢، وصعدوا إلى التين فأتوا
 حبران - وفي نسخة: حبرون^٣ - وكان بها بنو الجبابرة، ثم أتوا وادي
 العنقود وقطعوا^٤ قضيا من الكرم فيه عنقود عنب، فحمله رجلان
 بأسطار^٥، ودعوا اسم ذلك الموضع وادي العنقود من أجل ذلك، وأخذوا
 من الرمان والتين أيضا، ورجعوا إلى موسى بعد أربعين ليلة إلى برية ه
 فاران إلى رقيم، وأخبروا موسى والجماعة كلها خبر الأرض وقالوا: انطلقنا
 فاذا الأرض تفل^٦ اللبن^٧ والعسل وهذه ثمارها، ولكن الشعب الذي
 في الأرض عزيز قوى، وقراهم كبار مشيدة، رأينا ثم بني الجبابرة،
 [ثم - ٩] ذكر أن الكنعانيين^٨ على ساحل البحر إلى نهر الأردن،
 قالوا: وكنا عندهم مثل الجراد، كذلك^٩ رأينا أنفسنا، فضجت الجماعة ١٠
 كلها ورفعوا أصواتهم بالبكاء، وبكوا في تلك الليلة بكاء شديدا، وتذمر
 جميع بني إسرائيل على موسى وهارون في ذلك اليوم وضجوا عليها، وقال
 لها محافل بني إسرائيل كلها: يا ليتنا^{١١} متنا بأرض مصر على يدى الرب،
 وليتنا متنا في هذه البرية ولا يدخلنا الرب إلى الأرض التي نصرع^{١٢} فيها قتلا
 و تنتهب مواشينا وأهلونا! كان المنون^{١٣} بأرض مصر خيرا لنا، وقال كل ١٥
 امرئ منهم لأخيه: اجتمعوا حتى نصير^{١٤} علينا رئيسا، ونرجع إلى أرض مصر،

(١) في ظ: خرب (٢) من التوراة، وفي الأصل وظ: حماد (٣) من التوراة،
 وفي الأصل: خبرون. وفي ظ: خيرون - كذا (٤) في ظ: ادوا (٥) في
 ظ: قطفوا (٦) في ظ: بانتظار (٧) في ظ: فسل - كذا (٨) من ظ
 والتوراة، وفي الأصل: التين (٩) زيد من ظ (١٠) في ظ: النعمين - كذا.
 (١١) في ظ: لذلك (١٢) في ظ: تضوع - كذا (١٣) في ظ: النوى.
 (١٤) في ظ: يصير.

نفر موسى و هارون على وجوههما ساجدين بين [يدى - ١] جماعة
 بنى إسرائيل كلها، فأما يشوع بن نون و كلاب بن يوفنا اللذان^٢
 كانا من الجواسيس فقالا: الأرض مخصبة جدا، فإن شاء الرب دفعها
 إلينا، فهي أرض [تفل - ١] السمن و العسل، فلا تعصوا^٣ الرب
 ٥ ولا تفتنوا^٤ ولا تخافوا شعب هذه^٥ الأرض، لأن أهلها مبذلون لنا مثل
 الطعام للأكل، و اعلبوا أن قوتهم سيضعف و تزول عنهم شدتهم،
 ونحن الغالبون لأن الرب معنا، فلا تفرقوا منهم، و ظهر مجد الرب / ٣٥
 بالسحابة فى قبة الزمان تجاه بنى إسرائيل، وقال الرب لموسى: إلى متى
 يسخطنى^٦ هذا الشعب؟ و كم إلى كم لا يصدقونى؟ ألم يروا جميع الآيات
 ١٠ التى أتيتهم بها؟ سأضربهم بالموت و أهلكهم، و أصيرك^٧ الشعب أعظم
 من هذا و أعزّ منهم، فقال موسى^٨ أمام الرب: يسمع أهل مصر الذين
 أخرجت [هذا الشعب من بينهم بقوتك، و يقول لسكان هذه الأرض أيضا
 الذين سمعوا أنك رب - ١] هذا الشعب، فإن أنت قتلت هذا الشعب
 ١٥ جميعا كرجل واحد تقول الشعوب التى بلغها خبرك: إن الرب لم يقدر
 أن يدخل هذا الشعب^٩ الأرض التى كان^{١٠} وعد إياهم، فلذلك قتلهم فى
 البرية، فلتعظم قوتك الآن يا رب [كما وعدت^{١١} و قلت يا رب - ١]

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: اللذين (٣) فى ظ: تغضبوا (٤) فى ظ: لا تفتنوا .
 (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: تسخطنى (٧) من ظ و التوراة، و فى الأصل:
 لشعب (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ: وجدت - كذا .

أنت ذو المودة والنعمة ، تغفر الإثم^١ و الخطايا ، و تزكى من ليس بمزكى ،
اغفر يا رب كما غفرت لهم مذخرجوا من أرض مصر إلى الآن ! فقال الرب
لموسى : قد غفرت لهم لقولك^٢ و لكنى حتى قيوم ، أقسم بذلك و بمجدى
الذى امتلأت الأرض كلها منه أن جميع الرجال الذين عاينوا مجدى و الآيات
التي أظهرت لهم بمصر و الفضاء ، و جريوني عشر مرات و لم يطيعوني^٣ ٥
و لم يقبلوا قولى ، لا يعاينون الأرض التي أقسمت لآبائهم أنى أعطيتهم ،
و لا يدخلها أحد من الذين أغضبوني^٤ ، فأقبلوا غدا و ارتحلوا إلى طريق
بحر سوف ؛ و قال الرب : إلى متى تَغْفَرُ هذه الجماعة الرديئة بين يدي ؟
فبى أقسم أنكم^٥ تصيرون إلى ما قلتم ، و كما فكرتم^٦ ذلك يصيبكم^٧ فى
هذه البرية ، قسقط جشكم فيها و تبلى أجسادكم و يهلك كل عددكم و حسابكم^٨ ١٠
من ابن عشرين سنة إلى فوق ، لأنكم تشوشتم و تذرتم على^٩ ، لا تدخلوا
الأرض التي رفعت يدي لأنزلكم فيها ، و لا يدخلها إلا كلاب بن
يوفنا و يوشع بن نون ، و أما مواشيكم التي قلت^{١٠} : إنها تنتهب ، و بنوكم الذين
لا يعلمون الخير من الشر فهم يدخلون الأرض و أصيرهم إليها و أورثهم
الأرض ، فأما جيفكم قسقط و تبلى فى هذه البرية . و تمكث بنوكم يرددون^{١١} ١٥
فى هذه المفازة أربعين سنة ، يعاقبون حتى تهلك جشكم فى هذه البرية على
عدد الأيام التي اجتس الجواسيس الأرض فيها ، لكل يوم سنة ،

(١) فى ظ : الذنب (٢) من نص التوراة ، و فى الأصل و ظ : كقولك (م) فى
ظ : لم يطيعوا (٤) فى ظ : تنبؤ - كذا ، و العبارة من بعده إلى « متى تغفر »
ساقطة منه (٥) سقط من ظ (٦-٧) فى ظ : لكم نصيبكم .

و تعاقبون بأثمكم^١، لكل يوم سنة^٢، أربعين سنة لأربعين يوما، قتلون
 أنى إنما فعلت ذلك لتدمركم^٣ بين يدي، أنا الرب قلت : كذلك أصنع بهذه
 الجماعة الرديئة التي اجتمعت بين يدي، تهلك في هذه البرية، يموتون كلهم،
 والقوم الذين أرسلهم موسى أن يحبسوا الأرض له فانقلبوا وشغبوا عليه
 ٥ و أفسدوا الجماعة كلها، وذلك أنهم أخبروا الشعب في أمر الأرض خبرا
 رديئا، ومات القوم الذين أخبروا الخبر السوء موت الفجاءة أمام الرب، فأما
 يشوع وكالاب فنجوا من الموت، ولم يهلكا مع الذين استخبروا الأرض،
 فأخبر موسى بنى إسرائيل هذه الأقوال، وجلسوا^٤ في حزن شديد وقالوا :
 نحن صاعدون إلى الموضع الذى أمر الرب ونقر بخطايانا، قال لهم موسى :
 ١٠ اعلبوا أنكم لا تنجحون^٥ ولا يتم أمركم، لا تصعدوا لأن الرب ليس معكم
 لثلا يهزمكم أعداؤكم، فان صعدتم هزمتهم و قتلتم، لأنكم أغضبتم الرب
 و رجعتم عن / قوله، فلذلك لا يكون الرب معكم، فصعد القوم إلى رأس
 ٢٦ / الجبل، فأما تابوت عهد الرب و موسى النبي فلم يبرحا من العسكر، و نزل
 العملاقانيون الذين يسكنون ذلك الجبل و حاربوهم و هزموهم، و قتلوا منهم
 ١٥ مقتلة عظيمة و طردوهم إلى حرما^٦، و كان ذكر قبل ذلك في السفر الثانى
 و قبل معصيتهم فى أمر الجواسيس قتالهم فى ريفدين و رقيم لعماليق فقال
 ما نصه : و إن عماليق جاء ليقاتل بنى إسرائيل بريفدين^٧ فقال موسى ليشوع :

(١) فى ظ : بأيمانكم (٢) زيد بعده فى ظ : و تعاقبون باسمكم لكل يوم - كذا .
 (٣) من ظ ، وفى الأصل : لتسوءكم - كذا (٤) من نص التوراة ، وفى الأصل
 و ظ : جلس (٥) فى ظ : لا محواين - كذا (٦) زيد بعده فى ظ : و رقيم .
 (٧) فى ظ : ليشوع .

اختر رجلا من أهل الجلد و الشدة و اخرج بنا نقاتل 'عماليق غدا'
و أنا واقف عل رأس الأكمة، و قضيب^٢ الله في يدي، فصنع يشوع كما
قال له^٣ موسى فخرج إلى حرب عماليق، و صعد موسى و هارون و حور
إلى رأس الجبل، و كان موسى إذا رفع يده قوى بنو إسرائيل، و إذا
خفض يده قوى عماليق، فأعيت يد موسى فأخذ حجارة فوضعها تحته، ه
ثم استوى عليها جالسا، و كان هارون و حور 'يدعمان يديه'، أحدهما
يميننا و الآخر شمالا حتى غربت الشمس، فهزم يشوع عماليق و من معه
و قتلهم بحد السيف، فقال الرب لموسى: اكتب^٦ هذا الأمر في سفر
الكتاب و ضعه أمام يشوع بن نون، لأنى أحق و أيد ذكر عماليق من
تحت^٧ السماء، فبنى للرب مذبحا،^٧ و دعا اسمه^٨ "الله علمي"^٨، ثم قال: ١٠
و أرسل رسلا من رقيم إلى ملك أدوم^٩ بأنهم نازلون في رقيم - القرية
التي في حد بلادهم - و استأذنه في الجواز في بلاده، فهددهم بالمقاتلة
فقالوا: لا نشرب لك ماء إلا بثمان، فقال: لا تجوزوا في^{١٠} حدى،
و خرج إليهم بجيش عظيم و سلاح شاك فصفا بنو إسرائيل عنه و ظعنوا

(١-١) ظ : عد - كذا (٢) في ظ : قضيت (٣) سقط من ظ (٤-٤) في
ظ : بدعمادتين يديه - كذا (٥) في ظ كيت (٦) زيد بعده في ظ : اعداه .
(٧-٧) في ظ : اسم (٨-٨) من ترجمة التوراة المقدسة لأبى سعيد بن أبى الحسين
السامري، و أسفار التوراة المقدسة المخطوطة سنة ٩٣٠ من الهجرة بقرية من
يروشليم، و في الأصل و ظ : الله حرب، و وقع في تراجمها الأخرى: يهووا
نسى - غير مترجم إلى العربية (٩) من التوراة، و في الأصل و ظ : ازوم .
(١٠) في ظ : الى .

من رقيم، وأنى جميع بنى إسرائيل إلى هور^١ الجبل حيث توفى هارون،
ثم قال: ونزل موسى وإليعازر من الجبل، فرأت محافل بنى إسرائيل
كلها أن هارون قد توفى، وبكى على هارون^٢ جميع بنى إسرائيل ثلاثين
يوماً، وسمع الكنعانى ملك عراد^٣ الذى كان يسكن التيمن^٤ أن
بنى إسرائيل قد نزلوا فى طريق الجواسيس فخاربهم^٥ وسبى منهم قوماً،
فندب بنو إسرائيل نذراً للرب وقالوا: إن أنت دفعت إلينا هذا الشعب
يا رب، وقويتنا عليه جعلنا قراهم حريمة للرب^٦، فسمع الرب أصوات
بنى إسرائيل ودفع إليهم الكنعانيين وقوامهم عليهم، وهزمهم وقتلهم
وجعلوا قراهم حريمة للرب ودعوا^٧ اسم تلك البلاد حريمة، فظعن الشعب
١٠ من هور الجبل فى طريق بحرسوف ليدوروا حول^٨ أرض أدوم، ففزعت^٩
أنفس الشعب من شدة الطريق وكلفت، وتدمر^{١٠} الشعب على الله وعلى
موسى وقالوا: لِمَ أصعدتنا من مصر؟ لَتَمِيتَنَا فى موضع ليس فيه خبز
ولا ماء، قد ضاقت أنفسنا من قلة الطعام، فسلط الله عليهم حيات
فنهشت قوماً من الشعب ومات منهم كثير، فاجتمعوا إلى موسى وقالوا:
١٥ قد^{١١} أخطأنا إذ تدمرنا على الله وعليك، صل أمام الرب لتصرف عنا
الحيات، فصلى موسى فقال الرب له: اتخذ حية من نحاس مثال الحية
وارفعها/ على خشبة علامة، ومن نهشته حية ينظر إلى الحية المعلقة^{١٢}

/ ٢٧

(١) فى ظ: هو (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣) من التوراة، وفى الأصل
وظ: حدر - كذا (٤) فى ظ: الشمس - كذا (٥) فى ظ: لخاربوهم (٦) زيد
بعده فى ظ: وقالوا (٧) فى ظ: دنوا الى - كذا (٨) فى ظ: حوال (٩) فى
ظ: فغرمت (١٠) فى ظ: تدير (١١) سقط من ظ.

فبِراً ، ففعل ذلك ، فظن^١ بنو إسرائيل فزلوا أبوت^٢ ، ثم ارتحلوا من أبوت^٣ ونزلوا على عين العبرانيين التي في البرية أمام أرض موآب في الجانب الشرقي وحيث مشارق الشمس ، ثم ظعنوا من هناك ونزلوا وادى زرود ، وارتحلوا من هناك ونزلوا عبر أرنون في البرية [أمام أرض موآب في الجانبين - °] التي^٤ تخرج من [حد - °] الامورانيين^٥ وهى في حد الموآبيين ، ولذلك يقال في كتاب حروب^٦ الرب : واهب في سوفة و^٧ وادى أرنون ومصب^٨ الاودية المائلة إلى سكان عار^٩ التي تنتهى إلى^{١٠} احد الموآبيين^{١١} ؛ ثم أرسل بنو إسرائيل رسلا إلى سيحون ملك الامورانيين^{١٢} [و- °] قالوا له : نجوز في أرضك من غير أن نطأ^{١٣} لك

حقلا ولا كرما ، ولا نشرب^{١٤} من ماء جناتك^{١٥} ، ولكن نلزم الطريق^{١٦} الأعظم حتى نجوز^{١٧} أرضك ، فأبى سيحون وجمع جميع أجناده وخرج إلى البرية وحارب بنى إسرائيل ، فقتل بنو إسرائيل سيحون وأصحابه وورثوا أرضه ، وصعدوا إلى أرض متنين ، [وخرج عوج ملك متنين - °]

(١) في ظ : فظن (٢) في ظ : العرب - كذا (٣) في ظ : ابواب - كذا (٤) في ظ : جنب (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : الامرانيين (٨) من نص التوراة ، وفي الأصل : حروف ، وفي ظ : حدود (٩-١٠) من ترجمة التوراة التي طبعت بلندن سنة ١٨٧٢ م ، وفي الأصل و ظ : الاله تعاصف في - كذا . (١٠) من ترجمة التوراة ، وفي الأصل و ظ : اصلحت - كذا (١١) من ظ والتوراة ، وفي الأصل : عمار (١٢-١٣) في ظ : احد الموانين - كذا (١٣) في ظ : يطا (١٤) في ظ : لايشرب (١٥) في ظ : جنابك (١٦) في ظ : لا نجوز .

إليهم هو وأجناده ليحاربهم في أدرعى^١، وقال الرب لموسى : لا تخف
لأنى^٢ دافعه في يدك وأصير جميع شعبه وأرضه في يدك، فاصنع^٣ به
كما صنعت بسيحون ملك الامورانيين، فلما حاربوه قتل هو وبنوه
و جميع شعبه ولم يبق منهم أحد، فظعن بنو إسرائيل ونزلوا عربات^٤
هـ موآب^٥ التى عند أردن إريحا؛ ثم ذكر قصة بلعام بن باعور^٦ وغيرها
و^٧ قال : ثم قال الرب لموسى : اصعد إلى هذا الجبل جبل العبرانيين،
وانظر^٨ إلى أرض كنعان^٩ التى أعطى بنى إسرائيل، فاذا نظرت إليها
اجتمع معك^{١٠} شعبك، وصر إلى ما صار إليه آباؤك كما صار [إليه - ^{١١}]
هارون أخوك، فتكلم موسى أمام الرب وقال : يأمر الله رجلا يريد
الجماعة ويدخل ويخرج أمامهم، ويدخلهم ويخرجهم لكيلا تكون^{١٢}
جماعة الرب كالغنم التى ليس لها راع، فقال الرب لموسى : اعمد إلى يشوع^{١٣}
ابن نون - رجل عليه من الروح نعمة - فضع يدك عليه، وأقمه بين
يدى إيعازر الحبر أمام الجماعة كلها ومن تجاههم قبلا، وأعطه من المجد
الذى عليك، فقطيعه جماعة بنى إسرائيل كلها، ويقوم^{١٤} بين يدى إيعازر
الـ ١٥ الحبر ليكون يسأل الرب عن حوائجه وسنته، ويحفظ بنو إسرائيل^{١٦} قوله،

(١) من التوراة، وفي الأصل و ظ : اردعى (٢) سقط من ظ (٣) في ظ :
واصنع (٤) من ترجمة التوراة، وفي الأصل و ظ : عربى (٥) من ظ والتوراة،
وفي الأصل : موات (٦) في ظ : بعور (٧) في ظ : ارض (٨) في ظ : الغان .
(٩) من ظ، وفي الأصل : مع (١٠) زيد من ظ (١١) في ظ : يكون (١٢) في
ظ : يسوع (١٣) في ظ : تقوم (١٤) في ظ : بنى اسرائيل .

وعن قوله يخرجون وعن قوله يدخلون ، وفعل موسى كالذي أمره الله في يوشع وغيره - ثم ذكر أشياء^١ من القرائين^٢ والأعياد وفتح مدين وبقية قصة بلعام وغير ذلك [ثم - ٣] قال : وكثرت مواشى بنى رويل^٤ وبنى جاد جدا ، ونظروا [إلى - ٢] يعزير وأرض جلعاد^٥ أنه موضع يصلح للمواشى فقالوا لموسى : إن نحن ظفرنا منك برحمة وراقة^٥ تعطى هذه الأرض لعبيدك ميراثا ولا تجزنا نهر الأردن ، فقال موسى : إخوانكم يخرجون إلى الحرب وأنتم تستقرون ههنا ؟ لِمَ تكسرون^٦ قلوب إخوانكم أن لا يجزوا^٧ إلى الأرض التى يعطيهم^٨ الرب ميراثا ! هكذا صنع أيضا آباؤكم فاشتد غضب الرب عليهم ، وأقسم أنه لا يعاين أحد منهم الأرض التى وعدت بها آباؤهم ، لأنهم لم يتموا^٩ قولى ولم يتبعوا^{١٠} وصيتى ما خلا كلاب بن يوفنا / القزائى ويشوع^{١١} بن نون ، إنها أما قول الرب ، فاشتد غضب الرب على بنى إسرائيل وتَوَهَّه^{١٢} في البرية أربعين سنة حتى هلك حقب الرجال الذين أسخطوا الرب ، وأنتم اليوم أيضا تريدون أن ينزل غضب الرب ببنى إسرائيل ، وإن^{١٣} أنتم انقلبتم عن أمر الرب أيضا يعود أن يُتَوَهَّك^{١٤} فى التيه ، ففسدون^{١٥} على جميع هذا الشعب ،

(١) فى ظ : شيئا (٢) فى ظ : القرائين - كذا (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : بنى إسرائيل (٥) فى ظ : جلعاد (٦) فى ظ : يسكرون (٧) فى ظ : لا تجزوا . (٨) من نص التوراة ، وفى الأصل : يعطيكم ، وفى ظ : تعطيهم (٩) فى ظ : يتموا (١٠ - ١٠) فى ظ : العبرانى ويشوع (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ : يفسدون .

فدنا منه القوم وقالوا: نبي ههنا^١ قرى^٢ لعيالاتنا^٣ و حظائر لانعامنا،
ونحن تسليح أمام بني إسرائيل حتى ندخلهم^٤ إلى مواضعهم،
ولا نرجع إلى يوتنا حتى يرث بنو إسرائيل كل إنسان ميراثه،
ولا نرث معهم من عبر الأردن وما خلف ذلك، لانا قد قبضنا ميراثنا
٥ في مجاز الأردن في مشارق الشمس، فقال لهم موسى: إذا أتمم فعلتم
هذا الفعل و تسليحتهم^٥ أمام ربيكم، حينئذ ترجعون و تستجلبون^٦ أرضكم
و يرضى^٧ بنو إسرائيل عنكم، و تصير هذه الأرض لكم^٨ ميراثا، و إن
لم تفعلوا [هذا - ^٩] تصيروا^{١٠} أمام الرب خطاة^{١١}، و اغلبوا
أن خطاياكم تدرككم؛ ثم قال: و هذه خطأ عن بني إسرائيل حيث
١٠ خرجوا من أرض مصر - فذكر ما تقدم في البقرة، ثم قال^{١٢}:

وارتحلوا من مقبرة الشهوة و نزلوا حضروت، [و ظعنوا من
حضروت - ^{١٣}] و نزلوا رثما، و ارتحلوا من رثما و نزلوا رمون^{١٤} فرص،
و ظعنوا^{١٥} من رمون^{١٦} فرص و نزلوا البنا - و في نسخة: البونا -

(١) من ظ، و في الأصل: هنا (٢) في ظ: قريننا (٣) في الأصل: اعيالاتنا،
و في ظ: لانس - كذا (٤) في ظ: يدخلهم (٥) في ظ: تسليحتهم (٦) في ظ:
يستخلفون (٧) في ظ: ترضى (٨) سقط من ظ (٩) زيد من ظ (١٠) في ظ:
يصيروا (١١) من ظ، و في الأصل: خطا ط - كذا (١٢) في ظ: قالوا (١٣) زيد من
ظ، إلا أن لفظة « من » ساقطة منه (١٤) من ظ و التوراة، و في الأصل:
رمتون (١٥) في ظ: فظعنوا (١٦) من التوراة، و في الأصل: رمتن، و في ظ:
زمن - كذا (١٧) سقطت العبارة من هنا إلى « فهاث و في نسخة » من ظ.

و ارتحلوا من لبنا و نزلوا أراسيا - و في نسخة : رسا - و ظعنوا من أراسيا أو رسا و نزلوا قهاث - و في نسخة : بقهاث^١ - و ارتحلوا من قهاث و نزلوا جبل شافار -^٢ و في نسخة : شافر - و ارتحلوا من جبل شافار^٣ و نزلوا حرادة^٤ - و في نسخة : حرذا - و ارتحلوا من حرادة^٥ - و في نسخة : حارذا - و نزلوا مقهلوث^٦ - و في نسخة : مهقلوث^٧ - و ظعنوا من مقهلوث^٨ و نزلوا تحاث ، و ارتحلوا من تحاث و نزلوا ترح ، و ارتحلوا من ترح و نزلوا مثقا ، و ارتحلوا من مثقا و نزلوا حشمونا ، و ظعنوا من حشمونا و نزلوا مسروت ، و ارتحلوا من مسروت^٩ و نزلوا بحى^{١٠} بنى يعقان^{١١} ، [و ظعنوا من حى^{١٢} بنى يعقان -^{١٣}] و نزلوا جبل جدجاد ، و ارتحلوا من جبل جدجاد و نزلوا يطبث^{١٤} - و في نسخة : يطباثا^{١٥} - ١٠ و ظعنوا من يطبث و نزلوا عجرونا - و في نسخة : عبرونا - و ارتحلوا من عجرونا و نزلوا^{١٦} عصيون جابر^{١٧} ، و هي قلزم ، و رحلوا من^{١٨} عصيون جابر^{١٩} و نزلوا برّ صين - و في نسخة : بربة صين المعروفة بقداش^{٢٠} - و هي رقيم ، و ظعنوا من^{٢١} قداش^{٢٢} و نزلوا هور الجبل الذى فى أقاصى

(١) فى ظ : تنهلات - كذا (٢-٣) تكرر فى الأصل و ظ (م) فى ظ : شافر .
 (٤) من التوراة ، و فى الأصل : حدر ، و فى ظ : حدرو - كذا (٥) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : حدر (٦) فى ظ : مهلوث (٧) فى ظ : جعلوث .
 (٨ - ٨) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) فى نسخة من التوراة : بنى يلعقان .
 (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ : بطعث (١٢) فى ظ : بطشا (١٣-١٣) من التوراة ، و فى الأصل : عضيعبار ، و فى ظ : عضعار - كذا (١٤ - ١٤) من التوراة ، و فى الأصل : عضيعبار ، و فى ظ : عضيعبار - كذا (١٥) فى ظ : بقداش (١٦) فى ظ : قداش .

أرض أدوم - وفي نسخة : و ظعنوا من بركة صين فزلوا في قفر^١ فاران
وهي القدس، و ارتحلوا من القدس فزلوا في جبل هور بجذاء أرض أدوم
وهي^٢ الروم - و صعد هارون الجبل^٣ عن قول الله إلى هور الجبل ، و توفي
هناك في سنة أربعين بخروج بني إسرائيل من أرض مصر في الشهر الأول
٥ أول يوم منه، وقد كان آتى على هارون^٤ يوم توفي مائة و ثلاث
و عشرون سنة ، و بلغ الكنعاني ملك حديا الساكن بالتيمن في أرض
كنعان - وفي نسخة : عراد^٥ الساكن في الداروم في بلد ماء^٦ -
أن بني إسرائيل^٧ أتوا حده^٨، و ظعنوا من هور الجبل و نزلوا صلبونا ،
و ارتحلوا / من صلبونا و نزلوا فينون ، و ظعنوا من فينون و نزلوا / ٣٩
١٠ أبوث^٩ - وفي نسخة : أباث^٩ - و ارتحلوا من أبوث^٩ و نزلوا العين المعروفة
بالعبرانيين على حد موآب - وفي نسخة : و نزلوا عايا في العين على تخوم
موآب^{١٠} - و ارتحلوا من^{١١} عايا فزلوا جاد - وفي نسخة : و رحلوا من
عين العبرانيين و نزلوا ديبون^{١٢} قرية جاد - و ارتحلوا من قرية جاد^{١٣}
و نزلوا علمون التي^{١٤} دبلثيم - وفي نسخة : دبلثيم^{١٤} - و ظعنوا من
(١) زيد بعده في ظ : في (٢) في ظ : هو (٣) في ظ : الرب (٤) زيد في ظ :
اول (٥) من التوراة ، وفي الأصل : عيراد . وفي ظ : عيراد - كذا (٦) في ظ :
مات (٧-٧) في الأصل : اتوحد ، وفي ظ : بومن - كذا (٨) في ظ : ايوب .
(٩) في ظ : اباث (١٠) في ظ : مورب (١١-١١) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(١٢) من ظ ، وفي الأصل : جازه (١٣) زيد بعده في الأصل : في ، و لم تكن
الزيادة في ظ فحذفنا (١٤) في ظ : ديلاثيم - كذا .

علون التي دبليهم - وفي نسخة: دبلايهم - فنزلوا جبل العبرانيين الذي أمام نابو ، وارتحلوا من جبل العبرانيين ونزلوا عربة موآب التي بأردن يريحا - وفي نسخة: ونزلوا مغارب موآب على الأردن 'قبالة يريحا - ونزلوا على شاطئ 'الأردن' من عند أشيموث^٢ إلى آبل^٣ شاطيم التي عند عربة موآب - 'و في نسخة: قبالة مغارب موآب . ٥

وكلم الرب موسى على مغارب موآب^١ عند الأردن قبالة يريحا فقال: كلم بني إسرائيل وقل لهم: أنتم جائزون الأردن إلى أرض كنعان لتهلكوا^٤ جميع سكان الأرض ، وتحرقوا بيوت أصنامهم المسبوكة ، وتقلعوا^٥ مذبحهم كلها ، وتصير الأرض إليكم وترونها^٦ ، فاقسموها لعشائركم سهاماً^٧ ، وصيروا الكثير على قدر [كثرتهم ، والقليل على ١٠ قدر - ^٨] قلتهم ، وكل قبيلة على ما يرتفع السهم^٩ بها^{١٠} وتصيها^{١١} القرعة ، وإن لم تهلكوا^{١٢} سكان الأرض من بين أيديكم فالذين^{١٣} يقولون منهم يكونون^{١٤} أسنة في أعينكم و سهاماً في^{١٥} أصداعكم ، ويضيّقون^{١٦} عليكم في الأرض التي تسكنونها ، و كما رأيت أن أصنع بهم كذلك أصنع بكم ، فهكذا اقسما الأرض في موارثكم: أرض^{١٧} كنعان بحدودها ، ١٥

(١ - ١) - قط ما بين الرقمين من ظ (٢) في ظ: أشموت (٣) من التوراة ، وفي الأصل وظ: ائيل - كذا (٤) في ظ: نفساكو - كذا (٥) في ظ: تفعلو (٦) في ظ: ترونها (٧) في ظ: منها ما - كذا (٨) زيد من ظ (٩) سقط من ظ (١٠) في ظ: يصيها (١١) في ظ: لم يهلكوا (١٢) في ظ: فان (١٣) في ظ: يسكون . (١٤-١٤) في ظ: اصداعكم ويضيّقوا .

فأما حد التيمن فيكون لكم من ساحل البحر المالح من ناحية المشرق،
 ويدور حدكم من التيمن إلى عقبة عقريم^١ ويحوز إلى صين، و تكون^٢
 مخارجه من التيمن إلى رقيم الجاني^٣، ويخرج من هناك إلى حصر إدار
 - وفي نسخة: إلى رفح^٤ - ويحوز إلى عصمون إلى وادي مصر، وتكون^٥
 مخارجه إلى ناحية البحر^٦ ويكون حد^٧ البحر حدكم والبحر الأعظم بحدوده،
 هذا حدكم من ناحية البحر، وأما حدكم مما يلي الجريا - وفي نسخة:
 الشمال - فيكون من البحر الأعظم إلى هور الجبل، وحدود ذلك من الجبل
 إلى مدخل حماة، وتكون^٨ مخارج الجبل إلى صدد^٩، ويخرج الحد إلى زفرون،
 وتكون^{١٠} مخارجه إلى حصر عين، هذه حدودكم من ناحية الجريا^{١١}،
 ١٠. وأما حدودكم من ناحية المشرق فحدوده من [حصر-^{١٢}] عين إلى شافم، وينزل
 الحد من شافم إلى ربله^{١٣} إلى مشارق غاب^{١٤}، حتى ينتهي^{١٥} إلى بحر كنزت
 - وفي نسخة: البحيرة الميتة^{١٦} - من مشارقه، ويدور حتى ينزل إلى حد الأردن،
 وتكون مخارجه إلى بحر المالح، هذه حدود الأرض التي ترثونها كما
 تدور؛ ثم ذكر القسمة وشيئا من الأحكام، ثم قال في أول^{١٧} السفر
 ١٥ الخامس: هذه الآيات والأقوال التي قال موسى لبنى إسرائيل عند مجاز
 الأردن في البرية في عرابا - وفي نسخة: البيداء وهو الجانب الغربي -

(١) من التوراة، وفي الأصل وظ: سفرديم (٢) في ظ: يكون (٣) في ظ:
 الجاوي (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) من التوراة، وفي الأصل وظ:
 صدره (٦) في ظ: الحريا (٧) زيد من ظ والتوراة (٨) من التوراة، وفي
 الأصل وظ: دفلت - كذا (٩) في ظ: غاب (١٠) في ظ: تنتهي (١١) في ظ:
 المسقية (١٢) سقط من ظ.

حيال سوف بين فاران وبين تقال^١ ولبان وحضروت واذى ذهب^٢
 - وفي نسخة : ودار^٣ الذهب وهو إشارة إلى^٤ الموضع الذى عبدوا
 فيه العجل - / مسير أحد عشر يوما من حوريب إلى ساعير وإلى رقام ٤٠ /
 الجائى . لما كان فى ستة أربعين من خروج بنى إسرائيل من مصر فى
 الشهر الحادى عشر فى أول يوم منه كلم موسى بنى إسرائيل وأمرهم ه
 بعد قتلهم سيحون ملك الأموريين وعوج^٥ ملك متين^٦ فى مجاز
 الأردن فى أرض موآب^٧ ، قال : إن الله قال لنا فى حوريب : قد طال مكثكم
 [فى - ^٨] هذا الجبل ، انهضوا^٩ فارتحلوا من^{١٠} ههنا وادخلوا جبل الأموريين^{١١}
 و كل ما حوله إلى القرى والجبل و^{١٢} إلى ساحل^{١٣} البحر أسفل الجبال^{١٤} ،
 واليمن أرض الكنعانيين ، ولبنان إلى النهر الكبير الذى هو الفرات ، ١٥
 ادخلوا ورتثوا الأرض التى وعد الله آباءكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن
 يعطيهم^{١٦} ، و يورثها نسلهم من بعدهم ؛ ثم قال : وأمرتكم فى ذلك الزمان
 بما [ينبغى أن - ^{١٧}] تصنعوا^{١٨} ، وارتحلنا من حوريب وسرنا^{١٩} فى البرية
 العظيمة المرهوبة كما أمرنا^{٢٠} الله ربنا ، و انتهينا^{٢١} إلى رقيم الجائى ، و قلت لكم :

(١) من ظ ، وفى الأصل : تقال (٢-٢) من التوراة ، وفى الأصل : فدهاب ،
 وفى ظ : ذرلهرابى - كذا (٣) فى ظ : ردا (٤-٤) سقط ما بين الرقين من
 ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : جوج (٦) فى ظ : مسين - كذا (٧) من ظ ،
 وفى الأصل : موارب (٨) زيد من ظ والتوراة (٩) زيد فى ظ : ولبنان .
 (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ : سواحل (١٢) فى ظ : الجبل (١٣) فى ظ :
 يعطوهم (١٤) زيد من ظ (١٥) فى الأصل : يصنعوا ، وفى ظ : يصفوا - كذا .
 (١٦) فى ظ : امرنه - كذا (١٧) من التوراة ، وفى الأصل و ظ : امرنى .
 (١٨) سقطت العبارة من هنا إلى « الله ربنا » من ظ .

قد انتهيت إلى جبل الامورانيين الذى أعطانا الله ربنا، اصعدوا ورثوا الأرض
 كما قال لكم الله^١ رب آبائكم، لا تخافوا ولا تفزعوا، وتقدمتم إلى^٢
 بأجمعكم وقلتم: نرسل بين أيدينا رجلا يتجسسون^٣ لنا الأرض ويخبرونا
 بخبرها ويدلّونا^٤ على الطريق الذى نسير فيه والقرى التى ندخلها؛
 هـ فكان قولكم عندى حسنا، وعمدت إلى اثني عشر رجلا منكم، من كل
 سبط [منكم - °] رجل، وأرسلتهم^٥، وصعدوا إلى الجبل حتى انتهوا
 إلى وادى العنقود، واستخبروا الأرض وأخذوا^٦ من ثمار الأرض
 وأتوا به وأخبرونا وقالوا لنا: ما أخصب الأرض التى يعطينا الله ربنا^٧!
 ولم يعجبكم أن تصعدوا، [و - °] لكن اجتنبتم قول الله ربكم وأغضبتموه
 ١٠ وتوششتم^٨ فى خيمكم^٩ وقلتم: لبغض^{١٠} الرب أخرجنا من أرض مصر
 ليدفعنا فى أيدي الامورانيين ليهلكونا، إلى أين نصعد! إخواننا كسروا
 قلوبنا وقالوا: الشعب أعظم وأعزّ منا وأقوى، وقراهم عظيمة مشيدة^{١١}
 إلى السماء، ورأينا هناك^{١٢} أبناء جبارة، وقلت لكم^{١٣}: لا تخافوا ولا تفزعوا
 منهم. من أجل أن الله ربكم هو يسير أمامكم، وهو يجاهد عنكم كما
 ١٥ صنع بكم فى أرض مصر وفى البرية، كما رأيتم أنه فداكم كما يفدى
 الوالد ولده فى كل الأرض التى سلكتموها^{١٤} حتى انتهيت إلى هذه البلاد.

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: يفتخرو - كذا! (٣) فى ظ: تدلونا (٤) فى ظ:
 يسير (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: أرسلتم (٧) من ظ، وفى الأصل: اخذوا (٨) فى
 ظ: ربكم (٩) فى ظ: شوشتم (١٠) فى ظ: خيمكم (١١) من ظ، وفى
 الأصل: لبغضكم (١٢) فى ظ: مشيدة (١٣) من ظ، وفى الأصل: هنا (١٤) من
 التوراة، وفى الأصل و ظ: اسكنتموها.

و بهذا^١ القول لم تصدقوا أن الله ربكم يكمل لديكم^٢ أنه يسير أمامكم في الطريق ليهي^٣ لكم موضعا تسكنون فيه ، أليس هو الذى أراكم^٤ طريقا تسلكون فيه بالليل بالنار ، و ستركم بالنهار من حر الشمس بالغمام ، و سمع الرب كلامكم و أصواتكم و غضب و أقسم و قال : لا يعاين أحد من هؤلاء القوم - أهل هذا الحقب الردى - الأرض المخصصة التى أقسمت^٥ أن أعطى آباءهم غير كلاب بن يوفنا ، إني أدفع إليه الأرض التى مشى فيها^٦ و أورثها ولده ، لأنه أتم قول الرب و أكمل سنته^٧ ، و قال لى : و أنت أيضا لا تدخلها ، ولكن يشوع بن نون الذى يخدمك هو يدخل هناك ، إياه^٨ قوّ و أيد^٩ ، لأنه هو الذى يورث بنى إسرائيل الأرض المخصصة التى وعدت بها آباءهم أن أعطيهم ، و أما مواشيكم التى قلمت : إنها تنتهب ، و بنوكم الذين^{١٠} لا يعلمون الخير من الشر ، فهم يدخلون هناك ، و إليهم أدفعها و هم يرثونها ، فأما أتم فاقبلوا و ارتحلوا/ إلى البرية فى طريق بحر سوف ، فرددتهم على^{١١} و قلمت : أسأنا و أجرمنا بين يدى الله ربنا ، نحن صاعدون و مجاهدون كما قال لنا ، و تسليح كل امرئ منكم بسلاحه ، و تهيأتم^{١٢} للصعود إلى الجبل ، و قال الرب [لى -^{١٣}] : أنذرهم و قل لهم : لا تصعدوا و لا تجاهدوا ، لأنى^{١٤} لست بينكم ، لئلا يهزمكم أعداؤكم ، و قلت و لم تقبلوا^{١٥} ، اجتنبتم قول الرب و أغضبتموه و جسرتم و طلعتم^{١٦} إلى الجبل ، [نخرج الأموريون الساكنون

(١) فى ظ : لهذا (٢) فى ظ : لكم لديكم (٣) فى ظ : اركم (٤) من ظ ، و فى الأصل : فينا (٥) فى ظ : سنته (٦-٧) من نص التوراة ، و فى الأصل و ظ : اقوى و اويد (٧) فى ظ : بهاتم - كذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : لم يقبلوا . (١٠) فى ظ : صعدتم .

في ذلك الجبل للقاتك^١ . [و طردوكم كما تطرد^٢ الزناير بالدخان، و دفعوكم
 من ساعير^٣ إلى حرما، و جلستم^٤ و بكيتم^٥ و لم يسمع الرب أصواتكم،
 فبكيتم أمام الرب في رقام أياما^٦ كثيرة ما مكثتم فيها، فأقبلنا^٧ فارتحلنا
 في البرية في طريق بحر سوف كما قال الرب، و ترددنا^٨ حول جبل ساعير أياما
 كثيرة، و قال لي الرب : قد طال ترددكم حول هذا الجبل، أقبلوا إلى
 الجانب الجربي^٩، فتقدم إلى الشعب و قل لهم : أنتم تجوزون^{١٠} في حد إخوانكم
 بني عاسو^{١١} - و في نسخة : عيسو - الذين يسكنون ساعير، فاحفظوا أن
 لا تولعوا بهم^{١٢} . لأنني لست أعطيك من أرضهم ميراثا ولا موضع قدم،
 اتباعوا منهم طعاما لما كلكم^{١٣} و امثاروا منهم^{١٤} ماء بفضة لشربكم، ليبارك الله
 ١٠ ربكم عليكم و يبارك^{١٥} لكم في كل ما عملت^{١٦} أيديكم، كما علم أن يسوسكم
 في هذه البرية أربعين سنة، الله^{١٧} ربكم ما دام معكم لا يعوز بكم شيء،
 و جزنا^{١٨} طريق العربة^{١٩} - و في نسخة : البيداء - و أيلة، و أقبلنا و جزنا في
 البرية إلى طريق موآب، و قال لي^{٢٠} الرب : لا تضيق على الموايين
 و لا تحاربهم^{٢١}، لأنني لست أعطيك^{٢٢} من أرضهم ميراثا، بل قد^{٢٣} جعلت هذه

(١) زيد من التوراة (٢) في ظ : طردوا (٣-٣) في ظ : الى ساعير (٤-٤) في
 ظ : حرمان و حبستم (٥) في ظ : ايام (٦) في ظ : لما قبلنا (٧) في ظ : ردنا .
 (٨) في ظ : العربي (٩) من ظ ، و في الأصل : يجوزون (١٠) في ظ : عاشو .
 (١١-١١) في ظ : لا تركعوا (١٢) في ظ : كلم - كذا (١٣) سقط من ظ .
 (١٤) في ظ : تبارك (١٥) من ظ ، و في الأصل : حملت (١٦) في ظ : فته (١٧) في
 ظ : جوزنا (١٨) من التوراة ، و في الأصل : الغربي ، و في ظ : العربي .
 (١٩) في ظ : لانجازهم (٢٠) في ظ : اعطيكم .

الأرض ميراثا لبنى لوط هذه التى سكنتها إمتى أولا ، شعبا كان عظيمًا ،
كان الموآبيون يسمونهم إمتى ، فأما ساعير فكان سكانها الحورانيين^١ أولا
وورثها بنوعاسو^٢ ، فتوموا الآن فجوزوا وادى زرد ، فجزنا وادى زرد^٣
حيثئذ ، و كان عدد الأيام التى سُرنا من رقيم إلى أن جزنا وادى زرد
ثمانى و ثلاثين سنة ، حتى هلك^٤ جميع الرجال الأبطال أهل ذلك الحقب^٥ ه
من عسكر بنى إسرائيل كما أقسم عليهم الرب ، لأن يد الرب كانت عليهم
حتى هلكوا ، فلما ماتوا من الشعب كلمنى^٦ الرب و قال [لى -^٧]: أنت
جائز اليوم إلى^٨ حد موآب ، و تدنو من حد بنى عمون فلا تتعرض^٩ لهم ،
لست أعطيك ميراثا من أرض بنى عمون ، لأنى قد جعلتها ميراثا
لبنى لوط ، فقم و ارتحل و جز وادى أرنون ، إني قد دفعت إليك سيحون^{١٠}
ملك الأمورانيين فخاربه و^{١١} أهلك أصحابه ، فانى أبدأ فأتى خوفك و فزعك
على الناس منذ يومك هذا ، و على جميع الشعوب التى تحت السماء ، حتى
إذا سمعوا بخبرك فرقوا و فزعوا منك ، و أرسلت رسلا من برية قدموت
إلى سيحون ملك حججونا بكلام طيب و بالسلام ، و قلت له : نجوز فى
أرضك و نسير^{١٢} فى الطريق الأعظم ، لا نميل^{١٣} يمنة^{١٤} و لا يسرة نمتار^{١٥} ، منكم
طعاما بفضة^{١٦} لما أكلنا ، و كذلك^{١٧} نبتاع ماء لمشربنا بثمن^{١٨} ، فدعونا بحجز^{١٩}

(١) فى ظ : الحواريين (٢) فى ظ : بنى عاسو (٣-٣) موضع الرقيم فى ظ :
« و » (٤) فى ظ : الذى (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : الاحقب (٧) فى ظ :
مملين - كذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : فلا يتعرض (١٠) فى ظ : يسير (١١) فى
ظ : لا يميل (١٢) من ظ ، و فى الأصل : يسرة (١٣-١٣) فى ظ : كلنا و لذلك .
(١٤) من ظ ، و فى الأصل : نجوز .

سائرین فی الطريق کما صنع بنا بنو عاسو الذین فی ساعیر ، و المویون
الذین فی عار' ، حتی یجوز فی الأردن إلی الارض الی یعطینا الله ربنا ،
ولم یسرّ سیحون ملک حجبون أن یجوز فی حده ، لأن الله ربکم قسى قلبه
و عظم روحه^١ لیدفعه فی أیدیکم ، و خرج إلینا هو و جمیع أجناده لیحاربونا^٢
ه فی یاهاص' ، فدفعه الرب إلینا و قتلناه هو و جمیع أجناده ، و فتحنا قراه
و أهلکنا کل من کان فی قراه ، و لم یبق منهم أحد ، و أهلکنا نساءهم
و عیالاتهم ، و لم یبق منهم أحد من حد عرویر الی^٣ علی حد وادی أرنون ،
و القرية الی فی الوادی و إلی جلعاد لم تفتنا^٤ قرية ، / بل دفعها الله ربنا فی
أیدینا جمیعا ، فأما أرض بنی عمون فلم یقربها^٥ ، و کل ما کان علی وادی
١٠ ییوق^٦ و قرى الجبال أیضا ، و کل ما أمرنا الله ربنا به ، ثم أقبلنا و صعدنا
إلی أرض متین^٧ ، و خرج إلینا عوج^٨ 'ملک متین'^٩ هو و کل شیعته لیحاربنا
فی أدرعی^{١٠} ، و قال لی الرب : لا تفرق فانی قد دفعته فی^{١١} یدیک ،
و أسلمت إلیک کل أجناده و أرضه ، و قتلناهم و لم یبق منهم أحد^{١٢} ،
و ظفرنا بكل قراه^{١٣} فی ذلک الزمان ، و لم تفتنا قرية إلا^{١٤} أخذناها^{١٥}
١٥ منهم ستین قرية ، کل جبل أرجوب ، کل القرى الی كانت أسوارها^{١٦}

(١) من التوراة ، و فی الأصل و ظ : عارة (٢) فی ظ : وجهه (٣) من ظ ،
و فی الأصل : لیحاربنا (٤) فی ظ : یاهاص (٥) فی ظ : الذی (٦) فی ظ :
لم یفتنا (٧) فی ظ : فلم یقربها (٨) من التوراة ، و فی الأصل و ظ : القی - کذا .
(٩) فی ظ : مسین - کذا (١٠ - ١٠) فی ظ : مالک مبین (١١) من التوراة ،
و فی الأصل و ظ : أدرعی (١٢) سقط من ظ (١٣) من ظ : و فی الأصل :
احدا (١٤) فی ظ : قرية (١٥) فی ظ : أخذنا (١٦) من ظ ، و فی الأصل : سوراتها .

مشيدة محصنة بالأبواب الشديدة الموثقة ، وأحرمناهم^١ كما صنعنا بسيعون
وأخذنا الأرض في ذلك الزمان من ملكي الامورانيين اللذين كانا عند
بجاز الأردن من وادي أرنون إلى جبل حرمون ، فأما الصيدانيون
فكانوا يدعون حرمون سريون ، وأما الامورانيون^٢ فكانوا يسمونها
سنير^٣ ، وأخذنا كل القرى التي^٤ كانت في الصحراء وكل جلعاد وكل متين^٥ .
إلى^٦ سلكه وأدري^٧ ، جميع قرى ملك عوج ، لأن عوجا كان الجبار الذي
بقى وحده من الجبارة ، وكان سريره من حديد ، وفي^٨ مدينة بني عمون^٩
التي تسمى ربة ، طوله تسع أذرع وعرضه أربع^{١٠} أذرع بذراع الجبارة ،
وورثنا هذه الأرض في ذلك الزمان ؛ ثم قال : [أمرت -]^{١١} [يشوع^{١٢}]
في ذلك الزمان وقلت : قد رأيت بعينك^{١٣} ما صنع الله ربكم^{١٤} بملكى^{١٥}
الامورانيين ، كذلك يصنع الرب بجميع المملكات التي تجوز^{١٦} إليها ،
لأن الله ربكم هو يجاهد عنكم ، وتضرعت إلى الرب في ذلك الزمان وقلت :
أطلب إليك يا ربى وإلهى أن تظهر لعبدك عظمتك يدك المنية وبذراعتك
العظيمة ، أى إله في السماء أو في الأرض يعمل مثل أعمالك وجرائحك ! أتأذن

(١) من نص التوراة ، وفي الأصل : اخرجناهم ، وفي ظ : اخرجناهم (٢) من
ظ ، وفي الأصل : الامورانيون (٣) من التوراة ، وفي الأصل و ظ : ساعير .
(٤) في ظ : الذى (٥) في ظ : مين - كذا (٦-٧) من التوراة ، وفي الأصل و ظ :
ملكى وأدري (٧-٨) من ظ ، وفي الأصل : مدينته بنوا عيون - كذا (٨) سقط
من ظ (٩) في التوراة : رجل (١٠) زيد من ظ (١١) في ظ : يسوع (١٢) في
ظ : بعينك (١٣) العبارة من هنا إلى « الله ربكم » ساقطة من ظ (١٤) من نص
التوراة ، وفي الأصل و ظ : يجوزون .

لى الآن فأعبرو أعابن الأرض المخصبة التى فى مجاز الأردن ، هذا الجبل المخصب
ولبنان ، ولم يستجب لى وقال لى الرب : حسبك الا تعد أن تقول هذا القول
بين يدى ، اصعد رأس الأكمة وارفع عينك إلى المغرب و المشرق و إلى
الجربى و التيمن ، و انظر إليها نظرا^١ و لا تجز هذا الأردن ، و مر يشوع^٢
٥ و تقدم إليه و قوّه و أيدّه ، لأنه هو الذى يجوز أمام هذا الشعب و هو الذى^٣
يورثهم^٤ الأرض التى تراها ، و نزلنا^٥ الوادى حبال يت فغور^٦ : ثم قال :
و أقسم - أى الرب - أنى لا أجوز هذا الأردن و لا أدخل إلى الأرض
التى^٧ أعطاكم الله ربكم ميراثا ، فانا الآن^٨ متوف^٩ فى هذه الأرض ، و لا أجوز
هذا^{١٠} الأردن ، فاما أنتم فتجوزون و ترثون هذه الأرض المخصبة ، احفظوا
١٠ لا تنسوا عهد الله ربكم الذى عاهدكم . و لا تفسدوا و تتخذوا أصناما
و أشباها ،^{١١} من أجل أن الله ربكم هو نار محرقة و هو إله غيور ، و إذا ولد لكم
بنون و بنو بنين و عتقم فى الأرض . و اتخذتم أصناما و أشباها^{١٢} و ارتكبتم
الشر^{١٣} أمام الله ربكم و أغضبتموه قد أشهد^{١٤} عليكم السماء و الأرض أنكم
تهلكون سريعا من الأرض التى تجوزون لثروها ، و لا تكثروا أيامكم^{١٥}
١٥ فيها ، و يبددكم الرب من بين^{١٦} الشعوب و يبقى منكم^{١٧} عدد قليل بين الشعوب

(١) فى ظ : نظر (٢) فى ظ : يسوع (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى
الأصل : يرثهم (٥) من نص التوراة ، وفى الأصل : نزلت ، وفى ظ : نزلوا .
(٦) من التوراة ، وفى الأصل و ظ : يعود (٧) من ظ ، وفى الأصل : هذه .
(٨-٨) سقط ما بين الرقنين من ظ (٩) فى ظ : الشهر (١٠) من ظ ، وفى الأصل :
أشهدت (١١) من ظ ، وفى الأصل : أبواكم - كذا .

التي يفرقكم الرب فيها ، سلوا عن الأيام الأولى التي مضت قبلكم منذ
يوم خلق الله الناس على الأرض من أقصى السماء إلى أقطارها ، / هل كان
مثل هذا الأمر العظيم أو سمع بمثله قط ؟ هل سمع شعب آخر صوت الله
يكلمه من النار كما سمعتم أنتم ، وجربوا الله الذي اتخذهم شعبا من الشعوب
بالبلايا والآيات والأعاجيب والحروب واليد المنية والذراع العظيمة ه
و بالمناظر العظيمة ، كما صنع الله بأهل مصر تجاهكم أنتم وعائتكم و علمتم أن
الله هو رب كل شيء وليس إله غيره ، أسمعكم صوته من السماء ليعلمكم
وأراكم ناره العظيمة ، وسمعتم أقاربه من النار ، ولحبه لأبائكم اختار نسلهم
من بعدهم ، وأخرجكم^١ بوجهه من مصر بقوة العظيمة ، ليهلك من بين
أيديكم شعوبا أعظم وأعز منكم ليدخلكم ويعطيكم^٢ أرضهم ميراثا ، ١٠
لتعلموا يومكم هذا وتقبلوا بقلوبكم لأن الرب هو إله في السماء فوق وفي
الأرض أسفل ، وليس إله سواه . احفظوا سننه وصاياه التي أمركم
بها يومكم هذا لينعم عليكم وعلى أبنائكم من بعدهم ، ويطول مكثكم^٣
في الأرض التي يعطيكم الله ربكم طول الأيام . هذه الشهادات والأحكام
التي قص موسى على بني إسرائيل حيث خرجوا من أرض مصر ، فأنتهوا ١٥
إلى مجاز الأردن في الوادي في مشارق الشمس ، وإلى بحر العربة* إلى
سدود الفسجة^٤ ؛ ثم قال بعد ذلك في أواخر هذا السفر بعد أن قص عليهم

(١) في ظ : أجركم (٢) في ظ : بعضكم (٣) في ظ : ملثكم (٤) زيد بعده في
ظ : السنن (٥) من التوراة ، وفي الأصل و ظ : العربي (٦) من التوراة ، وفي
الأصل و ظ : وفرجا .

أحكاما كثيرة وحِكَمًا عزيزة^١ : الرب يقبل بكم إلى الخير و يفرحكم كما
فرح آبائكم ، وذلك إن أتم سمعتم قول الله ربكم و حفظتم سننه و وصاياه
المكتوبة في هذا الكتاب من كل قلوبكم و أنفسكم ، من أجل [أن -^٢]
هذه الوصية لم تخف عليكم ولم تغب^٣ ، وليس هو بمستور في السماء
٥ . فتقولوا^٤ : من يصعد لنا إلى السماء و يأتينا به^٥ فنسمعه و نعمل^٦ به !
و ليس بغائب عنكم في أقصى البحر فتقولوا^٧ : من ينزل لنا إلى البحر
و يأتينا به فنسمعه و نعمل^٨ به ! ولكن القول قريب من فك^٩ و قلبك
فاعمل به ، و انظر أنى قد صيرت بين يديك اليوم الحياة و الخير ، فأخبرت^{١٠}
بالموت و الشر ، و أنا آمرك اليوم أن تحب الله ربك و تسلك^{١١} في
١٠ . طريقه^{١٢} و تحفظ سننه و وصاياه و أحكامه ، لتحيي و تكثر جدا ،
و يبارك الله ربك عليك ، و ينميك في الأرض^{١٣} التي تدخلها^{١٤} لثرتها ،
و إن مال قلبك و زاغ و لم تسمع و ضللت و تبعت الآلهة الأخرى
و سجدت لها فقد ينف لك اليوم أنكم تهلكون هلاكاً ، و لا يطول مكثكم
في الأرض التي تجوزون الأردن لثروها ، و أوعزت إليكم و ناشدتكم
١٥ . السماء و الأرض و الحياة و الموت - و في نسخة : [و -^{١٥}] أشهدت
عليكم^{١٦} السماء و^{١٧} الأرض و جعلت بين يديكم الحياة و الموت - و تلوت

(١) في ظ : عزيز (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : لم يغب (٤) في ظ : فيقولوا .

(٥ - ٥) في ظ : فيسمعه و يعمل (٦) في ظ : فيك (٧) في ظ : نسرك (٨) في ظ :

يملك - كذا (٩) من ظ ، و في الأصل : طريقه (١٠ - ١٠) في ظ : الذي

يدخلها (١١) زيدت الواو من ظ (١٢ - ١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

عليكم اللعن والدعاء^١، فاختر^٢ الحياة لتحيا أنت و نسلك إذا أحببت الله ربك
و سمعت قوله و لحقت بعبادته ، لأنه حياتك و طول عمرك ، و تسكن في
الأرض التي أقسم الرب لآبائك و وعد إبراهيم و إسحاق و يعقوب أن
يعطيك ؛ ثم انطلق موسى و كلم بنى إسرائيل و قص عليهم هذه الأقوال كلها
و قال لهم^٣ : اليوم مائة و عشرون سنة . و لست أقدر على الدخول والخروج ه
أيضا ، و الرب قال : إنك لا تجوز هذا الأردن ، فالله ربكم هو يجوز
أمامكم ، و هو يهلك هذه الشعوب من بين أيديكم و ترثونهم^٤ ، و يشوع هو
يجوز أمامكم كما قال الرب . و سيصنع بهم الرب كما صنع بـسـيـحـون^٥ و عوج
ملكى الامورانيين^٦ الذين / أهلكتهم ، و يهزمهم الله ربكم من بين أيديكم ،
فاصنعوا بهم حيثنذ ما أمرتكم به ، فتقوّوا و اعتزوا و لا تخافوا و لا تفزعوا ،
و لا ترعب قلوبكم منهم ، لأن الله ربكم سائر أمامكم ، لا يخذلكم و لا يرفضكم ؛
و دعا موسى يشوع^٧ بن نون و قال له بين يدى جماعة بنى إسرائيل : تقوّ و اعتر ،
لأنك أنت الذى تدخل هذا الشعب الأرض التي أقسم^٨ الله لآبائهم أن يعطيهم ،
و أنت تورثها^٩ أبناءهم ، و الرب هو يسير أمامكم و هو يكون معك و لا يخذلك
و لا يرفضك ، فلا تخف و لا تفزع و لا يرعب قلبك ؛ و كتب موسى هذه^{١٠}
التوراة و سننها^{١١} و دفعها إلى الأحبار بنى لاوى الذين " يحملون " ^{١٢}

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : فاخترت (٣-٣) في ظ : في (٤) في ظ : ترثوهم .

(٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) في ظ : الامرايين (٧) في ظ : يشوع .

(٨) في ظ : انعم (٩) من ظ ، و في الأصل : ترثها (١٠) في ظ : سينها .

(١١) في من ظ ، و في الأصل : الذى (١٢) زيد بعده في ظ : موسى .

تايوت عهد الرب و' إلى جميع أشياخ بني إسرائيل ؛ ثم قال : وكلم
الرب موسى في ذلك اليوم وقال له : اصعد إلى جبل العبرانيين هذا
جبل نابو^١ الذى فى أرض موآب حىال يريحا^٢ ، وانظر إلى أرض كنعان
التي أعطى بني إسرائيل ميراثا ، ولتوفّ هناك فى الجبل الذى تصعد^٣
إليه واجتمع إلى آبائك ، كما توفى أخوك هارون فى الجبل و صار إلى
قومه ، ثم قال فى آخر هذا السفر وهو آخر التوراة : فطلع موسى
من غريوب^٤ - وفى نسخة : من يداء موآب - إلى جبل نبو إلى رأس
الأكمة التى قبالة^٥ وجه إريحا ، وأراه^٦ الله جميع^٧ جلعده إلى دان^٨ وجميع
أرض نفتالى وجميع أرض إفرايم^٩ و منشأ ، وجميع أرض يهودا
١٠ إلى آخر البحر والبرية و ما حول بقعة بلد إريحا مدينة^{١٠} النخل إلى
صاغرا^{١١} ، فقال الرب لموسى : إن هذه هى^{١٢} الأرض التى أقسمت لإبراهيم
وإسحاق ويعقوب وقلت : إني لنسلكم أعطيها ، قد أريتكها بعينيك^{١٣} ،
فأما أنت فما تدخلها ، وقضى عبد الله موسى بأرض [موآب - ١٣] بأمر
الرب ، فدفن - يعنى فى أرض موآب - حذاء بيت فاغور^{١٤} ، ولم يعرف
(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : بابوا - كذا (٣) فى ظ : تريحا .
(٤) من ظ و التوراة ، وفى الأصل : تعصد (٥) كتب هنا بهامش الأصل :
وفاة موسى عليه السلام (٦) فى ظ : عزربوب (٧) من ظ ، وفى الأصل : قبالة .
(٨) فى ظ : اراد (٩-٩) فى ظ : ما جعله الى ذلك - كذا (١٠) من التوراة ، وفى
الأصل و ظ : قرام (١١-١١) فى ظ : البحر الى ساعرا (١٢) فى ظ : بعينك .
(١٣) زيد من ظ و التوراة (١٤) فى ظ : فاغوذ .

أحد أين قضى إلى يومنا هذا، وكان موسى وقت قضى^١ ابن مائة وعشرين سنة، لم يضعف بصره ولم يشخّجدا؛ ففاح بنو إسرائيل على موسى بعربوب - وفي نسخة: في يدها موآب - ثلاثين يوما، وتمت أيام بسكاه ماتم موسى؛ وامتلا^٢ يشوع^٣ بن نون روح الحكمة، لأن موسى وضع عليه يده، وأطاع له بنو إسرائيل وامتثلوا ما أمر الرب به موسى - ٥ انتهى ما أردته من أخبار التيه وما يتصل بذلك من مساراتهم لجميع الناس في العذاب بالمعاصي والإطاف بالطاعات، الهادم لكونهم أبناء وأحباء. وفيه مما يحتاج إلى تفسير: الجربي، وهو نسبة إلى الجرياء^٤ - بكسر الجيم والموحدة^٥، بينهما مهملة ساكنة ثم تحتانية مدودة، وهي جهة الشمال، واليمين - بفتح الفوقانية وإسكان التحتانية وضم الميم، وهو أفق اليمن ١٠ الذي يقابل^٦ الشمال فالمراد الجنوب^٦، وفيه قاصمة^٧ لهم من^٨ إنكار النسخ في أمرهم بنص التوراة بالدخول إلى بيت المقدس ثم نهيم^٩ عن ذلك لما عصوا، فانه قال: اصعدوا ورثوا الأرض^{١٠} كما قال لكم الله رب^{١١} آباءكم، لا تخافوا ولا تفزعوا، ولما عصوا هذا الأمر وأعلمهم موسى عليه السلام بغضب^{١٢} الله عليهم وعقوبته^{١٣} بالتية أرادوا امتثال الأمر في الصعود توبة، فقال لهم ١٥ موسى عليه السلام: وقال لي^{١٤} الرب: أنذرهم وقل لهم: لا تصعدوا

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: يسوع (٣) من ظ، وفي الأصل: الجربا.

(٤) في ظ: بالوحدة (٥) من ظ، وفي الأصل: قابل (٦) في ظ: الحبوب.

(٧) في ظ: قاصمه (٨) في ظ: في (٩) في ظ: بينهم (١٠) في ظ: ربه (١١) من

ظ، وفي الأصل: فغضب (١٢) في ظ: عقوبتهم.

ولا تجاهدوا لأنى لست بينكم، لئلا يهزمكم أعداؤكم - هذا نصه فراجع .
 و أما دخول أبنائهم إلى بلاد القدس و غلبتهم على أهلها و تبسطهم فى
 أرضها / تصديقا لمواعد الله على [يد - ١] يشوع^٢ بن نون عليه السلام / ٤٥
 فسيذكر إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى فى سورة يونس عليه السلام
 هـ "و لقد بوانا بنى اسرائيل مبوأ صدق^٣" ، ولكن أقدم هنا من أمر يوشع
 بعد موسى عليهما السلام - والمعونة بالله - ما يبنى^٤ عليه بعض مناسبات
 الآية التى بعدها، قال البغوى: فترجه - يعنى يوشع - بنى إسرائيل إلى
 إريحا و معه تابوت الميثاق، فأحاط بها ستة أشهر، ثم نفخوا فى القرون
 و ضج الشعب ضجة واحدة، فسقط سور المدينة و دخلوا، فقاتلوا الجبارين
 ١٠ فقتلوه، و كان القتال [فى - ١] يوم الجمعة، فبقيت^٥ منهم بقية و كادت
 الشمس تغرب و تدخل ليلة السبت فقال: اللهم اردد الشمس على^٦ فردت
 [عليه - ١] و زيد فى النهار ساعة، ثم قتلهم أجمعين، و تبع ملوك الشام
 و استباح منهم واحدا^٧ و ثلاثين ملكا حتى غلب^٨ على جميع أرض الشام
 و فرق عماله فى نواحيها، و جمع الغنائم فلم تنزل النار، فأوحى الله إلى يوشع
 ١٥ أن فيها غلولا فرمهم فليبايعوك، فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده^٩، فقال:
 هلم ما عندك! فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت و الجواهر، فجعله
 فى القربان و جعل الرجل معه، فجاءت النار فأكلت الرجل و القربان - انتهى.

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : يوشع (٣) آية ٩٣ (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 يبنى (٥) فى ظ : فيثبت (٦) فى ظ : واحد (٧) فى ظ : علت (٨) من ظ ، وفى
 الأصل : يدك .

و رأيت أنا في تاريخ نبوة يوشع بعد موت^١ موسى عليها السلام ما ربما يخالف
هذا في الأشهر والبلد، أما الأشهر فجعلها سبعة أيام، وأما البلدة التي وقفت
عندها^٢ الشمس فجبعون لا إريحا، فانه قال ما نصه: قال الرب ليشوع^٣:
انظر، إني قد دفعت في يدك إريحا وملكها وكل أجنادها^٤، فليُحِطْ بالمدينة
جميع الرجال المقاتلة، ودوروا حول المدينة في اليوم مرة^٥، و افعلوا
ذلك ستة أيام، ويحمل سبعة من^٦ الكهنة سبعة أبواق ويهتفون أمام
التابوت، حتى إذا كان اليوم السابع دوروا حول المدينة سبع مرات،
ويهتف الكهنة بالقرن، وإذا هتفت الأبواق وسمعت أصواتها يهتف
جميع الشعب بأعلى أصواتهم صوتا شديدا، فيقع سور المدينة مكانه،
و يصعد الشعب كل إنسان حiale - انتهى . ثم ذكر امثالهم لأمر الله
وفتحهم لإريحا على ما قال الله. و أما^٧ البلدة التي^٨ رَدَّت فيها الشمس فهي^٩
جبعون، و ذلك أنه ذكر بعد فتح إريحا هذه أن سكان جبعون
وهم الحاوانيون صالحوا يوشع بحيلة فعلوها، ثم قال: و هذه أسماء قراهم:
جبعون و^{١٠} الكفيرة وبيروت و يعاريم^{١١}، فلما سمع بذلك أدونصداق^{١٢} ملك
أورشليم فرق فرقا شديدا، لأن جبعون كانت مدينة عظيمة كمثل مدن
الملك، و كان أهلها رجالا جابرة، فأرسل إلى هوم^{١٣} ملك حبران
(١) سقط من ظ (٢) في ظ: عند (٣) في ظ: إيوشع (٤) في ظ: اخبارها .
(٥) تقدم في ظ على « في اليوم » (٦) في ظ: في (٧-٧) في الأصل: البلد التي،
و في ظ: البلد الذي (٨) في ظ: وهو (٩-٩) من تاريخ نبوة يشوع، و في
الأصل: احصرا وعيروت وبعران، و في ظ: احتيرا وعيروت وبعران - كذا .
(١٠) في ظ: ادونصداق (١١) من ظ، و في الأصل: هزمهم .

- وفي موضع آخر: حبرون - وإلى فرآم^١ ملك يرموث، وإلى يافع ملك
 الحيس، وإلى داير^٢ ملك عقلون - وقال لى بعض اليهود: إن المراد
 بهذه مجلون - وقال لهم: اصعدوا لتعينوني على محاربة أهل جبعون، لأنهم
 قد صالحوا يشوع، فاجتمع الخمسة من ملوك الامورانيين^٣ وجميع عساكرهم
 ه قتلوا على جبعون، فأرسل أهل جبعون إلى يشوع، فصعد يشوع
 من الجبلال هو وجميع أبطال الشعب، فأوحى الرب إلى يشوع: لا تخف
 ولا تفزع منهم، لأنى قد أسلّتهم فى يدك، فأتاهم بغتة، لأنه صعد من
 الجبلال الليل أجمع، فهزمهم الرب بين يدي آل إسرائيل وجرحوا
 منهم / ٤٦ / جرحى كثيرة فى جبعون التى بحوران^٤، وهربوا فى طريق عقبة
 ١٠ حوران ولم يزلوا يقتلون^٥ منهم إلى عزيقة ومقيدة^٦، فلما هرب الذين
 بقوا^٧ منهم ونزلوا عقبة حوران أمطر^٨ الرب عليهم حجارة برد كبار
 من السماء إلى عزيقة^٩ وماتوا كلهم^{١٠}، فكان الذين ماتوا بحجارة البرد
 أكثر من الذين قتلوا، ثم قام يشوع أمام الرب مصليا فى اليوم الذى
 دفع الرب الامورانيين فى يدي بنى إسرائيل وقال: أيتها الشمس ا
 ١٥ امكثي^{١١} فى جبعون ولا تسيرى، وأنت أيها القمر لا تبرح قاع أيلون،

(١) من يشوع، وفى الأصل: بزان، وفى ظ: بزان - كذا (٢) زيد بعده
 فى ظ: ملك داير (٣) فى ظ: الامرائين (٤) فى ظ: يسوع (٥) من ظ،
 وفى الأصل: بجران (٦) فى ظ: يقتلون (٧ - ٧) من يشوع، وفى الأصل
 وظ: عاقار ومقار (٨) فى ظ: نعوا (٩) فى ظ: مطر (١٠) من يشوع. وفى
 الأصل وظ: عاقار - كذا (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ: امكثوا.

قُبِيت الشمس وقام القمر حتى انتقم الشعب من أعدائهم؛ فكتبت^١
 هذه الأعجوبة في سفر التسايح، لأن الشمس وقفت في وسط السماء
 ولم تزل إلى الغروب، وصار^٢ النهار يوما تاما، ولم يكن مثل ذلك
 اليوم قبله ولا بعده - انتهى . وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذه
 القصة، روى الشيخان: البخارى في الخمس والنكاح، ومسلم في المغازى ه
 عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال^٣ النبي صلى الله عليه وسلم: غزا^٤
 نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة وهو يريد
 أن يبنى بها ولما بين^٥ بها، ولا أحد^٦ بنى يوتا ولم يرفع سقوفها،
 ولا أحد^٧ اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر ولادها^٨، فغزا فدنا^٩ من
 القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا
 مأمور، اللهم احبسها علينا! فحبست حتى فتح الله عليه لجمع الغنائم،
 فجاءت - يعنى النار - لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولا، فليبايعنى
 من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل يده، فقال: فيكم الغلول
 فلتبايعنى^{١٠} قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة يده، فقال: فيكم الغلول،
 فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب^{١١} فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها،
 ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى بعض^{١٢} ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا . وفى

(١) فى ظ : فكتبت (٢) فى ظ : صلى (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : عن (٥) من
 ظ وصحيح البخارى - الخمس ، وفى الأصل : لم بين (٦) فى ظ : احدا (٧) من
 الصحيح ، وفى الأصل و ظ : اولادها (٨) فى ظ : ودعا (٩) فى ظ : فتبايعنى .
 (١٠) العبارة من هنا إلى « لنا وفى » سائطة من ظ (١١) ليس فى الصحيح .

رواية المسند للحافظ نور الدين الهيثمي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الشمس لم يحبس على بشر إلا لبوشع
 ليالى^١ سار إلى بيت المقدس ، قال : وهو فى الصحيح ولم أر فيه حصرا^٢
 كما هنا ، وفى سيرة ابن إسحاق ما ينقضه ، قال : حدثنا^٣ يونس عن الأسباط
 ابن^٤ نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي قال : لما أسرى
 برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخبر قومه بالرفعة والعلامة عما فى العير
 قالوا : فتى نجي^٥ ؟ قال : يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم أشرفت
 قريش ينتظرون^٦ وقد رلى النهار ولم تبحى ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم
 فزيد له فى النهار ساعة وحبت عليه الشمس ، ولم ترد الشمس على أحد
 ١٠ إلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بوشع بن نون حين قاتل
 الجبارين يوم الجمعة .

ولما كانت قصتهم هذه - فى أمرهم بالدخول إلى الأرض المقدسة
 لما فيها من نقض العهود^١ و التبرئ من الله والحكم عليهم بالفسق والتعذيب -
 ناقضة لما ادعاه اليهود من البتوة ، كان ذلك كافيا فى إبطال مدعى النصارى
 ١٥ لذلك ، لأنهم أبناء اليهود ، وإذا^٢ بطل كون أهلك ابنا لأحد بطل أن
 تكون^٣ أنت ابنه ، لما كان ذلك كذلك^٤ ناسب أن تعقب بقصة ابني آدم
 لما بذكر ، فقال تعالى عاطفا على قوله ” واذ قال موسى “ : (و اتل عليهم)

(١) فى ظ : ليالى (٢) فى ظ : حضر (٣) زيد بعده فى الأصل : احمد ، ولم تكن
 الزيادة فى ظ لخذفناها (٤) - سقط من ظ (٥) فى ظ : نحن (٦) فى ظ : ينتظرون .
 (٧) فى ظ : اذ (٨) فى ظ : يكون (٩) فى ظ : لذلك .

أى على المدعوين الذين من جملتهم اليهود تلاوة ، [و - '] هى من أعظم / الأدلة على نبوتك ، لأن ذلك لا علم لك^٢ ولا لقومك به^١ ٤٧ / إلا من جهة الوحى ﴿ نبا^٣ ابنى آدم ﴾ أى خبرهما الجليل العظيم ، تلاوة ملتبسة ﴿ بالحق^٤ ﴾ أى الخبر الذى يطابقه الواقع إذا تُعرِّف من كتب الأولين و أخبار الماضين كائنا ذلك النبأ ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قربا ﴾ ٥ أى ابنا آدم ؛ ولما لم يتعلق الغرض فى هذا المقام ببيان أى نوع قربا منه ، قال : ﴿ قربانا ﴾ أى بأن قرب^٥ كل واحد منهما شيئا^٥ من شأنه أن يقرب^٥ إلى المطلوب مقاربتة^٥ غاية القرب .

ولما كان المؤثر للحسد إنما هو عدم التقبل ، [لا - '] بالنسبة إلى متقبل خاص ، بناه للفعول فقال : ﴿ فتقبَّل ﴾ أى [قبل - '] قبولاً ١٠ عظيماً ظاهراً لكل أحد ﴿ من أحدهما^٦ ﴾ أبهمه^٦ أيضاً لعدم الاحتياج فى هذا السياق إلى تعيينه^٦ ﴿ ولم يتقبل من الآخر^٦ ﴾ علماً ذلك^٦ بعلامه كانت لهم فى ذلك ، إما أكل النار للقبول كما^٦ قالوه أو^٦ غير ذلك ؛ ومناسبتها لما قبلها من حيث أنها أيضاً ناقضة لدعواهم النبوة ، لأن قايلاً ممن ولد فى الجنة على^٦ ما قيل ، ومع ذلك فقد عذب لما نقض العهد ، ١٥ فالتفت أن يكون ابناً ، و كان هو وغيره شرعاً واحداً دائراً^٦ أمرهم فى

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) تقدم فى ظ على « أى على » (٤-٤) تقدم ما بين الرقيمين فى ظ على « به إلا » (٥) فى ظ : مقارنة (٦-٦) تقدم ما بين الرقيمين فى ظ على « أى قبل » (٧-٧) سقط ما بين الرقيمين من ظ (٨) فى ظ : بذلك (٩) فى ظ : لا (١٠) فى ظ « و » (١١) فى ظ : دائر .

العذاب و الثواب على الوفاء و النقض ، من وفى كان حبيبا وليا ، و من
نقض كان بغضا عدوا ، و إذا انتفت النبوة عن ولد لآدم صلى الله مع
كونه لصلبه [لا - ^١] واسطة بينهما و مع كونه وُلِدَ فى الجنة دار الكرامة ،
فاتفاؤها^٢ عن هو أسفل منه من باب الأولى ، وكذا المحبة ؛ و من
المناسبات أيضا أن كفر بنى إسرائيل بمحمد صلى الله عليه و سلم إنما هو
للحسد ، فنبهوا بقصة ابنى آدم على أن الحسد يجر^٣ إلى ما لا يرضى الله^٤
و إلى ما لا يرضاه عاقل و يكب^٥ فى النار ؛ و منها أن فى قصة بنى إسرائيل
إحجامهم عن قتال أعداء الله البعداء منهم المأمورين بقتالهم الموعودين
عليه بخيرى الدارين ، و أن الله معهم فيه ، و فى قصة ابنى آدم إقبال^٦
١٠ قاييل على قتل أخيه حبيب الله المنهى عن قتله المتوعد بأن الله يتبرأ منه
إن قتله ، ففى ذلك تأديب لهذه^٧ الأمة عند كل إقدام و إحجام ، و تذكير
بالنعمة فى حفظهم من مثل ذلك ، و^٨ أن فيها أن موسى و هارون عليهما
السلام أخوان فى غاية الطوعية فى أنفسهما و رحمة كل منهما للآخر
و الطاعة لله ، و قصة ابنى آدم بخلاف ذلك ، و فى ذلك تحذير عما جر إليه
١٥ و هو الحسد ، و أن فى قصة بنى إسرائيل أنهم لما^٩ قدموا الغنائم للنار فلم تأكلها ،
عَلِمَ نبيهم صلى الله عليه و سلم أنها لم تقبل لغلول غلّوه ، فاستخرجه و وضعه
فيها فأكلها ، ففى ذلك الاستدلال بعدم أكل النار على عدم القبول - كما

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : انتفروها (٣ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ .

(٤) فى الأصل : يكبر ، وفى ظ : تكب - كذا (٥) فى ظ : اقدم (٦) سقط من

ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : هذه (٨) فى ظ : كما .

في قصة^١ ابني آدم ، وأن بني إسرائيل عذبوا بالمنع من بيت المقدس بآتيه ،
وقايل نفي من الأرض التي كان فيها مقتل^٢ أخيه ، وأن بني إسرائيل
تأهوا أربعين سنة^٣ على عدد^٤ الأيام التي غاب فيها نبقاؤهم^٥ في جس أخبار
الجبارة ، وأن قاييل حمل هايل بعد أن قتله أربعين يوما - ذكره البغوي
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : وقصده^٦ السباع فحمله على ظهره ه
أربعين يوما ، وكل هذه محسنات ، والعمدة هو الوجه الأول ، وأحسن
منه أن يكون الأمر لموسى عليه السلام عطفًا على النهي في " لاتأس^٧ " ،
والمعنى أن الأرض المقدسة مكتوبة لهم كما قدّمته أنت أول القصة
في قولك " التي كتب [الله -] لكم " فأنا مورثها لا محالة لابنائهم وأنت
متوف قبل دخولها ، وقد أجريت ستي في بني آدم بأنهم إذا / توطنوا ١٠ / ٤٨
واستراحوا^٨ تحاسدوا ، وإذا تحاسدوا تدابروا فقتل بعضهم بعضا ، فأنل
عليهم هذه القصة لتكون زاجرة لهم من أن يفعلوا ذلك إذا فرغوا من
الجبارة وأبادوهم و صفت لهم البلاد فتوطنوها ، وأخرجت^٩ لهم بركاتها
فأبطرتهم النعم ، ونسوا غوائل النقم ؛ ويكون ذلك وعظا لهذه الأمة
ومانعا من فعل مثل ذلك بعد إكمال دينهم و وفاة نبيهم وإظهارهم على الدين ١٥
كله ، كما تقدم به الوعد لهم فقهرروا العباد وفتحوا البلاد وانتشلوا كنوزها
(١) في ظ : يقتل (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : عدم (٤) في ظ :
لعاوهم - كذا (٥) في ظ : قصيدة (٦) من ظ ، وفي الأصل : تناس .
(٧) زيد من ظ و انقرآن الكريم (٨-٨) في ظ : توطنوا واسترحوا (٩) في
ظ : خرجت .

و تحكموا في أموالها ، ففسدوا ما كانوا فيه من القلة والحاجة^١ والذلة
فأبطرتهم النعم ، و ارتكبوا أفعال الأمم ، وأعرضوا عن غوائل النقم -
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد
والبغضاء ، ألا و البغضاء^٢ هي الخالقة ، لا أقول^٣ : تخلق الشعر ، ولكن تخلق
٥ الدين - أخرجه الترمذى و الإمام أحمد و أبو داود الطيالسى فى مسنديهما
و البزار^٤ - قال المنذرى : باسناد جيد - و البيهقى و قال : لا يزال الناس بخير
ما لم يتحاسدوا - رواه الطبرانى و رواه ثقات ، و ذكر الحافظ أبو الريح
ابن سالم الكلاعى فى القسم الثانى من سيرته فى فتح جلولاه^٥ من بلاد
فارس أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لما أرسل الغنيمة إلى عمر
١٠ رضى الله عنه أقسم عمر رضى الله عنه : لا يخبأها^٦ سقف بيت حتى^٧ تقسم !
فوضعت^٨ فى صحن المسجد ، فبات^٩ عبد الرحمن بن عوف و عبد الله بن
أرقم رضى الله عنهما يحرسانه ، فلما جاء الناس كشف عنه فنظر عمر
رضى الله عنه^{١٠} إلى ياقوته و زبرجدة و جوهرة فبكى ، فقال عبد الرحمن
رضى الله عنه^{١١} : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله إن هذا إلا موطن
١٥ شكر ! فقال عمر : والله ما ذاك يبكيه ، و تالله ما أعطى الله هذا قوما
إلا تحاسدوا و تباعدوا ، و لا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم .

شرح قصة ابنى^{١٢} آدم من التوراة ، قال المترجم فى أولها بعد قصة أكل آدم

(١) فى ظ : الحجة (٢ - ٢) فى ظ : هل لخالفة الاقوال - كذا (٣) زيدت
الواو بعده فى ظ (٤) فى ظ : حلولاً (٥) فى ظ : لا يبحثها (٦ - ٦) فى ظ : يقسم
فوقعت (٧) فى ظ : فبك (٨ - ٨) سقط ما بين الرقنين من ظ (٩) فى ظ : بنى .

عليه السلام من الشجرة ما نصه : فدعا آدم اسم امرأته حواء من أجل أنها كانت أم كل حي ، وصنع الرب لآدم وامرأته سرايل من الجلود و ألبسهما ، فأرسله الله من جنة عدن ليحرث^١ الأرض التي منها أخذ ، فأخرجه الله ربنا ، فجامع [آدم -^٢] امرأته حواء فحبلت^٣ وولدت قايين^٤ ، وقالت : لقد استفدت لله رجلا ، وعادت فولدت أخاه هابيل ، فكان هابيل^٥ راعي غنم ، و كان قايين^٦ يحرث الأرض ، فلما كان بعد أيام جاء قايين^٦ من ثمر أرضه بقربان لله ، و جاء هابيل أيضا من أبكار غنمه بقربان ، فسر الله بهابيل وقربانه ولم يسر بقايين^٦ وقربانه ، فساء ذلك قايين^٦ جدا^٧ وهم أن يسوءه وعبس وجهه ، فقال الرب لقايين^٨ : ما ساءك؟ ولم كسف وجهك؟ إن أحسنت تقبلت منك ، وإن لم تحسن فإن الخطيئة رابضة على^٩ الباب و أنت تقبل إليها وهي تسلط عليك ، فقال قايين^٦ لهابيل أخيه : تمشى بنا في البقعة ، فبينما هما يتمشيان في الحرث وثب قايين^٦ على أخيه هابيل فقتله ، فقال الله لقايين^٨ : أين هابيل أخوك؟ فقال : لا أدري ، أرقب أنا على أخي؟ قال الله : " ما ذا"^{١٠} فعلت ! فإن دم أخيك^{١١} ينادى لي من الأرض ، من الآن ملعون أنت من^{١٢} الأرض التي فتحت^{١٣} فاهما^{١٥}

(١) في ظ : ليخرب (٢) زيد من ظ و التوراة (٣) في ظ : لحملت (٤) في ظ : قابيل ، وما أثبتناه من الأصل هو ثابت في تراجم التوراة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) في ظ : بقايل (٧) في ظ : حسد (٨) في ظ : لقابيل . (٩) في ظ : كشف (١٠ - ١٠) في ظ : ما (١١) زيدت الواو بعده في ظ (١٢) من التوراة ، وفي الأصل و ظ : ثم (١٣) العبارة من هنا إلى « في الأرض » ساقطة من ظ .

فقبلت دم أخيك من يدك، فاذا أنت عملت في الأرض فانها لا تعود
تعطيك حراثتها، و تكون فزعا تائها في الأرض، فقال قايين^١ للرب :
عظمت / خطيئتي من أن تغفرها، وقد أخرجني اليوم عن وجه الأرض،
و أتوارى من قدامك وأكون فزعا تائها في الأرض، و كل من وجدني
ه يقتلني، فقال^٢ الله ربنا : كلا ! ولكن كذلك^٣ كل قاتل، وأما قايين^٤
فانه يجرى بدل الواحد سبعة، فخرج قايين^٥ من قدام الله فجلس في أرض
نود^٦ شرقى عدن - انتهى . قال البغوى عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم
بالكتاب الاول : إن آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة
فحملت فيها بقايل و توأمت^٧ - فذكر قصته في النكاح و قتله لأخيه و شرب
١٠ الأرض لدمه^٨ و قول قاييل لله - حين قال له : إنه قتله - : إن كنت قتله فأين
دمه؟ فحرم الله على الأرض يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا - انتهى .
ولما أخبر الله^٩ تعالى بأن أحدهما فعل معه من عدم القبول
ما غاظه، كان كأنه قيل : فما فعل حين غضب؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ أى
لأخيه الذى قبل قربانه حسدا له^{١٠} ﴿ لا تقتلك ﴾^{١١} فكأنه قيل : بما أجابه؟

(١) فى ظ : قاييل (٢) زيد بعده فى الأصل : الرب ، ولم تكن الزيادة فى ظ
لحذفها (٣) فى ظ : لذلك (٤ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (ه) من ظ
والتوراة ، وفى الأصل : بود (٦) وقع فى ظ : توأمية - خطأ ، و ذكر ابن حبان
أن حواء كانت تلد فى كل بطن ذكرا و أنثى ، وكان آدم يزوج ذكر هذا
البطن أنثى ذلك البطن ، وأنثى هذا ذكر ذلك ، ولا يحل للذكر نكاح توأمة -
راجع البحر المحيط ٣ / ٤٦١ (٧) سقط من ظ (٨ - ٨) فى ظ : وكأنه نزل
ثم - كذا .

فقيل : نبيه أولا على ما يصل به إلى رتبته ليزول حسده بأن ﴿ قال إنما يتقبل الله ﴾ أي يقبل قبولاً عظيماً المحيط لكل شيء قدرة و علماً الملك الذى له الكمال كله ، فليس هو محتاجاً^١ إلى شيء ، و كل شيء محتاج^٢ إليه ﴿ من المتقين ٥ ﴾ أي العريقين^٣ في وصف التقوى ، فلا معصية لهم يصرون عليها بشرك ولا غيره ، فعدوهم^٤ تقبل قربانك من نفسك لا منى ، فلم تقتلنى ؟ ٥ فقتلك^٥ لى مبعده^٦ لك عما حسدتنى عليه .

ولما وعظه بما يمنعه من قتله و يقبل به^٧ على خلاص نفسه ، أعله ثانياً أن الخوف من الله مَنَعَهُ من أن يمانعه عن نفسه مليناً^٨ لقلبه بما هو جدير أن يرده عنه خشية أن تجره الممانعة إلى تعدى الحد المأذون فيه ، لأن أخاه كان عاصياً لا مشركاً ، فقال مؤكداً بالقسم لأن مثل ما يخبر به عظيم ١٠ لا يكاد يصدق : ﴿ لئن بسطت الـ ﴾ أي خاصة ﴿ يدك لتقتلنى ﴾ أي لتوجد ذلك بأى وجه كان ، ثم بالغ في إعلامه بامتناعه من الممانعة فقال : ﴿ ما أنا ﴾ و أغرق في النفي^٩ فقال^{١٠} : ﴿ يباسط ﴾ أي أصلاً ، و قدم المفعول به تعميماً ، ثم خص المتعلق لمناسبة الحال فقال : ﴿ يدى اليك لاقتلك ج ﴾ أي فى أى^{١١} وقت من الأوقات ، و لعله^{١٢} [أى - ١٢] بالجملة^{١٣} ١٥ الاسمية^{١٤} المفيدة لنفى الثبات و الدوام أدباً مع الله فى عدم الحكم على

(١) فى ظ : محتاج (٢) فى ظ : يحتاج (٣) فى ظ : العريقين (٤) فى ظ : فتقدم .
(٥) فى ظ : و قتلك (٦) من ظ ، وفى الأصل : بعد (٧) فى ظ : هو (٨) فى ظ :
مبيناً (٩) فى ظ : السبى - كذا (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ ، وفى الأصل :
لعل (١٢) زيد من ظ ، أى بالجملة الفعلية (لاقتلك) (١٣) أى فى ضمن الجملة
الاسمية ، وفى الأصل : الجملة ، وقد سقط من ظ (١٤) فى ظ : بالاسمية .

المستقبل، ثم عله بقوله: ﴿ اِنِّىْ اَخَافُ اللهَ ﴾ أى أستحضر جميع ما أقدر على استحضاره من كماله، ثم وصفه بالإحسان إلى خلقه ليكون ذلك مانعاً له من الإساءة إلى أحد منهم فقال: ﴿ ربِّ العلِّينَ ۝ ﴾ أى الذى أنعم عليهم بنعمة الإيجاد ثم الترية، فأنا لا أريد أن أخرب ما بنى، هـ وهذا كما فعل عثمان رضى الله عنه .

ولما كان من النهايات للواصلين إلى حضرات القدس ومواطن
الانس بالله، المتمكنين فى درجة الغناء عن غير الفاعل المختار أن لا يراد
إلا ما يريد سبحانه، فإن كان^١ طاعة أراد^٢ العبد ورضيه، وإن كان
معصية أراد^٣ من حيث أنه مراد الله ولم يرضه^٤ لكونه معصية، فيرضى
١٠ بالقضاء دون المقضى، وكأنه^٥ من^٦ الممكن القريب أن يكون هائل قد كشف
له عن أنه سبق فى علم الله أن أخاه يقتله، قال مرهباً له معللاً بتعليل آخر
صاد^٧ له أيضاً عن الإقدام على القتل: ﴿ اِنِّىْ اَرِيدُ ﴾ أى بعدم^٨ الممانعة لك
﴿ اِن تَبَوَّأ ﴾ أى ترجع من قتلى إن قتلنى ﴿ بائسى ﴾ أى الإثم الذى
ينالك^٩ من أجل قتلك لى، وبعقوبته / الذى من جلته أنه^{١٠} يطرح عليك
١٥ من سينأتى بمقدار ما عليك من حق إذا لم تجد ما ترضينى به من الحسنات
﴿ واثمك ﴾ أى الذى لا سبب لى فيه، وهو الذى كان سبباً لرد
قربانك واجترائك على وعدوانك، وأفوز أنا بأجرى وأجرك، أى

/٥٠

(١) فى ظ: كانت (٢) فى ظ: ارادة (٣) من ظ، وفى الأصل: لم يرضيه (٤) من
ظ، وفى الأصل: كان (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: صادر (٧) فى ظ: بعد .
(٨) من ظ، وفى الأصل: ينال (٩) فى ظ: ان (١٠) العبارة من هنا إلى « أجرى
الذى، سقطت من ظ .

أجرى الذى لا سبب لك فيه و الأجر الذى أمره^١ استسلامى لك وكف^٢
يدى عنك (فتكون) أى أنت بسبب ذلك (من اصحب النار^٣) أى
الخالدين فيها جزاء^٤ لك لظلمك^٥ بوضعك القتل فى غير^٦ موضعه ، ثم بين
أن هذا يعم^٧ كل من فعل هذا الفعل فقال : (وذلك جزؤا الظلمين^٨)
أى الراشخين فى وصف الظلم كلهم ، و أكون أنا من أصحاب الجنة جزاء^٩
لى باحسانى فى إيثار حياتك على حياى ، وذلك جزاء المحسنين ، وهذا -
مثل تمنى الشهادة سوءا - ليس بمستلزم لإرادة المعصية من حيث كونها
معصية بارادة ظهور الكفار ، لما علم من^{١٠} أن النصر بيد الله ، فهو قادر
على نصر الباقي بعد استشهاد الشهيد .

و لما كان هذا الوعظ جديرا^{١١} بأن يكون سببا لطاعته و زاجرا له عن ١٠
معصيته ، بين تعالى أنه قسا قلبه فجعله سببا لإقدامه ، فقال - مينا بصيغة
التفعل ، إذ القتل لما جعل^{١٢} الله له من الحرمه و كسائه من الهية لا يقدم
عليه إلا بمعالجة كبيرة من النفس - : (فطوعت له) أى الذى لم يتقبل^{١٣}
منه (نفسه قتل أخيه) أى فعالجته^{١٤} معالجة كبيرة و شجعت ، و سهلت
له بما عندها من النفاسة على زعمها حتى غلبت على عقله فانطاع لها ١٥
و انقاد فأقدم عليه ؛ و تحقيق المعنى أن من تصور النهى^{١٥} عن الذنب
و العقاب عليه امتنع منه فكان فعله كالعاصي عليه ، و من استولت عليه
نفسه بأنواع الشبه فى تزينه صار فعله له^{١٦} و إقدامه عليه كالطبيع له

(١) زيد بعده فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ لخذفها (٢) فى ظ :
بظلمك (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : نعم (٥) فى ظ : جدير (٦) فى ظ : جعله .
(٧) فى ظ : لم يقتل (٨) فى ظ : فعالجته (٩) من ظ ، و فى الأصل : النهى .

الممكن من نفسه بعد أن كان عاصيا عليه نافرا عنه ، ثم سبب عن هذا التطويع قوله : ﴿ قتلته ﴾ و سبب عن القتل قوله : ﴿ فاصبح ﴾ أى فكان فى كل زمن ﴿ من النخسين ٥ ﴾ أى العريقين فى صفة الخسران بغضب الله عليه لاجترائه على إفساده^٢ مصنوعه ، و غضب أبناء جنسه عليه^٣ لاجترائه على أحدهم ، و عبر بالإصباح و المراد جميع الاوقات ، لأن الصباح محل توقع الارتياح^٤ ، قيل : إنه لم يدرك كيف يقتله ، فتصور له إبليس فى يده^٥ طائر فشدخ رأسه بحجر فقتله ، فاقتدى به قاييل ، فأنى هائل و هو نائم فشدخ رأسه بحجر .

ولما كان التقدير : ثم إنه^٦ لم يدرك ما^٧ يصنع به ، إذ^٨ كان أول ميت ١٠ فلم يكن الدفن معروفا ، سبب عنه قوله : ﴿ فبعث الله ﴾ [أى -^٩] الذى له كمال القدرة و العظمة و الحكمة ؛ ولما كان المعنى يحصل بالغراب الباحث فقط قال : ﴿ غرابا يبحث ﴾ أى يوجد البحث ، و هو التفتيش " فى التراب " بتلين مائراض منه و إزاحته من مكانه ليقى^{١٠} مكانه حوزة^{١١} خالية .

(١) فى ظ : العريقين (٢) فى ظ : افساد (٣) سقط من ظ (٤) فى الأصل : الارباح ، وفى ظ : الارواح - كذا ، وفى البحر المحيط ٣/ ٤٦٥ : قال ابن عطية : أقيم بعض الزمان مقام كله ، و خص الصباح بذلك لأنه بدء النهار و الانبعاث إلى الأمور و مظنة النشاط (٥) العبارة من هنا إلى « كان التقدير » ساقطة من ظ (٦) فى الأصل : يد - كذا (٧) فى ظ : لم (٨) فى ظ : اذا (٩) زيد من ظ . (١٠-١١) من ظ ، وفى الأصل : بالتراب (١١) من ظ ، وفى الأصل : ليقبض - كذا (١٢) فى ظ : جودة .

و لما كان البحث مطلق التفتيش، دل على ما ذكرته بقوله: ﴿ في الارض ﴾ ليوارى غرابا آخر مات؛ و لما كان الغراب سبب علم ابن آدم القاتل للدفن، كان كأنه بحث لاجل تعليمه فقال تعالى: ﴿ ليريه ﴾ أى الغراب يرى^١ ابن آدم، و يجوز أن يكون الضمير المستتر لله تعالى، و الاول أولى^٢ لتوقيفه على عجزه و جهله بأن الغراب أعلم منه و أقرب إلى الخير هـ ﴿ كيف يوارى ﴾ .

^٢ و لما كانت^٢ السوء واجبة الستر، وكان الميت يصير بعد موته كله سوء، قال منها على ذلك و على أنها / السبب في الدفن بالقصد الأول: ٥١ / ﴿ سوء ﴾ أى فضيحة ﴿ اخيه^٣ ﴾ أى أخى قايل و هو هابيل المقتول، و صيغة المفاعلة تفيد أن الجثة تريد أن يكون القاتل^٢ وراءها، و القاتل^٢ ١٠ يريد كون الجثة وراءه^٤، فيكونان بحيث لا يرى واحد منهما الآخر، و لعل بعث^٥ الغراب إشارة إلى غربة القاتل^٢ باستيحاش^٦ الناس منه و جعله مما ينفر عنه و يقتله كل من يقدر عليه، و من ثم سمي الغراب البين، و تشاءم به من يراه .

و لما كان كأنه قيل: إن هذا لعجب^٧، فما قال؟ قيل: ﴿ قال ﴾ ١٥ الكلمة التي تستعمل عند الداهية العظيمة لما نبهه ذلك، متعجبا^٨ متحيرا متلهفا عالما أن الغراب أعلم منه و أشفق، منكرا على نفسه ﴿ يوبلتي ﴾

(١) - قط من ظ (٢-٢) - سقط ما بين الرقمن من ظ (٣) في ظ: القايل (٤) في ظ: وراءها (٥) في ظ: بحث (٦) في ظ: باستيحاش - كذا (٧) في ظ: العجب (٨) في ظ: متفجعا .

أى أَحْضَرْنِي^١ يا ويل ! هذا^١ أو أنك أن^٢ لا يكون لى^٢ نديم غيرك ؛
ولما تفجع غاية الفجعة وتأسف كل الأسف ، أنكر على نفسه فقال :
(أَعْجَزْتُ) أى مع ما جعل لى من القوة القاطعة (ان اكون)
مع ما لى من الجوارح الصالحة^٣ لأعظم من ذلك (مثل هذا الغراب)
ه وقوله مسيئا عن ذلك : (فاوارى سوءة) أى عورة وفضيحة
(اخى ج) نَصَبَ عَظْفًا عَلَى " اكون " لا على جواب الاستفهام ، لأنه
إنكارى ؛ فعناه النفى ، لأنه لم تكن^٤ وقعت منه مواراة لينكر على^٥ نفسه
ويونجها بسببها ، ولو كانت وقعت لم يصح إنكارها على تقدير عدم العجز
الذى أفادته الهمزة (فاصبح) بسبب قتله (من الندمين) أى على
١٠ ما فعل ، لأنه فقد أخاه وأغضب ربه وأباه ، ولم يفده ذلك ما^٦ كان
سبب غيظه^٧ ، بل زاده بعدا ، وذكر أن آدم عليه السلام لما علم قتله
رثاه بشعر ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما رد ذلك ، وأن الأنبياء
عليهم السلام كلهم فى النهى عن الشعر سواء ، وقال صاحب الكشف :
وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر ، ولا تقتل^٨ نفس ظلما إلا
١٥ كان على ابن آدم هذا كفل من دمها بما سن ، رواه مسلم وغيره عن
عبد الله ، وكذا كل من سن سنة سيئة ، ولهذا قال عليه السلام : إن
أخوف ما أخاف على أمتى الأئمة المضلون ، وهذا لأن الآدمى

(١-١) فى ظ : تاويل فهذا (٢-٢) فى ظ : لا تكون الى (٣) من ظ ، وفى الأصل :
الصالحين (٤) من ظ ، وفى الأصل : انكار (٥) فى ظ : لم يكن (٦) سقط من ظ .
(٧) فى ظ : عطيه (٨) فى ظ : لا يقتل .

لنقصانه أسرع شيء إلى الاقتداء في النقص، وهذا ما لم يقب^١ الفاعل،
فاذا تاب أو كان غير متعمد للفعل كآدم عليه السلام لم يكن سائنا لذلك،
فلا شيء عليه ممن عمل بذلك .

[و لما علم بهذا - ٢] أن^٢ الإنسان موضع العجلة والإقدام على الموبقات
من غير تأمل، فكان أحوج شيء إلى نصب الزواجر، أتبعه تعالى قوله : هـ
(من اجل ذلك ج) أى من غاية الأمر الفاحش جدا [و - ٢] مدته
وعظم الأمر و شدة قبحه في نفسه وعند الله وصغره عند القاتل وحبسه
ومنه و 'جنايته و إثارته' و تهيجه و جرأة الإنسان على العظام بغير
تأمل (كتبنا) أى بما لنا من العظمة ليفيد ذلك عظمة المكتوب
والتنبيه على ما فيه من العجز* ليفيد الانزجار (على بنى اسرائيل) أى أعلنناهم
بما لنا من العناية بهم في التوراة التى كتبناها لهم، و يفهم ذلك أيضا أنهم
أشد الناس جرأة على القتل، ولذلك كانوا يقتلون الأنبياء، فأعلمهم الله
بما فيهم من التشديد، و لِمَا علم من الآدميين - لا سيما هم - من الجرأة عليه،
ليقيم عليهم بذلك الحجة على ما يتعارفونه بينهم، و يكف عن القتل من
سبقت^٣ له منه^٤ العناية بما يتصور من فظاعة القتل، / و قبح صورته و فحش ١٥ / ٥٢
أمره، و عبر بأداة الاستعلاء التى هى للتحتم من الوجوب^٥ و الحرمة،
لأن السياق للزجر، فهى تفهم المنع عن الإقدام على القتل في هذا المقام
(١) فى ظ : لم يبت - كذا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل : لأن .
(٤ - ٤) فى ظ : اجابته و إشارته (٥) فى ظ : الفحش (٦) فى ظ : كذلك .
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) فى ظ : الجواب (٩) فى ظ : المزجر .

(انه من قتل نفسا) أى من بنى آدم ، وكأنه أطلق تعظيما لهم إشارة إلى أن غيرهم جماد (بغير نفس) أى بغير أن تكون^١ قتل نفسا تستحق أن تقاد بها فاستباح قتلها لتلك النفس التى قتلها^٢ (او) قتلها [بغير -^٣] (فساد) وقع منها .

٥ ولما كانت الأرض - مع أنها فراشنا فهي محل التوليد و الترية و التنمية - دار الكدر ، وكان فساد من أفسد فراشه الموصوف - لا سيما وهو فى كدر - دالا على سوء جبلته ، وكان سوء الجبله موجبا للقتل ، قال : (فى الأرض) أى يبيح ذلك الفساد دمها كالشرك و الزنا بعد الإحصان و كل ما يبيح إراقة الدم ، وقد علم بهذا أن قصة ابني^٤ آدم مع شدة التحامها بما قبل توطئة لما بعد ، و تغليظ أمر القتل تقدم عن التوراة فى سورة البقرة ، و قوله : (فكانما قتل الناس جميعا^٥) من جملة الأدلة المبطله لما ادعوا من النبوة ، إذ معناه أن الناس شرع واحد من جهة نفوسهم متساوون فيها . كلهم أولاد آدم ، لا فضل لأحد منهم على آخر فى أصل تحريم القتل بغير ما ذكر من الموجب من قصاص أو فساد^٦ لا من ١٥ بنى إسرائيل ولا من^٧ غيرهم ، و ذلك كما قال تعالى فى ثاني^٨ النقوض " بل انتم بشر من خلق " فصار من قتل نفسا^٩ واحدة بغير ما ذكر

(١) فى ظ : يكون (٢) فى ظ : قبلها (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : و هى . (٥ - ٥) فى ظ : كدرة الا (٦) فى الأصل : سوء ، و فى ظ : لسوء - كذا . (٧ - ٧) من ظ ، و فى الأصل : قصى بنى (٨) زيدت الواو بعده فى ظ (٩) سقط من ظ (١٠) فى الأصل و ظ : فاني - كذا (١١) فى ظ : نفس .

فكأنما حمل إثم من قتل الناس جميعا ، لأن اجتراءه على ذلك أوجب
اجتراء غيره ، ومن سن سنة كان كفاعلها^١ ﴿ ومن أحيائها ﴾ أى بسبب
من الاسباب^٢ كعفو ، أو إنقاذ من هلكه كفرق^٣ ، أو مدافعة لمن يريد
أن يقتلها ظلما ﴿ فكأنما أحيى ﴾ أى بذلك^٤ الفعل الذى كان سببا للأحياء
﴿ الناس جميعا^٥ ﴾ أى بمثل ما تقدم فى القتل ، والآية دالة على تعليمه
سبحانه لعباده الحكمة ، لما يعلم من طباعهم التى خلقهم عليها ومن^٦
عواقب الأمور - لا على أنه يجب عليه - رعاية المصلحة ، وبما يحسن
إيراده ههنا^٧ ما ينسب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ،
ورأيت من ينسبه للشافعى^٨ رحمه الله تعالى^٩ :

- الناس من جهة التمثال^{١٠} أكفاء أبوه -مُ آدم والام حواء ١٠
نفس كنفس وأرواح^{١١} مشاكلة وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فان يكن لهم في أصلهم حسب يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى^{١٢} أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه وللرجال على الأفعال أسماء
و ضد كل امرئ ما كان يحمله والجاهلون لأهل العلم أعداء ١٥
فقر^{١٣} يعلم تعيش حيا^{١٤} به أبدا فالناس موتى وأهل العلم أحياء

(١) فى ظ : لفاعلها (٢-٢) فى ظ - وانقاد هلكه او غرق - كذا (٣) فى ظ :

ذلك (٤) فى ظ : لمن (٥) فى ظ : هنا (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) فى

ظ : التمثيل (٨) فى ظ : الارواح (٩) فى ظ : استشهدا (١٠-١٠) فى ظ :

نفسى جنا - كذا .

و لما أخبر سبحانه أنه كتب عليهم ذلك ، أتبعه حالا منهم دالة^١
 على أنهم بعيدون من أن^٢ يكونوا أبناء وأحباء فقال : ﴿ ولقد ﴾ أى
 والحال أنهم قد^٣ ﴿ جاءتهم رسلنا ﴾ أى على ما لهم من العظمة باضافتهم
 إلينا واختيارنا لهم لأن يأتوا عنا ، فهم لذلك أنصح الناس وأبعدهم عن
 ٥ الغرض وأجلهم وأجمعهم للكلمات^٤ وأرفعهم عن النقائص ، لأن كل
 رسول دال على مرسله / ﴿ بالبينت ﴾ أى الآيات الواضحة للعقل أنها من
 عندنا ، آمرة^٥ لهم بكل خير ، زاجرة عن كل ضرير^٦ ، لم تقتصر^٧ في
 التغليظ في ذلك على الكتاب بل وأرسلنا^٨ الرسل إليهم^٩ متواترة .

/ ٥٣

و لما كان وقوع^{١٠} الإسراف - وهو الإبعاد عن حد الاعتدال^{١١}
 ١٠ في الأمر منهم بعد ذلك - بعيدا^{١٢} ، عبر بأداة التراخي مؤكدا بأنواع التأكيد
 فقال : ﴿ ثم ان كثيرا منهم ﴾ أى بنى إسرائيل ، وبين شدة عتوهم
 باصرارهم خلفا بعد سلف فلم يثبت الجار فقال : ﴿ بعد ذلك ﴾ أى البيان
 العظيم والجزر البليغ بالرسول والكتاب ﴿ في الارض ﴾ أى التى هى^{١٣}
 مع كونها فراشا لهم - ويقبح على الإنسان أن يفسد فراشه - شاغلة^{١٤} - لما
 ١٥ فيها من عظام الكدورات وترادف القاذورات - عن الكفاف فضلا
 عن الإسراف ﴿ لمسرفون ٥ ﴾ أى عريقون^{١٥} في الإسراف بالقتل وغيره .

(١) في ظ : دالا (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : للكلمات (٤) في ظ : امرت .
 (٥-٥) في ظ : شر لم يقتصر - كذا (٦) في ظ : انزلنا (٧) في ظ : وقوف .
 (٨) في ظ : الاعتزال (٩) من ظ ، وفي الأصل : بعيد (١٠) في ظ : شاعه - كذا .
 (١١) في ظ : غريقون .

و لما كان هذا الإسراف بعد هذه الموانع محاربة^١ للناهي عنه ،
وكان تارة يكون بالقتل و تارة بغيره ، وكان ربما ظن أن عذاب القاتل
يكون بأكثر من القتل لكونه كمن قتل الناس جميعا ، وصل به سبحانه
قوله على طريق الحصر : ﴿ انما جزّوا ﴾ وكان الاصل : جزّوهم ، ولكن
أريد تعليق الحكم بالوصف و التعميم فقال : ﴿ الذين يحاربون الله ﴾ أى ه
الملك الأعظم الذى لا كفوء له ﴿ ورسوله ﴾ أى بمحاربة^٢ من نَهَيّا عن
محاربه بقطع الطريق و هم مسلمون ، و لهم منعة بمن^٣ أرادهم ، و يقصدون
المسلمين فى دمائهم و أموالهم سواء كانوا فى البلد أو خارجها .

و لما كان عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا ، أعلم أن هؤلاء
عباد الشيطان بقوله : ﴿ و يسعون فى الارض ﴾ و لما كان هذا ظاهرا^٤ ١٠
فى الفساد ، صرح به فى قوله : ﴿ فسادا ﴾ أى حال كونهم ذوى فساد ،
أو للفساد ، و يجوز أن يكون مصدرا ليسعون - على المعنى ؛ و لما كانت
أفعالهم مختلفة ، قسم عقوبتهم بحسبها فقال : ﴿ ان يقتلوا ﴾ أى إن كانت
جريمتهم القتل [فقط ، لأن القتل جزاؤه القتل - °] ، و زاد - لكونه^٥
فى قطع الطريق - صيرورته حتما لا يصح العفو عنه ﴿ او يصلبوا ﴾ أى ١٥
مع القتل إن ضموا^٦ إلى القتل أخذ المال ، بأن يرفع المصلوب على جذع ،
و منهم من قال : يكون ذلك و هو حيّ ، فحينئذ^٧ تمد يده^٨ مع الجذع ،
و الاصح عند الشافعية أنه يقتل و يصلى عليه ثم يرفع على الجذع زمنا يشيع
خبره فيه لينزجر غيره ، و لا يزداد على ثلاثة أيام ﴿ او تقطع ايديهم ﴾

(١) فى ظ : محاربه (٢) فى ظ : محاربة (٣) فى ظ : من (٤) فى ظ : ظاهر (هـ) زيد
من ظ (٦) فى ظ : بكونه (٧) فى ظ : ضمّنوا (٨-٨) فى ظ : بمرتده - كذا .

أى اليمنى بأخذهم المال من غير قتل ﴿ وارجلهم ﴾ أى اليسرى لإخافة السيل . وهذا معنى قوله : ﴿ من خلاف ﴾ أى إن كانت الجريمة أخذ المال فقط ﴿ او ينفوا من الارض ^١ ﴾ أى بالإخافة و الإزعاج إن لم يقعوا في قبضة الإمام ليكونوا منتقلين من بلد إلى آخر ^٢ ذعرا و خوفا ، و بالحبس ٥ إن وقعوا في القبضة ، وكانوا ^٣ قد كثروا سواد المحاربين و ما قتلوا ، ولا أخذوا مالا ﴿ ذلك ﴾ أى النكل الشديد المفصل إلى ما ذكر ﴿ لهم ﴾ أى خاصا بهم ﴿ خزى ﴾ أى إهانة و ذل ^٤ بإيقاعه بهم ﴿ فى الدنيا ﴾ أى ليرتدع بهم غيرهم ﴿ و لهم ﴾ أى ^٥ إن لم يتوبوا ﴿ فى الآخرة ﴾ أى التى هى موطن الفصل ^٦ باظهار العدل ﴿ عذاب عظيم ^٧ ﴾ أى هو بحيث ١٠ لا يدخل تحت معارفكم أكثر من وصفه بالعظم .

ولما كان التعبير بـ " انما " يدل بنحتم ^٨ الجزاء على هذا الوجه ، استثنى من المعاقبين هذه العقوبة بقوله : ﴿ الا الذين / تابوا ﴾ أى رجعوا عما كانوا عليه من المحاربة خوفا من الله تعالى ، ولذا قال : ﴿ من قبل ﴾ وأثبت الجار إشارة إلى ^٩ القبول وإن طال زمن المعصية وقصر زمن التوبة ١٥ ﴿ ان تقدرؤا عليهم ج ﴾ أى فان ^{١٠} نحتم ^{١١} الجزاء المذكور يسقط ، فلا يجازون ^{١٢} على ما يتعلق بحقوق الآدمى إلا إذا طلب صاحب الحق ،

- (١) فى ظ : لم ينفوا (٢) من ظ ، وفى الأصل : اخرى (٣) من ظ ، وفى الأصل : كان (٤) فى ظ : لا قتلوا (٥) فى ظ : ذلك (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : الفضل (٨) فى ظ : تحتم (٩) زيد بعده فى ظ : ان (١٠) فى ظ : بان . (١١) من ظ ، وفى الأصل : يحتم (١٢) فى ظ : فلا يجاوزون .

فان عفا كان له ذلك ، وأما حق الله تعالى فانه يسقط ، و 'إلى هذا'
 الإشارة أيضا بقوله تعالى : ﴿ فاعلموا ان الله ﴾ أى على ما له من صفات
 العظمة ﴿ غفور رحيم ﴾ أى صفته^٢ ذلك أزلا وأبدا ، فهو يفعل منه ما يشاء
 لمن يشاء ، و أفهمت الآية أن التوبة بعد^٣ القدرة لا تسقط شيئا من الحدود .
 و لما ذكر تعالى حكمهم^٤ عند التوبة ، و ختم الآية بما يناسب من الغفران^٥
 و الرحمة ، و كان ذلك ربما كان^٦ جزاء^٧ من لم يرسخ قدمه فى الدين على جنبه
 المتعالى ، أتبع ذلك الأمر بالتقوى و جهاد كل من أفسد بقطع الطريق
 أو الكفر أو غيره فقال على وجه الاستنتاج مما قبله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾
 أى وجد منهم الإقرار بالإيمان ﴿ اتقوا الله ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين ما سمعتم
 من وعيده للفسدين وقاية تصديقا لما أقرتم^٨ به ، لما له سبحانه من العظمة^٩
 التى هى جديرة بأن تخشى و ترجى لجمعها الجلال و الإكرام .
 و لما كانت مجامع التكليف منحصرة فى تحل^{١٠} من فضائح المنهيات
 و تحلل^{١١} بملابس المأمورات ، و قدم الأول لأنه^{١٢} من دره المفاسد ، أتبعه
 الثانى فقال : ﴿ وابتغوا ﴾ أى اطلبوا طلبا شديدا ﴿ إليه ﴾ أى خاصة^{١٣}
 ﴿ الوسيلة ﴾ أى التقرب بكل ما يوصل إليه من طاعته ، و لا تيأسوا^{١٤}
 و إن عظمت ذنوبكم لأنه^{١٥} غفور رحيم .

و لما كان سبحانه قد قدم أوامر و نواهي ، و كان الاستقراء

(١ - ١) فى ظ : بهذا (٢) فى ظ : صفة (٣) فى ظ : حد (٤) فى ظ : حملهم .

(٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : حرى - كذا (٧) فى ظ : قررت (٨) فى ظ :

يجلى - كذا (٩) تكرر فى الأصل (١٠) فى ظ : لانى .

قد أبان^١ الناس عند الأمر والنهي بين^٢ مقبل ومعرض ، وكان قد أمر
المقبل بجهاد المعرض ، وكان للجهد^٣ - بما له من عظيم النفع وفيه من
المشقة - مزيد^٤ خصوصية ، أفرد بالذكر تأكيداً لما مضى منه وإعلاماً بأنه
للعاصي مطلقاً سواء كان بالكفر أو بغيره فقال : ﴿ وجاهدوا في سبيله ﴾
٥ أي لتكون كلمته هي العليا ﴿ لعلمكم تفلحون ه ﴾ أي لتكون^٥ حالكم
حال من يرجي نيله لكل ما يطلبه ، وهذا شامل^٦ لكل أمر بمعروف ونهي
٦ عن منكر^٦ في أعلى درجاته وأدناها .

[و لما - ٧] كان ترك هذه الأوصاف الثلاثة : التقوى و طلب الوسيلة
والجهاد مزيداً للوصف الأول وهو الإيمان ، ناسب كل المناسبة تحذيراً
١٠ من تركها ذكر^٧ حال الكفار وأنه لا تنفعهم^٨ وسيلة في تلك الدار فقال
معللاً لما قبله : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أي بترك ما في الآية السابقة ، ورتب
الجزاء على الماضي زيادة في التحذير ﴿ لو ان لهم ما في الارض ﴾ وأكد
ما أفهمه الكلام من استغراق الظرف والمظروف فقال : ﴿ جميعاً ﴾ أي
بما كان يطلب منهم شيء يسير جداً منه ، وهو الإذعان بتصديق الجنان
١٥ و إتيان الفضل من المال ، وزاد الأمرهولاً بقوله : ﴿ ومثله ﴾ ولما كان
لدفع الفداء جملة ما ليس له مفرقاً قال : ﴿ معه ﴾ .

ولما كان المقصود تحقير ذلك بالنسبة إلى عظمة يوم التغابن وإن كان

(١) في ظ : ان (٢) تكرر في الأصل (٣) من ظ ، وفي الأصل : الجهاد (٤) في
ظ : ليكون (٥) في ظ : شاربل - كذا (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٧) زيد من ظ (٨) في ظ : لا ينفعهم .

عند^١ الكفار الذين جعلوا غاية أمرهم الحياة الدنيا أعظم ما يكون، و الإفهام بأن المراد بالمثل / الجنس ليشمل ما عساه^٢ أن يفرض من الأمثال، ٥٥ / أعاد الضمير على هذين الشئيين على كثرتها وعظمتها مفردا^٣، فقال معبرا بالمضارع الدال على تجديد الرغبة في المسألة على سبيل الاستمرار و^٤ لأن السياق^٥ للتصنيف بالكفر والمحاربة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ٥ والسعى في الأرض بالفساد، ولذلك صرح بنى القبول على الهيئة الآتية : ﴿ ليفتدوا به ﴾ أى يحددوا الافتداء فى كل لحظة ، أى^٦ بما ذكر ﴿ من عذاب يوم القيامة ﴾ .

ولما كان المراد تهويل الأمر برده، وكان ذلك يحصل بغير تعيين الراد، قال : ﴿ ما تقبل منهم^٧ ﴾ بالبناء للفعول ، أى على حالة من ١٠ الحالات وعلى يد من^٨ كان ، لأن المدفوع إليه ذلك تام القدرة وله الغنى المطلق .

ولما كان من النفوس ما^٩ هو سافل^{١٠} لا ينسب إليه الرد^{١١}، وكان الرد^{١٢} لأجل إمضاء المعد من العذاب ، قال مصرحا بالمقصود : ﴿ ولهم ﴾ أى بعد ذلك ﴿ عذاب اليم^{١٣} ﴾ أى بالغ الإيذاء بما أرجعوا أولياء الله بسترهم^{١٤} ١٥ لما أظهروا من شمس^{١٥} البيان ، و انتهكوا من حرمان الملك الديان . ثم علل

(١) فى ظ : غير (٢) من ظ ، وفى الأصل : سناه - كذا (٣) فى ظ : منفردا .

(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : المساق (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) فى

ظ : من (٨ - ٨) فى ظ : لا يعليه الراد (٩) فى ظ : الراد (١٠) من ظ ، وفى

الأصل : بستر لهم (١١) من ظ ، وفى الأصل : شمول .

شدة إيلامه بدوامه فقال: ﴿ يريدون ان يخرجوا ﴾ أى يكون لهم خروج فى وقت ما إذا رفعهم اللهب^١ إلى أن يكاد أن يلقيهم خارجا ﴿ من النار ﴾ ثم نفى خروجهم على وجه التأكيد الشديد فقال: ﴿ وما هم ﴾ وأغرق فى النفي^٢ بالجار واسم الفاعل فقال^٣: ﴿ بـجـرجـين منها^٤ ﴾
 ٥ أى ما ثبت لهم خروج أصلا ، ولعله عبر فى النفي بالاسمية إشارة إلى أنه يتجدد لهم الخروج^٥ من الحرور إلى الزمهرير ، فان سعى أحد ذلك خروجا فهو غير مرادهم^٦ .

ولما كان المعذبون فى دار ربما دام لهم المكث فيها و انقطع عنهم^٧ العذاب قال: ﴿ ولهم^٨ ﴾ أى خاصة دون عصاة المؤمنين ﴿ عذاب ﴾
 ١٠ أى تارة بالحر وتارة بالبرد وتارة بغيرهما ، دائم الإقامة لا يرح ولا يتغير ﴿ مقيم^٩ ﴾ .

ولما كانت السرقة من جملة المحاربة والسعى بالفساد ، و كان فاعلها غير متق ولا متوسل ، عقب بها فقال: ﴿ والسارق ﴾ الآخذ لما هو فى حرز خفية لكونه لا يستحقه ﴿ والسارقة ﴾ أى كذلك^{١٠} ؛ و لما كان التقدير :
 ١٥ وهما مفسدان ، أو حكهما فيما يتلى عليكم ، سبب عنه قوله : ﴿ فاقطعوا ﴾ و"ال^{١١}" - قال المبرد - للتعريف^{١٢} بمعنى : الذى ، و الفاء^{١٣} للسبب كقولك^{١٤} :

(١) فى ظ : الكذب (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣ - ٣) تأخر فى ظ عن « العذاب قال » (٤) زيد بعده فى ظ : من الخروج (٥) من ظ ، وفى الأصل : مراد (٦) فى ظ : عندهم (٧ - ٧) تأخر فى ظ عن « عصاة المؤمنين » .
 (٨) فى ظ : لذلك (٩ - ٩) فى ظ : مفسدون و (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ : التعريف (١٢ - ١٢) فى ظ : سبب كقوله .

الذى 'يأتينى فله كذا كذا درهم' ﴿أيديهما﴾ أى 'الأيامن من' الكوع
 إذا كان^٢ المأخوذ ربع دينار فصاعدا من حرز مثله من غير شبهة له فيه
 - كما بين جميع ذلك النبي^٣ صلى الله عليه وسلم - ويرد مع^٤ القطع ما سرقه ؛
 ثم علل ذلك بقوله : ﴿جزآء بما كسبآ﴾ أى فعلا من ذلك ، وإدالته^٥
 على أدنى وجوه السرقة وقاية للال وهوانا لها للخيانة ، وديتها إذا ه
 قطعت فى غير حقها خمسمائة دينار وقاية للنفس من غير أن ترخصها
 الخيانة ، ثم علل هذا الجزاء بقوله : ﴿نكالا﴾ أى منعا لها كما يمنع
 القيد ﴿من الله^٦﴾ أى الذى له جميع العظمة فهو المرهوب لكل مرهوب ،
 وأعاد الاسم الأعظم تعظيما للأمر فقال : ﴿والله﴾ أى الذى له جميع
 صفات الكمال ﴿عزيز﴾ أى^٧ فى انتقامه فلا يغالبه شيء ﴿حكيم﴾ ١٠
 أى بالغ الحكم والحكمة فى شرائعه ، فلا يستطيع الامتناع من سطوته
 ولا نقض شيء يفعله ، لأنه يضعه فى أتقن مواضعه .

ولما ختم بوصفى^٨ العزة والحكمة^٩ ، سبب عنها / قوله :
 ﴿فن تاب﴾ أى ندم وأقنع ، و دل على كرمه بالقبول فى أى وقت وقعت
 التوبة فيه ولو طال زمن المعصية باثبات الجار فقال : ﴿من بعد﴾ و عدل ١٥
 عن أن يقول "سرقته" إلى ﴿ظلمه﴾ تعميما للحكم فى كل ظلم ،
 فشملا^{١٠} ذلك فعل طعمة وما ذكر بعده مما تقدم فى النساء وغير ذلك

(١ - ١) سقط ما بين الرقمن من ظ (٢ - ٢) فى ظ : الأيامين مظن (٣) سقط
 من ظ (٤) فى ظ : بالنبي (٥) من ظ ، وفى الأصل : ما (٦) فى الأصل : لذته ،
 وفى ظ : أو الوليمة - كذا (٧ - ٧) فى ظ : الحكمة والعزة (٧) فى ظ : شمل .

من كل ما يسمى ظلماً ﴿ واصلح ﴾ أى أوجد الإصلاح و أوقعه برذ
الظلامه و الثبات على الإفلاع ﴿ فان الله ﴾ أى بما له من كمال العظمه
﴿ يتوب عليه ١ ﴾ أى يقبل توبته و يرجع به إلى أتم ٢ ما كان ٣ عليه
قبل الظلم من سقوط عذاب ٤ الآخرة دون عقاب الدنيا ، رحمة من الله
٥ له و رقفاً به و بمن ظلمه و عدلا بينهما ، لا يقدر أحد أن يمنعه من ذلك
و لا يحول بينه و بينه لحظة ما ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى
له الكمال كله أزلا و أبداً ﴿ غفور رحيم ٥ ﴾ أى بالغ المغفرة و الرحمة ،
لا مانع له من ذلك و لا من شيء منه ٥ و لا من شيء ٥ يريد فعله ، بل هو
فعال لما يريد ، و الآية معطوفة على آية المحاربين ، وإنما فصل بينهما بما
١٠ تقدم ٦ لما ذكر من العلة الطالبة لمزيد العناية به ٤ .

ولما كان معنى ذلك أنه لا اعتراض عليه سبحانه فى شيء من ذلك
و لا مانع ، لأن قدرته تامة ، ليس هو كمن يشاهد من الملوك الذين ربما
يعجزون من اعتراض أتباعهم و رعاياهم عن تقريب بعض ما لم يباشروا
و إبعاد بعض من لم يباشروا إحساناً ، فكيف بغير ذلك ! قال تعالى مقررًا
١٥ لذلك بتفرده فى الملك : ﴿ الم تعلم ان الله ﴾ [أى - ٢] الذى له جميع
العز ﴿ له ملك السموات ﴾ أى على علوها ٥ و ارتفاع سمكها ٥ و انقطاع
أسباب ما دونها منها ﴿ و الارض ١ ﴾ أى أن الملك خالص له عن
جميع الشوائب .

(١) فى ظ : ترجع (٢-٢) فى ظ : مكان (٣) فى ظ : عقاب (٤) سقط من ظ .
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) زيد
من ظ .

ولما كان إيقاع النقمة أدل على القدرة ، وكان السياق لها لما تقدم من خيانة أهل الكتاب و كفرهم وقصة ابني آدم والسرقة والمخاربة وغير ذلك ، قدم قوله [معللا لفعل ما يشاء بتام الملك لا بغيره من رعاية لمصالح أو غيرها - ١] : ﴿ يعذب من يشاء ﴾ أى من بنى إسرائيل الذين ادعوا البتوة والمحبة وغيرهم^٢ وإن كان مطيعا ، أى له فعل ذلك ، لأنه لا يقيح^٥ منه شيء. ﴿ ويغفر لمن يشاء^٤ ﴾ أى وإن كان عمله موبقا ، لأنه لا يتصور منه ظلم ولا يسوغ^٣ عليه اعتراض .

ولما كان التقدير : لأنه قادر على ذلك ، عطف عليه قوله : ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل كمال ﴿ على كل شيء ﴾ [أى شيء - ١] ﴿ قديره ﴾ أى ليس هو كغيره من الملوك الذين قد يعجز أحدهم عن ١٠ تقريب ابنه وتبعد أعدى عدوه ، وهذه القضية الضرورية ختم بها ما دعت المناسبة إلى ذكره من الأحكام ، وكرّرها على أتم انتظام إلى أوائل نقوض دعواهم^٣ فى قوله^٢ ” بل اتم بشر من خلق “ - الآية .

ولما تقرر ذلك ، كان من غير شك علّة لعدم الحزن على شيء من أمرهم ولامن أمر غيرهم بمن عصى شيئا من هذه الأحكام ، كما قال ١٥ تعالى ” ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتب من قبل ان نبرأها - إلى أن قال : لكيلا تأسوا على ما فاتكم^٥ “ ، فقله : - ﴿ بآياتها الرسول ﴾ أى المبلغ لما أرسل به - معلول لما قبله^١ ، وأدل دليل

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : أى (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ .

(٤) من ظ ، وفى الأصل : بقوله (٥) سورة ٥٧ آية ٢٢ و ٢٣ .

على ذلك قوله تعالى " ومن يرد الله فتنه فلا تملك له من الله شيئا " (لا يحزنك) أى لا يوقع عندك شيئا من الحزن صنع (الذين يسارعون في الكفر) / أى يفعلون في إسراعهم في الوقوع فيه غاية الإسرع فعل من يسابق غيره ، و في تبيينهم بالمناققين و أهل الكتاب ه بشاره باتمام النعمة على العرب بدوام إسلامهم و نصرهم عليهم ، و قدم أسوأ القسمين فقال : (من الذين قالوا آمنا) .

و لما كان الكلام هو النفسى ، أخرجه بتقييده بقوله : (بافواههم) معبرا لكونهم منافقين بما منه ما هو أبعد عن القلب من اللسان ، فهم إلى الحيوان أقرب منهم إلى الإنسان ، وزاد ذلك بيانا بقوله : ١٠ (ولم تؤمن قلوبهم) .

و لما بين المسارعين بالمناققين ، عطف عليهم قسما آخرهم أشد الناس مؤاخاة لهم فقال : (و من الذين هادوا) أى الذين عرفوا قلوبهم و كفرت ألسنتهم تبعا لمخالفة قلوبهم لما تعرف عنادا و طغيانا ، ثم أخبر عنهم بقوله : (سَمْعُون) أى متقبلون غاية التقبل بغاية الرغبة ١٥ (للكذب) أى من قوم من المنافقين يأتونك فينقلون عنك الكذب (سَمْعُون لِقَوْمٍ آخَرِينَ) أى الصدق ، ثم وصفهم بقوله : (لم يأتوك) أى لعل ، و ذكر الضمير لإرادة الكلام ، لأن المقصود بغض على

(١) في ظ : فاتهم (٢) من ظ ، وفي الأصل : على (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) في ظ : الذين عرفنا (٥) في ظ : متقبلون (٦) في ظ : القلب (٧) في الأصل : لعل - كذا (٨) في الأصل : لانه - كذا .

ففاقهم^١ (يحرفون الكلم) أى الذى^٢ يسمعونك على وجهه^٣ فيبالغون
 فى تغييره وإمالاته بعد أن يقيسوا^٤ المعنيين: المغير والمغير إليه، واللفظين
 فلا يبعدوا به، بل يأخذون بالكلم عن حده و طرفه إلى حد آخر قريب
 منه جدا، ولذلك أثبت الجار فقال: (من بعد) أى يثبتون الإمالة
 من مكان قريب من^٥ (مواضعه ج) أى^٦ النازلة عن رتبته بأن^٧ يتأولوه^٨
 على غير تأويله، أو يثبتوا^٩ ألفاظا غير ألفاظه قريبة منها، فلا يبعد^{١٠} منها
 المعنى جدا، وهذا أدق^{١١} 'مكرا' فى النساء، وهو من الحرف وهو الحد
 والطرف، وانحرف عن الشيء: مال عنه، قال الصغاني: والتحريف
 الكلام عن مواضعه: تغييره، وقال أبو عبد الله القزاز: والتحريف
 التفعيل، من: انحرف عن الشيء - إذا مال، فعنى^{١٢} حرفت الكلام: أزلته^{١٣}
 عن حقيقة ما كان عليه فى المعنى، وأبقيت^{١٤} له شبه اللفظ، ومنه قوله
 تعالى "يحرفون [الكلم]" - "١٥"، وذلك أن اليهود كانت تغير معانى التوراة
 بالأشباه، وفى الحديث « بساط^{١٦} عليهم طاعون يحرف القلوب » أى يغيرها
 عن التوكل ويدعوهم^{١٧} إلى الانتقال عن تلك البلاد، وحكى: حرفته عن
 جهته - أى بالتخفيف - مثل: حرفته، والمحارقة: المقايسة، من المحراف وهو^{١٨}

- (١) العبارة من « اعله » إلى هنا - اقطعة من ظ (٢) فى ظ: الذين (٣) فى ظ:
 وجهة (٤) فى ظ: تغتسوا (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: بل (٧) فى ظ: يثبتوا.
 (٨) من ظ، وفى الأصل: فلا تبعد (٩-١٠) فى ظ: مسكرهما (١٠) من ظ،
 وفى الأصل: بمعنى (١١) فى ظ: ايقنت (١٢) زيد من ظ (١٣) فى ظ: تسلط.
 (١٤) من ظ، وفى الأصل: يدعوها.

الميل الذى يقاس به الجراح - انتهى . فالآية من الاحتباك : حذف منها أولا الإتيان وأثبت عدمه ثانياً للدلالة عليه ، وحذف منها ثانياً الصدق ودل عليه باثبات ضده - الكذب - فى الأولى .

ولما كان كأنه قيل : ما غرضهم باثبات الكذب و تحريف الصدق ؟
 ه قال : ﴿ يقولون ﴾ أى لمن يوافقهم ﴿ ان اوتيتهم ﴾ أى من أى مؤت كان ﴿ هذا ﴾ أى المكذوب و المحرف ﴿ نخذره ﴾ أى اعملوا به ﴿ وان لم تؤتوه ﴾ أى بأن اوتيتهم غيره أو سكت عنكم ﴿ فاحذروا^١ ﴾ أى بأن تؤتوا غيره فقبلوه .

ولما كان التقدير : فأولئك الذين أراد الله فتنهم ، عطف عليه قوله :
 ١٠ / ٥٨ ﴿ ومن يرد / الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ فتنه ﴾ أى أن يحل به ما يميله عن وجه سعاده بالكفر حقيقة أو مجازاً ﴿ فلن تملك له من الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له ﴿ شيئاً ﴾ أى من الإسعاد ، وإذا لم تملك ذلك^٢ أنت و أنت أقرب الخلق^٣ إلى الله فمن يملكه^٤ ؟

ولما كان هذا ، أنتج لا محالة قوله : ﴿ أولئك ﴾ أى البعداء من الهدى ١٥ ﴿ الذين لم يرد الله ﴾ أى وهو الذى لا راد لما يريد و لا فاعل لما يرد^٥ ، فهذه أشد الآيات على المعتزلة ﴿ ان يطهر قلوبهم^٦ ﴾ أى بالإيمان^٧ ، والجملة كالعلة لقوله ” فلن تملك له من الله شيئاً “ ، ولما ثبت^٨

(١) فى ظ : بايتا - كذا (٢) من ظ ، وفى الأصل : من (٣) سقط من ظ .

(٤) من ظ ، وفى الأصل : الحق (٥) فى ظ : يملك (٦) فى الأصل وظ : يريده .

(٧) فى ظ : اثبت .

أن قلوبهم نجسة ، أنتج ذلك قوله : ﴿ لهم في الدنيا خزي طبع ﴾ أى بالذل والهوان ، أما المناقون فبإظهار الأسرار والفضائح الكبار وخوفهم من الدمار^١ ، وأما اليهود فبيان أنهم حرفوا وبدلوا وضرب الجزية عليهم وغير ذلك من الصغار ﴿ ولهم في الآخرة ﴾ التى من خسرها^٢ فلا ربح له بوجه ما^٣ ﴿ عذاب عظيم ٥ ﴾ أى لعظيم ما ارتكبه من هذه ٥ المعاصي المتضاعفة^٤ .

ولما ذكر التحريف ، ذكر أثره وهو الحكم به فقال مكررا لوصفهم زيادة في توبيخهم^٥ وتقييح شأنهم : ﴿ سمعون ﴾ أى هم في غاية الشهوة والانهماك في سماعهم^٦ [ذلك - ٦] ﴿ للكذب اكلون ﴾ أى على وجه المبالغة ﴿ للسحت ٧ ﴾ أى الحرام الذى يسحت البركة أى يستأصلها ، وهو ١٠ كل ما لا يحل كسبه ، وذلك أخذهم الرشى^٨ ليحكموا بالباطل على نحو ما حرفوه وغيره من كلام الله ، قال الشيخ أبو العباس المرسى : ومن آثر من الفقراء السماع لهواه ، وأكل ما حرمة مولاه ، فقد استهوت^٩ نزعة يهودية ، فان القوال^{١٠} يذكر^{١١} العشق و^{١٢} المحبة والوجد^{١٣} وما عنده منها شئ .

ولما كانوا قد يأخذون الرشوة ولا يقدررون على إبرام الحكم بما ١٥ أرادوه ، فيطمعون فى أن يفعلوا ذلك بواسطة ترافعهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فيترافعون إليه ، فان حكم بينهم بما أرادوا قبلوه واحتجوا به على

(١) فى ظ : الدما - كذا (٢) فى ظ : خسرها فيها (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : المتعاصفة (٥) فى ظ : توضيحيهم (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : الربا (٨) فى ظ : القول (٩) تكرر فى الأصل (١٠ - ١١) فى ظ : الوجد والمحبة .

مَنْ لعله يخالفهم ، وإن حكم بما لم يريدوه قالوا : ليس هذا في ديننا - طمعا
في أن يخليهم فلا يلزمهم بما حكم ؛ أعله الله تعالى بما يفعل في أمرهم ،
وحذره غوائل مكرهم ، فقال مفوضا الخيرة إليه في أمر المعاهدين إلى مدة
- وأما أهل الجزية فيجب الحكم بينهم إذا ترفعوا إلى حاكمنا - مسيا عن
٥ أكلهم الحرام وسماعهم الكذب : ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ أى 'طمعا في أن
تؤتيهم ما حرفوا إليه الكلم' ﴿فاحكم بينهم﴾ أى إن شئت بما أنزل الله
عليك^٢ من الحق ﴿أو اعرض عنهم﴾ أى كذلك^٣ .

ولما كان قوله : ﴿وإن﴾ دالا بعطفه على غير معطوف عليه أن
التقدير : فإن حكمت بينهم^٤ لم ينفعوك شيئا لإقبالك عليهم ، قال : وإن
١٠ ﴿تعرض عنهم﴾ أى الكفرة [كلهم - ٦] من المصارحين والمنافقين
﴿فلن بضروك شيئا^٥﴾ أى لإعراضك عنهم واستهاتك^٦ بهم .

ولما كان هذا التخيير^٧ غير مراد الظاهر في جواز الحكم بينهم عند
الترافع إلينا وعدمه ، بل معناه عدم المبالاة بهم ، أعرض عنهم أولا ،
فحقيقته بيان العاقبة على تقديرى الفعل والترك ، علّمه^٨ كيف يحكم بينهم ،
١٥ فقال عاطفا على ما قدرته : ﴿وإن حكمت﴾ أى فيهم ﴿فاحكم﴾
/ أى أوقع الحكم^٩ ﴿بينهم بالقسط^{١٠}﴾ أى العدل الذى أراكه الله - على أن
/ ٥٩

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢-٢) تأخر في ظ عن « فاحكم بينهم » .
(٣) سقط من ظ (٤) في ظ : لذلك (٥) زبدت الواو بعده في ظ (٦) زيد من
ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : استهانة (٨) في ظ : التحذير (٩) من ظ ، وفي
الأصل : علم .

الآية ليست في أهل الذمة ، والحكم في ترفع الكفار إلينا أنه إن كان منهم أو من أحدهم التزام لاحكامنا أم^١ منا التزام للذب^٢ عنهم وجب ، لقوله تعالى " فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم " وإلا لم يجب ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ يحب المقسطين ٥ ﴾ أى الفاعلين للعدل سوى من غير حيف أصلا . ٥ ولما كان التقدير : فكيف يحكمونك^٣ وهم يكذبونك ويدعون أنك مبطل ، عطف عليه قوله معجبا منهم موبخا لهم : ﴿ وكيف يحكمونك ﴾ أى فى شيء من الاشياء ﴿ وعندهم ﴾ أى والحال أنه عندهم ﴿ التوراة ﴾ ثم استأنف قوله : ﴿ فيها حكم الله ﴾ أى الذى لا يدانى عظمتة عظمته ، وهو الذى كان مقررا فى شرعهم أنه لا يسوغ خلافه ، فان كانوا يعتقدون ذلك ١٠ إلى الآن لم يحز لهم العدول إليك على زعمهم ، وإن كانوا لا يعتقدونه ويعتقدون أن حكمك هو الحق ولم يؤمنوا بك كانوا قد آمنوا ببعض وكفروا ببعض .

ولما كان الإعراض عن حكمه سبحانه عظيما ، وكان وقوعه ممن يدعى أنه مؤمن به بعيدا عظيما شديدا ، قال : ﴿ ثم يتولون ﴾ أى ١٥ يكلفون أنفسهم الإعراض عنه سواء تأيد بحكمك به أو لا لأجل الأعراض الديوية ؛ ولما كان المراد بالحكم الجنس ، وكانوا يفعلون^٤ بعض أحكامها

(١) فى ظ : او (٢) فى ظ : للكذب (٣) فى ظ : يحكون - كذا (٤) سقط من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرئتين من ظ (٦) فى ظ : يفعلونه (٧) من ظ ، وفى الأصل : احكام .

فلم يستغرق زمانٌ توليهم زمانَ البد ، أدخل الجار لذلك فقال :
 ﴿من بعد ذلك^١﴾ أى الأمر العالى وهو الحكم الذى يعلمون^٢ أنه حكم الله ،
 فلم يبق تحكيمهم لك من غير إيمان بك إلا تلاعبا .

ولما كان التقدير : فما أولئك بالمريدين للحق فى تراضعهم إليك ،
 ٥ عطف عليه قوله : ﴿وَمَا أَوْلَئِكَ﴾ أى البعداء من الله ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ^٣﴾
 أى العريقين^٤ فى صفة الإيمان بكتابتهم^٥ ولا بغيره مما يستحق الإيمان [به -^٦] ،
 لأنهم لو كانوا عريقين^٧ فى ذلك لآمنوا بك لأن كتابهم دعا إليك .

ولما تضمن هذا مدح التوراة ، صرح به فقال تأكيداً لذهمهم فى
 الإعراض عما دعت إليه من أصل و فرع ، وتحذيراً من مثل حالهم :
 ١٠ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿التوراة﴾ ثم استأنف قوله
 معظماً لها : ﴿فِيهَا هُدًى﴾ أى كلام يهدى بما يدعو إليه إلى^٨ طريق الجنة
 ﴿وَنُورٌ﴾ أى بيان لا يدع لبساً ، ثم استأنف المدح للعاملين بها
 فقال : ﴿يُحْكِمُهَا النَّبِيُّونَ﴾ و وصفهم بأعلى الصفات وذلك الغنى المحض .
 فقال مادحاً لا مقيداً : ﴿الَّذِينَ اسْلَمُوا﴾ أى أعطوا قيادهم لربهم سبحانه
 ١٥ حتى لم يبق لهم اختيار أصلاً ، وفيه تعريض بأن اليهود بعداء من الإسلام
 وإلا لاتبعوا أنبياءهم فيه ، فكانوا يؤمنون بكل من قام الدليل على نبوته .
 ولما كان من المعلوم أن حكمهم بأمر الله لهم باتباع التوراة و مراعاتها ،
 عَلِمَ أن التقدير : بما است حفظوا من كتاب الله ، فحذف لدلالة ما يأتى عليه

(١) من ظ ، وفى الأصل : تعلمون (٢) فى ظ : العريقين (٣) فى ظ : لكتابتهم .

(٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : عريقين (٦) فى ظ : من (٧) فى ظ : على .

و إشعار الإسلام به ، ثم بين المحكوم له تقيدا به إشارة إلى أنها ستنسخ
 فقال : ﴿ للذين هادوا ﴾ أى لمن التزم اليهودية ﴿ و الرثنيون ﴾
 أى أهل الحقيقة ، منهم الذين انسلخوا من الدنيا و بالغوا فيما يوجب
 النسبة إلى الرب ﴿ و الاحبار ﴾ أى العلماء الذين أسلوا ﴿ بما ﴾
 أى بسبب ما .

٥

و لما كان سبب إسلام أمرهم^١ بالحفظ ، لا كونه من الله بلا واسطة ،
 بنى للفعول قوله^٢ : ﴿ استَحْفَظُوا ﴾ أى^٣ الأنبياء و من بعدهم ﴿ من كتب الله ﴾
 أى بسبب ما طلبوا^٤ منهم / و أمروا به من الحفظ لكتاب^٥ الذى له جميع
 صفات الكمال الذى هو صفته ، فعظمته من عظمته ، و حفظه : دراسته و العمل
 بما فيه ﴿ و كانوا ﴾ أى و بما كانوا ﴿ عليه شهداء ﴾ أى رقباء حاضرين
 لا يغيبون عنه و لا يتركون مراعاته أصلا ، فالآية^٦ - كما ترى - من فن
 الاحتباك : ترك أولا د بما استَحْفَظُوا ، لدلالة ما ذكر هنا عليه ، و ترك
 ذكر الإسلام هنا لدلالة ذكره أولا عليه ، وإنما^٧ خص الأول بذكر
 الإسلام لأن الأنبياء أحق به ، و هو داع إلى الحفظ قطعا ، و خص الثانى
 بالاستحفاظ لأن الاتباع أولى به ، و هو دال على الإسلام .

١٥

و لما كان هذا كله ذما لليهود بما تركوا من كتابهم ، و مدحا لمن^٨
 راعاه^٩ منهم ، و كان ذلك الترك إما لرجاء أو خوف ، قال مخاطبا لهذه الأمة

(١) فى ظ : اعزهم (٢) زيد بعده فى ظ : بما (٣) فى ظ : من (٤) فى ظ : طلب .
 (٥) فى ظ : للكتاب (٦) زيد بعده فى ظ : من الاحتباك (٧) فى ظ : ان (٨) فى
 ظ : لهم (٩) من ظ ، و فى الأصل : راعاهم .

كلها طاعتها وعاصيها، محذرا لها من مثل حالهم ومرغبا في مثل حال
الأنبياء والتابعين لهم بإحسان، مسييا عن ذلك : ﴿ فلا تخشوا الناس ﴾
أى فى العمل بحكم من أحكام الله ﴿ و اخشون ﴾ أى فان ذلك حامل
لكم على العدل والإحسان ، فمن كان [منكم - '] مسلما طائعا فليزدد
ه طاعة ، ومن لم يكن كذلك^١ فليبادر بالانقياد والطاعة ، وهذا شامل
لل يهود وغيرهم .

ولما قدم الخوف لأنه أقوى تأثيرا أتبعه الطمع فقال : ﴿ ولا تشتروا ﴾
ولما كان الاشتراء معناه اللجاجة فى أخذ شيء بثمن ، وكان المثمن
أشرف من الثمن^٢ من حيث أنه المرغوب فيه ، جعل الآيات مشمنا وإن
١٠ اقترنت^٣ بالباء ، حتى يفيد الكلام التعجب^٤ من الرغبة عنها ، وأنها لا يصح^٥
كونها ثمنا فقال : ﴿ بآيتي ثمنا قليلا^٦ ﴾ أى من الرشى وغيرها لتبدلوها^٧
كما بدل أهل الكتاب .

ولما نهى عن الأمرين ، وكان ترك الحكم^٨ بالكتاب إما لاستهانة
أو لخوف أو رجاء أو شهوة ، رتب ختام الآيات على الكفر^٩ والظلم^{١٠}
١٥ والفسق ؛ قال ابن عباس رضى الله عنهما : من جحد حكم الله كفر ،
ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق . فلما كان التقدير : فمن
حكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون ، عطف عليه ما أفهمه من قوله :

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : لذلك (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٤) فى ظ : اقتربت (٥) فى ظ : التعجب (٦) فى ظ : لا تصح (٧) فى ظ :
تبدلوها (٨) فى ظ : الحكم .

(و من لم يحكم) أى ' يوجد الحكم و يوقفه على وجه الاستمرار
 (بما أنزل الله) أى الذى له الكمال كله فلا أمر لأحد معه تدبنا بالإعراض
 عنه ، أعم من أن يكون تركه [له - ٢] حكماً بغيره أو لا (فاولئك) أى
 البعداء من كل خير (هم الكفرون هـ) أى المختصون بالعراق في الكفر ،
 وهذه الآيات من قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ [الذين يسارعون هـ
 في الكفر - ٢] إلى هنا نزلت في الزنا ، ولكن لما كان السياق للمحاربة ،
 وكان كل من القتل و قطع الطريق و السرقة محاربة ظاهرة مع كونه
 فساداً ، صرح به ؛ ولما كان الزنا محاربة خفية بالنظر إلى فحشه و حرمة
 و جرّهِ في بعض الصور إلى المحاربة ، و غير محاربة بالنظر إلى كونه في
 الغالب عن تراض ، و صاحبه غير متزىّ بزىّ المحاربين ، لم يصرح في هذه ١٠
 الآيات باسمه و إن كانت نزلت فيه ؛ روى البيهقي عن ابن عباس رضى الله
 عنهما عن عمر رضى الله عنه أنه قال في خطبته : إن الله بعث محمداً و أنزل
 عليه كتاباً ، و كان فيما أنزل عليه آية الرجم قتلونها و وعيناها " الشيخ
 و الشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله و الله عزيز حكيم " و قد
 رجم رسول الله صلى الله عليه و سلم و رجنا بعده - الحديث . و في آخره : ١٥
 و لولا أنى^١ أخشى أن يقول الناس : زاد في كتاب الله ، لأثبتته في حاشية
 المصحف . و أصله في الصحيحين و غيرهما ، و للحاكم و الطبراني عن
 أبي أمامة بن سهل عن خالته العجاء رضى الله عنها بلفظ : الشيخ و الشيخة اذا
 زنيا فارجموهما البتة بما قضيا^٢ من اللذة . و في صحيح ابن حبان عن أبي بن كعب

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : حكما (٤) في ظ : كتاب (هـ) في

ظ : قضيتا (٦) زيد بعده في ظ : و الشهوة ، وليست الزيادة في الحاكم ولا الطبراني .

رضى الله عنه أنه قال لزر بن حبش: كم تعدون سورة الأحزاب من آية؟
قال: قلت: ثلاثا وسبعين، قال: والذي يخلف به! كانت سورة الأحزاب
توازي سورة البقرة، وكان فيها آية الرجم: الشيخ والشيخة - الحديث .
و للشيخين: البخارى فى مواضع، ومسلم وأحمد وأبى داود - ٢ وهذا
لفظه - والدارمى^١ والترمذى فى الحدود والنسائى فى [الرجم - ٣] عن
ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: إن اليهود جاؤا إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فذكروا^٢ [له - ٤] أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تجدون فى التوراة فى شأن الزنا؟ فقالوا:
نفضحهم ويجلدون - وفى رواية: فقال^٣: لا تجدون فى التوراة الرجم؟
١٠ فقالوا: لا نجد فيها شيئا - فقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه: كذبتُم،
فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فأتوا بالتوراة، فنشروها فجعل
أحدهم - وفى رواية: مدرأسها^٤ الذى يدرسها منهم - يده^٥ على آية الرجم
فجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك،
فرفعها فقال: ما هذه؟ فاذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد فيها
١٥ آية الرجم، فأمر بهما^٦ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما، قال عبد الله
(١) فى ظ: انه (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ:
وذكروا (٥) زيد من سنن أبى داود - كتاب الحدود (٦) سقط من ظ (٧) من
صحيح البخارى - التفسير، وفى الأصل و ظ: مدارسها - كذا (٨ - ٨) فى
ظ: فأمرهما .

ابن عمر رضى الله عنهما : فرأيت الرجل يحنا^١ على المرأة يقيها الحجارة .
 وفي لفظ للبخارى فى التفسير أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تجدون
 فى التوراة الرجم ؟ فقالوا : لا نجد فيها شيئا ، فقال لهم عبد الله بن سلام :
 كذبتم ! فأتوا بالتوراة فأتوها إن كنتم صادقين . وفى لفظ له فى التوحيد
 - وهو رواية أحمد - أن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى قال : فأتوا^٢ .
 بالتوراة فأتوها إن كنتم صادقين . ولأبى داود عن ابن عمر أيضا
 رضى الله عنهما قال : أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إلى القف ، فأتاهم فى بيت^٣ المدارس فقالوا^٤ : يا أبا القاسم ! إن رجلا منا زنى
 بامرأة فاحكم ، فوضعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فجلس عليها
 ثم قال : اثنوني^٥ بالتوراة ، فأتى بها فنزع الوسادة من تحته^٦ ووضع^٧ .
 التوراة عليها ثم قال : آمنت بك و بمن أنزلك ، ثم قال : اثنوني بأعلمكم ،
 فأتى بفتى شاب - فذكر قصة الرجم نحو الذى قبله ، وسكت عليه أبو داود

(١) أى يكب ويميل عليها ليقبها من الحجارة ، وروى : يجنى ويجانى^٨ ويجنى ؛
 جناً وأجناً وجانى بمعنى ، وفى النهاية : فإن كانت بالحاء فهى من حنى ظهره - إذا
 عطفه ، وإن كانت بالجريم فهى من جنى الرجل على الشيء إذا كب عليه وهما
 متقاربان ، والذى قرأناه فى كتاب مسلم بالجرم وفى كتاب الحميدى بالحاء . قال
 الخطابى : الذى جاء فى كتاب السنن يجنى يعنى بالجرم ، والمحفوظ إنما هو يجنى بالحاء ،
 أى يكب عليها يقال : حنا يحنونوا^٩ (٢) من صحيح البخارى ، وفى الأصل
 وظ : فأتوا (٣-٢) من سنن أبى داود - كتاب الحدود ، وفى الأصل
 وظ : المدارس فقال (٤) من ظ والسنن ، وفى الأصل : أتوا (ه - ه) فى
 السنن : فوضع .

والحافظ المنذرى فى مختصره^١ وسنده حسن، ولمسلم وأبى داود^٢ - وهذا لفظه - والنسائى وابن ماجه عن^٣ البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : مر^٤ رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودى^٥ محم^٦ . فدعاهم فقال : هكذا تجدون حد الزانى ؟ فقالوا : نعم ، فدعا رجلا من علمائهم فقال : نشدتك ه بالله الذى أنزل التوراة على موسى أهكذا^٧ تجدون حد الزانى فى كتابكم ؟ فقال : اللهم ! لا ، ولو لا أنك نشدتنى^٨ بهذا لم أخبرك ، نجد حد الزانى فى كتابنا الرجم ، ولكنه كثر فى أشرافنا فكنا إذا أخذنا الرجل الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه / الحد ، فقلنا : تعالوا فنجتمع على شئ نقيمه على الشريف والوضيع ، فاجتمعنا على التحميم والجلد ١٠ و تركنا الرجم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم^٩ إني أول من أحبي أمرك إذ أماتوه^{١٠} ، فأمر به فرجم ، فأنزل الله عز وجل "يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر - إلى قوله : يقولون ان اوتيتهم هذا نخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا"^{١١} - إلى قوله : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكفرون^{١٢} فى اليهود - إلى قوله : "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون^{١٣} فى اليهود - إلى قوله : ومن لم يحكم بما أنزل الله

/ ٦٢

(١) فى ظ : المختصر (٢) من ظ ، وفى الأصل : ابوداود (٣) من ظ ، وفى الأصل « و » (٤ - ٤) فى السنن : على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودى . (ه) أى مسود الوجه ، من الحممة : الفحمة ، وفى ظ : محم (٦) سقط من ظ . (٧) فى ظ : نشدتنى (٨) من ظ و السنن ، وفى الأصل : اماتوا (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و السنن لخذفائها .

فاولئك هم الفسقون“ [قال : هي - ١] في الكفار كلها - يعني هذه الآية . و روى الدارقطني في آخر^٢ النذور من السنن عن جابر رضي الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم يهودي^٣ و يهودية قد زنيا ، فقال لليهود : ما يمنعكم أن تقيموا^٤ عليها الحد ؟ فقالوا : كنا نفعل^٥ إذا كان الملك لنا^٥ ، فلما أن^٦ ذهب ملكنا^٧ فلا نجترى^٨ على الفعل ، فقال لهم : اتنوني بأعلم^٩ رجلين فيكم ، فأتوه بابن صوريا ، فقال لهما : أتتما^٩ أعلم من ورائكما ؟ قالوا : يقولون ، قال : فأشدكما بالله الذي أنزل التوراة على موسى كيف تجدون حدكما في التوراة ؟ فقالا^{١١} : الرجل مسح المرأة زنية^{١٢} وفيه عقوبة ، و الرجل على بطن المرأة زنية^{١٢} وفيه عتوبة ، فإذا شهد أربعة أنهم رأوه [يدخله فيها كما - ١٣] يدخل الميل في المكحلة رُجم^{١٤} ؛ قال : اتنوني ١٠ باليهود ، فشهد^{١٤} أربعة ، فوجهما النبي صلى الله عليه وسلم - انتهى . و هذه الآية ملفتة إلى آية ” يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة “ - الآية و التي بعدها أي التفات ، و ذلك أن هؤلاء لما تركوا هذا الحكم ، جرّم إلى الكفر ، و ليس في هذه الروايات - كما ترى - تقييد الرجم بالإحصان ،

(١) زيد من ظ و السنن (٢) سقط من ظ (٣) من سنن الدارقطني ، و في الأصل و ظ : يهودي (٤) من ظ و السنن ، و في الأصل : تقيا (٥-٥) في السنن : إذ كان ذلك فيما (٦) ليس في ظ و السنن (٧) في ظ : الملك عنا (٨-٨) من السنن ، و في الأصل : فلا يجترس ، و في ظ : قد نجترى (٩) في السنن : أنتم (١٠) زيد بعده في ظ : كما (١١) من السنن ، و في الأصل و ظ : فقال (١٢) من ظ و السنن ، و في الأصل : ريبية - كذا (١٣) زيد من السنن (١٤) في ظ : فشهدوا .

وكذا هو فيما هو موجود عندهم في^١ التوراة ، قال في السفر الثالث وغيره :
ثم كلم الله موسى وقال له : قل لبنى إسرائيل : [أى رجل من بنى إسرائيل -^٢]
ومن الذين يقبلون إلى [أى -^٣] ويسكنون بين بنى إسرائيل ألقى زرعه
في امرأة غريبة يقتل ذلك الرجل ، فليرجمه^٤ جميع الشعب بالحجارة ،
٥ وأنا أيضا أنزل غضبي بذلك الرجل وأهلكه من شعبه ، لأنه ألقى زرعه
في غريبة وأراد أن ينجس مقدسى وأن ينجس اسم قدسى ، فان غفل
شعب الأرض^٥ عن الرجل الذى ألقى زرعه في غريبة ولم يوجبوا عليه
القتل أنزل غضبي بذلك الرجل وبقيسته وأهلكه وأهلك من يضل
به ، لأنهم ضلوا بنساء غريات لسن^٦ لهم بجلال ، ثم قال : الرجل الذى
١٠ يأتى امرأة صاحبه وامرأة رجل غريب يقتلان جميعا ، والرجل الذى
يرتكب ذكرا مثله فيرتكب منه ما يرتكب من النساء فقد ارتكبا^٧
نجاسة ، يقتلان ودمهما في أعناقهما . والرجل الذى يتزوج امرأة وأما
فقد ارتكب خطيئة ، يحرق بالنار هو^٨ وهما ، والرجل الذى يرتكب
من البهيمة ما يرتكب من النساء يقتل قتلا ، والبهيمة ترجم أيضا ،
١٥ والمرأة التى ترقد^٩ بين يدي البهيمة ارتكب منها البلاء تقتل المرأة
والبهيمة جميعا ، يقتلان ودمهما في أعناقهما ، والرجل الذى يأتى امرأة طامثا
و يكشف عورتها ، قد كشف عن يديه عها وهى أيضا كشفت عن ينبوع دمها ،
(١) فى ظ : من (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : فلا ترجمه (٤) من ظ و التوراة ،
وفي الأصل : الآن (٥) من ظ ، وفي الأصل : ليس (٦) فى ظ : اكتسبا .
(٧) سقط من ظ .

٦٣ / | يهلكان جميعا من شعبهما^١، وقال : والرجل الذى يأتى امرأة أبيه
قد كشف^٢ هذا عورة أبيه، يقتلان جميعا ودمهما فى أعناقهما، والرجل
الذى يأتى كَنْتَه^٣ يقتلان^٤ كلاهما، لأنها ارتكبا خطيئة، ودمهما
فى أعناقهما، والرجل الذى يتزوج أخته من أمه أو من أبيه ويرى
عورتها وترى عورته ، هذا عار شديد، يقتلان قدام شعبهم، وذلك
لأنه كشف عورة أخته، يكون إثمها فى رؤسها، لا تكشفن عورة
عمتك ولا خالتك لأنها قرابتك، ومن فعل ذلك يعاقب بأثم فضيحتة^٥،
والرجل الذى يأتى امرأة عمه قد كشف عورة عمه يعاقبان بخطيئتهما
ويموتان^٦، والرجل الذى يتزوج امرأة أخيه قد ارتكب إثما، لأنه
كشف عورة أخيه يموتان، بل وصرح برجم البكر فقال فى السفر ١٠
الخامس فيمن تزوج بكرا فادعى أنه وجدها ثيبا : فإن^٧ كان قذفه إياها حقا
ولم يمجدها عذراء تخرج الجارية إلى بيت أبيها، ويرجها أهل القرية بالحجارة
وتموت^٨، لأنها ارتكبت حوبا بين بدى^٩ بنى إسرائيل وزنت فى بيت أبيها،
نحو الشر عنكم، وإن وجد رجل^{١٠} يسفح بامرأة رجل يقتلان^{١١} كلاهما :
الرجل والمرأة^{١٢}؛ بل صرح برجم البكر المكروه فقال عقب ما تقدم : وإن ١٥
كان لرجل^{١٣} خطية بكر لم يبتن^{١٤} بها بعد، فخرجت خارجا فظفر بها

(١) فى ظ : شعبها (٢) زيد بعده فى ظ : عن (٣) فى ظ : لبنته (٤) زيد بعده فى ظ :
جميعا (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : فضيحة (٧) فى ظ : يلو مان (٨) من ظ ، وفى
الأصل : وإن (٩) فى ظ : يموت (١٠) فى ظ : رجلا (١١) فى ظ : يقتلان
(١٢) فى ظ : الرجل (١٣) فى ظ : لم يبتن .

رجل وقهرها وضاجعها، يخرجان جميعا ويرجمان حتى يموتا، وإنما تقتل الجارية مع الرجل لأنها لم تصرخ ولم تستغث^١ - انتهى . فالأحاديث المفيدة بالإحصان في هذه القصة ينبغي أن تكون مرجوحة، لأن روايتها ظنوا أن الجادة^٢ الإسلامية شرع لهم .

٥ ولما كان ختام هذه الآيات في ترهيب المعرض عن الحكم بما أنزل الله مطابقا لقوله في أول سياق المحاربة "ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون" رجع إلى القتل مبينا أنهم بدلوا في القتل كما بدلوا في الزنا، ففضلوا بني النضير على بني قريظة، فقال: ﴿وكتبنا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿عليهم فيها﴾ أي [في -^٣] التوراة، عطفًا على ١٠ قوله "كتبنا على بني إسرائيل أنه^٤ من قتل نفسا بغير نفس"، وإذا أنعمت^٥ النظر وجدت ما بينهما لشدة اتصاله وقوة الداعية إليه كأنه اعتراض ﴿إن النفس﴾ أي مقتولة قصاصا مثلا بمثل ﴿بالنفس﴾ أي بقتل النفس بغير وجه مما تقدم ﴿والعين﴾ أي تقلع ﴿بالعين﴾ أي قلعت بغير شبهة ﴿والأنف﴾ يجمع ﴿بالأنف﴾ كذلك^٦ ١٥ ﴿والأذن﴾ تصلم ﴿بالأذن﴾ على ما تقدم ﴿والسن﴾ تقلع ﴿بالسن﴾ إذا قلعت عمدا بغير حق ﴿والجروح﴾ أي^٧ التي تنضبط كلها ﴿قصاص^٨﴾ مثلا بمثل سواء بسواء .

ولما أوجب سبحانه هذا، رخص^٩ لهم في النزول عنه، فسبب عن

(١) من ظ : وفي الأصل : لم تستغث (٢) في ظ : الحادة (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد من ظ (٥) زيدت الواو بعده في ظ (٦-٧) في ظ : فإذا أمعنت (٧) في ظ : لذلك (٨) من ظ ، وفي الأصل : أرخص .

ذلك قوله: ﴿ فمن تصدق به ﴾ أى عفا عن القصاص ممن يستحقه سواء كان هو المجروح إن كان باقيا أو وارثه إن كان هالكا ﴿ فهو ﴾ أى التصدق بالقصاص ﴿ كفارة له ﴾ أى ستارة لذنوب^١ هذا العافي^٢ ولم يجعل لهم دية، إنما هو القصاص أو^٣ العفو، فمن حكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون لانقيادهم في هذا الأمر الصعب لأمر الله ﴿ ومن لم يحكم ﴾ هـ أى على وجه الاستمرار ﴿ بما أنزل الله ﴾ أى الذى لا كفوء له فلا أمر لأحد معه لخوف أو رجاء،^٤ أو تدينا^٥ بالإعراض عنه سواء حكم بغيره^٦ أولا ﴿ فأولئك ﴾ أى البعداء عن طريق الاستقامة، البغضاء إلى أهل الكرامة ﴿ هم الظالمون هـ ﴾ أى الذين تركوا العدل فضلّوا، فصاروا كمن يمشى في الظلام، فإن كان تدينا بالترك / كان^٧ نهاية الظلم وهو ١٠ / ٦٤ الكفر، وإلا كان عصيانا، لأن الله أحق أن يخشى ويرجى؛ روى ابن إسحاق في السيرة في تحاكمهم في الزنا نحو ما تقدم ثم قال: وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الآيات من المائدة التى قال الله^٨ فيها ” فاحكم بينهم أو اعرض عنهم - إلى: المقسطين “ إنما نزلت في الدية بين بنى النضير و بنى قريظة، وذلك أن ١٥ قتل بنى النضير - [و - هـ] كان لهم شرف - يؤدون^٩ الدية كاملة، وأن

(١) من ظ، وفي الأصل: لذنوبه (٢) في ظ: العافي (٣) في ظ: « و » (٤-٤) في ظ: بدنيا (٥) في ظ: لغيره (٦) في ظ: فإن (٧) سقط من ظ (٨) زيد من ظ وتفسير الطبرى حيث سيقّت هذه الرواية (٩) زيد بعده في الأصل: الى، ولم تكن الزيادة في ظ و سنن النسائي ٧١٣ والطبرى لحفظناها.

بنى قريظة [كانوا -^١] يؤدون نصف الدية ، فتحاكموا [فى ذلك -^٢]
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ذلك فيهم ، لحملهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الحق فى ذلك فجعل الدية^٣ سواء . قال ابن إسحاق :
فإنه أعلم أى ذلك كان^٤ وأخرجه النسائي فى سننه من طريق ابن إسحاق ،
و روى من طريق آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا ، قال : كان
قريظة والنضير ، وكان النضير أشرف من قريظة ،^٥ وكان إذا قتل
رجل من قريظة رجلا من النضير قُتِلَ به ، وإذا قتل رجل من النضير
رجلا من قريظة أدى مائة وسق [من -^٦] تمر ، فلما بعث النبي
صلى الله عليه وسلم قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فقالوا : ادفعو^٧
١٠ إلينا نقتله ، فقالوا : بيننا وبينكم [النبي صلى الله عليه وسلم -^٨] ، فاتوه
فقتلت " وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط " ، [والقسط -^٩] : النفس
بالنفس ، ثم نزلت " احكم الجاهلية يغيثون " - انتهى .

وهذا نص ما عندهم من التوراة فى القصص ، قال فى السفر الثانى : وكل
من ضرب رجلا فمات فليقتل قتلا ، وإذا تشاجر رجلان فأصابا^{١١} امرأة
١٥ حبلى فأخرجها^{١٢} جنينها ولم تكن الروح حلت فى السقط بعد ، فليغرم على قدر
ما يلزمه زوج المرأة ، ولبؤد ما حكم عليه الحاكم ، فإن كانت الروح حلت فى
السقط فالنفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن واليد باليد والرجل بالرجل

(١) زيد من ظ و السنن والطبرى (٢) زيد من السنن والطبرى (٣) زيد فى
الطبرى فقط : فى ذاك (٤) سقط من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦) زيد من ظ و السنن (٧) فى ظ : ادفعوا (٨) زيد من ظ و السنن ، إلا أن
" صلى الله عليه وسلم " ليس فى ظ (٩) زيد من السنن (١٠) فى ظ : قاصب
(١١) فى ظ : وأخرجها .

والجراحة بالجراحة واللطمة باللطمة ؛ وقال في السفر الثالث بعد ذكر
 الأعياد في الأصحاح السابع عشر^١ : ومن قتل إنسانا يقتل ، ومن قتل
 بهيمة يدفع إلى صاحبها مثلها ، والرجل يضرب صاحبه ويؤثر فيه أثرا
 يعاب به يصنع به كما صنع ، والجروح قصاص : الكسر بالكسر والعين
 بالعين والسن بالسن ، كما يصنع الإنسان بصاحبه كذلك يصنع به ، ه
 القضاء واحد لكم وللذين يقبلون إلى^٢ ؛ وقال في الثاني : إذا ضرب الرجل
 عين عبده أو أمته ففقأها فليعتقه بدل عينه ، وإذا قلع^٣ سن عبده أو أمته
 فليعتقه بدل سنه - وذكر أحكاما كثيرة ، ثم قال^٤ : ومن ذبح للأوثان فيهلك ،
 بل لله وحده ؛ و^٥ قال في الرابع : ومن يقتل نفسا لا يقتل إلا بينة
 عادلة ، ولا تقبل^٦ شهادة شاهد^٧ واحد على قتل النفس ، ولا تقبلوا^٨ رشوة^٩
 في إنسان يجب عليه القتل بل يقتل ، ولا تأخذوا منه رشوة ليهرب إلى
 قرية [إلى -^{١٠}] الملجأ ليسكنها إلى وفاة الحبر العظيم ، ولا تنجسوا الأرض
 التي تسكنونها ، لأن الدم ينجس الأرض ، والأرض التي يسفك فيها
 الدم^{١١} لا يغفر^{١٢} لتلك الأرض حتى يقتل القاتل الذي قتل ؛ وقال في
 الخامس : ولا يقتل من قد وجب عليه القتل إلا^{١٣} بشهادة رجلين ، ١٥

(١) في الأصل وظ : العشر ، والأحكام الآتية إنما هي في الأصحاح الرابع
 والعشرين فيما عندنا من نسخ التوراة (٢) في ظ : بلغ (٣) من ظ ، وفي
 الأصل : ثم (٤) في ظ : لا يقبل (٥) سقط من ظ (٦) زيد بعده في ظ : شهادة
 شاهد واحد على قتل النفس ولا تفعلوا (٧) زيد من ظ (٨ - ٨) في ظ : ليغفر .
 (٩) من ظ ، وفي الأصل : لا .

لا يقتل بشهادة رجل واحد ، و إذا رجتم فالذى يُشَهِدُ عليه فليبدأ برجه
الشهود أولا ثم يبدأ به جميع الشعوب ، و أهلکوا الذين يعملون الشر
و استأصلوهم من بینکم ، و إن شهد رجل على صاحبه شهادة زور / يقوم
الرجلان قدام الخبر و القاضی فيفحصون^١ عن أمرهما فحسا شديدا ، فان
وجدوا رجلا شهد شهادة زور يصنعوا^٢ به مثل ما أراد أن يصنع باخيه ،
و نحوّا الشر من بینکم ، و عاقبوا بالحق لیسع الذين يتقون فيفزعوا و لا يعودوا
أن يفعلوا مثل هذا الفعل القبيح بینکم ، و^٣ لا تشفق أعینکم^٤ على الظالم ، بل
يكون قضاؤکم نفسا بنفس و عينا بعين و سنا بسن و يدا بيد و رجلا برجل .
و لما كانت هذه الآيات كلها - مع ما فيها من الأسرار - ناقصة
١. أيضا لما ادعوا من البتة بما ارتكبه من الذنوب من تحريف كلام الله
و سماع الكذب و أكل السحت و الإعراض عن أحكام التوراة و الحكم
بغير حکم الله ، أتبعها ما^٥ أتى به عيسى عليه السلام الذى ادعى فيه النصارى
البنوة الحقيقية و الشراكة فى الإلهية ، و قد أتى بتصديق التوراة فى الشهادة على
من خالفها من اليهود بالتبرئ^٦ من الله ، مؤكدا لما فيها من التوحيد الذى
١٥ هو عماد الدين و أعظم آياتها التى أخذت عليهم بها اليهود و وضعت فى
تابوت الشهادة^٧ الذى كانوا يقدمونه أمامهم فى الحروب ، فان كانوا
باقين على ما فيه من الميثاق نصروا و إلا خذلوا ، و ناسخا لشريعتهم مجازاة لهم
(١) فى ظ : فيخصبون - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : يصنعون (٣-٣) فى
ظ : لا سقى لى عينکم - كذا (٤) فى ظ : بما (٥) فى ظ : من التبر - كذا .
(٦) سقط من ظ .

من جنس ما كانوا يعملون من التحريف ، و شاهدا^١ على^٢ من أطراه بالضلال
 فقال : ﴿ وقفنا ﴾ إلى آخرها ، وكذا [كل - ٣] ما بعدها من آياتهم
 إلى آخر السورة ، لا تخلو آية منها من التعرض^٤ إلى نقض^٥ دعواهم لها بذكر
 ذنب ، أو ذكر عقوبة عليه ، أو ذكر تكذيب لهم من كتابهم أو نبيهم ،
 والمعنى : أوجدنا^٦ التقفية ، وهى اتباع شىء [بشىء - ٣] تقدّمه^٧ ، فيكون ه
 أيا في قفاه لكونه وراءه ، وإقاؤه في مظهر العظمة لتعظيم شأن عيسى
 عليه السلام ﴿ على آثارهم ﴾ أى النبيين الذين يحكمون بالتوراة ، وذكر
 الأثر يدل على أنهم كانوا قد تركوا دينهم ، لم يبق منه إلا رسم خفى
 ﴿ بعيسى ﴾ ونسبه إلى أمه إشارة إلى أنه لا^٨ والد له تكذيبا لليهود ،
 وإلى أنه عبد محبوب تكذيبا للنصارى ، فقال : ﴿ ابن مريم مصدقا ﴾ ١٠
 أى عيسى عليه السلام فى الأصول وكثير من^٩ الفروع ﴿ لما بين يديه ﴾
 أى مما أتى به موسى عليه السلام قبله ﴿ من التوراة ص ﴾ وأشار إلى أنه
 فاسخ لكثير من أحكامها بقوله : ﴿ وأتيت به الإنجيل ﴾ أى أنزلناه بعظمتنا
 عليه كما أنزلنا التوراة على موسى عليه السلام .

و [لما - ٣] كان فى الإنجيل المحكم الذى يفهمه كل أحد ، والمتشابه الذى ١٥
 لا يفهمه إلا الأفراد من خلص العباد ، ولا يقف بَعْدَ فهمه عند حدوده
 إلا المتقون ، قال مبينا لحاله : ﴿ فيه ﴾ أى آتينا^٩ إياه بحكمتنا وعظمتنا كائنا^{١٠}

(١) فى ظ : شاهدوا (٢) من ظ ، وفى الأصل : عن (٣) زيد من ظ (٤-٥) سقط
 ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : اوجبتا (٦) فى ظ : يقدمه (٧) سقط من ظ .
 (٨) من ظ ، وفى الأصل : فى (٩-١٠) فى ظ : بعظمتنا الايتا - كذا .

فيه (هدى) أى وهو المحكم، يهتدى به كل أحد^١ سمعه إلى صراط مستقيم (ونور^٢) أى حسن يان كاشف للشكالات^٣، لا يدع بذلك الصراط لبسا.

ولما كان الناسخ للشىء بتغيير حكمه قد يكون مكذبا له، أعلم
 ه أنه ليس كذلك، بل هو مع^٤ النسخ للتوراة مصدق لها فقال - أى^٥
 مينا لحال الإنجيل عطفًا على محل "فيه هدى" - : (ومصدقاً)
 أى الإنجيل بكلامه (لما بين يديه) ولما كان الذى نزل قبله كثيراً، عين^٦
 المراد بقوله: (من التوراة) فالأول صفة لعيسى عليه السلام، والثانى
 صفة لكتابه، بمعنى أنه هو^٧ والتوراة والإنجيل متصادقون، فكل من
 ١٠ الكتابين يصدق الآخر وهو يصدقهما، لم يتخالفوا فى شىء، بل هو
 متخلق^٨ بجميع ما أنى به.

ولما كان المتقون خلاصة الخلق، فهم الذين يُنزلون كل ما فى
 كتب الله من محكم ومتشابه على ما يتحقق به أنه هدى ويتطابق به المتشابه
 والمحكم، وكان قد بين أن فيه من الهدى ما يسهل به رد المتشابه إليه
 ١٥ فصار بعد البيان كله هدى، قال معهما بعد ذلك التخصيص^٩:

(وهدى وموعظة للتقين ط) أى كل ما فيه يهتدون به^{١٠} ويتعظون فترق
 قلوبهم ويعتبرون به وينتقلون مترقين من حال عالية إلى حال أعلى منها.

(١) فى ظ: من (٢) فى ظ: للشك (٣) سقط من ظ (٤) من ظ والقرآن المجيد،
 وفى الأصل: مصدق (٥) فى ظ: عنى (٦) من ظ، وفى الأصل: متخلف.
 (٧) فى ظ: بالتخصيص.

ذكرُ بعض^١ ما يدل على ذلك من الإنجيل الذي بين ظهراني النصارى
 الآن وقد مرّجتُ فيه^٢ كلام بعض^٣ الأناجيل ببعض وأغلب السياق
 لمتى، وعينتُ بعض ما خالفه، قال لوقا: وجاء إليه قوم وأخبروه
 خبر الجليليين الذين خلط يلاطس دماءهم مع دماء ذبائحهم^٤، فأجاب يسوع
 وقال لهم: لا تظنوا أن أولئك الجليليين^٥ أشدّ خطاً من كل الجليليين^٥ ه
 إذا أصابتهم هذه الأوجاع، لا أقول لكم، إن لم تتوبوا كلكم أتم
 تهلكون مثلهم، وهؤلاءك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج في
 سيلوخا وقتلهم أظنون أنهم أكبر جرماً من جميع سكان يروشليم، كلا
 أقول لكم، إن لم تتوبوا جميعكم يهلك، وقال لهم: شجرة تن كانت
 لواحد مفروسة^٦ في كرمه، جاء يطلب فيها ثمرة فلم يجد، فقال للكرام: ١٠
 هذه ثلاث سنين آتى وأطلب فيها^٧ ثمرة فلا أجد، اقطعها لئلا تبطل
 الأرض، فقال له: يارب ادعها في هذه السنة^٨ لانكحها وأصلحها، لعلها
 تثمر في السنة الآتية، فإن هى أثمرت وإلا اقطعها. قال متى: ولما نزل
 من الجبل تبعه^٩ جمع كبير وإذا أبرص قد جاء فسجد^{١٠} له وقال: إن شئت
 فأنت قادر أن تطهرنى، فدیده ولمسه وقال [له -^{١١}]: قد شئت فاطهر، ١٥
 والوقت طهر برصه، وقال له يسوع: لا تقل لأحد ولكن امض فأر نفسك

(١) سقط من ظ (٢-٢) من ظ وفي الأصل: بعض كلام (٣) في ظ: دنائهم -

كذا (٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ (٥) في ظ: مفروشه (٦) في ظ: منها.

(٧) في الأصل وظ: وتبعه، والتصحيح من نص الإنجيل (٨) في ظ: سجد.

(٩) زيد من ظ.

للكاهن و قدم قربانا كما أمر موسى للشهادة عليهم - وقال مرقس : بشهادتهم -
 قال لوقا : فذاع عنه الكلام وزاد ، واجتمع جمع كثير ليسمعوا منه
 و يستشفوا^١ من أمراضهم ، و أما هو فكان يمشى إلى البرية و يصلّي هناك .
 و قال متى : و لما دخل كفرناحوم جاء إليه قائد مائة فطلب إليه قائلاً :
 ٥ يا رب ! فتأى ملقى في البيت مخلع و سقيم جداً ، فقال له : إني آتى و أبرئه ،
 فأجاب قائد المائة و قال : يا رب ! لست مستحقاً أن تدخل تحت سقف
 بيتي ، ولكن قل كلمة فقط فيراً فتأى لاني تحت سلطان ، و لي^٢ جند ، إن
 قلت لهذا : اذهب ، ذهب^٣ ، و لآخر : ائت ، أتى^٤ ، و لعبدي : اعمل هذا ،
 عمل^٥ ، فلما سمع يسوع تعجب و قال للذين يتبعونه : الحق أقول لكم إني^٦
 ١٠ لم أجد مثل هذه الأمانة في إسرائيل ، أقول لكم : إن كثيراً يأتون من المشرق
 و المغرب - و قال لوقا : و الشمال و اليمين^٧ - يتكثرون^٨ مع إبراهيم^٩ و إسحاق
 و يعقوب^{١٠} ؛ قال لوقا : و كل الأنبياء في ملكوت الله و أتم خارجاً ،
 و يكون الأولون^{١١} آخرين و الآخرون أولين ؛ و قال متى : في^{١٢} ملكوت
 السماوات ، و بنو الملكوت يلقون في الظلمة البرانية ، الموضع الذي يكون
 ١٥ فيه البكاء و صرير الأسنان ، و قال يسوع^{١٣} لقائد^{١٤} المائة : اذهب كما ماتك

(١) في ظ : ليستشفوا (٢) سقط من ظ (٣) زيد بعده في ظ : هذا (٤) في ظ :
 اني (٥) من ظ ، وفي الأصل : التيمن (٦) في ظ : سكتون (٧) زيد بعده في ظ :
 و اسماعيل ، و لم ترد هذه الزيادة في الإنجيل (٨) من ظ ، وفي الأصل :
 الاولين (٩) من ظ ، وفي الأصل : و (١٠) من ظ و الإنجيل وفي الأصل :
 يشوع (١١) في ظ : القائد .

يكن لك ، فبرأ الفقى فى تلك الساعة . وقال لوقا : ولما أكل جميع كلامه ودخل كفرناحوم ، وكان عبداً لقائد المائة قد قارب الموت وكان كريماً عنده ، فلما سمع يسوع أرسل إليه^١ شيوخ^٢ اليهود يسألونه المجيء ليخلص عبده ، فلما جاءوا إلى يسوع طلبوا منه باجتهاد وقالوا : إنه مستحق / أن يفعل^٣ معه هذا ، لأنه محب لأمثنا وهو بنى لنا^٤ كنيسة ، ه ٦٧ / فضى^٥ يسوع معهم^٦ ، وفيما هو قريب من البيت أرسل إليه قائد المائة أصدقاءه قائلاً : يارب ! لا تعب^٧ فاني لا أستحق أن تدخل^٨ تحت سقف بيتي ، من أجل ذلك لم أستحق أن أجيء أنا إليك ، لكن قل كلمة فيراً ، لأنى رجل ذو^٩ سلطان ونحت^{١٠} يدي جند^{١١} فأقول لهذا : امض ، فيمضى ، ولاحقاً : انت ، فيأتى ، فلما سمع يسوع هذا تعجب منه^{١٢} والتفت ١٠ إلى الجمع الذى يتبعه وقال : الحق أقول لكم ! إنى لم أجد فى [بنى -]^{١٣} إسرائيل [مثل -]^{١٤} هذه الأمانة ، فرجع المرسلون^{١٥} إلى البيت فوجدوا المريض قد برأ ، وفى غد كان يسوع ماشياً إلى مدينة اسمها نايين^{١٦} وتبعه تلاميذه أجمع وجمع كبير ، فلما قرب من باب المدينة إذا بحمول قد مات وحيداً لأمه وكانت أرملة ، وجمع كبير من أهل المدينة معها ، فلما رآها ١٥

(١) من ظ ، وفى الأصل : عبداً (٢) من الإنجيل ، وفى الأصل وظ : إلى .

(٣) فى ظ : يسوخ (٤) من ظ والإنجيل ، وفى الأصل : تفعل (٥) سقط من ظ .

(٦ - ٦) فى ظ : معهم يسوع (٧) من الإنجيل ، وفى الأصل : لا تتعن ، وفى

ظ : لا بعد - كذ (٨) فى ظ : يدخل (٩) فى ظ « و » (١٠) فى ظ : جندى .

(١١) زيد من ظ (١٢) فى ظ : المسلمون (١٣) فى ظ : ناس - كذا .

الرب تحن^١ عليها وقال لها: لا تبكى، و تقدم و لمس النعش فوقف
الحاملون له، وقال له^٢: أيها الشاب! لك أقول: قم واجلس! فجلس
الميت وبدأ يتكلم، ودفنه لأمه، و لحقهم خوف^٣ و نجدوا الله قائلين:
لقد قام فينا نبي عظيم، و تعاهد الله شعبه بصلاح، فذاع هذا الكلام في
٥ كل اليهودية و كل الكور التي^٤ حولها. قال متى: و جاء يسوع إلى بيت
بطرس^٥ فنظر إلى حماته^٦ ملقاة تحمى؛ و قال^٧ مرقس: و جاء إلى بيت سمعان
و أندراوس مع يعقوب و يوحنا فرأى^٨ حمة سمعون في حمى شديدة فقالوا
له من أجلها، فقدم^٩ و أمسك يدها و أقامها؛ و قال^{١٠} متى: فس يدها
فركتها^{١١} الحمى و قامت تخدمهم؛ و قال لوقا: و نهضت للوقت تخدمهم^{١٢}،
١٠ فلما كان المساء - قال مرقس: عند غروب الشمس - قدموا إليه مجانين كثيرا،
قال مرقس: و وقف جميع أهل المدينة على الباب، و أبرأ كثيرا ممن به علة
ردية، و أخرج شياطين كثيرة^{١٣}؛ و قال متى: ^{١٤}و كان^{١٥} يخرج الأرواح
بكلمة، و أبرأ كل سقيم لكي يتم ما قيل في أشعيا^{١٦} النبي القائل: إنه أخذ
أمراضنا^{١٧} و حمل أوجاعنا. ^{١٨}و سحرا جدا قام و خرج إلى البرية ليصلي

(١) في ظ: يحزن (٢) في ظ: لها (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و في الأصل:
أتى (٥) زيد بعده في الأصل: فزل، و لم تكن الزيادة في ظ و الإنجيل لخذناها.
(٦) في ظ: حماته (٧) في ظ: كان (٨) في ظ: فراو (٩) في ظ: لقد (١٠) في ظ:
فركها (١١) في ظ: يخدمها (١٢) من الإنجيل، و في الأصل و ظ: كثيرا.
(١٣ - ١٢) في ظ: فكان (١٤) في ظ: اشعب (١٥) في ظ: أمراضنا (١٦) و من
هنا يتبدى نص مرقس.

هناك وسمعون ومن معه يطلبونه، فلما وجدوه قالوا له: إن الجمع يطلبك، فقال لهم: سيروا بنا إلى القرى والمدن القريبة لنكسر، فاني لهذا وافيت، فأقبل يبشر في مجتمعهم في كل الجليل ويخرج الشياطين؛ وقال لوقا: وفي نهم اليوم خرج وذهب إلى موضع قهر والجمع يطلبونه، وجاءوا إليه 'وأمسكوه' لئلا يمشي من عندهم، فقال لهم: إنه ينبغي^٢ أن أبشر^٣ ه في المدن الآخر بملكوت الله، لاني لهذا أرسلت، وكان يكرز في مجامع^٤ الجليل، وكان لما اجتمع إليه جمع ليسمعوا كلام الله كان هو واقفا على بحيرة سجاناسر^٥، فرأى سفينتين موقفتين على شاطئ البحيرة والصيدون قد صعدوا عليها ليغسلوا شباكهم، فصعد إلى إحدهما^٦ التي لسمعان، وأمر أن يبعدها عن الشط قليلا، وجلس يعلم في الجمع^٧ من السفينة؛ ١٠ ولما أكمل كلامه قال لسمعان: تقدم إلى اللج^٨ وألقوا شباككم؛ فقال: يا معلم! قد تعبنا الليل أجمع ولم نأخذ شيئا، وبكلمتك نحن نلقى شباكنا، ولما^٩ فعلوا ذلك أخذوا سمكا كثيرا، وكادت شباكهم تتخرق، فأشاروا إلى شركائهم في السفينة الأخرى^{١٠} ليأتوا يعينهم^{١١}، فلما جاءوا ملأوا السفينتين حتى كادتا أن تغرقا، فلما رأى سمعان ذلك خر عند قدمي ١٥ يسوع / وقال له: ابعد عني يا سيدي! لاني رجل خاطئ، لان الخوف اعتراه ٦٨ /

(١ - ١) في ظ: فامسكوه (٢) زيد في الإنجيل: لي (٣) في ظ: السر - كذا . (٤) من ظ والإنجيل، وفي الأصل: المجامع (٥) من ظ، وفي الأصل: جاناشر، وفي الإنجيل: جنيسارت (٦) في الأصل و ظ: احدهما، ومبنى التصحيح نص الإنجيل (٧) في ظ: الجميع (٨) في ظ: البحير (٩ - ٩) في ظ: كما (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ، وفي الأصل: يعينونهم .

و كل من معه لأجل صيد الحيتان التي اصطادوا، وكذلك يعقوب ويوحنا
 'ابنا زبدي' اللذان^٢ كانا صديقى سمعان، فقال يسوع لسمعان: لا تخف،
 من الآن تكون^٣ صيادا تصيد الناس، و قربوا السفن إلى الشط و تركوا
 كل شيء و تبعوه؛ وقال متى: فلما نظر يسوع إلى الجمع الذى حوله
 ٥ أمر أن يذهبوا إلى العبر، فجاء إليه كاتب^٤ وقال له^٥: يا معلم! أتبعك إلى
 حيث تمضى، فقال له يسوع: إن للثعالب أجارا، و لطير^٦ السماء أوكارا،
 فأما ابن الإنسان فليس له موضع يسند رأسه؛ و^٧ قال لوقا: وقال لآخر:
 اتبعنى، فقال: يارب! ائذن لى أن أمضى أولا و أدفن أبى، فقال له
 يسوع: اتبعنى و دع الموتى يدفنوا موتاهم، وقال الآخر^٨ أيضا: بل تأذن
 ١٠ لى أولا أن أرتب أهل بيتى، فقال: ما من أحد يضع يده على سكة^٩
 الفدان و ينظر إلى ورائه يستحق ملكوت الله؛ و قال متى: فلما صعد السفينة
 "تبعه تلاميذه - و قال لوقا: صعد السفينة" هو وتلاميذه و قال لهم: امضوا
 بنا إلى عبر^{١٠} البحيرة، فساروا و^{١١} فيما هم سائرون نام - وإذا اضطراب عظيم
 كان فى البحر حتى كادت الأمواج تغطى السفينة - لأن الريح كانت
 ١٥ مضادة^{١٢} لهم - وهو نائم، فتقدم إليه تلاميذه وقالوا: يارب! - و قال
 (١ - ١) فى ظ: اننى ريدي (٢) من ظ و الإنجيل، و فى الأصل: اللذين (٣) فى
 ظ: يكون (٤) فى ظ: كانت (٥) فى ظ: لى (٦) فى ظ: طير (٧) سقط من
 ظ (٨) من ظ، و فى الأصل: لآخر (٩) من الإنجيل، و فى الأصل و ظ: فقال .
 (١٠) فى ظ: شبكة (١١ - ١١) سقط ما بين الرقين من ظ (١٢) فى ظ: غير .
 (١٣) فى ظ: مصادة .

مرقس: و كانت رياح عواصف عظيمة ، وكانت الأمواج تضرب السفينة
و تدخلها المياه حتى كادت تمتلئ ، و هو نائم في مؤخرها على وسادة -
فأيقظوه و قالوا له : يا معلم ! نَجِّنَا فقد هلكنا ! فقال لهم : ما أخافكم^١ يا قليلي
الإمانة ؟ حيثنذا^٢ قام و انتهر الرياح و البحر ، فصار هدوءا عظيما ؛ ثم قال متى :
فلما صعد السفينة و جاء إلى العبر و دخل مدينته قدم إليه مخلع ملقى على سرير ه
- و في إنجيل مرقس و لوقا : إنهم أرادوا الدخول به إليه فلم يقدروا لكثرة
الجمع ، فصعدوا إلى السطح و دلوه بسريره إليه - حيثنذا^٣ قال للمخلع : قم !
احمل سريرك^٤ و اذهب إلى بيتك ! فقام و مضى إلى بيته ، فظفر الجمع و تعجبوا
و مجدوا الله الذى أعطى هذا السلطان كذا^٥ للناس ؛ و قال يوحنا في إنجيله :
و بعد هذا كان عيد اليهود فصعد يسوع إلى يروشلیم ، و كان هناك يروشلیم ١٠
مكان يسمى بالعبرانية بيت الرحمة ، و كان فيه خمسة أروقة ، و كان خلق
كثير من المرضى مطروحين^٦ فيها و عمى و مقعدون و جافون^٧ ، فكانوا
يتوقعون تحريك الماء ، لأن ملاكا^٨ كان ينزل^٩ إلى الصبغة في حين بعد حين ،
و كان يحرك^{١٠} الماء ، و الذى كان ينزل فيه أولا من بعد حركة الماء يبرا
من كل الوجع الذى به ، و كان هنا رجل مقیم منذ ثمان^{١١} و ثلاثين ١٥
(١) فى ظ : نعماكم - كذا (٢) زیدت الواو بعده فى ظ (م) فى ظ : فحينئذ (٤) فى
ظ : سريرتك (ه) فى ظ : هكذا (٦) فى ظ : مطروحين (٧) من ظ ، و فى
الإنجيل : عسم ، و فى الأصل : خافون - كذا (٨) من الإنجيل ، و فى الأصل
وظ : ملا - كذا (٩) فى ظ : بمنزلة (١٠) فى ظ : حرك (١١) من ظ و الإنجيل ،
و فى الأصل : ثلاث .

سته ، فظنر إليه يسوع ملق فقال له : 'أتحب' أن تبرأ ؟ فقال : نعم
يا سيدى ١ ولكن ليس لى إنسان إذا تحرك الماء يلقينى فى البركة أولا ٢ ،
قال أن أجيء أنا ينزل قدامى آخر ، فقال له : قم ، احمل سريرك وامض ،
فمن ساعته برأ ٣ نهض حاملا سريره ، وكان ذلك اليوم ٤ يوم سبت ، فقال له
اليهود : إنه يوم سبت ، ولا يحل [لك - ٥] أن تحمل ٥ سريرك ، فأجابهم :

الذى أبرأنى هو قال لى : احمل سريرك وامش ، فسأله : من هو ؟ فلم يكن
يعلم من هو ، لأن يسوع كان قد استتر فى الجمع ٦ الكبير الذى كان
فى ٢ ذلك الموضع ، ثم قال : وقال لهم يسوع / : لقد عملت عملا واحدا ٧

/ ٦٩

فمجيئتم بأجمعكم ، أعطاكم موسى الحتان وليس هو من موسى ولكنه
١٠ من الآباء ، وقد تحتنون الإنسان يوم السبت لثلا تنقضوا ٨ سته موسى ،

فلم تندمرون ٩ على لإبرأنى ١٠ الإنسان يوم السبت ، لا تحكموا بالمحابة
و ٢ لكن احكموا حكما عدلا ، ثم قال : فبينما هو مار رأى رجلا ولد أعمى
فقال تلاميذه : يا معلم ١ من أخطأ ؟ هذا ٢ أم أبواه ٣ حتى أنه ولد أعمى ،

فقال : لا هو ولا أبواه ٤ ، ولكن لتظهر ٥ أعمال الله فيه ، ينبغى أن أعمل
١٥ أعمال من أرسلنى ما دام النهار ، سيأتى الليل الذى لا يستطيع أحد أن يعمل
فيه عملا ٦ ، ما دمت فى العالم أنا نور العالم - قال هذا و تفل على التراب

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : فانى (٣) سقط من ظ .

(٤) زيد من ظ (٥) زيد بعده فى ظ : من (٦) فى ظ : الكثير (٧) فى ظ :

واحد (٨) فى ظ : لثلا ينقضوا (٩) فى ظ : يتدمرون (١٠) فى ظ : الابرا - كذا .

(١١) من الإنجيل ، وفى الأصل وظ : أبوه (١٢) فى ظ : يظهر .

و صنع من ثقله طينا و طلى به عيني ذلك الأعمى وقال له : امض
 و اغتسل في عين سيلوخا^١ التي تأويلها^٢ المبعوثة^٣، فضى و غسلها فعاد ينظر،
 فأما جيرانه و الذين كانوا يرونه يتسول فقالوا : ليس هو هذا الذي كان
 يجلس و يتسول، و آخرون قالوا :^٤ إنه هو ، و آخرون قالوا :^٥ إنه يشبهه،
 فأما هو فكان يقول : [إني - °] أنا هو ، فقالوا له : كيف انفتحت عينك ؟ ه
 فقص عليهم القصة^٦، فقالوا : أين هو ذاك ؟ فقال : ما أدري ، فأتوا به إلى
 الفريسيين ، لأن يسوع صنع الطين يوم السبت ، فسأله الفريسيون
^٧ فأخبرهم ، فقال قوم منهم : ليس هذا الرجل من الله إذ لا يحفظ السبت ،
 و آخرون^٨ قالوا : كيف يقدر رجل خاطئ أن يعمل هذه الآيات فوق
 بينهم لذلك شقاق ، فقالوا للأعمى : ما تقول أنت من أجله ؟ قال لهم : إنه^٩
 نبي ، و لم يصدق اليهود أنه كان أعمى حتى دعوا أبويه و سألوها ، فقالا :^{١٠}
 نحن نعلم أن هذا ولدنا و أنه ولد أعمى ، و وقعت بين الأعمى و بينهم
 محاربة ، كان آخر ما^{١١} قالوا له^{١٢} : أنت ولدت بالخطايا و أنت تعلمنا
 و أخرجوه . و قال متى : و اجتاز^{١٣} يسوع هناك فرأى إنسانا جالسا على
 التعشير اسمه متى فقال له^{١٤} : اتبعني ، فترك كل شيء^{١٥} و قام^{١٦} و تبعه . ١٥
 [و قال لوقا : و بعد هذا خرج فنظر إلى عشار اسمه لاوى جالسا على المكس ،

(١) في ظ : سلوخا (٢) سقط من ظ (٣) من نص الإنجيل ، وفي الأصل وظ :
 التعوبة (٤-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : اني .
 (٧) في ظ : فقالوا (٨-٩) في ظ : قالوه (٩) في ظ : اختار (١٠-١١) سقط
 ما بين الرقيين من ظ و الإنجيل (١١-١٢) في ظ و الإنجيل : تمام .

فقال له: اتبعنى، فترك كل شيء وقام وتبعه - ^١]، وصنع له لاوى فى بيته
وليمة عظيمة، وكان جمع كثير من العشارين و^٢ آخرين متكئين معه .
وقال مرقس: ثم خرج إلى شاطئ البحر واجتمع إليه جمع كبير^٣ وعليهم،
وعند مضيه رأى [لاوى - ^١] ابن^٤ حلقى^٥ جالسا على العشارين فقال
له: اتبعنى، فقام وتبعه، وبينما هو متكئ فى بيته - وقال متى: وبينما^٦
هو متكئ فى بيت سمعان^٧ - جاء عشارون^٨ وخطاة كثيرون^٩، فأتكأوا
مع يسوع وتلاميذه، فلما نظر الفريسيون^{١٠} قالوا لتلاميذه: لما ذا
معلكم يأكل مع العشارين والخطاة^{١١}؟ فلما سمع يسوع قال لهم: الأصحاء
لا يحتاجون إلى طبيب، لكن ذوو الأسقام، اذهبوا فاعملوا ما هو، إني
أريد رحمة لا ذبيحة، لم آت لأدعو الصديقين لكن الخطاة^{١٢} للتوبة . وقال
لوقا: وطلب إليه واحد من الفريسيين أن يأكل معه، فدخل بيت ذلك
الفريسي وجلس، وكان فى تلك المدينة امرأة خاطئة، فلما علمت أنه
متكئ فى بيت ذلك الفريسي أخذت قارورة طيب ووقفت^{١٣} من ورائه
عند رجله باكية، وبدأت^{١٤} تبل قدميه بدموعها وتمسحها بشعر رأسها،
(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣-٣) فى الأصل: آخرين متكئون، وفى ظ:
آخرون ملون - كذا (٤) فى ظ: كثير (٥) من الإنجيل، وفى الأصل: خلفا،
وفى ظ: حلقا - كذا (٦-٦) فى ظ: فقالوا (٧) فى ظ: بينهما (٨) فى ظ: فيها .
(٩-٩) فى إنجيل متى: البيت - فقط (١٠) من ظ والإنجيل، وفى الأصل:
مشاون - كذا (١١-١١) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٢) فى ظ: الخطا .
(١٣) فى ظ: قعدت (١٤) فى ظ: بدت .

و كانت تقبل قدميه و تدهنها^١ بالطيب، فلما رأى ذلك الفريسي الذي دعاه
فكر في نفسه قائلاً : لو كان هذا نبياً علم ما هذه و أنها خاطئة^٢، فأجاب
يسوع و قال له : يا سمعان^٣ ا غريمان عليهما لإنسان^٤ دين، على أحدهما
خمسة^٥ دينار و على^٦ الآخر خمسون، و ليس^٧ لهما ما يوفيان فوهب لهما، / فأبيها
أكثر حباً له ؟ فقال : أظن الذي وهب له الأكثر، فقال له : بالحق حكمت ؛ ه
ثم التفت إلى المرأة و قال : [يا - ٦] سمعان ! دخلت بيتك فلم تسكب
على رجلي ماء و هذه بلت رجلى بالدموع و مسحتهما بشعر رأسها، أنت
[لم - ٦] تقبلني و هذه منذ دخلت لم تكف^٨ عن تقبيل قدمي، أنت
لم تدهن رأسي بزيت و هذه دهنت بالطيب قدمي، لأجل ذلك أقول لك :
إن خطاياها مغفورة لها، لأنها أحبت^٩ كثيراً، ثم قال لها : اذهبي بسلام ! ١٠
إيمانك^{١٠} خلاصك ؛ و كان بعد ذلك يسير إلى كل مدينة و يكرز و يبشر
بملكوت الله و معه الاثنا عشر^{١١} و نسوة كن أبرأهن من الأمراض و الأرواح
النجسة : مريم التي تدعى المجدلانية التي أخرج منها سبعة شياطين، و يونا امرأة
خوزي خازن هيرودس^{١٢}، و آخر كثيرات . و قال متى : حيثما جاء إليه
تلاميذه^{١٣} يوحنا قائلين : لما ذا نحن و الفريسيون نصوم كثيراً و تلاميذك ١٥

(١) في ظ : يدهنها (٢) في ظ : خطيئة (٣) في ظ : الإنسان (٤-٤) في ظ «و» .
(ه) في ظ : لم يكن (٦) زيد من ظ (٧) في ظ : فلم تكف (٨) من ظ ، و في
الأصل : اجب (٩) في ظ : ابائك (١٠) زيد بعده في ظ : من (١١) من الإنجيل،
و في الأصل و ظ : الاثني عشر (١٢) زيد بعده في الإنجيل : و سوسنة (١٣) لمن
الإنجيل، و في الأصل و ظ : تلاميذه .

لا يصومون؟ فقال لهم يسوع: ^١ لا يستطيع بنو العرس ^٢ أن ينوحوا مادام العريس معهم، و ستأتي أيام إذا ارتفع العريس عنهم حيثئذ يصومون، ليس أحد يأخذ خرقة جديدة يجعلها في ^٣ ثوب بال، لأنها تأخذ ^٤ ملاها من الثوب فيصير ^٥ الخرق أكبر، وقال مرقس: إنه لا يرفع ^٦ إنسان ثوبا باليا بخرقه جديدة إلا مد الجديد البالي فيخرقه؛ وقال متى: ولا تجعل ^٧ خرقة جديدة في زقاق عتيق فتشق الزقاق و تهلك و تهراق ^٨ الخرق، لكن تجعل خرقة ^٩ جديدة في زقاق جدد فيتحفظان جميعا؛ و ^{١٠} قال لوقا: و ما من أحد يشرب قديما فيجب ^{١١} الجديد للوقت لأنه يقول: إن القديم أطيب. و قال متى: و فيما هو يكلمهم ^{١٢} إذا رئيس قد جاء إليه ساجدا قائلا: إن ابنتي ماتت ^{١٣} الآن، تأتي فتضع يدك عليها فتحي ^{١٤}! فقام يسوع و تبعه تلاميذه، فاذا ^{١٥} امرأة بها زيف دم منذ اثنتي عشرة ^{١٦} سنة؛ قال مرقس: أعيت من الأطباء، أنفقت كل مالها، لم تجد راحة بل تزداد وجعا، فلما سمعت بيسوع - قال متى: جاءت من خلفه و مست طرف ثوبه - فالتفت يسوع فرآها فقال لها: ثقي ^{١٧} يا ابنة! إيمانك خلصك، فبرئت المرأة ^{١٨} من ^{١٩} تلك الساعة، و جاء يسوع إلى بيت الرئيس؛ [و - ^{٢٠}] قال مرقس: ولم يدع أحدا يتبعه إلا ^{٢١} بطرس

(١) زيدت الواو بعده في ظ (٢) من الإنجيل، و في الأصل و ظ: العريس .
(٣) سقط من ظ (٤) في ظ: فتصير (٥) في ظ: لا يرق (٦) في ظ: تراق (٧) من ظ: و في الأصل: نخرة (٨) في ظ: سمحت - كذا (٩) زيدت الواو بعده في الأصل و ظ: ولم تكن في الإنجيل لحذفناها (١٠) في ظ: و اذا (١١) من الإنجيل، و في الأصل: اثني عشر، و في ظ: اثني عشرة (١٢) في ظ: بقي (١٣) في ظ: في (١٤) زيدت الواو من ظ (١٥) تكرر في الأصل .

و يعقوب و يوحنا أخا يعقوب - انتهى . فنظر إلى الجمع مضطربين ، فقال لهم : اخرجوا ، لم تمت الجارية لكنها نائمة ، فضحكوا منه ، فلما خرج الجمع دخل وأمسك يدها^١ فقامت الجارية ؛ وقال مرقس : وأخرج جميعهم وأخذ معه أبا الصية وأما والذين معه ، ثم دخل إلى الموضع الذي فيه الصية موضوعة ، وأخذ يدها وقال لها : طليثا^٢ ! قومي ، الذي ه تأويله : يا صيدة ! لك أقول : قومي ، فللوقت قامت الصية ومشت ، وكان لها^٣ اثنتا عشرة^٤ سنة ، فبهتوا وعجبوا عجاظيا ، فأمرهم كثيرا أن لا يُعلِّموا أحدا بهذا ، وقال : أطعموها تأكل ؛ وقال متى : وخرج خبرها^٥ في جميع تلك الأرض .

ولما كان التقدير : آتينا ذلك لينتهي^٦ أهل التوراة عما نسخ منها ، ١٠ عطف عليه قوله : ﴿ وليحكم ﴾ في قراءة^٧ بحزرة بكسر اللام والنصب ، والتقدير على قول الجماعة بالإسكان / والجمع والجزم : فليته أهل^٨ التوراة عما نسخ منها وليحكم ﴿ أهل الانجيل ﴾ وهم أتباع عيسى عليه السلام ﴿ بما أنزل الله ﴾ أى الواحد الأحد الذى له جميع صفات الكمال ﴿ فيه^٩ ﴾ من الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن غير ذلك بما أودعناه ١٥ إياه من الأحكام والمواعظ الجسام .

ولما كان التقدير : فمن انتهى فأولئك هم المسلمون ، ومن حكم بما

(١) في ظ : يدها (٢) من الإنجيل ، وفي الأصل : طليبي ، وفي ظ : طليبي - كذا .
(٣ - ٢) في ظ : اننى عشر (٤) في ظ : خبرها (٥) في ظ : لتنتهى (٦ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .

أنزل الله فيه فأولئك هم المفلحون ، عطف عليه قوله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا أمر لأحد معه ، فله كل شيء وليس لأحد معه شيء ، و كل شيء إليه مفتقر ، و لا افتقار له إلى شيء فيه أو فى غيره ؛ و هو غير منسوخ ، تدينا بتركه أو الشهوة دعت^١ ﴿ فأولئك ﴾ أى البعداء عن كل خير البغضاء ﴿ هم الفاسقون ه ﴾ [أى - ٢] المختصون بكمال الفسق ، فان كان تدينا كان كفرا ، وإن كان لاتباع الشهوات كان مجرد معصية ، لأن الحظوظ و الشهوات تحمل على الخروج عن دائرة الشرع مرة بعد أخرى ، فمن ترك الحكم تكذيبا فقد جمع الدركات الثلاث : ستر^٢ الدلائل فتقل^٣ من درجة النور إلى دركة الظلام ، فانكبت فى مهواة الخروج من المحاسن ، فانحط إلى أقبح المساوى ؛ و التعبير بالوصف المؤذن بالعراققة فى مأخذ الاشتقاق معلم بأن المراد بكل واحد منها الكفر ، لحقق أن المراد منه الشرعى لا مطلق الستر غاية التحقيق ، فبين بوصفه بالظلم أنه ستر لما ينبغى إظهاره ، و بالفسق أنه بلغ فى كونه فى غير موضعه النهاية حتى خرق جميع دائرة المأذون فيه فخرج منها ، و هذا إشارة إلى ١٥ ذنوب أهل الإنجيل لينتج نقض دعواهم البنوة والمحبة ، لأن المعنى : و من الواضح بكتابك الذى جعل مهيمنا على جميع الكتب أنهم خالفوا أحكامه^٤ فهم فاسقون ، أى خارجون عما من شأنه الاستقرار فيه لنقعه ، فواقعون فى الظلمة الموجبة لوضع الشيء فى غير موضعه المقتضية للتغطية و الستر ، و قدم الوصف بالكفر لأن السياق لمن حرف الكلم عن^٥ موضعه ، و غير

(١-١) فى ظ : الشهوة (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : من (٤) فى ظ : ثم (ه) فى ظ :

فسقط (٦) فى ظ : هذه (٧) فى ظ : لا حكمه (٨) من ظ ، و فى الأصل : من .

ما كتب من محكم أحكام التوراة من الحدود، وذلك هو التغطية التي هي معنى الكفر، لأنه من الظلام، كما أن الفسق سبب الظلم لأنه الخروج عما من شأنه النفع، فكان الآخر أولاً في المعنى والاول نهاية في الحقيقة، والآية دالة على أن فيه أحكاماً، وكذا قوله تعالى في آل عمران "ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم" وهذا هو الحق، وأعظم^٥ ما غير تحريم السبت الذي كان أعظم شعائرهم فأحله، وغير أيضاً غير ذلك من أحكامهم؛ قال فيما رأيت^٦ من ترجمة إنجيل متى: سمعتم ما قيل للأولين: لا تقتل^٧، فإن من قتل^٨ وجبت عليه لائمة الجماعة، ومن قال لأخيه: أحق، فقد وجبت عليه نار جهنم، إن أنت قدمت قربانك على المذبح وذكرت^٩ هناك أن أخاك واجد عليك فدع قربانك هناك قدام^{١٠} المذبح، وامض أولاً وصالح أخاك، وحينئذ فأت وقدم قربانك^{١١}، كن متفهماً^{١٢} من خصمك سريعاً ما دمت معه في الطريق، لتلا يسلك الخصم إلى الحاكم، والحاكم إلى المستخرج وتلقى في السجن؛ وفي إنجيل لوقا: إذا رأيتم سحابة تطلع من المغرب قلم: إن المطر يأتي؛ فيكون كذلك، وإذا هبت ريح الجنوب قلم: سيكون حر، يا مراؤن^{١٣} اتحسنون تمييز وجه السماء والأرض^{١٤} وهذا الزمان كيف^{١٥} لا تميزونه^{١٦}، ولا تحكمون بالصدق من قبل نفوسكم!

(١) آية ٥ (٢ - ٢) من ظ، وفي الأصل: فاعظم (٣) من ظ، وفي الأصل: في (٤) في ظ: لا يقبل (٥) في ظ: قبل (٦) في ظ: ذكر (٧) زبدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ والإنجيل لحذفناها (٨) من ظ، وفي الأصل: متضمناً - كذا (٩) في ظ: ذهبت (١٠) من الإنجيل، وفي الأصل وظ: مروان. (١١ - ١١) من الإنجيل، وفي الأصل: تميزونه، وفي ظ: يميزونه.

لأنك إذا ذهبت مع خصمك إلى الرئيس فأعطه ما يجب^١ عليك في الطريق تتخلص / منه، ثلثا يذهب بك إلى الحاكم فيدفعك الحاكم إلى المستخرج ويلقيك المستخرج في السجن؛ وقال متى: الحق الحق أقول لك! إنك لا تخرج من هناك حتى تؤدي آخر فلس عليك، سمعتم ما قيل للأولين: لا تزني^٢، وأنا أقول لكم: إن كل من نظر إلى امرأة [و-٢] اشتهاها فقد زنى بها في قلبه، إن شككتك عينك اليمنى فاقطعها وألقها، لأنه خير لك أن تهلك أحد أعضاءك ولا تلقى جسدك كله في جهنم،^٣ قيل: إن من طلق امرأته فيدفع لها^٤ كتاب الطلاق، وأنا أقول لكم: إن من طلق [امرأته - ٥] من غير كلمة زنا فقد جعلها زانية، ومن تزوج مطلقة فقد زنى، وأيضا سمعتم ما قيل للأولين: لا تخط في يمينك، وأوف للرب قسمك، وأنا أقول لكم: لا تحلفوا البتة لا بالسما فأنها^٥ كرسى الله، ولا^٦ بالأرض لأنها موطى^٧ قدميه، ولا يروشلیم فأنها مدينة^٨ الملك^٩ العظيم، ولا برأسك لأنك لا تقدر تصنع شعرة يضاء أو سوداء، ولتكن كلمتكم: نعم نعم ولا^{١٠} لا، وما زاد على ذلك فهو من الشر، سمعتم ما قيل: العين بالعين والسن بالسن، وأنا أقول لكم: لا تقاوموا الشر، ولكن من لطمك على خدك اليمين فحول له الآخر،

(١) في ظ: تجب (٢) في ظ: لا يزن (٣) زيدت الواو من ظ (٤) في ظ: واحد من (٥) زيدت الواو في الإنجيل (٦) في ظ: له (٧) زيد من ظ والإنجيل (٨) من ظ، وفي الأصل: فساني (٩) سقط من ظ (١٠) في ظ: توطى (١١) في ظ: قدمته - كذا (١٢) من ظ والإنجيل، وفي الأصل: للعظم - كذا (١٣) زيدت الواو في ظ.

و من أراد خصومتك و أخذ ثوبك فدع له رداءك، و من سخر ك ميلا
فامض معه اثنين؛ قال لوقا: و كل من سألك فأعطه، و من أراد أن
يقترض منك فلا ترده، و لا تطلب من الذى يأخذ مالك، و كما تحبون
أن يصنع الناس بكم كذلك فاصنعوا أتم بهم؛ و قال متى: سمعتم ما قيل:
أحب قريبك و أبغض عدوك، و أنا أقول لكم: حبوا أعداءكم و باركوا ه
لا عنكم، و أحسنوا إلى من أبغضكم - و قال لوقا: يبنضكم - و صلوا
[على - ٢] من يطردهم و يحزنكم، لكيما تكونوا بنى أيكم الذى فى السموات،
لأنه المشرق شمس على الأخيار و الأشرار، و الممطر^٢ على الصديقين و الظالمين،
و إذا أحببتهم من يحبكم فأى أجر لكم؟ أليس العشارون^٤ يفعلون مثل ذلك؟
و إن سلمتم على إخوانكم فقط فأى فضل علمتم؟ أليس كذلك؟^٥ يفعل العشارون ١٠
و قال لوقا: إن كنتم إنما تحبون^٦ من يحبكم فأى أجر لكم؟ إن الخطاة يحبون
من يحبهم، و إن صنعتم الخير مع من يحسن إليكم فأى فضل لكم؟ إن
الخطاة هكذا يصنعون، و إن كنتم إنما تقرضون من تظنون أنكم تأخذون
العوض منه فأى فضل لكم؟ إن^١ الخطاة أيضا يقرضون الخطاة^٧ لكي يأخذوا^٨
منهم العوض، لكن حبوا أعداءكم و أحسنوا إليهم، و كونوا رحماء ١٥
مثل أيكم فهو رؤوف؛ و قال متى: كونوا أتم كاملين مثل أيكم السهائ
فهو كامل. ثم قال فى الفصل الثالث و الثلاثين^٩: و فى ذلك الزمان
(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: الطر (٤) فى ظ: العشارون (٥) فى
ظ: ذلك (٦) فى ظ: بجمعون - كذا (٧-٧) فى ظ: لكن تأخذوا (٨) فى
ظ: الثانى، و أما فيما عندنا من الأناجيل فهنا الفصل الثانى عشر.

مر يسوع في سبت بالزروع و جاع تلاميذه ، فبدأوا^١ يفركون سنبلا
و يأكلون - و في لوقا: كان تلاميذه يقطعون السنبل و يفركون بأيديهم
و يأكلون - فلما أبصرهم الفريسيون قالوا له: ها هو ذا تلاميذك يعملون
ما لا يحل في السبت - و في لوقا: لما ذا تفعلون ما لا يحل أن يفعل في
السبت - فقال [لهم -^٢]: أما قرأتم ما صنع داود^٣ لما جاع هو و الذين
معه^٤ كيف دخل إلى بيت الله و أكل خبز التقدمة^٥ الذي لا يحل أكله
إلا للكهنة^٦ قال مرقس: و أعطى الذين كانوا معه ، ثم قال لهم: السبت
من أجل الإنسان كان^٧ و لم يخلق الإنسان من أجل السبت ؛ قال متى:
أول^٨ ما قرأتم في التاموس أن الكهنة في السبت في الهيكل ينجسون السبت
١٠ و ليس عليهم جناح^٩ و^{١٠} أقول لكم: إن ههنا^{١١} أعظم من الهيكل لو كنتم
تعلمون ما هو مكتوب ، إنى أريد الرحمة لا^{١٢} الذبيحة ، لِمَ تحكمون على من
لا ذنب له^{١٣} و قال لوقا: و دخل بيت^{١٤} أحد الرؤساء/ الفريسيين في يوم^{١٥} سبت
ليأكل خبزا و هم كانوا يرصدونه^{١٦} فإذا إنسان به استسقاء ، فقال يسوع
للكهنة و الفريسيين: هل يحل أن يبرأ^{١٧} في السبت؟ فسكتوا فأخذه و أبرأه
١٥ ثم قال لهم: من منكم يقع ابنه في بئر يوم السبت و لا يصعده في الوقت؟
فلم يقدروا أن يجيبوه عن هذا؛ ثم قال متى: فجاء^{١٨} الفريسيون ليجربوه^{١٩}

(١) في ظ: فبدأ (٢) زيد من ظ و الإنجيل (٣) زبدت الواو بعده في ظ (٤) في
ظ: بالقدمه (٥) في ظ: كانه (٦) من ظ ، و في الأصل « و » (٧) في ظ: قاما .
(٨) سقط من ظ (٩) في ظ: هنا (١٠) في ظ: الا (١١) في ظ: يرضونه .
(١٢) في ظ: يبروا (١٣-١٤) في ظ: الفريسيين ليخزنوه - كذا .

قاتلين : هل يحل^١ للانسان أن يطلق امرأته لأجل [كل -] كلمة ؟ أجاب :
 "أما قرأتم^٢ أن الذى خلق فى البدء خلقها ذكرا و أنثى ، من أجل ذلك
 يترك الإنسان أباه و أمه و يلصق بامرأته ، و يكونان كلاهما جسدا
 واحدا ، و ليس هما اثنين لكن جسد واحد ، و ما زوجه الله لا يفرقه
 الإنسان - و قال مرقس : لا يقدر إنسان يفرقه - قالوا له : لما إذا أمر موسى^٣
 أن يعطى^٤ كتاب الطلاق و تخلى^٥ ؟ قال لهم : موسى من أجل قسوة
 قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم - و فى مرقس^٦ : إنهم^٧ سألوه فقال^٨
 لهم : بما ذا^٩ أوصاكم موسى^{١٠} ؟ قالوا^{١١} : أمر أن يكتب كتاب الطلاق و تخلى^{١٢} ،
 قال لهم يسوع : من أجل قسوة قلوبكم كتب لكم^{١٣} موسى هذه الوصية ،
 من البدء لم يكن هكذا ، و أقول لكم : من طلق امرأته من غير^{١٤} زنا^{١٥}
 فقد ألجأها إلى الزنا ، و من تزوج مطلقة فقد زنى ؛ و فى إنجيل مرقس :
 و فى البيت أيضا سأله التلاميذ عن هذا فقال لهم : من طلق امرأته
 و تزوج أخرى فقد زنى عليها ، و إن هى خلت زوجها و تزوجت آخر فهى
 زانية ؛ و فى لوقا : كل من يطلق امرأته و يتزوج أخرى فهو يزنى ، و كل
 من تزوج مطلقة من زوجها فهو يزنى ؛ قال متى : فقال له التلاميذ : إن^{١٦}
 كان هكذا علة الرجل مع امرأته بخير^{١٧} له أن لا يتزوج ، فقال لهم :
 ما كل أحد يستطيع هذا الكلام إلا الذين قد أعطوا ، الآن خصيان ولدوا

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٢) تأخر فى ظ عن « ان الذى » (٤) من
 ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : تعطى (٥) فى ظ : يحل (٦) زيد بعده فى الأصل :
 لما ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) فى ظ : قال (٨) من ظ ، و فى الأصل :
 بما (٩) فى ظ : محلى - كذا (١٠) فى ظ : أجل (١١) فى ظ : فهو خير .

من بطون أمهاتهم، وخصيان أخصام^١ الناس، وخصيان أخصوا نفوسهم
من أجل ملكوت السماوات، و من استطاع أن يحتمل فليحتمل .

ولما^٢ ذكر سبحانه الكتابين، ذكر ختامها^٣ وتامها، وهو ما أنزل
إلى هذا النبي الأسمى من الفرقان الشاهد على جميع الكتب التي قبله،
هـ فقال تعالى: ﴿ وانزلنا ﴾ أي بعظمتنا ﴿ اليك ﴾ أي خاصة ﴿ الكتب ﴾
أي الكامل في جمعه، لكل ما يطلب منه وهو القرآن ﴿ بالحق ﴾ أي
الكامل الذي لا يحتاج إلى شيء يتمه، ثم مدحه بمدح الأنبياء الذين تقدموه^٤
فقال: ﴿ مصدقا لما بين يديه ﴾ أي تقدمه^٥ .

ولما كانت الكتب السماوية من شدة تصادقها كالشيء الواحد،
١٠ عبر بالفرد لإفادته ما يفيد الجمع وزيادة دلالة على ذلك فقال:
﴿ من الكتب ﴾ أي الذي جاء به الأنبياء من قبل ﴿ ومهيئا ﴾ أي شاهدا
حفيظا مصدقا وأميناً رقيباً ﴿ عليه ﴾ أي على كل كتاب تقدمه - كما قاله
البخاري في أول الفضائل من الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي
هذه الصفة^٦ بشارة لحفظه سبحانه لكتابتنا حتى لا يزال بصفة الشهادة، فإن الله
١٥ تعالى استحفظهم^٧ كتبهم فعبجروا عنها، فخرها محرفوم^٨ وأسقطوا منها^٩
وأسقط مرفوم، فتكفل هو سبحانه بحفظ كتابنا فكان قيبا عليها، فما كان
فيها موافقا [له - ١٠] فهو حق، وما كان فيها مخالفا فهو إما^{١٠} منسوخ

(١) في ظ: احصاهم (٢) في ظ: لمن (٣) في ظ: ختامهم (٤) في ظ: جميعه .
(٥) في ظ: تقدموا (٦) في ظ: يقدمه (٧) سقط من ظ (٨) في ظ: سيحفظهم .
(٩-١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٠) زيد من ظ .

أو مبدل فلا يعتبر، بل يحكم بما في كتابنا لأنه ناسخ لجميع الكتب،
والآتي به مرسل إلى جميع العالمين، / فله ناسخة لجميع الملل، فأتج هذا / ٧٤
وجوب الحكم بما فيه على^١ المؤلف والمخالف بشرطه^٢؛ فلذا قال مسيما
عما قبله: ﴿ فاحكم بينهم ﴾ أى بين جميع أهل الكتب، فقيرهم من باب
الأولى ﴿ بما أنزل الله ﴾ أى^٣ الملك الذى له الأمر كله^٤ إليك فى هذا ه
الكتاب^٥؛ الناسخ لكتبهم المهيمن عليها فى إثبات ما أسقطوه منها من
أمرهم باتباعك ونحو ذلك من أوصافك ﴿ ولا تتبع أهواءهم ﴾ فيما
خالفه منحرفين ﴿ عما جاءك ﴾ وبينه بقوله: ﴿ من الحق^٦ ﴾ .

ولما كان كل من كتبهم^٧ من عند الله، كان كأنه قيل: كيف
يكون الحكم بكتبهم الذى يصدقه كتابنا انحرافا عن الحق؟ علل ذلك ١٠
دالا على النسخ بقوله: ﴿ لكل ﴾ أى لكل واحد ﴿ جعلنا ﴾ أى بعظمتنا
التي نفعل بها^٨ ما نشاء من نسخ وغيره، ثم خصص الإبهام بقوله:
﴿ منكم ﴾ أى^٩ يا أهل الكتب ﴿ شرعة ﴾ أى دينا [موصلا -^{١٠}] إلى
الحياة الأبدية، كما أن الشرعة موصلة إلى الماء الذى به الحياة الدنيوية
﴿ ومنهاجا^{١١} ﴾ أى طريقا واضحا مستنيرا ناسخا لما قبله، وقد جعلنا شرعتك ١٥
ناسخة لجميع الشرائع، وهذا وأمثاله - بما يدل على أن كل متشرع^{١٢}
مختص بشرع وغير متعبد بشرع من قبله - محمول على الفروع، وما دل

(١) فى ظ: عن (٢) من ظ، وفى الأصل: بشرطه (٣-٢) سقط ما بين الرقيين
من ظ (٤) سقط من ظ (ه) فى ظ: كتابهم - كذا (٦) زيد من ظ (٧) فى
ظ: مشرع .

على^١ الاجتماع كأنه شرع لكم من الدين محمول على الأصول
 ﴿ولو شاء الله﴾ أى الملك الأعظم المالك^٢ المطلق الذى له التصرف التام
 و الأمر الشامل العام أن يجمعكم على شىء واحد ﴿لجعلكم أمة﴾ أى
 جماعة متفقة يؤم بعضها بعضا ، و حقق المراد بقوله : ﴿واحدة﴾ أى على
 ٥ دين واحد ، و لم يجعل شيئا من الكتب ناسخا لشيء^٣ من الشرائع ، لأن
 الكل بمشيئته ، و لا مشيئة لأحد سواه إلا بمشيئته ﴿ولكن﴾ لم يشأ ذلك ،
 بل شاء أن تكونوا على شرائع مختلفة ﴿ليلوكم﴾ أى ليعاملكم معاملة
 المتبلى المختبر ﴿فيما أنتم﴾ أى أعطاكم و قسم بينكم من الشرائع المختلفة
 ليبرز^٤ إلى الوجود ما تعملون^٥ فى ذلك من اتباع و إذعان اعتقادا أن ذلك
 ١٠ مقتضى الحكمة الإلهية ؛ فترجعون عنه إذا قامت البراهين بالمعجزات على
 صدق ناسخه ، و نهضت الأدلة البينات على صحة دعواه بعد طول الإلف
 له و إخلاد النفوس إليه و استحكامه بمرور الأعصار و تقلب الأدوار ؛
 أو زبغ و ميل اتهام و تجويزا كما فعل أول المتكبرين إبليس ، فتأثرون
 الركون إليه و العكوف عليه لم تابعة الهوى و الوقوف عند مجرد الشهوة .
 ١٥ و لما كان فى الاختبار أعظم تهديد ، سبب عنه قوله :
 ﴿فاستبقوا الخيرات^٦﴾ أى افعلوا فى المبادرة إليها بغاية الجهد فعل من يسابق
 شخصا يخشى العار بسبقه له ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿الى الله﴾ أى الشارع
 لذلك ، لا إلى غيره ، لأنه الملك الأعلى ﴿مرجعكم جميعا﴾ و إن اختلفت
 (١) فى ظ : من (٢) فى ظ : الملك (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 سبه - كذا (٥) فى ظ : لير - كذا (٦) فى ظ : يعلمون .

شرائعكم، حسا في القيامة، ومعنى في جميع أموركم في الدارين ﴿ فينبشكم ﴾
 أى يخبركم إخبارا^١ عظيما ﴿ بما كنتم ﴾ أى بحسب اختلاف^٢ الجبلات؛
 ولما كان في تقديم الظرف إبهام، [و - ٣] كان الإبهام بعد
 الإبهام أوقع في النفس، قال ﴿ فيه تختلفون لا ﴾ أى تجددون الخلاف
 مستمرين عليه، ويعطى كلاما يستحقه، ويظهر سر الاختلاف وقائدة هـ
 الوفاق؛ والاتلاف .

ولما كان الأمر بالحكم فيما مضى لكونه مسيئا عما قبله من إنزال
 الكتاب على الأحوال المذكورة، أعاد الأمر به^٢ سبحانه مصرحا بذلك
 لذاته لا لشيء آخر، ليكون الأمر به^٢ مؤكدا غاية / التأكيـد بالأمر به
 ٧٥ / مرتين: مرة لأن الله أمر به، وأخرى لأنه على وفق الحكمة، فقال ١٠
 تأكيـدا له و تنويها بعظيم شأنه و محذرا من الأعداء فيما يلقونه^٣ من الشبه
 للصد عنه: ﴿ وان ﴾ أى احكم بينهم بذلك لما قلنا من السبب^٤ وما ذكرنا
 من^٥ العلة في جعلنا لكل دينا، ولأنا قلنا آمرين لك أن ﴿ احكم بينهم ﴾
 أى أهل الكتب وغيرهم ﴿ بما أنزل الله ﴾ أى المختص بصفات الكمال،
 لأنه يستحق أن يتبع أمره لذاته، وبين أن مخالفتهم له وإعراضهم عنه ١٥
 إنما هو مجرد هوى، لأن كتابهم داع إليه، فقال: ﴿ ولا تتبع أهواءهم ﴾
 أى في عدم التقيد^٦ به ﴿ واحذرهم ان يفتوك ﴾ أى يخاطوك بكذبهم

(١) من ظ، وفي الأصل: خبرا (٢) سقط من ظ (٣) زبدت الواو لتستقيم
 العبارة (٤) زيد بعده في الأصل: والاختلاف، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها.
 (٥) من ظ، وفي الأصل: يتبعونه (٦) في ظ: السبب (٧) في ظ: في (٨) في
 ظ: التقيد .

على الله و افترائهم و تحريفهم الكلم و مراعاتهم مخالطة تملك ﴿ عن بعض
 ما أنزل الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه ، فلا وجه أصلا للعدول عن أمره
 ﴿ اليك فان تولوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم الإعراض عما حكمت
 به بينهم مضادين لما دعت إليه الفطرة الأولى من اتباع الحق و دعت
 ٥ إليه كتبهم من اتباعك ﴿ فاعلم انما يريد الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة
 ﴿ ان يصيهم ﴾ لأنه لو أراد بهم الخير لهداهم إلى القبول الذى يطابق
 عليه شاهد العقل بما تدعو إليه الفطرة الأولى و النقل بما فى كتبهم ، إما
 من الامر بذلك الحكم بعينه ، وإما من الامر باتباعك ﴿ ببعض ذنوبهم ﴾
 أى التى هذا منها ، وأهمه زيادة فى استدراجهم و إضلالهم و تحذيرا لهم
 ١٠ من جميع مساوى أعمالهم ، لئلا يعلوا عين الذنب الذى أصيوا به ، فيحملهم
 ذلك على الرجوع عنه ، و يصير ذلك كالإلجاء ، أو يكون إيهامه للتعظيم
 كما أن التنكير يفيد التعظيم ، فيؤذن السياق بتعظيم هذا التولى و بكثرة
 ذنوبهم واجترائهم على مواقعتها .

و لما كان التقدير : فانهم بالتولى فاسقون ، عطف عليه : ﴿ و ان كثيرا
 ١٥ من الناس ﴾ أى هم و غيرهم ﴿ لفاسقون ٥ ﴾ أى خارجون عن
 دائرة الطاعات و معادن السعادات ، متكفون لأنفسهم إظهار ما فى بواطنهم
 من خفى الحيلة بقوة ؛ و لما كان من المعلوم أن من أعرض عن حكم الله
 أقبل و لا بد على حكم الشيطان الذى هو عين الهوى الذى هو دين أهل
 الجهل الذين لا كتاب لهم هاد و لا شرع ضابط ، سبب عن إعراضهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : التوالى (٢) فى ظ : خارجين .

الإنكار عليهم بقوله: ﴿الحكم الجاهلية﴾ أى خاصة مع أن أحكامها لا يرضى بها عاقل، لكونها لم يدع إليها كتاب، بل إنما هي مجرد أهواء وهم أهل كتاب ﴿يغنون^١﴾ أى يريدون باعراضهم عن حكمك مع ما دبا إليه كتابهم من اتباعك^٢، وشهد به^٣ كتابك بالعجز عن معارضته من وجوب رسالتك إلى جميع الخلائق، وقراءة^٤ ابن عامر بالالتفات إلى ه الخطاب أدل، على الغضب^٥.

ولما كان حسن الحكم تابعا لإتقانه، وكان إتقانه دائرا على صفات الكمال من تمام العلم وشمول القدرة وغير ذلك، قال - معلما أن حكمه أحسن الحكم عاطفا على ما تقديره^٦: فمن أضل منهم -: ﴿ومن﴾ ويجوز أن تكون الجملة حالا من واو^٧ يغنون، أى^٨ يريدون ذلك والحال أنه يقال^٩: من^{١٠} ﴿احسن من الله﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ﴿حكما﴾ ثم زاد فى تقريرهم بكثافة الطباع وجمود الأذهان ووقوف الأنفهام بقوله معبرا بلام البيان إشارة إلى^{١١} المعنى بهذا الخطاب: ﴿لقوم﴾ أى فيهم نهضة وقوة محاولة لما يريدونه ﴿بوقنون^{١٢}﴾ / أى يوجد منهم اليقين يوما ما^{١٣} ٧٦ / وأما غيرهم فليس بأهل للخطاب فكيف بالعتاب^{١٤} إنما عتابه شديد ١٥ العقاب، وفى ذلك أيضا غاية التبكيت لهم والتقيح عليهم من حيث أنهم لم يزالوا يصفون أهل الجاهلية بالضلال، وأن دينهم لم ينزل الله به

(١) من ظ، وفى الأصل: ادعائك (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: قرا (٤) من ظ، وفى الأصل: دل (٥) فى ظ: العطب (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) فى ظ: او (٨) فى ظ: نقاد - كذا (٩) زيد بعده فى ظ: ان .

من سلطان ، وقد عدلوا في [هذه - ١] الاحكام إليه تاركين جميع ما أنزل^٢ الله من كتابهم والكتاب الناسخ له ، فقد ارتكبوا الضلال بلا شبهة على علم ، وتركوا الحق المجمع عليه .

- ولما بين عنادهم وأن عداوتهم لأهل هذا الدين التي^٣ حملتهم على هذا الأمر العظيم ليس بعدها عداوة ، نهى من اتسم بالإيمان عن موالاتهم ، لأنه لا يفعلها بعد هذا البيان مؤمن ولا عاقل ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى أقروا بالإيمان ؛ ولما كان الإنسان لا يوالى غير قومه إلا باجتهاد فى مقدمات^٤ يعملها وأشياء يتجيب بها إلى أولئك الذين يريد^٥ أن يوالىهم ، أشار إلى ذلك بصيغة الافتعال فقال : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا ﴾ أى إن ذلك لو كان يتأتى بسهولة لما كان ينبغي لكم أن تفعلوه ، فكيف وهو لا يكون إلا يذل الجهد ! ﴿ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾ أى أقرباء تفعلون معهم ما يفعل القريب مع قريبه ، وترجون منهم مثل ذلك ، وهم أكثر الناس استخفافاً بكم وازدراء لكم ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ أى كل فريق منهم يوالى بعضهم بعضاً ، وهم جميعاً متفقون - بجامع^٦ الكفر وإن اختلفوا فى الدين - على عداوتكم يا أهل^٧ هذا الدين الخنثى ! ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ ﴾ أى يعالج فطرته الأولى^٨ حتى يعاملهم معاملة الأقرباء ﴿ فَإِنَّهُمْ مِنْكُمْ ﴾ لأن الله غنى عن العالمين ، فمن وإلى أعداءه تبرأ منه وركله إليهم ؛ ثم علل ذلك (١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها . (٣) فى ظ : الذى (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : مقدماته (٦) فى ظ : يريدون . (٧) فى ظ : بجامع (٨) فى ظ : هل .

'ترهيدا فيهم وترهيا' لتوليهم بقوله: ﴿ان الله﴾ أى الذى له الغنى المطلق والحكمة البالغة، وكان الأصل: لا يهديهم، أو لا يهديه، ولكنه أظهر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال: ﴿لا يهدى القوم الظالمين﴾ أى الذين يضعون الأشياء فى غير مواضعها، فهم يمشون فى الظلام، فذلك اختاروا غير دين الله ووالوا من لا تصلح موالاته، ومن لم يرد الله هدايته لم يقدر أحد أن يهديه، ونفى الهداية عنهم دليل على أن العبرة فى الإيمان القلب، إذ معناه أن هذا الذى يظهر من الإقرار^٢ بمن يواليهم ليس بشيء، لأن^٣ الموالى لهم^٤ ظالم بموالاته لهم، والظالم لا يهديه الله، فالموالى لهم لا يهديه الله فهو كافر، وهكذا كل^٥ من كان يقول أو يفعل ما يدل^٦ دلالة ظاهرة على كفره وإن كان يصرح^٧ بالإيمان - والله ١٠ الهادى، وهذا تغليظ من الله وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين واعتزاله - كما قال صلى الله عليه وسلم^٨ لا تراآى ناراهما^٩، ومنه^{١٠} قول عمر لأبى موسى رضى الله عنهما حين اتخذ كاتباً نصرانياً: لا تكرموهم إذ أهانهم الله، ولا تأمنوهم إذ خونهم الله، ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله^{١١}، وروى أن أبا موسى رضى الله عنه^{١٢} قال: لا قوام للبصرة إلا به، ١٥

(١-١) فى ظ: ترهيا فيهم وترغيا (٢) من ظ، وفى الأصل: قرار (٣) سقط من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ (٥) فى ظ: دل، وزيد بعده فى الأصل: على، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٦) من ظ، وفى الأصل: يقرح. (٧-٧) فى ظ: لا ترى نارهما - كذا، والرواية المذكورة فى سنن أبى داود - الجهاد، وسنن النسائي - القسامة (٨) فى ظ: عنهم.

فقال عمر رضى الله عنه : مات النصراني - والسلام ، يعنى هب أنه مات
فما كنت صانعا حينئذ فاصنعه الساعة .

ولما علل بذلك ، كان سببا لتمييز الخالص الصحيح من المغشوش

المريض ، فقال : ﴿ فترى ﴾ أى ^١ قسب عن أن الله لا يهدى متوليهام أنك

ترى ﴿ الذين فى قلوبهم مرض ﴾ أى فساد / فى الدين كابن أبى وأصحابه - ٥ / ٧٧

أخزاهم الله تعالى ﴿ يسارعون ﴾ أى ^٢ بسبب الاعتماد عليهم دون الله ^٣

﴿ فيهم ﴾ أى فى موالاة أهل الكتاب حتى ^٤ يكونوا من شدة

ملا بستهم كأنهم مطروفون لهم ^٥ كأن هذا الكلام الناهى لهم كان إغراء ،

و يعتلون ^٦ بما لا يعتل به إلا مريض الدين من النظر إلى مجرد السبب فى

١٠ النصرة عند خشية الدائرة ﴿ يقولون ﴾ أى قائلين اعتمادا عليهم وهم

أعداء الله باعتذارا عن موالاتهم ﴿ نخشى ﴾ أى نخاف خوفا بالغا

﴿ ان تصيينا دائرة ﴾ أى مصيبة محيطة ^٧ بنا ، و الداوئر : التى تخشى ^٨ ،

و الدوائر : التى ترجى .

ولما نصب سبحانه هذا الدليل الذى يعرف الخالص من المغشوش ،

١٥ كان فعلهم هذا للخالص ^٩ سببا فى ترجى أمر من عند الله ينصر به دينه ،

إما الفتح أو غيره بما أحاط به عليه و كوثته ^{١٠} قدرته يكون سببا ^{١١} لندمهم ،

فلذا ^{١٢} قال : ﴿ فسى الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه فلا يطلب النصر

إلامنه ﴿ ان يأتى بالفتح ﴾ أى باظهار ^{١٣} الدين على الأعداء ﴿ او امر من عنده ﴾

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) فى ظ : يعلنون (٤) فى

ظ : تحيط (٥) فى ظ : يخشى (٦) فى ظ : الخالص (٧) فى ظ : لويته (٨-٨) فى

الأصل : الذمهم فلذا ، و فى ظ : لسيدهم فكذا - كذا (٩) فى ظ : اظهار .

بأخذهم (٤٧)

بأخذهم قتلاً بأيديكم أوبأخراج اليهود من أرض العرب أو بغير ذلك فينكشف لهم الغطاء .

ولما كانت المصيبة عند الإصباح أعظم، عبر به وإن كان المراد التعميم [فقال :- ^١] ﴿ فيصبحوا ﴾ أى فيسبب ^٢ عن كشف غطاءهم أن يصبحوا، والاحسن في نضبه ما ذكره ^٣ أبو طالب العبدى في شرح الإيضاح للفارسى من أنه جواب 'عبي' إلحاقاً لها بالتمنى لكونها للطمع وهو قريب منه، ويحسنه أن الفتح ^٤ وندامتهم المترتبة عليه عندهم من قبيل المحال، فيكون النصب إشارة إلى ما يخفون من ذلك، وهو مثل ما يأتى إن شاء الله تعالى في توجيه قراءة حفص عن عاصم في غافر "فاطلع" - بالنصب ﴿ على ما أسروا ﴾ . ١٠

ولما كان الإسرار لا يكون إلا لما يخشى من إظهاره فساد، وكان يطلق على ما دار بين جماعة [خاصة - ^١] على وجه الكتان عن غيرهم، بين أنه أدق ^٢ من ذلك وأنه على الحقيقة منعتهم خوفهم من غائلته ^٣ وغرته عندهم أن يبرزوه إلى الخارج فقال: ﴿ في آتسهم ﴾ أى من تجويز نحو هذا الدين وإظهار غيره عليه ﴿ ندمين ^٤ ﴾ أى ثابت لهم ١٥ غاية الندم في الصباح وغيره ﴿ وبقول الذين آمنوا ﴾ من ^٥ رفته عطفه على معنى "ندمين" ^٦ فإن أصله: يندمون، ولكنه عبر بالاسم إعلالاً بدوام ندمهم

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : قسب (٣) في ظ : ذكر (٤) في ظ : بالفتح .
(٥) آية ٣٧ (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : غائلته - كذا (٨-٨) من ظ ، وفي الأصل : عطف عليه (٩) في ظ : النادمين .

بشارة بدوام الظهور لهذا الدين^١ على كل دين ، أو على " يقولون نخشى " ، ومن أسقط الواو جعله حالا ، ومن نضبه جاز أن يعطفه على " يصبحوا " أى يكون ذلك سببا لتحقيق المؤمنين أمر المنافقين بالمسارعة في أهل الكتاب عند قيامهم سرورا بهم والندم عند خذلانهم ومحققهم ،
 ٥ فيقول بعض المؤمنين لبعض تعجبا من حالهم واغترابا بما من الله عليهم به من التوفيق في الإخلاص مشيرين إلى المنافقين تنبيها وإنكارا :
 ﴿ آهؤلاء ﴾ أى الحقيرون ﴿ الذين اقسوا بالله ﴾ أى وهو الملك الأعظم ﴿ جهد إيمانهم ﴾ أى مبالغين في ذلك اجترأ على عظمته ﴿ انهم لمعكم ﴾ أيها المؤمنون ! ويجوز أن يكون هذا القول من المؤمنين لليهود في حق المنافقين^٢ حيث قاسموهم^٣ على النصرة ؛ ثم ابتدأ جوابا من بقية كلام المؤمنين أو من كلام الله لمن كأنه قال : / فماذا يكون حالهم ؟
 ٧٨ / فقال : ﴿ حبطت ﴾ أى^٤ فسدت فسقطت ﴿ اعمالهم فاصبحوا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنهم صاروا ﴿ خسرين ﴾ أى دائمى الخسارة بتعبهم في الدنيا بالاعمال وخيبة الآمال ، وجنائتهم في الآخرة الوبال ، وعبر
 ١٥ بالإصباح لأنه لا أقبح من مصابحة السوء لما في ذلك من البغته بخلاف ما ينتظر ويؤمل .

ولما نهى^٥ عن موالاتهم وأخبر أن فاعلها منهم ، نفى المجاز مصرحا بالمقصود فقال مظهرا لنتيجة ما سبق : ﴿ بآيها الذين امنوا ﴾

(١) من ظ ، وفي الأصل : الداعى (٢ - ٢) في ظ : بحيث سموهم - كذا .
 (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : البعث (٥) في ظ : انهى .

أى أقروا بالإيمان^١ من يوالهم^٢ منكم - هكذا كان الأصل ، ولكنه صرح^٣ بأن ذلك^٤ ترك الدين فقال : (من يرتد) ولو على وجه خفى - بما أشار إليه الإدغام فى قراءة من سوى المدنيين وابن عامر (منكم عن دينه) أى^٥ الذى معناه موالاته أولياء الله ومعاداة أعداء الله ، فيوالون أعداءه ويتركون أولياءه ، فيغضهم الله ويغضونه ، ويكونون أعزة على^٥ المؤمنين أذلة على الكافرين ، فالتغنى عنهم (فسوف ياتى الله) أى الذى له التغنى المطلق والعظمة البالغة مكانهم وإن طال المدى بوعده صادق لا خلف فيه (بقوم^٥) أى^٦ يكون حالهم ضد حالهم ، يثبتون على دينهم^٦ ، وهم أبو بكر والتابعون له باحسان - رضى الله عنهم .

^٧ ولما كانت محبته أصل كل سعادة قدمها فقال : (يحبهم) فيثبتهم^{١٠} عليه ويثيبهم بكرمه أحسن الثواب (ويجوزنه^٨) فيثبتون عليه : ثم وصفهم بما بين ذلك فقال : (اذلة) وهو جمع ذليل^٩ ؛ ولما كان ذلهم هذا إنما هو الرفق ولين الجانب لا الهوان ، كان فى الحقيقة عزاء ، فأشار^٩ إليه بحرف الاستعلاء مضمنا له معنى الشفقة ، فقال^{١٠} مبينا أن تواضعهم عن علو منصب وشرف^٧ : (على^٩ المؤمنين) أى لعلهم أن الله يحبهم^{١٥} (أعزة على الكافرين^٨) أى يظهرون^{١١} الغلظة والشدة عليهم لعلهم أن الله خاذلهم ومهلكهم وإن اشتد أمرهم وظهر علوهم وقهرهم ، فالآية

(١) من ظ ، وفى الأصل : يوالهم (٢ - ٢) فى ظ : بذلك (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : معادة (٥) زيد بعده فى ظ : يحبهم ويجوزنه (٦) من ظ ، وفى الأصل : دينه (٧ - ٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : اشار (٩) زيد قبله فى ظ : اذلة (١٠) من ظ ، وفى الأصل : يظهر كل - كذا .

من الاحتباك : حذف أولا البغض وما يشره لدلالة الحب عليه ، وحذف
ثانيا الثبات لدلالة الردة عليه ؛ ثم علي ذلك بقوله : ﴿ يجاهدون ﴾ أى
يوقعون الجهاد على الاستمرار لمن يستحقه من غير ملال ولا تكلف
كالمنافقين ، وحذف المفعول تعميما ودل عليه مؤذنا بأن الطاعة محيطة
بهم فقال : ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى طريق الملك الأعظم الواسع المستقيم
الواضح ، لا لشيء غير ذلك كالمنافقين .

ولما كان المنافقون يخرجون فى الجهاد ، فصلهم منهم بقوله :
﴿ ولا ﴾ أى والحال أنهم لا ﴿ يخافون لومة ﴾ أى واحدة من لوم
﴿ لآئم ﴾ وإن كانت عظيمة وكان هو عظيما ، فبسبب ذلك هم صلاب
١٠ فى دينهم ، إذا شرعوا فى أمر من أمور الدين^٢ - أمر بمعروف أو نهى عن
منكر - كانوا كالمسامير المحمية ، لا يروّعهم قول قاتل ولا اعتراض معترض ،
ويفعلون فى الجهاد فى ذلك جميع^٣ ما تصل قدرتهم وتبلغ قوتهم إليه
من إنكال^٤ الأعداء وإهانتهم ومناصرة الأولياء ومعاضدتهم ، وإيسوا
كالمنافقين يخافون لومة^٥ أولياتهم من اليهود فلا يفعلون وإن كانوا مع^٦
١٥ المؤمنين شيئا ينكهم .

ولما كانت هذه الأوصاف من العلو فى رتب المدح بمكان لا يلحق ،

قال مشيرا إليها / بأداة البدو اسم المذكر : ﴿ ذلك ﴾ أى الذى تقدم من / ٧٩

(١) زيد بعده فى ظ : به (٢) فى ظ : فسبب (٣) فى ظ : النهى (٤) فى ظ : كالتماير .

(٥-٥) من ظ ، وفى الأصل : جميع ذلك (٦) فى ظ : يصل (٧) فى ظ : انكأ .

(٨) فى ظ : لوم (٩) فى ظ : من .

أوصافهم العالية ﴿ فضل الله ﴾ أى الحارى لكل كمال ﴿ يؤتيه ﴾ أى
الله لأنه خالق لجميع أفعال العباد ﴿ من يشاء ^١ ﴾ أى قليذل الإنسان
كل الجهد فى طاعته لينظر إليه [هذا النظر - ^١] برحمته ﴿ والله ﴾ أى
الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ واسع ﴾ أى محيط بجميع أوصاف الكمال ،
فهو يعطى من سعة ليس لها حد ولا يلحقها أصلا نقص ^٢ ﴿ عليم ^٣ ﴾ أى ه
بالغ العلم بمن يستحق الخير ومن يستوجب غيره ، وبكل ما يمكن علمه ^٤ .
ولما نفى سبحانه ولايتهم بمعنى المحبة ^٥ وبمعنى النصرة ^٦ وبمعنى القرب
بكل اعتبار ، أنتج ذلك حصر ولاية كل من يدعى الإيمان فيه وفى
أوليائه فقال : ﴿ انما وليكم الله ﴾ أى لأنه القادر ^٧ على ما يلام الولي ،
ولا يقدر غيره على شيء من ذلك إلا به سبحانه ؛ ولما ذكر الحقيق ^{١٠}
باخلاص الولاية له معلما بافراد المبتدئ أنه الأصل فى [ذلك - ^١] وما عداه
تبع ، أتبعه من تعرف ^٩ ولايته سبحانه بولايتهم بادئا بأحقهم فقال :
﴿ ورسوله ﴾ وأضافه إليه إظهارا لرفعه ﴿ والذين آمنوا ﴾ أى أوجدوا
الإيمان وأقروا به ، ثم وصفهم بما يصدق دعواهم الإيمان فقال :
﴿ الذين يقيمون الصلوة ﴾ أى تمكينا لوصلتهم بالخالق ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ ^{١٥}
إحسانا إلى الخلائق ، وقوله : ﴿ وهم ركعون ^٨ ﴾ يمكن أن يكون معطوفا على
" يقيمون " أى ^٨ ويكونون ^٩ من أهل الركوع ، فيكون فضلا مخصصا

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : بعض (٣) فى ظ : حكه (٤-٤) سقط ما بين الرقين
من ظ (٥) فى ظ : قادر (٦) من ظ ، وفى الأصل : لأنه (٧) فى ظ : يعرف .
(٨-٨) فى ظ : يكون .

'بالمؤمنين المسلمين' ، وذلك لأن اليهود والنصارى لا ركوع في صلاتهم - كما مضى بيانه في آل عمران ، ويمكن أن يكون حالا من فاعل الإيتاء ؛ وفي أسباب النزول أنها نزلت في علي رضي الله عنه ، سأله سائل وهو راكم فطرح له خاتمه . وجمع وإن كان السبب واحدا ترغيا في ه مثل فعله من فعل الخير و التعجيل به لتلايظن أن ذلك خاص به .

ولما كان التقدير : فمن يتول غيرهم فأولئك حزب الشيطان ، وحزب الشيطان هم الخاسرون ، عطف عليه : ﴿ ومن يتول الله ﴾ أى يجتهد في ولاية الذى له مجامع العز ﴿ ورسوله ﴾ الذى خلقه القرآن ﴿ والذين آمنوا ﴾ وأعاد ذكر من خص الولاية بهم تبركا بأسمائهم ١٠ وتصريحا بالمقصود ، فانهم الغالبون - هكذا كان الاصل ، ولكنه أظهر ما شرفهم به ترغيا لهم في ولايته فقال : ﴿ فان حزب الله ﴾ أى القوم الذين يجمعهم على ما يرضى الملك الاعلى ما حزبه أى اشتد عليهم فيه ﴿ هم الغلبون ﴾ أى لا غيرهم ، بل غيرهم مغلوبون ، ثم إلى النار محشورون ، لانهم حزب الشيطان .

١٥ ولما نبه سبحانه على العلل المانعة من ولاية الكفار وحصر الولاية فيه سبحانه ، أنتج ذلك قطعاً قوله منها على علل أخرى موجهة للبراءة منهم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان ، ونبه بصيغه الافعال على أن من (١ - ١) في ظ : بالمسلمين (٢) في ظ : ان (٣) في ظ : عاد (٤) زيدت الواو بعده في ظ (٥) في ظ : الذى .

يوألمهم^١ بمجاهد عقله على ذلك اتباعاً لهواه فقال: ﴿ لا تتخذوا الذين اتخذوا ﴾
أى بغاية الجِدِّ و الاجتهاد منهم ﴿ دينكم ﴾ أى الذى فُرفكم الله به
﴿ هزوا ولعبا ﴾ ثم بين المنهى عن موالاتهم بقوله: ﴿ من الذين ﴾ .

[ولما كان المقصود بهم منح العلم ، و هو كاف من غير حاجة إلى تعيين
المؤق ، بنى للجهول قوله - ١ - : ﴿ اوتوا الكتب ﴾ ٢ ولما كان تطاول ه
الزمان له تأثير فيما عليه الإنسان من طاعة أو عصيان^٣ ، [و - ٢] كان
الإيتاء المذكور لم يستغرق ' زمان القبل ' قال : ﴿ من قبلكم ﴾ يعنى أنهم
فعلوا الهزء عنادا بعد تحققهم صحة الدين .

ولما خص عم فقال: ﴿ والكفار ﴾ أى / [من - ٢] عبدة
الأوثان الذين لا علم لهم نُقِلَ عن الأنبياء ، وإنما استروا ما وضع لعقولهم ١٠
من الأدلة فكانوا ضالين ، وكذا غيرهم ، سواء علم أنهم يستهزؤن
أولا ، كما أرشدت إليه [غير - ٢] قراءة البصريين و الكسائى بالنصب
﴿ اولياءه ﴾ أى فان الفريقين اجتمعوا على حسدكم وازدراءكم ، فلا تصح
لكم موالاتهم أصلا .

ولما كان المستحق لموالاة^٤ شخص - إذا تركه ووالى غيره - يسعى ١٥
فى إهائته ، حذرهم وقوعهم بموالاتهم^٥ على ضد^٦ مقصودهم فقال :

- (١) من ظ ، وفى الأصل : يوالهم (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
(٣-٣) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٤-٤) من ظ ، وفى الأصل : الزمان القليل .
(ه) فى ظ : لموالاة (٦) زيد بعده فى ظ : تركهم (٧) - سقط من ظ .

﴿ واتقوا الله ﴾ من له الإحاطة الكاملة ، فان من والى غيره عاده ،
ومن عاده هلك هلاكا لا يضار معه ﴿ ان كنتم مؤمنين ٥ ﴾ أى راسخين
فى الإيمان بحيث صار لكم جلبة وطبعا ، فان لم تخافوه بأن تركوا ما نهاكم
عنه فلا إيمان .

٥ ولما عم فى بيان استهزائهم جميع الدين ، خص روحه وخالصته
وسره فقال : ﴿ واذا ناديتكم ﴾ أى دعا بعضكم الباقين إلى الإقبال إلى
الندى وهو المجتمع ، فأجابه الباقون بغاية الرغبة ، ومنه دار^١ الندوة ،
أو يكون المعنى أن^٢ المؤذن كلم^٣ المسلمين برفع صوته كلام من هو
معه^٤ فى الندى بالقول فأجابه بالفعل ، فكان ذلك مناداة - هذا أصله ،
١٠ فعبّر بالغاية التى يكون الاجتماع بها^٥ فقال مضمنا له الانتهاء :

﴿ الى الصلوة ﴾ [أى -^٦] التى هى أعظم دعائم الدين ، وموصل إلى الملك
العظيم ، وعاصم^٧ بجلبه المتين^٨ ﴿ اتخذوها ﴾ على ما لها من العظمة والجد
والبعد من الهزء بغاية همهم^٩ وعزائمهم ﴿ هزوا ولعبا^{١٠} ﴾ فيتعمدون^{١١}
الضحك والسخرية ويقولون : صاحوا كصياح العير - ونحو هذا ، وبين
١٥ سبحانه أن سبب ذلك عدم انتفاعهم بقولهم فكأنهم^{١٢} لا عقول لهم ،
وذلك لأن تأملها - فى التطهر لها وحسن حال فاعلها عند التلبس بها
من التخل^{١٣} عن الدنيا جملة والإقبال على الحضرة الإلهية ، والتخل^{١٤}

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : د (٣) سقط من
ظ (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) من ظ . وفى الاصل : لها (٦) زيد من ظ .
(٧-٧) فى ظ : تنه المتن - كذا (٨) فى ظ : عملهم (٩) فى ظ : فيتعمدون .
(١٠) من ظ . وفى الأصل : المصل (١١) فى ظ : بالتخل .

بالقراءة^١ لأعظم الكلام، والتخضع للملك الملوك الذى لم يخف^٢ عظمته على أحد، ولا نازع قط فى كبريائه وقدرته منازع - بمجرد كافي فى اعتقاد حسنها وجلالها وهيبها وكما لها فقال: (ذلك) أى الأمر العظيم الشناعة (بانهم قوم) وإن كانوا أقوياء لهم قدرة على القيام فى الأمور (لا يعقلون هـ) أى ليست لهم هذه الحقيقة ، هـ ولو كان لهم شيء من عقل لعلوا أن النداء بالقم أحسن من التبويق^٣ وضرب الناقوس بشيء لا يقاس ، وأن التذلل بين يدى الله بالصلاة أمر لا شيء أحسن منه بوجه ، وللأذان من الأسرار ما تعجز عنه الأفكار ، منه أنه جعل تسع عشرة كلمة ، ليكشف الله به عن قائله خزنة النار التسعة عشر^٤ ، وجعلت الإقامة إحدى عشرة كلمة رجاء أن يكون ١٠ معتقدها رفيقا لأحد عشر: العشرة المشهود لهم بالجنة ، وقطبهم وقطب الوجود كله النبى صلى الله عليه وسلم ، وناهيك أن من أسرار الله أنه جمع الدين كله أصولا وفروعا - كما يفت ذلك فى كتابي والإيدان بفتح أسرار التشهد والأذان .

ولما كانت النفوس نزاعة إلى الهوى ، عمية عن المصالح ، جاحدة^٥ ١٥ عن الدواء بما وقفت عنده من النظر إلى [زينة - ٦] الحياة الدنيا ، وكان الدليل على سلب العقل عن أهل الكتاب دليلا على العرب بطريق الأولى ، وكانت أهل الكتاب لكونهم أهل علم لا ينهض بمحاجتهم

- (١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) فى ظ : لم يخف (٣) من ظ ، أى النفخ فى البوق ، وفى الأصل : الصوين - كذا (٤) سقط من ظ (هـ) فى ظ : جاحدة - كذا .
(٦) زيد من ظ .

إلا الأفراد من خلص العباد ، قال تعالى دالاً على ما ختم به الآية من
عدم عقلهم أمراً لا عظم خلقه بتبكيته^٢ و توينهم و تقريرهم : ﴿ قل ﴾
و أنزلهم بمحل البعد فقال مبكتاهم بكون العلم لم يمنهم / عن الباطل :
﴿ يآهل الكتب ﴾ أى من اليهود و النصارى ﴿ هل تقمون ﴾ أى
ه تسكرون و تكروهون و تعيون ﴿ منّا الآن امنا ﴾ أى أوجدنا الإيمان^٣
﴿ بالله ﴾ أى لما له من صفات الكمال التى ملأت الأقطار و جاوزت
حد الإكثار ﴿ و ما أنزل النيا ﴾ أى لما له من الإعجاز فى حالات الإطناب
و التوسط و الإيجاز ﴿ و ما أنزل ﴾

٨١

و لما كان إنزال الكتب و الصحف لم يستغرق زمان المضى ، أثبت
١٠ الجار فقال : ﴿ من قبل لا ﴾ [أى - ٤] لما شهد له كتابنا ، وهذه
الاشياء التى آمنّا بها لا يحيد فيها عاقل ، لما لها من الأدلة التى وضوحها
يفوق الشمس ، فحسنها لا شك فيه و لا لبس ﴿ و ان ﴾ أى آمنّا كلنا مع
أن [أو و - ٤] الحال أن ﴿ اكتركم ﴾ قيد به إخراجاً لمن يؤمن منهم
بمادل عليه التعبير بالوصف ﴿ فسقون ه ﴾ أى عريقون^٥ فى الفسق ،
١٥ و هو الخروج عن دار السعادة بحيث لا يمكن منهم رجوع إلى المرضى
من العبادة ، فبين أنهم لا ينقمون من المؤمنين إلا المخالفة^٦ ، و المخالفة
إنما هى بايمان المسلمين بالله و ما أمر به ، و كفر أهل الكتاب بجميع
ذلك مع علمهم بما تقدم لهم أنه من آمن [بالله - ٤] كان الله معه ،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تبكيته (٣) فى ظ : لايمان (٤) زيد من ظ .

(٥) فى ظ : عريقون (٦) فى ظ : المخالفين .

فصره على كل^١ من يناويه، وجعل مآله إلى الفوز الدائم، وأن من كفر
تبرأ منه فأهلكه في الدنيا، وجعل مآله إلى عذاب لا ينقضي^٢ سعيره،
ولا ينصرم أنينه وزفيره، ومن ركب ما^٣ يؤديه إلى ذلك على علم منه
واختيار لم يكن أصلا أحد أضل منه ولا أعدم عقلا، وتخصيص
النقم بما صدر من المؤمنين يمنع عطف "وإن" على "إن" أمنا . ٥
ولما أنزلهم^٤ سبحانه إلى عداد البهائم بكونهم^٥ ينسبونهم إلى الشر،
بجعلهم إياهم موضع الهزء واللعب^٦ و بكونهم ينظرون إلى أى من خالفهم،
فيعدون منه وينفرون عنه من غير أن يستعملوا ما امتازوا به عن^٧ البهائم
في أن المخالف ربما كان فيه الدواء، والمكروه قد يؤول إلى الشفاء،
والمحجوب^٨ يجر إلى العطب والتوى، بين لهم أن تلك رتبة سنية و منزلة ١٠
عليه بالنسبة إلى ما هم فيه، فقال على سبيل التنزل وإرخاء العنان: ﴿ قل ﴾
أى يا من لا ينهض بمحاجتهم لعلهم ولددهم غيره لما جبلت^٩ عليه من قوة
الفهم ثم لما أنزل عليك^{١٠} من العلم ﴿ هل انبئكم ﴾ أى أخبركم إخبارا
متقنا معظما جليلا ﴿ بشر من ذلك ﴾ أى الأمر الذى نقتمونه علينا
مع كونه قبيحا وإن تعاميت [عنه - ١٢]، و وحده حرف الخطاب إشارة ١٥
إلى عمى قلوبهم وأن هذه المقايسة لا يفهمها^{١٢} حق الفهم إلا المؤيد بروح

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : لا تنقضي (٣) في ظ : بما (٤) من
ظ ، وفي الأصل : الزمهم (٥) في ظ : لكونه (٦) من ظ ، وفي الأصل : العجب .
(٧) من ظ ، وفي الأصل : من (٨) في ظ : الجنون (٩) من ظ ، وفي الأصل :
دالت - كذا (١٠) في ظ : أليك (١١) في ظ : جليا (١٢) زيد من ظ (١٣) في
ظ : لا يقيمها .

من الله (مثوبة) أى جزاء صالحا يرجع إليه ، فان المثوبة للخير كما أن العقوبة للشر ، وهى مصدر ميمي كاليسور والمعقول ، ثم نوه بشرفه بقوله : (عند الله^١) أى المحيط بصفات الجلال والإكرام ، ثم رده أسفل سافلين يانا لأنه استعارة تهكمية^٢ على طريق : تحية^٣ بينهم ضرب ه وجيع . بقوله - جوابا لمن كأنه قال : نعم - : (من^٤) أى مثوبة من (لعنه الله) أى أبعد [الملك الأعظم -^٥] وطرده (وغضب عليه) أى أهلكه ، ودل على اللعن والغضب بأمر محسوس فقال : (وجعل) ودل على كثرة المعلنين بجمع الضمير فقال : (منهم) أى بالمسوخ على معاصيهم (القردة) تارة (و الخنازير) أخرى ، ١٠. و التعريف للجنس ، و قال ابن قتيبة : إن التعريف يفيد ظن أنهم لم ينقضوا بل توالدوا حتى كان منهم أعيان ما تعرفه من النوعين ، فما أبعد من كان منهم هذا من أن يكونوا أبناء الله وأحباؤه ! ثم عطف - على قراءة الجماعة - [على -^٦] قوله " لعنه الله^٧ " سبب ذلك بعد أن قدم المسبب اهتماما به لصراحته^٨ فى^٩ المقصود ، مع ان اللعن والغضب سبب حقيقى ، ١٥ / ٨٢ و العبادة سبب ظاهرى ، / فقال : (و عبد الطاغوت^{١٠}) و قرأه حمزة بضم الباء على أنه جمع ، و الإضافة عطف على القردة ، فهو - كما قال فى القاموس - اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والأصنام وكل ما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب ، للواحد والجمع ، فلعوت^{١١} من :

(١) فى ظ : تهكمية (٢) فى ظ : من (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ .
(٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ لحذفناها (٦) من القاموس ،
وفى الأصل و ظ : فعوت ، وفى اللسان : وأصل وزن طاغوت طغيوت على =

طفوت^١، و كل هذه المعاني تصلح ههنا، أما اللات و العزى و غيرها
 بما لم يبدوه صريحا فلتحسينهم^٢ دين أهله حسدا للإسلام^٣، و قد عبدوا
 الأوثان في كل زمان حتى في زمان موسى عليه السلام كما في نص التوراة:
 ثم بالغوا في النجوم لاستعمال السحر فشاركوا الصائين في ذلك . فعنى
 الآية: تنزلنا إلى أن نسبكم لنا إلى الشر^٤ صحيحة، و لكن لم يأت كتاب بلغنا ه
 و لا بالغضب علينا و لا مسخنا قردة و لا خنازير، و لا عبدنا غير الله منذ
 أقبلنا عليه، و أتم قد وقع بكم جميع^٥ ذلك، لا تقدرون أن تتبرؤا من شيء
 منه، فلا يشك عاقل أنكم شر منا و أضل، و العاقل من إذا دار أمره^٦
 بين شرين لم يختار إلا أقلهما شرا، فثبت كالشمس صحة دعوى أنهم قوم
 لا يعقلون، و لذلك ختم الآية بقوله: ﴿ أولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ١٠
 الموصوفون باللعن و ما معه ﴿ شر مكانا ﴾ و إذا كان ذلك لمكانهم فما ظنك
 بأنفسهم، فهو كناية عن نسبتهم إلى العراقة في الشر ﴿ و أضل ﴾ أى
 ممن نسبهم إلى الشر و الضلال، و سلم لهم ذلك فيهم^٧ إرخاء للنعان قصدا
 للإبلاغ في البيان ﴿ عن سوء ﴾ أى قصد و عدل ﴿ السبيل ه ﴾ أى
 الطريق، و يجوز أن تكون الإشارة في ذلك إلى ما دل عليه الدليل الأول ١٥
 من عدم عقلهم و لا تنزل حيثئذ، و إنما قلت: إنهم لا يقدرُونَ على إنكار شيء.

= فعلاوت، ثم قدمت الياء قبل الفين محافظة على جثائها فصار طيفوت و وزنه طفوت .

(١) من القاموس، و فى الأصل: طفوا، و فى ظ: صعود - كذا (٢) من ظ،

و فى الأصل: فلتحسين (٣) من ظ، و فى الأصل: للإسلام (٤) سقط من ظ .

(هـ) سقط ما بين الرقين من ظ (٦-٦) فى ظ: أو امره (٧) فى ظ: فهم .

(٨) فى ظ: لا .

من ذلك ، لأن في نص التوراة التي بين أظهرهم في السفر الخامس : فالرب يقول لكم ويامركم أن تكونوا له شعبا حياء ، و تحفظوا^١ جميع وصاياه و تعملوا بها ، فانه يرفعكم فوق جميع الشعوب ، وإذا جزتم الأردن انصبوا الحجارة التي آمركم بها اليوم على جبل^٢ عبل^٣ وكسوها بالكلس ، و ابنوا هـ هناك مذبحا من حجارة لم يقع عليها حديد ، و لكن ابنوا الحجارة كاملة / ٨٢ لم تقطع ، و قربوا / عليها ذبائح كاملة أمام الله ربكم ، و كلوا هناك و افرحوا أمام الله ربكم ، و اكتبوا على تلك الحجارة جميع آيات هذه السنة . ثم عين موسى رجلا يقومون على جبل إذا جازوا^٤ الأردن و يهتفون بصوت عال و يقولون لبني إسرائيل : ملعونا يكون الذي يتخذ أصناما ١٠ مسبوكة و أوثانا منحوتة أمام الرب . و الشعب كلهم يقولون : آمين ! ملعونا يكون من ينقل حد صاحبه و يظلمه في أرضه ، و يقول الشعب كلهم : آمين ! ملعونا يكون من يضل الأعمى عن الطريق ، و يقول الشعب كلهم : آمين ! ملعونا يكون من يحيف على المسكين و اليتيم و الأرملة في القضاء ، و يقول الشعب كلهم : آمين^٦ - إلى أن قال : ملعونا يكون^٧ كل ١٥ من لا يثبت على عهد آيات هذه التوراة و يعمل بها ، و يقول الشعب كلهم : آمين ! ثم قال : و إن أتم لم تسمعوا قول الله ربكم و لم تحفظوا^٨ و لم تعملوا بجميع سننه و وصاياه التي آمركم بها اليوم ، ينزل بكم هذا اللعن الذي أقص

(١) من ظ ، و في الأصل : تحفظون (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : جبل ، و في التوراة : عيال ، و هو قريب بما أثبتناه من ظ (٤) في ظ : جاوزوا (٥) في ظ : التي (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) في ظ : يقول من - كذا (٨) في الأصل و ظ : لا تحفظوا - كذا .

عليكم كله ويدرركم العقاب ، و تكونوا ملعونين في القرية ، ملعونين^١
 في الحرب ، و يلعن / نسلكم و ثمار أرضكم ، و تكونون ملعونين إذا دخلتم
 ٨٣ / و ملعونين إذا خرجتم ، ينزل بكم الرب البلاء و الحشرات ، و ينزل بكم
 الضربات الشديدة ، و بكل شيء تمدون أيديكم إليه لتعملوه حتى يهلككم
 و يتلفكم صريعا من أجل سوء أعمالكم و ترككم لعبادتي^٢ ، و يسلط عليكم
 هذه الشعوب حتى تهلكوا ، و^٣ تكون السماء التي فوقكم عليكم^٤ شبه النحاس ،
 و الأرض تحتكم^٥ شبه الحديد ، و يكسرکم الرب بين يدي أعدائكم ،
 تخرجون إليهم في طريق واحدة و تهربون في سبعة طرق ، و تكونون مثلاً
 و قرعاً لجميع مملكات الأرض ، و^٦ تكون جيفكم مأكلًا^٧ لجميع السباع
 و طيور السماء و لا يذب أحد عنكم ، تكونون^٨ مقهورين مظلومين مغضوبين
 ١٠ كل أيام^٩ حياتكم ، يسبى بنيك و بناتك شعب آخر و تنظر^{١٠} إليهم و لا تقدر
 لهم على خلاص ، و تكون^{١١} مضطهداً مظلوماً طول عمرک يسوقك الرب ،
 و يسوق^{١٢} ملكك الذي ملكه عليك إلى شعب لم يعرفه أبوك ، و تعبد هناك
 آلهة أخرى عملت من خشب و حجارة ، و تكون مثلاً و عجباً ، و يفكر
 فيك كل من يسمع خبرك في جميع الشعوب التي يقرکم الله فيها ، تزرع^{١٣}
 ١٥ كثيراً و تحصد قليلاً ، و يتعظم عليك سكانك و يصيرون فوقك ، هذا اللعن

(١) في ظ : مغلوبين (٢) في ظ : لعبادى (٣) من ظ ، وفي الأصل : او .
 (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥-٥) في ظ : يكون جيلكم كاملاً - كذا .
 (٦) في ظ : يكونون (٧) زيدت الواو بعده في ظ (٨) من ظ ، وفي الأصل :
 تنتظر (٩) من ظ ، وفي الأصل : يسوقك (١٠) في ظ : يزرع .

كله يلزمك و ينزل بك و يدركك حتى تهلك ، لأنك لم تقبل قول الله
 ربك ، ولم تحفظ سننه و وصاياه التي أمرك بها ، و تظهر فيك آيات
 و عجائب و في نسلك إلى الأبد ، لأنك لم تعبد الله ربك و لم تعمل بوصاياه ،
 و يصير أعداؤك دق الحديد على عنقك ، و يسلط الله عليك شعبا يأتبك و أنت
 ٥ جائع ظمآن عريان فقير ، قد أعوزك كل شيء يحتاج إليه ، و تخدم أعداءك ،
 و يسرع إليك مثل طيران النسر شعب لا تعرف نعمتهم ، شعب وجوههم
 صفيقة^٢ ، لا تستحي من الشيوخ و لا ترحم الصبيان ، و يضيق عليك في جميع
 قراك حتى يظفر^٣ بسوراتك المشيدة التي تتوكل^٤ عليها و تثق بها في كل أرضك ،
 و تضطر حتى تأكل لحم ولدك ، و الرجل المدلل منك المفق^٥ تنظر عيناه
 ١٠ إلى أخيه و خليله و إلى من بقى من ولده جائعا ، لا يعطيهم من لحم^٦ ابنه
 الذي يأكله^٧ لأنه لا يبقى عنده شيء من الاضطهاد^٨ و الضيق الذي يضيق
 عليك عدوك ، و إن لم تحفظ و تعمل بجميع الوصايا و السنن التي كتبت في
 هذا الكتاب و تتق الله ربك و تهب^٩ اسمه^{١٠} المحمود المرهوب ينحسك^{١١}
 الرب بضربات موجعة ، و يتليك بها و يتلى نسلك من بعدك ، و يبقى
 ١٥ من نسلك عدد قليل من بعد كثرتهم التي كانت قد صارت مثل نجوم السماء ،

(١) في ظ : يخدم (٢) في ظ : ضعيف (٣) من ظ ، و في الأصل : تظفر (٤) من
 ظ ، و في الأصل : توكل (٥) أى النعم المرفه ، و في الأصل و ظ : المفق .
 (٦) زيدت الواو بعده في الأصل ، و لم تكن في ظ فخذناها (٧) من التوراة -
 الأصحاح الثامن و العشرين ، و في الأصل و ظ : يا كل (٨) في ظ : الاطهاد .
 (٩) في الأصل و ظ : تهاب (١٠) من ظ ، و في الأصل : اسمك (١١) في ظ : فحطك .

لأنك لم تسمع قول الله ، كما فرّحك الرب وأنعم عليكم [وكرّمك -^١]
 [كذلك يفرح الرب لكم -^٢] ليستأصلكم بالعقاب والنكال ، ويدمر عليكم
 ويتلفسكم ، وتجلون عن الأرض التي تدخلونها لثروتها^٣ ، ويفرقكم
 الرب بين جميع الشعوب - هذه أقوال العهد التي أمر الله بها موسى أن
 يعاهد^٤ بني إسرائيل في أرض موآب سوى العهد الذي عاهد^٥هم* بحوريب ، ه
 فان قالوا^٦ : نحن لم نقض بعد موسى عليه السلام حتى يلزمنا هذا اللعن
 المشروط بنقض العهد ! قيل : قد شهد عليكم بذلك ما بين أيديكم من كتابكم ،
 فانه قال في آخر أسفاره ما نصه : وقال الرب لموسى : قد دنت أيام وفاتك
 فادع يسوع^٧ وقوما في قبة الزمان لآمره^٨ بما أريد ، وانطلق يسوع^٩
 وموسى وقاما في قبة الزمان ، وظهر الرب في قبة الزمان بعمود من ١٠
 سحاب ، وقام عمود من سحاب في باب^{١٠} قبة الزمان ، وقال / الرب لموسى :
 أنت مضطجع منقلب إلى آرائك ، فيقوم هذا الشعب فيضل ويتبع آلهة
 أخرى آلهة الشعوب التي تدخل وترى وتسكن بينها ، ويخالفني ويبطل
 عهدي^{١١} الذي عهدته ، يشتعل غضبي عليه في ذلك اليوم ، وأخذلهم
 وأدير وجهي عنهم ، ويصيرون مأكلا لأعدائهم ، ويصيبهم شر شديد ١٥
 وغم طويل ، لأنهم تبعوا الآلهة الأخرى ، فاكتب لهم الآن هذا^{١٢} التسييح
 وعله بني إسرائيل وصيره في أفواههم ، ليكون هذا التسييح شهادة على

(١) زيد من ظ (٢) زيد من التوراة (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده في
 الأصل وظ ، ولم تكن في التوراة لخذفناها (٥) في الأصل وظ : عاهدكم (٦) في
 ظ : قال (٧-٧) في ظ : واع يسوع - كذا (٨) في ظ : يسوع (٩) زيدت
 الواو بعده في ظ .

بنى إسرائيل ، لأنى مدخلهم الأرض التى أقسمت لأبائهم ، الأرض التى
تقل السمن والعسل ، و يأكلون ويشبعون و يتلذذون ، و يتبعون الآلهة
الآخرى و يعبدونها ، و يغضبونى و يطلبون^١ عهدى ، فاذا نزل بهم هذا
الشرا الشديد و الغوم يتلى عليهم هذا التسيح للشهادة ، و لا تعدمه أفواه
٥ ذريتهم ، لأنى عالم بأهوائهم و كل ما يصنعونه ههنا اليوم قبل أن أدخلهم
الأرض التى أقسمت لأبائهم ، و كتب موسى هذا التسيح ذلك اليوم و علمه
بنى إسرائيل - و ذكر بعد هذا كله ما ذكرته عند " انا اوحينا اليك
كما اوحينا إلى نوح^٢ و النين^٣ " فى النساء فراجعهم ؛ ثم قال : أنصت أيتها
السماء فأتكلم ، و لتسمع الأرض النطق من فى^٤ لأنها ترجو كلامى عطشانة ،
١٠ و كمثل^٥ الندى ينزل قولى و كالطر على النخيل و شبه الضباب على
العشب^٦ ، لأنى دعوت باسم الرب أبدا و بالتعظيم لله الرب العدل و ليس عنده
ظلم ، الرب البار الصادق ، أخطأ أولاد الأنجاس ، الجيل المتعوج المنقلب ،
و بهذا^٧ كافأوا الرب ، لأنه شعب جاهل و ليس بحليم ، أليس الرب
استخلصك^٨ و خلقك^٩ اذكروا أيام^{١٠} الدهر و تفهموا ما مضى من سنتى
١٥ جيلا بعد جيل ، استخبر أباك فيخبرك ، و شيوخك فيفهموك^{١١} ، حين قسم^{١٢}
العلى للأمم^{١٣} بنى آدم الذين فرقهم^{١٤} ، أقام حدود الأمم على عدد الملائكة^{١٥} ،

(١) فى ظ : يطلبون (٢) سقط ما بين الرقين من ظ ، و رقم هذه الآية ١٦٣ -
(٣) من ظ ، وفى الأصل : كل (٤) من ظ و التوراة ، وفى الأصل : الشعب .
(٥) من ظ ، وفى الأصل : هذا (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : يفهموك (٨) فى
ظ : القسم (٩) من التوراة ، وفى الأصل و ظ : الامم (١٠) زيدت الواو بعده
فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى التوراة فحذفناها (١١) فى التوراة : بنى إسرائيل -
راجع الأصحاح الثانى و الثلاثين منها .

و صار^١ جزء الرب شعبه^٢، يعقوب^٣ جبل ميراثه، إسرائيل فأرواه في البرية من عطش الحر حيث لم يكن ماء، وحاطه وأدبه وحفظه مثل حدة العين، وكثل النسر حيث قتل^٤ عشه وإلى فراخه اشتاق، فنشر أجنحته وقلبه وحملهم على صلبه، الرب وحده ساقهم ولم يكن معهم إله^٥ آخر، وأصعدهم إلى علو الأرض وأطعمهم من ثمر الشجر وغذاهم عسلا من حجر، من الصخرة أخرج لهم الزيت، ومن سمّن البقر ولبن الغنم وشحم الخراف والكباش والثيران والجداء ولب^٦ القمح، أكل يعقوب المخصوص، حين شحم وغلظ^٧ وعرض، ترك الإله الذي خلقه وبعد من الله مخلصه، يقول الله: أسخطوني مع الغرباء بأوثانهم وأغضبوني حين ذبحوا للشياطين^٨ ولم يقربوا لإله الآلهة ولم يعرفه الجيل^٩ الجديد الذين^{١٠} أتوا ونسوا^{١١} آباءهم.

هذا ما أردت ذكره من التوراة في الشهادة على لزوم اللعن والغضب لهم بعبادتهم^{١٢} الطواغيت، وقد صدق الله قوله فيها وآتم كلماته - وهو أصدق القائلين - بما وقع لهم بعد وفاة موسى عليه السلام ثم بعد يوشع^{١٣} عليه السلام مع ما تقدم لهم في أيام يوشع^{١٤} عليه السلام من عبادة بعلين^{١٥}

(١) من ظ، وفي الأصل: صاروا (٢) في ظ: شعبة (٣) زبدت الواو بعده في الأصل وظ، ولم تكن في التوراة لخذفناها (٤) في الأصل وظ: يضل - كذا. (٥) - سقط من ظ (٦) من ظ والتوراة، وفي الأصل «ل» كذا (٧) من ظ، وفي الأصل: خلط (٨) في ظ: الشياطين (٩) من ظ، وفي الأصل: الذي (١٠) في ظ: نسبوا (١١) من ظ، وفي الأصل: لعبادة (١٢) في ظ: موسى (١٣) من ظ، وفي الأصل: موسى (١٤) في ظ: يعبدون، وفي التوراة: بعل فنور - راجع الأصحاح الخامس والعشرين من السفر الرابع.

الصنم كما مضى^١ عند قوله تعالى "واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم"^٢

/ ٨٥

ذكر ما يصدق ذلك من سفر يوشع، قال: / ودعا يوشع جميع

بنى إسرائيل^٣ وقال^٤ لهم: أنا قد شخت وطعنت في السن، وأتم قد رأيتم

ما صنع الله بهذه الشعوب، إنه أهلكهم من بين أيديكم، وإن الله ربكم

هو تولى حروبكم وظفركم، قد علمت أنى قسمت^٥ لكم الشعوب التي بقيت،

فأما عند النهر الأعظم في مغارب الشمس فقد قسمتها لكم، والله ربكم

يهزمهم^٦ ويهلكهم من أمامكم وترثون أرضهم كما قال الله ربكم، ولكن

تقووا^٧ جدا واعملوا بجميع ما كتب في سفر موسى عند الرب، أهلك الرب

من أمامكم شعوبا عظيمة ولم يثبت لكم إنسان إلى اليوم، الرجل منكم

١٠ يهزم ألف رجل، لأن الله^٨ ربكم^٩ معكم وهو يجاهد عنكم^{١٠} كما قال لكم،

فاحترسوا لانفسكم^{١١}، إن أتم خالطتم الشعوب الذين بقوا بينكم وصرتهم لهم

أختانا^{١٢} صاروا لكم نخاها وعثرات وأسنة في أصدافكم وصنارات في

أعينكم حتى تهلكوا من الأرض الصالحة التي أعطاكم الله ربكم، وأما^{١٣}

أنا فسار في طريق أهل الأرض كلهم، وقد تعلمون يقينا من كل قلوبكم

١٥ و أنفسكم أنه ما سقطت كلمة واحدة من الكلام الذي وعدكم الله ربكم،

(١) سقط من ظ (٢) سورة ٢، آية ٩٣ (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ .

(٤) من سفر يوشع، وفي الأصل وظ : لم انقسم (٥) في ظ : يكرمكم (٦) في

ظ : اتقوا - كذا (٧) في ظ : الرب (٨-٨) تكرر ما بين الرقيين في ظ بعد

« بقوا بينكم » (٩) من ظ ، وفي الأصل : الذي (١٠) في ظ : أحيانا (١١) من ظ ،

وفي الأصل : انما .

و كما تم كل الكلام الصالح الذى وعدكم الله به كذلك ينزل بكم كل اللعن
حتى تهلكوا و تيدوا إن أتم عصيتم و تعدتكم على ميثاق الله ربكم و الوصايا
التي أوصاكم بها ؛ و جمع جميع بنى إسرائيل إلى سحار و أقامهم أمام الرب
في قبة الزمان و قال : اسمعوا قول الله إله إسرائيل : كان آباؤكم سكانا
في مجاز النهر في الدهر الأول ، ترح أبو إبراهيم و ناحور^٢ ، و كانوا يعبدون ه
هناك آلهة أخرى ، و عهدت إلى إبراهيم أبيكم و أخرجه من مجاز النهر
و سترته في أرض كنعان كلها ، و أكثرت ذريته و رزقه إسحاق ابنا ،
و رزقت إسحاق يعقوب و عيسو ، و أعطيت عيسو جبل ساعير ميراثا ،
فأما يعقوب و بنوه فزلوا إلى مصر ، و أرسلت موسى و هارون و عاقبت
أهل مصر و أكثرت في أرضهم من الآيات و الأعاجيب^١ ، و من بعد ١٠
ذلك أخرجه من مصر ، و شق لهم الرب بحر سوف و أجاز إياكم فيه مشيا ،
فلما أراد المصريون أن يجزوا أقلب^٢ البحر عليهم و غرقهم ، و رأت
أعينكم ما صنعت بأهل مصر ، ثم أتيت بكم المفازة و سكتموها أياما كثيرة ،
و أتيت بكم أرض الامورانيين الذين^٣ يسكنون عند مجاز الأردن ،
و حاربوكم و دفعتم إليكم ، و وثب عليكم بالاق بن صفور ملك الموآيين^٤ ، ١٥
و حارب^٥ إسرائيل [فأرسل - ^٦] فدعا بلعام^٧ بن بعور^٨ ليلعنكم ،
و لم يسرفي أن أسمع قول بلعام ، و لكن باركت عليكم و نجيتم من يديه ،

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : ما خورق - كذا (م) في ظ : اقبلت (٤-٤) في ظ :
عرقم و رايت عينكم - كذا (ه) من ظ ، و في الأصل : الذي (٦) في ظ : المورانيين .
(٧) زيد بعده في ظ : الى (٨) زيد من ظ (٩-٩) في ظ : فيعاروا - كذا .

ثم جزم^١ نهر الاردن وأتيم أهل أريحا فخاربكم أهلها والأموريون -
ثم عد بقية الطوائف^٢ السبع^٣ - فدفعتم إليكم أجمعين ، وأعطيتكم أرضا
لم تتبعوا فيها ، فاتقوا الرب واعبدوه بالبر والعدل ، واصرفوا عن قلوبكم
الفكر في عبادة الآلهة الأخرى التي عبدها آباؤكم عند مجاز النهر و^٤ في
أرض مصر ، واعبدوا الرب وحده ، وإن كان يشق عليكم أن تعبدوا
الرب اختاروا لأنفسكم يوما هذا من تعبدون^٥ ، أتحبون أن تعبدوا الآلهة^٦
التي^٧ عبدها آباؤكم عند مجاز نهر الفرات أم آلهة الأموريين الذين
سكنتم بينهم^٨ أما أنا وأهل بيتي فانا^٩، عبيد الله الرب ، فأجاب الشعب
وقالوا : حاشا لله أن نجتنب عبادة الرب ونعبد الآلهة / الأخرى لأن الله
١٠ ربنا هو الذي أخرجنا من أرض^{١٠} مصر وخلصنا من العبودية ، وأكمل
آيات والأعاجيب أمامنا ، وحفظنا في^{١١} كل الطرق التي سلكناها ،
وقوانا على جميع الشعوب التي حاربناها. لذلك نعبد الرب لأنه هو الإله وحده
وهو إلهنا ، فقال : انظروا العلكم^{١٢} تجتنبون عبادة [الله -^{١٣}] و تعبدون
الآلهة الغريبة ، فيغضب الرب عليكم وينزل بكم البلاء ويهلككم من بعد
١٥ إنعامه عليكم ، فقال الشعب : لا يكون لنا عبادة أخرى غير عبادة الله ،
ربنا ،^{١٤} قال يشوع^{١٥} : أشهدتم على أنفسكم : أتم الذين اخترتم عبادة الرب

/٨٦

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : الطائفة (٣) في الأصل وظ : السبعة (٤) في ظ : لم تبعوا .
(٥) في ظ : يعبدون (٦) من ظ ، وفي الأصل : الآله (٧) في الأصل وظ :
الذي (٨) من ظ ، وفي الأصل : عبد (٩) في ظ : فانما (١٠) من ظ ، وفي
الأصل : اهل (١١) من ظ ، وفي الأصل : به (١٢) في ظ : لكم (١٣) زيده
من ظ (١٤-١٥) في ظ : ويقول يسوع .

قالوا له^١ : نشهد ا فأول ما دخل عليهم الدخيل أنهم لم يستأصلوا الكفرة
وخالطوهم في أيام يوشع ؛ قال في سفره^٢ : فصعد رسول الرب من
الجلجال إلى سجين وقال لبني إسرائيل : هكذا يقول الرب : أنا الذى أصعدتكم
من أرض مصر وأتيت بكم الأرض التى أقسمت لأبائكم ؛ وقلت^٣ : إني
" لا أبطل " عهدي إلى الأبد ، وأمرتكم أن لا تعاهدوا أهل هذه الأرض ، ه
ولكن استأصلوا مذابحهم ، ولم تقبلوا ولم تطيعوني ، وأنا أيضا قد قلت :
إني لا أهلكهم من أمامكم ، ولكن تكون لكم آلتهم عشرة ، فلما قال
رسول الرب لبني إسرائيل هذا القول رفع القوم أصواتهم بالبكاء ودعوا اسم
ذلك الموضع تحناد^٤ أى موضع البكاء ، وذبحوا هناك ذبائح للرب ؛
وتوفى يشوع بن نون عند الرب ابن مائة وعشرين سنة ، ودفن في حد ١٠
ميراثه بسرح^٥ التى في جبل إفرائيم عن يسار جبل جعس^٦ ، وكل ذلك
الحقب أيضا قبضوا ، ونشأ من بعدهم حقب لم يعرف الرب ؛ ولم يعرف
أعماله التى عملها ، وارتكب بنو إسرائيل السيئات أمام الرب واجتنبوا
عبادة الله إله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر ، وتبعوا آلهة الشعوب
التى حولهم وسجدوا لها وعبدوا بعلا واشترأوا^٧ الصنمين ، وغضب الرب على ١٥
بني إسرائيل ، و سلط عليهم المنتهين ، ودفعهم إلى أعدائهم ، ولم يقدرُوا

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : بما (٣) في ظ : سفر (٤-٤) سقط ما بين الرقيين
من ظ (٥-٥) في ظ : لا بطل (٦) في سفر القضاة : بوكيم (٧) من سفر يوشع ، وفي
الأصل و ظ : بمسرح - كذا (٨) من سفر يوشع ، وفي الأصل : مصاس ، وفي
ظ : عقاص - كذا (٩) من ظ ، وفي الأصل : استملا ، وفي سفر القضاة : عشتاروث .

أن^١ يثبتوا لأعدائهم ، وكلما كانوا يخرجون إلى الحرب كانت يد^٢ الرب عليهم بالعقاب و البلاء كما قال لهم الرب وكما أقسم لأبائهم ، واضطروا و ضاق بهم جدا ، فصير^٣ الرب عليهم قضاة ، و أعان قضاتهم و خلصوهم من أيدي أعدائهم ، وكان الرب يسمع أنينهم و ما يشكون من المضيقين عليهم و المزعجين لهم ، فلما توفيت قضاتهم رجعوا إلى الفساد كآبائهم ، و عبدوا الأصنام و سجدوا لها ، و لم ينقصوا من سوء أعمالهم الأولى و طرقهم الرديئة ، فاشتد غضب الرب على بني إسرائيل و قال : لأن الشعب اعتدوا الوصية التي أوصيت آباءهم ، و لم يسمعوا قولي ، لا أعود أن أهلك إنسانا بين أيديهم من الشعوب التي خلف يشوع بعد وفاته ، ١٠. ليحرب الرب بها بني إسرائيل هل يحفظون طرق الرب كما حفظ آباؤهم أو لا ؟ فلذلك ترك الرب هذه الشعوب و لم يهلكهم^٤ سريعا ، و لم يسلبها في يدي يشوع ، و الذين تركوا خمسة رؤساء أهل فلسطين و جميع الكنعانيين و الصيدانيين و الحوانيين و الذين يسكنون جبل لبنان و من جبل بني حرمون إلى مدخل حماة^٥ ليحرب بهم بني إسرائيل ، و^٦ جلس ١٥ بنو إسرائيل^٦ بين يدي الأموريين و بقية القبائل ، و زوجوا بنينهم من بناتهم و^٧ زوجوا بناتهم^٧ من بنينهم و عبدوا آلهتهم ، و ارتكب بنو إسرائيل السيئات أمام الرب و نسوا صنيع^٨ الرب إلههم^٨ و عبدوا بعلا و أشرائا^٩ ،

/ ٨٧

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : ايد (٣) في ظ : فيصروا (٤) في ظ : لم يهلكوا .
(٥) في ظ : حمله (٦-٧) في ظ : جلسوا بني إسرائيل (٧-٧) سقط ما بين الرقين
من ظ (٨) من سفر القضاة ، و في الأصل و ظ : إلههم (٩) في ظ : اشتراة .

واشتد غضب الرب على بني إسرائيل و دفعهم إلى كوشان الآتيم^١ ملك^٢ حران ، فاستعبدهم ثمانى^٣ سنين ، ودعا بنو إسرائيل الرب متضرعين ، وصير الرب لهم مخلصا ، وخلصهم عشايا^٤ بن قز أخو كلاب الأصفر ، فأعانه الرب و صار حكما لبني إسرائيل فخرج إلى الحرب ، وأسلم الرب في يده كوشان الآتيم ، واستراحت الأرض من الحرب أربعين سنة ،^٥ و توفي عشايا^٦ بن قز ، و عاد بنو إسرائيل في سوء أعمالهم أمام الرب ، فقوى الرب عليهم ملك موآب ، واستمروا هكذا في كل حين ينقضون ، وسنة^٧ الرب كل قليل يرفضون ، ولا يستقيمون إلا بقدر ما ينسون حرارة النقم و يذوقون لذادة النعم - ولو لا خوف الإطالة الموجبة للسامة^٨ و الملالة لذكرت من ذلك كثيرا من الكتب التى بين أيديهم ، لا يقدر^٩ون ١٠ على إنكار ما يلزمهم بها من الفضيحة و العار - والله الموفق .

و لما تم ذلك عطف سبحانه على^{١١} " و اذا ناديتم الى الصلوة " قوله دالا على استحقاقهم لللعن و على ما أخبر به من شرهم و ضلالهم بما فضحهم به من سوء أعمالهم دلالة على صحة^{١٢} دين الإسلام باطلاع شارعيه عليه أفضل الصلاة و السلام على خفايا الأسرار : (و اذا جاءكم) أى أيها ١٥ المؤمنون هؤلاء المنافقون من الفريقين ، و إعادة ضمير الفريقين عليهم لأنهم فى الحقيقة منهم ، ما أفادتهم دعوى^{١٣} الإيمان شيئا عند الله ، و العدول إلى

(١) فى سفر القضاة : رشعنايم (٢) من ظ ، و فى الأصل : بملك (٣) فى ظ : ثلاث (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : عيساى (٦) فى ظ : عسا بال (٧) فى ظ : لسنة (٨) فى ظ : الاسامة - كذا (٩) فى ظ : سو - كذا (١٠) فى ظ : دعوة .

خطاب المؤمنين دال على عطفه على ما ذكرت ، وفيه إشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم يعرفهم في لحن القول ، فلا يقترب بخداهم ولا يسكن إلى مكرم بما أعطى من صدق الفراسة وصحة التوسم ﴿ قالوا أمنا ﴾ أى لا نتغترا بمجرد قولهم الحسن الخالى عن البيان بما يناسبه من الأفعال ه فكيف بالمقترن بما ينفيه منها ، وقد علم أن الفصل بين المتعاطفين بالآيتين السالفتين لا يضر ، لكونهما علة للمعطوف عليه ، فهما^١ كالجزء منه .

ولما ادعوا الإيمان كذبهم^٢ - سبحانه في دعوائهم بقوله مقربا لماضيهم من الحال رجاء لهم غير الدخول^٣ ، لأنها تكاد تظهر ما هم^٤ مخفوه ، فوجب التوقع^٥ للتصريح بها : ﴿ وقد ﴾ أى قالوا ذلك والحال أنهم قد ﴿ دخلوا ﴾ أى إليكم ﴿ بالكفر ﴾ مصاحبين له متلبسين به^٦ .

ولما كان المقام يقتضى لهم بعد الدخول حسن الحال ، لما يرون من سمت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجليل وكلامه العذب ودينه العدل وهديه الحسن ، فلم يتأثروا^٧ لما عندهم من الحسد الموجب للعناد ، أخبر عن ذلك بأبلغ من الجملة التى أخبرت بكفرهم تأكيذا^٨ للأخبار ١٥ عن ثباتهم على الكفر ، لأنه أمر ينكره العاقل فقال : ﴿ وهم ﴾ أى من عند أنفسهم لسوء ضمايرهم وجلاتهم من غير سبب من أحد منكم ، لا منك ولا من أتباعك ﴿ قد خرجوا به^٩ ﴾ أى الكفر بعد دخولهم ورؤية ما

(١) فى ظ : وهما (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : هو (٤-٤) فى ظ : يوجب الرفع (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : فلم يتأثر (٧) من ظ ، وفى الأصل : كيدا .

رأوا من الخير ، دالا على قوة عنادهم^١ بالجملة الاسمية المفيدة للثبات ،
 وذكر المسند إليه مرتين ، وهم بما أظهروا يظنون أنه يخفى ما أضرروا .
 ٢ ولما كان في قلوبهم من الفساد و المكر بالإسلام و أهله ما يطول
 شرحه ، نبه عليه بقوله^٢ : ﴿ والله ﴾ أى المحيط [بجميع - ٢] صفات الكمال
 وبكل شيء علما و قدرة ﴿ اعلم ﴾ أى منهم و بمن توسم فيهم النفاق ه
 ﴿ بما كانوا ﴾^٣ أى بما فى جبلاتهم من الدواعى العظيمة للفساد ﴿ يكتمون ه ﴾
 أى من هذا وغيره فى جميع أحوالهم من أقوالهم^٤ / و أفعالهم .
 ٨٨ / ولما كذبهم فى دعوى الإيمان ، أقام سبحانه الدليل على كفرهم ، فقال^٥
 مخاطبا لمن له الصبر^٦ التام ، مفيدا أنه أطلعه صلى الله عليه و سلم على ما
 يعلم منهم^٧ بما يكتمونونه من ذلك تصديقا لقوله تعالى " و لتعرفنهم فى لحن ١٠
 القول "١١" إطلاعا هو كالرؤية ، عاطفا^{١٢} على ما تقديره : و قد أخبرنا غيرك
 من المؤمنين بما نعلم منهم من ذلك ، و أما أنت فترى ما فى قلوبهم بما
 آتيناك من الكشف : ﴿ وترى ﴾ أى لا تزال^{١٣} يتجدد لك ذلك
 ﴿ كثيرا منهم ﴾ أى اليهود و الكفار مناققهم و مصارحهم .
 ولما كان التعبير بالعجلة لا يصح هنا ، لأنها لا تكون إلا فى شيء ١٥
 له وقتان : وقت لائق ، و وقت غير لائق ، و الإثم لا يتأتى^{١٤} فيه ذلك ،
 (١) فى ظ : عندهم (٢-٢) تأخر ما بين الرقين فى ظ عن « بما كانوا » (٣) زيد
 من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : بصفات (ه-ه) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٦) فى ظ : أحوالهم (٧) فى ظ : يقواه (٨) من ظ ، و فى الأصل : من (٩) فى
 ظ : النصر (١٠) سورة ٤٧ آية ٣٠ (١١) فى ظ : عطا (١٢) فى ظ : لا يزال .
 (١٣) فى ظ : لا ينفى .

قال: ﴿يسارعون﴾ أى يفعلون فى تهالكهم على ذلك فعل من يتأطر خصما فى السرعة فيما 'هو فيه' محق^٢ وعالم بأنه فى غاية الخير، وكان الموضع^٣ لأن يعبر^٤ بالضمير فيقال: فيه - أى الكفر، فعبّر عنه تعبيرا وتعليقا للحكم بالوصف [إفادة - ^٥] لأن كفرهم عن حيلة هى فى غاية الرذالة . بقوله: ﴿فى الاثم﴾ أى كل ما يوجب إثما من الذنوب، وخص منه أعظمه فقال: ﴿والعدوان﴾ أى مجاوزة الحد فى ذلك الذى أعظمه الشرك، ثم حقق الأمر وصوره بما يكون لوضوحه دليلا على ما قبله من إقدامهم^٦ على الحرام الذى لا تمكن^٧ معه صحة القلب أصلا ولا يمكنهم إنكاره فقال: ﴿واكلهم السحت^٨﴾ أى الحرام الذى يستأصل البركة من أصلها^٩ فيمحقتها، ومنه الرشوة، وكان هذا دليلا على كفرهم لأنهم لو كانوا مؤمنين ما أصرروا على شيء من ذلك، فكيف بجميعه! فكيف بالمسارعة فيه! ولذلك استحقوا غاية الذم بقوله: ﴿لبئس ما كانوا﴾ ولما كانوا [يزعمون - ^{١٠}] العلم، عبر عن فعلهم بالعمل فقال: ﴿يعملون هـ﴾ . ولما كان المنافقون من الأमीين وأهل الكتاب قد صاروا شيئا واحدا ١٥ فى الانحياز إلى المصالحين من أهل الكتاب، فأُنزل فيهم سبحانه هذه الآيات على وجه يعم غيرهم، حتى تبينت أحوالهم وانكشف زيغهم ومخالفتهم، أنكر - على من يودعونهم أسرارهم و يمنحونهم مودتهم وأخبارهم من علسانهم وزهادهم - عدم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، لكونهم

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: بحق (٣-٣) فى ظ: لا يغير (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: لا قرانهم (٦) فى ظ: لا يمكن (٧) زيد بعده فى ظ: ليستأصلها .

جديرين بذلك لما يزعمونه من اتباع كتابهم فقال: ﴿لو لا﴾ أى هلا
و'لم لا' ﴿ينهم﴾ أى يحدد لهم النهى ﴿الربنيون﴾ أى المدعون للتخلي
من الدنيا إلى سبيل الرب ﴿والاجار﴾ أى العلماء ﴿عن قولهم الاثم﴾
أى الكذب الذى يوجه^٢ وهو مجمع له ﴿واكلهم السحت^٣﴾ وذلك
لأن^٤ قولهم للؤمنين "أما" وقولهم لهم "أنا معكم إنما نحن ه
مستهزئون" لا يخلو عن كذب، وهو محرم فى توراتهم وكذا أكلهم
الحرام، فما سكوتهم عنهم فى ذلك إلا لتمرنهم على المعاصى وتمردهم فى
الكفر واستهاتهم بالجرأة على من لا تخفى^٥ عليه خافية، ولا يبقى لمن
عاداه باقية .

و لما كان من طبع الإنسان الإنكار^٦ على من خالفه^٧، وكانت ١٠
الفطرة الأولى مطابقة لما أتت به الرسل من قباحة الكذب وما يتبعه
من الفسوق، وكان الإنسان لا ينزل عن تلك الرتبة العالية إلى السكوت
عن الفاسقين فضلا عن تحسين أحوالهم إلا بتدرب^٨ طويل وتمرن عظيم،
حتى يصير له ذلك كالصفة التى صارت بالتدريب صنعة يألفها وملكها^٩

لا / يتكلمها، فجعل ذنب المرتكب للعصية غير راسخ، لأن الشهوة تدعوه ١٥ / ٨٩

إليها، وذنب التارك^{١٠} لله راسخا لأنه لا شهوة له تدعوه إلى الترك، بل معه

(١-١) فى ظ: (٢) فى ظ: توجبه (٣) من ظ، وفى الأصل: ان (٤) سقط

من ظ (٥) فى ظ: لا يمتنى (٦) من ظ، وفى الأصل: خانه (٧) فى ظ:

بتدريب (٨) من ظ، وفى الأصل: ملة (٩) فى ظ: النار - كذا .

حامل من الفطرة السليمة تحته على النهى، فكان أشد حالا؛ قال:
 ﴿ لبس ما ﴾ ولما كان ذلك في جبلاتهم، عبر بالكون فقال:
 ﴿ كانوا يصنعون ه ﴾ أى في سكوتهم عنهم و سماعهم منهم .

ولما لم تزل الدلائل على ' إبطال دعوى أهل الكتاب في النبوة
 ه و المحبة تقوم^٢، و جيوش البراهين تنجد^٣، حتى انتشبت^٤ فيهم سهام
 الكلام أى انتشاب، قال تعالى معجبا من عامتهم بعد تعيين خاصتهم،
 معلما بأنهم لم يقنعوا بالسكوت عن المنكر حتى تكلموا بأنكره، مشيرا إلى
 سفول رتبهم و دماء منزلتهم^٥ بأداة التأنيث: ﴿ وقالت اليهود ﴾ معبرين
 عن^٦ البخل و العجز جرأة و جهلا بأن قالوا ذاكرين اليد لأنها موضع
 ١٠ القدرة و إفاضة الجود و النصرة: ﴿ يد الله ﴾ أى الذى يعلم كل عاقل
 أن له صفات الكمال ﴿ مغلوله^٧ ﴾ أى فهو لا يبسط الرزق غاية
 [البسط - ^٨]، و هذا كناية عن البخل و العجز من غير نظر إلى مدلول
 كل من ألفاظه^٩ على حياله^{١٠} أصلا، كما قال تعالى " ولا نجعل يدك
 مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط^{١١} " ولم يقصد من ذلك
 ١٥ غير الجود و ضده، لا غل و لا عنق و لا بسط أصلا، بل صار هذا الكلام
 عبارة عما وقع مجازا عنه، كأنها متعقبان^{١٢} على معنى واحد، حتى لو جاد

(١) زيد بعده في ظ: دعوى (٢) في ظ: يقوم (٣) في ظ: تنحر (٤) في ظ:
 تشبهت (٥) في ظ: منزلهم (٦) في ظ: على (٧) زيد من ظ (٨ - ٨) أى على
 أفراد (٩) سورة ١٣ آية ٢٩ (١٠) من ظ . و فى الأصل: معتقبان (١١) فى
 ظ: حاز .

الْأَقْطَعُ إِلَى الْمَنْكَبِ لِقِيلٍ^١ [له - ٢] ذاك ، ومثل هذا كثير في الكتاب
والسنة ، منه الاستواء^٣ وقالت : في السماء^٤ المراد منه - كما قاله^٥
العلماء - أنه ليس بما يعبد المشركون من الأوثان ، قال في الكشف :
ومن لم ينظر في علم البيان عمى عن تبصر محجة^٦ الصواب في تأويل
أمثال هذه الآية ، ولم^٧ يتخلص عن يد الطاعن إذا عبث به . . .^٨
ولما نظقوا بهذه الكلمة^٩ الشنعاء ، وفأهوا بتلك الداهية الدهياء ،
أخبر عما جازاهم به سبحانه على صورة ما كان العرب يقابلون به من يستحق
الهلاك من الدعاء ، فقال معبرا بالمبنى للفعول إفادة لتحتم الوقوع و تعلما
لنا كيف ندعو عليهم ، ولم يسيه عما قبله بالفاء تقوية^{١٠} له على تقدير سؤال
سائل : (غلت أيديهم) دعاء مقبولا وخبرا صادقا ، عن كل خير ،^{١١}
فلا تكاد^{١٢} تجد فيهم كريما ولا شجاعا ولا حاذقا في فن ، وإن كان ذلك لم يظهر^{١٣} له

(١) من ظ ، وفي الأصل : ليقل (٢) زيد من ظ (٣) إشارة إلى ما ورد عن معاوية
السلمي في حديث طويل قال فيه : وبينما جارية لي ترعى غنيمات لي في قبل أحد
والجوانية فاطمت عليها اطلاعة فاذا الذئب قد ذهب منها بشاة ، وأنا رجل
من بني آدم يأسف - وفي رواية : آسف - كما يأسفون ، لكنني صككتها صكة ،
قال : فعظم ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : ألا أعتقها ؟ قال :
ابعث إليها ؟ قال : فأرسل إليها بخاء بها فقال : أين الله ؟ قالت : في السماء ، قال :
فمن أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : أعتقها فانها مؤمنة - راجع مسند الإمام
أحمد ٤/ ٤٤٨ و ٤٤٩ (٤) زيد بعده في ظ : له (٥) في ظ : بحجة (٦) سقط من
ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : الكلمات (٨) في ظ : مقويه (٩) في ظ : فلا يكاد .
(١٠) في ظ : لم يظهر .

ثمره ﴿ ولعنوا ﴾ أى أبعدوا مطرودين عن الجنب الكريم ﴿ بما قالوا ﴾
و المعنى أنهم كما رأوا أحوال المنافقين المفضى في التوراة بأنها إثم
وأقروا عليها، فكذلك نطق بعضهم بكلمة الكفر التي لا أظفح منها،
وسكت عليه الباقون فشاركوه، ولما كان الغل كناية عن البخل
٥ وعدم الإتيان، وكان الدعاء 'بغلهم ولعنهم' متضمنا أن الأمر ليس
كما قالوا، ترجمه سبحانه بقوله^٢: ﴿ بل يده ﴾ وهو منزّه عن الجارحة
وعن كل ما يدخل تحت الوهم ﴿ مبسوطتن ﴾ مشيرًا بالتثنية إلى غاية
الجود، ليكون رد قولهم وإنكاره^٣ بأبلغ ما يكون في قطع تعنتهم
و تكذيب قولهم.

١٠ ولما كان معنى هذا إثبات ما نفوه على أبلغ الأحوال، قال مصرحا
بالمقصود معرّفاً أنه في إنفاقه مختار فلا غرر أن يبسط لبعض دون بعض:
﴿ ينفق ﴾ ولما كان إنفاقه سبحانه تحقيقاً للاختيار على أحوال متباينة بحيث
٩٠ / أنها تفوت الحصر، أشار إلى التعجب^٤ / من ذلك بالتعبير بأداة الاستفهام
و إن قالوا: إنها في هذا الموطن شرط، فقال: ﴿ كيف ﴾ أى كما
١٥ ﴿ يشاء ﴾ أى على أىّ حالة أراد دائماً من تقدير و بسط وغير ذلك.
ولما كان قولهم هذا غاية في العجب لأن كتابهم كافٍ في تقييحه
بل تقييح ما هو دونه في الفحش، فكيف وقد انضم إلى ذلك ما أنزل
في القرآن من واضح البيان، قال سبحانه عاطفاً على "و ترى كثيراً منهم"

(١-١) في ظ: بلعنهم وغلهم (٢) من ظ، و في الأصل: مضمنا (٣) سقط من
ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) في ظ: ابلاغه (٦) في ظ: التعجب.

مؤكداً لمضمون ما سبق من قوله "و من يرد الله فتنه فلن تملك
 [له - ١] من الله شيئاً" بأنه جعل سبب هذا القول منهم ما أتاهم من
 الهدى الأكمل في هذا الكتاب المعجز على لسان هذا النبي الذي هم^٢
 به أعرف منهم بأبنائهم : (وليزيدن كثيراً منهم) أى : من أراد الله
 فتنته ، ثم ذكر فاعل الزيادة [فقال - ٥] : (مأ ازل إليك) أى على ما ه
 له من النور وما يدعو إليه من الخير (من ربك) أى المحسن إليك
 بكل ما ينفعك دنيا وأخرى (طغيانا) أى تجاوزا عظيماً عن الحد تمتلئ
 منه الأكوان في كل إثم و شتاً^٦ ، و ذلك بما جره إليهم داء الحسد ،
 لأنهم كلما رأوه سبحانه قد زاد إحسانه إليك طعنوا في ذلك الإحسان ،
 و هو - لما له من الكمال و علو الشأن - يكون الطعن فيه من أعظم
 الدليل عليه و البرهان ، فيكون أعدى العدوان (و كفراً^٧) أى سترأ لما
 ظهر لعقولهم من النور ، و دعت إليه كتبهم من الخير ، و هذا كما يؤذى
 الخفاش ضياء الصباح ، و كلما قوى الضياء زاد أذاه ، و في هذا إيأس من
 توبتهم و تأكيد^٨ لعداوتهم و زجر عن موالاتهم و مودتهم ، أى إنهم
 لا يزدادون بحسن و عظمك و جميل تلاوتك عليهم الآيات إلا شقاقاً ١٥
 ما وجدوا قوة ، فان ضعفوا ففاقا .

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم (٢) في ظ : الذين (٣) من ظ ، و في
 الأصل : هو (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) زيد بعده في ظ : هذا (٧) في
 ظ : شأن (٨) زيد بعده في الأصل : في ، و لم تكن الزيادة في ظ لحذفها .
 (٩) في ظ : ترقوا (١٠) في ظ : تأكيداً .

ولما كان الإخبار باجتماع كلمتهم على شقاوة الكفر ربما أحدث
خوفا من كيدهم، نبي ذلك بقوله: ﴿وَالْقِيَا﴾ أى بما لنا من العظمة
الباهرة ﴿يَنَّهُمْ﴾ أى اليهود ﴿الْعَادَاةُ﴾ ولما كانت العداوة^١ - وهى
أن يعدو بعضهم إلى أذى بعض - وبما زالت بزوال السبب، أفاد أنها
ه لازمة لا تنفك بقوله: ﴿وَالْبَغْضَاءُ﴾ أى لأمور^٢ باطنية وقعت في قلوبهم
وقرّع الحجر الملقى من علو ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ .

ولما كان ذلك مفيدا لوهمهم ترجمه بقوله: ﴿كَلِمًا أَوْقَدُوا﴾ على
سبيل التكرار لأحد من الناس ﴿نَارًا لِلْحَرْبِ﴾ أى بأحكام أسبابها
وتفتح جميع أبوابها ﴿أَطْفَأَهَا﴾ أى خيَّب قصدهم في ذلك ﴿اللَّهُ لَا﴾
١٠ أى الذى له جميع صفات الكمال . فلا يجدم في بلد من البلاد إلا في
الذل وتحت القهر، وأصل^٣ استعارة النار لها ما في كل منهما من التسلط
والغلبة والحرازة في الظاهر و الباطن ، مع أن المحارب يوقد^٤ النار في
موضع عال ليجمع إليه^٥ أنصاره ، ولقد قام لعمري دليل المشاهدة
على صدق ذلك بغزوة قينقاع ثم النصير ثم قريظة ، و القبائل الثلاث
١٥ بالمدينة لم يتناصروا^٦ ولم ينصروا^٦ ، ثم غزوة^٧ خيبر وأهل فدك و^٨ وادى
القرى وهم متقاربون ولم يتناصروا ولم ينصروا^٨ ، هذا فيما في خاصتهم،

(١) زيد بعده في الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة في ظ لخدفتاها (٢) في ظ :
الامور (٣) من ظ ، وفي الأصل : أصله (٤) في ظ : موقد (٥) في ظ : عليه .
(٦ - ٦) سقط هاتين الرقيين من ظ (٧) في ظ : غزوا - كذا (٨) سقط
من ظ .

وأما في غير ذلك فقد ألبوا الأحزاب وجمعوا القبائل وأنقنوا^١ في أمرهم على زعمهم المكاييد، ثم أطفأ الله نارهم حسا ومعنى بالريح والملائكة، والزهم^٢ خزيمهم وعارهم وجعل الدائرة عليهم، وساق جيش المنون على أيدي المؤمنين إليهم، وإلى ذلك وأمثاله من أذاهم الإشارة بقوله: ﴿وَيَسْمَعُونَ﴾ أى يوجدون مجتهدين / اجتهد الساعى على سبيل ٥ ٩١/ الاستمرار بما يوجدون من المعاصي من كتمان ما عندهم من الدليل على صحة الإسلام وغير ذلك من أنواع الاجرام ﴿في الارض﴾ أى كل^٣ ما قدروا عليه بالفعل والباقي بالقوة.

ولما كان الإنسان لكونه^٤ محل النقصان لا ينبغي أن يتحرك فضلا عن أن يمشى فضلا عن أن يسعى إلا بما يرضى الله، وحيث لا ينسب ١٠ الفعل إلا إلى الله لكونه آمرا به خالقا له، فكانت نسبة السعى إلى الإنسان دالة على الفساد، صرح به في قوله: ﴿فسادا^٥﴾ أى للفساد أو ذوى فساد ﴿والله﴾ أى والحال أن الذى له الكمال كله ﴿لا يحب المفسدين^٦﴾ أى لا يفعل معهم فعل المحب، فلا ينصرهم جيشا، ولا يعلى لهم كعبا^٧، ولا يصلح لهم شأنا، وبذلك توعدهم سبحانه في التوراة أنهم إذا خالفوا أمره سخط ١٥ عليهم من عذابه بواسطة عباده وبغير واسطتهم ما يفوت الحصر - كما مضى ذلك قريبا^٨ عما بين أيديهم من التوراة بنصه.

(١) في ظ: ايقنوا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: كلها (٤) في ظ: بالقوة - كذا (٥) من ظ، وفي الأصل: دالا (٦) في ظ: كلمة (٧) في ظ: تعريبا.

ولما أثبت بقوله "وليزيدن" أنهم كانوا كفرة^١ قبل إتيان هذا الرسول عليه السلام، وكرر ما أعده^٢ لهم من الحزى الدائم على^٣ نحو ما أخبرهم به كتابهم، وعظمهم ورجاهم سبحانه استعطافا لهم لئلا يأسوا من روح الله على عادة منه في رحمته لعباده ورأفته بهم بقوله تعالى عاطفا على ٥ ما تقديره : فلو أنهم كفوا عن هذه الجرائم العظام لاضمحلت صفاتهم فلم تكن لهم سيئات : (ولو ان) ولما كان الضلال من العالم أجمع ، قال : (أهل الكتب) أى^٤ الفريقين منهم .

ولما كان الإيمان أساس جميع الأعمال ، قدمه إعلاما بأنه لا نجاة^٦ لأحد إلا بتصدق محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا مع أنه حقيق باشتداد العناية ١٠ به^٥ لمبالغتهم في ثمان ما عندهم منه صلى الله عليه وسلم فقال : (امنوا) أى بهذا النى الكريم وما أنزل إليه من هذا الهدى (واتقوا) أى ما هددوا به في كتابهم على ترك الإيمان به على حسب ما دعاهم إليه كتابهم كما في قصة إسماعيل وغيرهما إلى أن كان آخر ما فارقه عليه موسى عليه السلام "في آخر كتابهم التصريح بنبوته عليه السلام"^٧ والإشارة إلى أن ١٥ اتباعه أحق من اتباعه فقال : جاء ربنا من سيناء ، وشرق^٨ من ساعير ، وتبدى من جبال فاران ، فأضاف الرب إليهم ، وجعل الإنيان من جبال فاران - التى هى مكة ، لا نزاع لهم في ذلك - تبديا وظهورا أى لا خفاء

(١) في ظ : كغيره (١) في ظ : اعد (٢) زيد بعده في الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٤) في ظ : فلم يكن (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : يخلو - كذا (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) في ظ : سرق .

به بوجه ، ولا ظهور آثم منه ﴿ لكفرنا ﴾ وأشار إلى 'عظيم جراتهم'
بمظهر العظمة ﴿ عنهم سيئاتهم ﴾ أى التى ارتكبوها قبل مجيئه وهى^{١٠} بما
يسوء ، أى يشتد تنكر النفس [له - ٢] أو تكرهها ، وأشار إلى سعة
رحمته و أنها لا تضيق عن شئ أراد به مظهر العظمة فقال : ﴿ ولادخلنهم ﴾
أى بعد الموت ﴿ جنت النعيم ﴾ أى بدل ما هم فيه من هذا الشقاء ه
الذى لا يدانيه شقاء .

ولما كان المعنى : ما فعلوا ذلك ، فالزمناهم الخزي فى الدنيا والعذاب
الدائم فى الآخرة ، و كان هذا إجمالاً لحالتهم الدنيوية والآخرية ، وكان
محط نظرهم الأمر الدنيوى ، رجع - بعد إرشادهم إلى إصلاح الحالة
الآخرية لأنها أتم فى نفسها - الى سبب قولهم تلك الكلمة الشنعاء^{١٠} ،
والداهية^{١١} القبيحة الصلحاء ، وهو تفتير^{١٢} الرزق عليهم ، وبين أن السبب
إنما هو من / أنفسهم فقال : ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة ﴾ أى قبل إزال
الإنجيل بالعمل بجميع ما دعت إليه من أصل و فرع و ثبات عليها وانتقال
عنها ﴿ والانجيل ﴾ أى بعد إزاله كذلك ، وفى إقامة إقامة التوراة
الداعية إليه ﴿ وما أنزل إليهم من ربهم ﴾ أى المحسن إليهم من أسفار^{١٥}
الأنبياء المبشرة بعيسى و محمد عليهما الصلاة والسلام ، ومن القرآن بعد
إزاله ، وفى إقامة إقامة جميع ذلك ، لأنه مبشر به وداع إليه ﴿ لاكلوا ﴾
أى لتيسر^{١٦} لهم الرزق ، وعبر بـ "من" لأن المراد يان جهة المأكول

(١ - ١) فى ظ : جميع جرائمهم (٢) فى ظ : هو (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ :
الشنيع (٥) زيد بعده فى ظ : الصلحاء (٦) فى ظ : تعبير (٧) من ظ ، وفى
الأصل : ليسر .

لا الأكل (من فوقهم) .

و لما كان [ذلك - '] كناية عن عظم التوسعة ، قال موضعا له
معبرا بالأحسن ليفهم غيره^٢ بطريق الأولى : (و من تحت أرجلهم^١)
أى تيسرا واسعا جدا متصلا^٣ لا يحصر ، أو يكون كناية عن بركات
السماء و الأرض ، فبين ذلك أنه ما ضريهم بالذل و المسكنة إلا تصديقا^٤
لما تقدم إليهم به فى التوراة ، قال مترجها فى السفر الخامس - الدعاء
و البركات : و إن أتم سمعتم قول الله ربكم و حفظتم و عملتم بجميع الوصايا
التي أمركم بها اليوم^٥ ، يصيركم الرب فوق جميع الشعوب ، فتصيرون إلى
هذا الدعاء ، يبارك لكل امرئ منكم فى القرية و الحقل ، يبارك^٦ فى أولادكم
١٠ و أرضكم ، يبارك^٧ لكم فى بهائمكم و ما يضع^٨ فى أقطاع^٩ بقركم و أحزاب^{١٠}
غنمكم ، و يبارك فيكم إذا دخلتم و يبارك فيكم إذا خرجتم ، و يدفع
إليكم الله أعداءكم أسارى ، يخرجون إليكم فى طريق واحد و يهرون منكم
فى سبعة طرق ، يأمر الله ببركاته فى أهراتكم و فى جميع الأشياء التي
تمدون أيديكم إليها ، و ينظر إليكم جميع شعوب الأرض و يعلمون أن
١٥ اسم الرب عليكم و قد و ستم^{١١} به فيخافونكم ، و يزيدكم الرب خيرا و يبارك
فى ثمار أرضكم ، يفتح الله ربكم أهراء السماء و يهبط المطر على أهله فى
زمانه ، و تتسلطون على شعوب كثيرة و لا يتسلط عليكم أحد ،
و يصيركم الرب رأسا و لا يصيركم ذنبا ، و تصيرون فوق و لا تصيرون

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : غير (٣ - ٢) - سقط ما بين الرقين
من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : يطلع (٦ - ٦) فى ظ : بعدكم و اعراب .
(٧) فى ظ : و ستم .

أسفل إذا علمتم^١ بجميع وصايا الله ربكم ولم تروغوا عنها يمنة ولا يسرة،
ولا تتبعوا الشعوب ولا تعبدوا آلهتها، وإن أتم لم تسمعوا قول الله
ربكم ولم تحفظوا ولم تعملوا بجميع سننه ووصاياه التي أمركم^٢ بها اليوم،
ينزل بكم هذا اللعن الذي أقص^٣ عليكم كله، ويدرككم العقاب، وتكونون
ملعونين^٤ في القرية - إلى آخر اللعن الذي تقدم قريبا، وقال في الثالث: إذا ه
سلكتكم بستي^٥ وحفظتم وصاياه وعلمتم^٦ بها، أديم أمطاركم في وقتها،
وتبذل^٧ الأرض لكم غلاتها، وتبذل لكم الشجر ثمارها، ويدرك الدراس
القطاف، [والقطاف - ^٨] يدرك الزرع، وتأكلون خبزا وتشبعون
وتسكنون أرضكم مطمئين، ولا يكون من يخرجكم، وأصرف عن أرضكم
السباع الضارية، وتطردون أعداءكم، الخمسة منكم يهزمون^٩ مائة، والمائة ١٠
منكم يهزمون عشرة آلاف، وتقع أعداؤكم قتلى بين أيديكم في الحرب، وأقبل
إليكم وأكثركم وأديم مقدسي بينكم ولا أدبر عنكم، بل أكون [معكم - ^{١١}]
وأسير بينكم، وإن [لم - ^{١٢}] تطيعوني وتسمعوا قولي ولم تعملوا بهذه
الوصايا وأبطلتم عهودي، أنا أيضا أصنع بكم مثل صنيعكم، وأمر بكم
البلايا والبرص والبهق المقشر الذي لا يبرأ، والسل^{١٣} الذي يطفئ البصر ١٥
ويهلك النفس، ويكون تعبك في الزرع باطلا، وذلك لأن أعداءكم
يأكلون ما تزرعون، وأنزل بكم غضبي، ويهزمكم أعداؤكم، ويتسلط

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: امر (٣) في ظ: افصل (٤) في ظ: ملعونون (٥) في
ظ: سبيل (٦) في ظ: علمتم (٧-٧) في ظ: لكم الأرض (٨) زيد من التوراة.
(٩) من ظ، وفي الأصل: يهزمه (١٠) زيد من ظ (١١) في ظ: السيل.

عليكم / شتاؤكم^١، و تهزمون^٢ من غير أن يهزمكم أحد، وأصير السماء فوقكم
مثل الحديد، و الأرض تحتكم مثل النحاس، و لا تفل لكم أرضكم غلاتها،
و لا تثمر الشجر ثمارها، و أرسل عليكم السباع الضاربة فتهلككم و تهلك
بها نكم، و يستوحش الطرق منكم، و أسلط عليكم الموت و أضعكم إلى
أعدائكم، و تأكلون و لا تشبعون، و تصيرون إلى ضيق حتى تأكلوا
لحوم بناتكم، و أخرب^٣ منازلكم، و أفرقكم بين الأمم، و تخرب قراكم،
فحينئذ تهوى الأرض أسباتها، و تسبت^٤ كل أيام وحشتها ما لم تسبت^٥
حيث كنتم فيها عصاة لا تسببون، و الذين يقولون منكم ألقى في قلوبهم
فرجة، و يطردهم^٦ صوت ورقة تحرك، و يهربون^٧ من صوت الورقة كما
يهربون من السيف، و يعنفون بأثمهم و يعاقبون^٨ بأثم آبائهم، و من
بعد ذلك تنكسر قلوبهم الغلف .

و لما كان ماضى من ذمهم ربما أفهم أنه لكلهم، قال مستأنفا
جوابا لمن يسأل عن ذلك : (منهم) أى أهل الكتاب (أمة) أى
جماعة هى جديرة بأن تقصد (مقتصد^٩) أى مجتهدة فى العدل لا غلو
١٥ و لا تقصير، و هم الذين هداهم الله للإسلام بحسن تحريمهم و اجتهادهم
(و كثير منهم) أى بنى إسرائيل (ساء ما يعملون^{١٠}) أى ما أسوأ^{١١}
(١) جمع شائى و فى الأصل : شنائكم، و فى ظ : سياتكم - كذا (٢) فى ظ :
تهزمون (٣) فى ظ : الحرب (٤) فى ظ : تسبب (٥) من ظ ، و فى الأصل :
كنت (٦) فى ظ : يطردهم (٧-٧) سقط ما بين الرقین من ظ (٨) من ظ ، و فى
الأصل : البسوا - كذا .

فعلهم الذى هم [فيه - ١] مستمرون على تجديده، فبه معنى التعجيب،
والتعيرُ بالعمل لأنهم يزعمون أنه لا يصدر منهم إلا عن علم، وهم الذين
حرفوا الكلم عن مواضعه، وارتكبوا العظائم فى عداوة الله ورسوله .
ولما أتم ذلك سبحانه وعلم منه أن من أريدتْ سعادته يؤمن
ولا بد، ومن أريدتْ شقاوته لا يؤمن أصلا، ومن أقام ما أنزل عليه ٥
سعد، ومن كفر بشيء منه شقى، وكان ذلك ربما قرع عن الإبلاغ،
قرن بقوله تعالى " يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر "،
قوله حاثا على الإبلاغ لإسعاد من أريدتْ للسعادة، وهم الأمة المقتصدة
منهم : إن كانوا قليلا، وكذا إبلاغ [جميع - ١] من عدام :
(يا أيها الرسول) أى [الذى - ١] موضوع أمره البلاغ (بلغ) أى ١٠
أوصل إلى من أرسلت إليهم (ما أنزل إليك) أى كله (من ربك)
أى المحسن إليك بانزاله غير مراقب أحدا، ولا خائف شيئا، لتعلم ما
لم تكن تعلم، ويهدى على يدك من أراد الله هدايته، فيكون لك^٨
مثل أجره .

ولما كان إبلاغ ما يخالف الأهواء من الشدة على النفوس بمكان لا يعلمه ١٥
إلا ذوو الهمم العالية والأخلاق الزاكية، كان المقام شديد الإقتضاء لتأكيد
الحث على الإبلاغ، فدل على ذلك بالاعتراض بين الحال والعامل فيها،
(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : أريد (٣) فى ظ : إليه (٤) فى ظ : يريد (٥) فى ظ :
ما (٦) من ظ : القرآن الكريم، وفى الأصل : اليك (٧) فى ظ : تهدى (٨) فى
ظ : ذلك (٩) فى ظ : الحاصل .

بالتعير بالفعل الدال على داعية 'هى الردع' بأن قال: (وإن لم تفعل) أى وإن لم تبلغ جميع ذلك، أو إن لم تعمل به (فأبلغت رسالته^١) لأن [من -^٢] المعلوم أن 'ما' تقع^٣ على كل جزء مما أنزل، فلو ترك منه حرف واحد صدق نفي البلاغ لما أنزل، ولأن بعضها ليس بأولى بالبلاغ من بعض، فمن أغفل شيئاً منها فكأنه أغفل الكل، كما أن من لم يؤمن [ببعضها لم يؤمن -^٤] بكلمها، لإدلاء^٥ كل منها بما^٦ يديه^٧ الآخر، فكانت لذلك فى حكم شيء واحد، والمعنى: فلنجازينك^٨، ولكنه كنى بالسبب عن المسبب إجلالاً^٩ له صلى الله عليه وسلم وإفادة لأن^{١٠} المؤاخذه تقع^{١١} على الكل، لأنه يقتضى باتقاء الجزء.

١٠. ولما تقدم أنهم يسعون الحروب، ويسعون فى إيقاع أشد الكروب، وكان ذلك^{١٢} - وإن وعد سبحانه باخداه عند إيقاده - لا يمنع من تجويز أنه لا يحمد إلا بعد قتل ناس وجراح آخرين، وكان / كأنه قيل: إذا بلغ ذلك وهو ينقص أديانهم خيف عليه، قال: (وأنه) أى بلغ أنت والحال أن الذى أملك بذلك^{١٣} هو الملك الأعلى الذى لا كفوء له (بعضك) أى يملك منعا تاما (من الناس^{١٤}) أى من أن يقتلوك قبل إتمام البلاغ وظهور الدين، فلا مانع^{١٥} من إبلاغ^{١٦} شيء منها لأحد من الناس كائنا من كان.

(١-١) فى ظ: من اللوح (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: يقع (٤) فى ظ: الإدلاء.
(٥-٥) فى ظ: منه إنما (٦) من ظ، وفى الأصل: يديه (٧) من ظ، وفى الأصل: فلنجازينكم (٨) من ظ، وفى الأصل: اجلا - كذا (٩) سقط من ظ.
(١٠-١٠) من ظ، وفى الأصل: لا بلاغ.

ولما آذن ضمان العصمة بالمخالفة المؤذنة بأن فيهم من لا ينفعه
 البلاغ فهو لا يؤمن ، فلا يزال ينفى الغوائل ، أقر على هذا الفهم بتعليل
 عدم الإيمان بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى لا أمر لغيره ﴿ لا يهدى
 القوم الكافرين ﴾ أى المطبوع على قلوبهم فى علم الله مطابقة لقوله
 ” ومن يرد الله فتنه فإن تملك له من الله شيئاً “ و يهدى المؤمنين فى عباده ه
 المشار إليهم فى قوله ” و يغفر لمن يشاء “ والحاصل أنه تبين من الآية
 الإرشاد إلى أن لترك^٢ البلاغ سيئين : أحدهما خوف فوات النفس ،
 والآخر خوف فوات ثمرة الدعاء ، ففى الأول بضمان العصمة ، والثانى
 بحتام الآية ، أى ليس عليك إلا البلاغ ، فلا يحزنك من لا يقبل ، فليس
 إعراضه لقصور فى إبلاغك ولا حظك ، بل لقصور إدراكه وحظه ، ١٠
 لأن الله حتم بكفره وختم على قلبه لما علم من فساد طبعه ، والله لا يهدى
 مثله ، وتلخيصه : بلغ ، فمن [أجابك ممن - ١] أشير إليه - فيما سلف من
 غير الكثير الذين يزيدهم ما أنزل إليك عمى على عمام ومن الأمة المقتصدة
 وغيرهم - فهو حظه فى الدنيا والآخرة ، ومن أبى فلا يحزنك أمره ،
 لأن الله هو الذى أراد ضلاله ، فالتقدير : بلغ ، فليس عليك إلا البلاغ ، ١٥
 وإلى الله الهدى والضلال ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين ويهدى
 القوم المؤمنين ، أو^٣ فإذا بلغت هدى بك^٤ ربك من أراد إيمانه ، ليكتب
 لك مثل أجرهم ، وأصل من شاء كفرانه ، ولا يكون عليك^٥ شيء من

(١) من ظ ، وفى الأصل : عليهم (٢-٢) فى ظ : بقوله (٣) من ظ ، وفى الأصل :

بين (٤) فى ظ : الترك (٥) فى ظ : القصور (٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ .

وزرم^١ ، إن الله لا يهدي القوم الكافرين ، والمعنى كما تقدم : يعصمك^٢
 من أن ينالوك بما يمنحك من الإبلاغ حتى يتم دينك و يظهر^٣ على الدين
 كله كما وعدتك ، وعلى مثل هذا دل كلام إمامنا الشافعي رحمه الله ،
 قال في الجزء الثالث من الام : ويقال - والله أعلم : إن أول ما أنزل عليه
 ه صلى الله عليه وسلم "اقرأ باسم ربك الذي خلق" ثم أنزل^٤ عليه بعدها
 ما لم يؤمر^٥ فيه بأن يدعو إليه المشركين ، فمرت لذلك مدة ، ثم يقال :
 أتاه جبريل عليه السلام عن الله عز وجل بأن يعلمهم نزول الوحي عليه
 'و يدعوهم إلى الإيمان ، فكبر ذلك عليه وخاف التكذيب وأن يُتناول ،
 فزل عليه^٦ "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك و إن لم تفعل
 ١٠ فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس" : من قبلهم^٧ أن يقتلوك حتى تبلغ^٨
 ما أنزل إليك - انتهى^٩ . ولقد وفي سبحانه بما ضمن و من أوفى منه وعدا
 وأصدق قولا ! فلما آم الدين وأرغم أنوف المشركين ، أُنقذ فيه السم
 الذي تناوله^{١٠} بخير قبل سنين فتوفاه^{١١} شهيدا كما أحياه سعيدا^{١٢} ؛ روى الشيخان :
 البخاري في الهبة ، و مسلم في الطب ، و أبو داود في الدييات عن أنس بن
 ١٥ مالك رضي الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بشاة مسمومة فأكل منها ، فجئ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فسألها عن ذلك فقالت : أردت لأقتلك ، فقال : ما كان الله

(١) في ظ : و دهم (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : تظهر (٤-٤) سقط من ظ .
 (٥) من ظ ، وفي الأصل : قتلهم ، و زيد قبله في ظ : فقال يعصمك (٦-٦) في ظ :
 يقبلون حتى يبلغ (٧) في ظ : تناوله (٨) من ظ ، وفي الأصل : توفاه (٩) في ظ :

ليسلك^١ على ذلك - أو قال : على^٢ - فقالوا : ألا تقتلها^٣ ؟ قال : لا^٤ ، فزالت
أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو داود : هي أخت
مرحب اليهودي ، قال الحافظ عبد العظيم المنذرى في مختصر سنن أبي داود :
و ذكر غيره أنها بنت أخي مرحب . أن اسمها زينب بنت الحارث ، و ذكر
الزهري أنها أسلمت ، ولأبي داود والدارمي - وهذا لفظه - عن أبي سلية ه
- و هو ابن عبد الرحمن بن عوف - قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأكل الهدية ولا يقبل الصدقة ، فأهدت [له - ^٥] امرأة من يهود خيبر
شاة مصلية فتناول منها ، و تناول [منها - ^٦] بشر بن البراء ، ثم رفع
النبي صلى الله عليه وسلم يده ثم قال : إن هذه تخبرني أنها مسمومة ، فأت
بشر بن البراء رضى الله عنه ، فأرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم فقال^٧ : ١٠
ما حملك على ما صنعت ؟ فقالت : إن كنت نيا لم يضرك [شيء - ^٨] ،
و إن [كنت - ^٩] ملكا أرحمت الناس منك ، قال أبو داود : فأمر بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلت^{١٠} . زاد الدارمي : فقال في مرضه :
ما زلت^{١١} من الأكلة التي أكلت بخير ، فهذا أوان^{١٢} انقطاع أبهري -
وهذا مرسل . قال البيهقي : و روينا عن حماد بن سلية عن محمد بن عمرو^{١٣} ١٥

(١) من ظ و سنن أبي داود و صحيح مسلم ، وفي الأصل : ليسلك (٢ - ٣) في
ظ : قال لا تقتلها (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و سنن الدارمي - باب
ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من كلام الموقى (٥) زيد من السنن .
(٦) ليس في السنن (٧) من سنن أبي داود - كتاب الديات ، وفي الأصل و ظ :
فقلت (٨) في ظ : ما زالت (٩) في الأصل : عمر ، و التصحيح من ظ و التهذيب :
و هو محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي .

عن أبي سلة عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال اليهودي : [و - ١] يحتمل أنه لم يقتلها في ١ الابتداء ، ثم لما مات بشر أمر ٢ بقتلها . وقصة هذه الشاة عن أبي هريرة رواها البخاري في الجزية و المغازي و الطب ، و الدارمي في أول المسند بغير هذا السياق - كما مضى في البقرة في قوله تعالى ” و قالوا ه لن تمسنا النار الا اياما معدودة “ و قد مضى في أول هذه السورة عند قوله ” فاعف عنهم و اصفح ان الله يحب المحسنين “ شيء منه . و لأبي داود ٥ و الدارمي عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يحدث أن يهودية من أهل خير سميت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه و سلم ، ٦ فأخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم الذراع فأكل منها ، و أكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم : ٦ ارفعوا أيديكم ، و أرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى اليهودية فدعاها ، فقال لها ٣ : أسمعت هذه الشاة ؟ قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال : أخبرتنى هذه في يدي - للذراع ، قالت : نعم ، قال : فما أردت ؟ قالت : قلت : إن كان نيا فلن يضره ، و إن لم يكن ١٥ نيا استرحنا منه ، فعفا عنها ٧ رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يعاقبها ، و توفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة ، و احتجم رسول الله صلى الله عليه و سلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة ، حجه أبو هند

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : فمن (٣) سقط من ظ (٤) آية ٨٠ (٥) و اللفظ له . (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من سنن أبي داود - كتاب الديات ، و في الأصل و ظ : عنه .

بالقرن و الشفرة^١ ، و هو مولى لبني يياضة من الأنصار . قال الدارمي :
 و هو من بني ثمامة - [و هم - ٢] حى من الأنصار ، قال المنذرى : و هذا
 منقطع ، الزهرى لم يسمع من جابر بن عبد الله ، و فى غزوة خيبر من
 تهذيب السيرة لابن هشام : فلما اطمأن^٣ رسول الله صلى الله عليه و سلم
 أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية و قد ه
 سألت : أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟
 فقبل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ،
 فلما / وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم تناول الذراع ٩٦ /
 فلاك منها مضغة فلم يسغها^٤ ، و معه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ
 منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأما بشر فأساغها ، و أما ١٠
 رسول الله صلى الله عليه و سلم فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرنى
 أنه مسموم ، ثم دعاها^٥ فاعترفت ، فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت :
 بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكا استرحت منه ،
 و إن كان نبيا فسيخبر^٦ ، فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و مات
 بشر من أكلته التى أكل ، و ذكر موسى بن عقبة أن بشرا^٧ رضى الله عنه ١٥
 لم يسغ^٨ لقمته^٩ حتى أساغ النبي صلى الله عليه و سلم لقمته^{١٠} و قال بعد

(١) فى ظ : السفرة (٢) زيد من مقدمة سنن الدارمي ، و زيد موضعه فى ظ :
 وهى (٣) من ظ و السيرة ١٨٩ / ٢ ، و فى الأصل : اطال - كذا (٤) فى ظ :
 فلم تسعها (٥) فى السيرة : دعا بها (٦) فى ظ : فيستخير (٧) فى ظ : بشر (٨) من
 ظ ، و فى الأصل : لم يسوغ (٩ - ١٠) سقط ما بين الرقين من ظ .

أن أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم : و الذي أكرمك ! لقد وجدت ذلك
 في أكلتي [التي - ١] أكلت ، فما منعني أن ألقظها إلا أني أعظمت أن
 أنقصك طعامك ، فلما أسغت ما في فيك لم أكن لأرغب بنفسى^٢ عن
 نفسك . و قلتُ من خط شيخنا حافظ عصره أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر
 ٥ الكنانى الشافعى^٣ ما نصه : و أخرج الحافظ أبو بكر أحمد بن عمر بن
 عبد الخالق البزار فى مسنده المشهور ، و أبو القاسم سليمان بن أحمد بن
 أيوب الطبرانى فى معجمه الكبير من حديث عمار بن ياسر رضى الله عنه
 قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل من هدية حتى يأمر
 صاحبها أن يأكل منها للشاة التى أهديت له بخير . قال شيخنا الحافظ
 ١٠ أبو الحسن الهيثمى : رجاله ثقات ، قلت : و ذكر محمد بن إسحاق فى السيرة
 الكبرى و كذلك الواقدى فى المغازى - انتهى . و قال ابن إسحاق :
 و حدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المولى قال : كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قد قال فى مرضه الذى توفى فيه و دخلت عليه أم بشر
 بنت البراء بن معرور تعودته : يا أم بشر ! إن هذا الأوان^٤ وجدت انقطاع أبهرى
 ١٥ من الأكلة التى أكلت^٥ مع أخيك بخير ، قال : فان كان المسلمون ليرون أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة .
 و لابن ماجه فى الطب عن أم سلة رضى الله عنها قالت : لا يزال^٦ ، يصيبك
 [فى - ٧] كل عام وجع من الشاة المسمومة التى أكلت ، قال : ما أصابنى
 (١) زيد من ظ (٢) فى ظ : نفسى (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : مات .
 (٥) من ظ و سيرة ابن هشام ١٨٩/٢ ، وفى الأصل : لاوان (٦) من ظ و سنن
 ابن ماجه ، وفى الأصل : لا يزل (٧) زيد من السنن .

شيء منها إلا وهو مكتوب على وآدم في طينته . و للبخارى في آخر المغازى
عن عائشة رضى الله عنها أن نبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في
مرضه الذى مات فيه : يا عائشة ! ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت
بخير ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم . قال ابن فارس
في المجلد : الأبر عرق مستبطن الصلب ، والقلب متصل به ، وهو قوله هـ
صلى الله عليه وسلم : هذا أوان قطعت أبهرى ، و عبارة المحكم : عرق في
الظهر ، يقال : هو الوريد في العنق ، وبعضهم يجعله عرقا مستبطن الصلب
وقال ثابت بن عبد العزيز^١ في كتاب خلق الإنسان : وفي الصلب الوتين ،
و هو عرق أبيض غليظ كأنه قصبه ، وفي الصلب الأبر والايض وهما
عرقان ، / وقال الزبيدي^٢ في مختصر العين : والأبران عرقان مكتفا الصلب ، ١٠ / ٩٧
وقيل : هما الأكلان . وقال الفيروزابادى في قاموسه : والأبر : الظهر
وعرق فيه ووريد العنق والأكل والكلى ، والوتين : عرق في القلب
إذا انقطع مات صاحبه . وقال ابن الفرات في الوفاة من السيرة من تاريخه :
قال الحرى : العرق^٣ في الظهر يسمى الأبر ، وفي اليد الأكل ، وفي
العنق الوريد ، وفي الفخذ النسا ، وفي الساق الأجل ، وفي العين الشان ، ١٥
(١) وهو المشهور بثابت بن أبي ثابت أبي محمد اللقوى ، واختلف في اسم أبيه فذكر في
إنباء الرواة ١/ ٢٦١ : واسم أبيه أبي ثابت سعيد ، وقيل : محمد ، وقال في التعليق
عليه : زاد في إشارة التعيين « وقيل : عبد العزيز ، وهو الصحيح » (٢) هو أبو بكر
محمد بن الحسن بن مدحج الأندلسى ، واسم مختصره : الاستدراك على كتاب العين .
(٣) سقط من ظ .

و هو عرق واحد ، كله يسمى الجدول . و قال ابن كيسان أيضا : هو الوتين
 في القلب و الصافن . و قال الإمام أبو غالب ابن التياتي^١ الأندلسي في كتابه
 الموعب : إسماعيل أبو حاتم : الأبر عرق^٢ في الظهر ، يقال : هو
 الوريد في العنق ، ثم^٣ قال : و الأبر عرق^٤ مستبطن المتن ؛ الأصمعي :
 ه و في الصلب الأبر و هو عرق ؛ صاحب العين : الأبران الأكلان ،
 و يقال : هما عرقان مكتفا الصلب من جانبيه .^٥ و^٦ قال صلى الله عليه
 وسلم : ما زالت أكلة خبير تعادني^٦ كل عام فالآن حين قطعت
 أبري - يعني عرقى ، و يقال : الأبر عرق مستبطن الصلب ، وإذا
 انقطع فلا حياة بعده . و^٧ هذا اللفظ الذي ذكره رواه البخاري و الطبراني
 ١٠ عن عائشة رضي الله عنها . و معنى تعادني^٦ : تاظرني و تخالفني ، من
 العديد بمعنى الند الذي هو المثل المضاد و المنافر ، أى إلى كلما زدت
 في جسمي صحة^٨ ، نقصته بما لها من الضر و الأذى .

ولما أمر سبحانه بالتبليغ [العام - ٧] ، أمره بنوع منه على وجه
 يؤكد ما ختمت به آية التبليغ من عدم الهداية لمن حتم بكفره^٩ ،
 ١٥ و يبطل^{١٠} - مع تأكيده - هذه الدعوى : قولهم : نحن أبناء الله^{١١} و أحباؤه^{١٢} ،
 فقال مرها لهم بعد ما تقدم من الترغيب في إقامته : ﴿ قل يَا هَلْ الْكُتُب ﴾

(١) من إنباه الرواة ٢٥٩/١ . و في الأصل : التياتي ، و في ظ : البيالي - كذا .
 و هو تمام بن غالب اللقوى (٢) في ظ : عناق (٣) سقط من ظ (٤) في ظ :
 التين (٥) في ظ : جانبه (٦) في ظ : تعادني ، و في لسان العرب : تعاودني .
 (٧) زيد من ظ (٨) في ظ : تبطل (٩) في ظ : احبا .

أى من اليهود والنصارى ﴿ لستم على شيء ﴾ أى 'سار' أو 'يتمد به من دنيا ولا آخرة' ، لأنه لعدم نفعه لبطلانه لا يسمى شيئا أصلا ﴿ حتى تقيموا ﴾ أى بالعمل بالقلب والقلب ﴿ التوراة والانجيل ﴾ وما^٢ فيهما من^٣ الإيمان بيسى ثم بمحمد عليهما الصلاة والسلام بالإشارة إلى كل منهما بالخصوص بنحو ما تقدم فى^٤ الإشراق من^٥ ساعير^٥ و الظهور من فاران^٦ ، و^٧ بالإشارة بالعموم إلى تصديق كل من أنى بالمعجز ، وصدق ما قبله من منهاج الرسل ﴿ وما أنزل ﴾ .

ولما كان ما عندهم إنما أوتى إليهم بواسطة الأنبياء ، عداه بحرف الغاية فقال : ﴿ اليكم من ربكم^٨ ﴾ أى المحسن إليكم بانزاله على السنة أنبيائكم من البشارة بهما ، وعلى لسان هذا النبي العربى^٩ الكريم بما يصدق ١٠ ما قبله ، فانهم يعلمون ذلك ولكنهم يحدونه .

ولما كان السياق لأن أكثرهم مالك ، صرح به دالا بالعطف على غير معطوف عليه أن التقدير : فليؤمنن به من أراد الله منهم ، فقال : ﴿ وليزیدن كثيرا منهم ﴾ أى ما عندهم من الكفر بما فى كتابهم ﴿ ما أنزل إليك من ربك ﴾ المحسن إليك بانزاله ﴿ طغيانا ﴾ تجاوزا شديدا ١٥ للحد ﴿ وكفراج ﴾ أى ستر لما دل عليه العقل .

ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد الشفقة على خلق الله ، سلاه فى ذلك بقوله : ﴿ فلا ﴾ أى فتسبب عن إعلام الله لك بذلك / قبل وقوعه ٩٨ / [ثم عن وقوعه -^{١٠}] كما أخبر أن تعلم أنه^{١١} بارادته وقدرته ، فقال^{١٢} لك :

(١ - ١) فى ظ : ساو - كذا (٢) فى ظ : بما (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) فى ظ : الاسراق ما (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : فيقال .

لا ﴿تأس﴾ أى تحزن ﴿على القوم الكافرين﴾ أى على فوات العريقين
 فى الكفر لأنهم لم يضروا إلا أنفسهم لأن ربك العليم القدير لو علم
 فيهم خيرا لأقبل بهم إليك ، والحاصل أنه ختم هذه الآية بمعلول الآية
 التى قبلها ، 'فكأنه قيل : بلغ' ، فان الله هو الهادى المضل ، فلا تحزن
 ٥ على من أدبر .

ولما كان ما مضى فى هذه السورة غالبا فى فضائح أهل الكتاب
 لا سيما اليهود^٢ يان أنهم عضوا^٣ على الكفر ، و مردوا على المجدد ،
 و تمرنوا على البهت ، و عتوا عن أوامر الله ، كان ذلك موجبا لانه
 ربما حدث فى الخاطر أنه إن آمن منهم أحد ما يقبل^٤ ، أو لأن يقولوا هم :
 ١٠ ليس فى دعائنا حيثنذ فائدة فلا تدعنا ، أخبر أن الباب مفتوح^٥ لهم و لغيرهم
 من جميع أهل الملل ، وأنه ليس بين الإنسان و بين أن يكون من أهله
 إلا عدم الإخلاص ، فاذا أخلص أذن فى دخوله [و - ٦] فودى
 بقبوله^٧ ، أو يقال - و هو أحسن : لما أخبر عن كثير منهم بالزيادة فى
 الكفر ، رغب القسم الآخر على وجه يعم غيرهم ، أو يقال : إنه لما طال
 ١٥ الكلام معهم . [كان - ٦] ربما ظن أن الأمر ترغيا و ترهيبا و أمرا
 و نهيا خاص بهم ، فوقع الإعلام بأنهم و غيرهم من جميع الفرق فى ذلك
 سواء ، تشريفا لمقدار هذا النبي الكريم بعموم الدعوة و إحاطة الرسالة
 (١- ١) تكرر ما بين الرقمين فى ظ غير أن فى التكرار « كانه » مكان « فكانه »
 (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل : عسوا ، و فى ظ : عضوا - كذا (٤) فى ظ :
 لم يقبل (٥) من ظ . و فى الأصل : مفتوحا - كذا (٦) زيد من ظ (٧) فى
 ظ : بقبوله .

فقال سبحانه: ﴿ ان الذين امنوا ﴾ أى قالوا: آمنا ﴿ والذين هادوا ﴾ أى اليهود ﴿ والصيئون ﴾ أى القائلون بالأوثان السامية والاصنام الارضية ﴿ والنصرى ﴾ أى الذين يدعون اتباع المسيح عليه السلام .
ولما كان اليهود قد عبدوا الاصنام متقربين بها إلى النجوم فى استئزال الروحانيات انهماكا فى السحر الذى جاء نبىهم موسى عليه السلام ه بابطاله ، وكان ذلك هو معنى دين الصابئة ، فرق بين فريق بنى إسرائيل بهم مكتفيا بهم عن ذكر بقية المشركين لما مضى فى البقرة ؛ ولما سبق فى هذه السورة من ذم اليهود بالنقض لليثاق والكفر واللعن والقسوة وتكرار الحياثة وإخفاء الكتاب والمصارعة فى الكفر والنفاق والتخصيص بالكفر والظلم والفسق وغير ذلك من الطامات ما يسد الاسماع ، كان ١٠ قبول توبتهم جدرا بالإنكار ، وكانوا هم ينكرون عنادا فلاح العرب من آمن منهم ومن لم يؤمن ، فاقضى الحال كون الفريقين فى حيز التأكيد ، ولم يتقدم للصابئة ذكر هنا أصلا فأخرجوا منه تنبيها على أن المقام لا يقتضيه لهم ، فابتدئ بذكرهم اعتراضا ودل على الخبر [عنهم بخبر - ٢] " إن " ،
أو أنه لما كان المقام للترغيب فى التوبة ، وجعل هؤلاء مع شناعة حالهم ١٥ بظهور ضلالهم كمن لا إنكار لقبول توبته ، كان غيرهم أولى بذلك ، ولما كان حال النصارى مشتبها ، جعلوا فى حيز الاحتمال للعطف على اليهود ؛ لما

(١) فى ظ : سد (٢) زيد من ظ (٣) وأطال الكلام فى توجيهه الآلوسى فراجع روح المعاني ٢/٣٥٥ ، وساق ابن حبان فيه ثلاثة أوجه فراجع البحر المحيط ٣/٥٣١ .
(٤) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ لمخذاها .

تقدم من ذمهم ، و على الصابئة لحنه حالهم بأنهم مع أن أصل دينهم صحيح لم يبلغ ذمهم السابق في هذه السورة مبلغ ذم اليهود ﴿ من آمن ﴾ أى منهم مخلصا من قلبه^١ ، و لعله ترك الجار إعرافا في التعميم ﴿ بالله ﴾ أى الذى / له جميع الجلال و الإكرام ﴿ و اليوم الآخر ﴾ أى الذى يبعث فيه العباد بأرواحهم و أشباحهم ، و يبعث [من - ٢] ذكره على الزهادة^٣ و ألحد في العبادة ، و بالإيمان به يحصل كمال المعرفة بالله تعالى باعتقاد كمال قدرته^٤ ﴿ و عمل صالحا ﴾ أى صدق إيمانه القلبي بالعمل بما أمر به^٥ ، ليجمع بين فضيلتي العلم و العمل ، و يتطابق الجنان مع الأركان ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ يعتد به في دنيا و لا في آخرة ١٠ ﴿ و لا هم ﴾ أى خاصة ﴿ يحزنون ﴾ أى على^٦ شيء فات ، لأنه لا يفوتهم شيء يؤسف عليه أصلا ، و أما غيرهم فهم في الحزن أبدا ، و^٧ في الآية تكذيب لهم في قولهم " ليس علينا في الامين سبيل " المشار إليه في هذه السورة بنسبتهم إلى أكل السحت في غير موضع ، و في نصوص التوراة الموجودة بين أظهرهم الآن أعظم ناصح^٨ لهم في ذلك ١٥ كما سبق في أوائل البقرة ، و قال في السفر الرابع منها عند ذكر التيه^٩ و وصاياهم إذ أدخلهم " الأرض المقدسة ، و مكنهم فيها بأشياء

(١) في ظ : قبله (٢) زيد و لا بد منه (٣) في ظ : الزهاد (٤ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥ - ٥) في ظ : امرته (٦) زيد بعده في الأصل : كل ، و لم تكن الزيادة في ظ لخذناهما (٧) سقط من ظ (٨) سورة ٣ آية ٨٥ (٩) في ظ : واضح (١٠) في ظ : اليتم - كذا (١١) في ظ : دخلتم ، و زيد بعده فيه : إلى .

منها القربان : و إن سكن بينكم رجل غريب يقبل إلى^١ أو بين أولادكم لاحقابكم و يقرب قربانا^٢ لريح قنار الذبيحة للرب يفعل كما فعلتم أتم، و تسكن السنة واحدة لكم و للذين يقبلون إلى^٣ و يسكنون بينكم سنة جارية لاحقابكم إلى الأبد، و الذين يقبلون إلى^٤ من الغرباء يكونون أمام الرب مثلكم، و تسكن^٥ لكم سنة واحدة و حكومة واحدة لكم و للذين^٦ يقبلون إلى^٧ و يسكنون معكم .

و لما كانت هذه البشارة - [الصادقة -^٨] من العزيز العليم الذى أهل الكتاب أعرف الناس به لمن آمن كائنا من كان - موجبة^٩ للدخول في الإيمان و التعجب ممن لم يسارع إليه ، و كان أكثر أهل الكتاب إنما يسارعون في الكفر ، كان الحال مقتضيا لتذكر ما مضى من قوله تعالى ١٠
 ” و لقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل و بعثنا منهم^{١١} اثني عشر نقيبا “
 و زيادة العجب منهم مع ذلك ، فأعاد سبحانه الإخبار به مؤكدا له تحقيقا لآمره و تفخيما لشأنه ، و ساقه على وجه يرد دعوى البتوة و المحبة ، ملتفتا مع التذكير بأول قصصهم^{١٢} في هذه السورة إلى أول السورة ” اوفوا بالعقود “
 و عبر في موضع الجلالة بنون العظمة ، و جعل بدل النقباء الرسل فقال ١٥
 مستأنفا : ﴿ لقد اخذنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ ميثاق بنى اسرائيل ﴾
 أى على الإيمان بالله ثم بمن يأتي بالمعجز مصدقا لما عنده^{١٣} بحيث يقوم
 (١) في ظ : قربا - كذا (٢) في ظ : لكن (٣) زيد بعده في ظ : من (٤) زيد
 من ظ (٥) في الأصل و ظ : موجب - كذا (٦) من ظ و القرآن الكريم
 سورة هـ آية ١٢ ، و في الأصل : منكم (٧) في ظ : قصصه (٨) في ظ : عندهم .

الدليل على أنه من رسل الله الذين تقدم أخذ العهد عليهم بالإيمان بهم^٢،
 ودل على عظمة الرسل بقوله في مظهر العظمة: ﴿وارسلنا اليهم رسلا^٣﴾
 أى لم نكتف^٤ بهذا العهد، بل^٥ لم نخلهم من بعد موسى من الرسل
 الذين يرونهم الآيات ويحددون لهم أوامر الرب إلى زمن عيسى عليه السلام؛
 ٥ روى الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه - البخارى في بنى إسرائيل^٦
 ومسلم في المغازى - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كانت
 بنو إسرائيل تسوسهم^٧ الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي
 بعدى، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟^٨ قال: فوا^٩
 بيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم - انتهى.
 ١٠ ومع ذلك فلم يخل لهم زمان طويل من الكفر [لا - ٧] فى زمن
 موسى ولا فى زمن من بعده من الأنبياء عليهم السلام، حتى قتلوا كثيرا
 من الرسل^{١٠} وهو معنى قوله^{١١} - جوابا لمز كآته قال: ما فاعوا بالرسل - :
 ﴿كلما جاءهم رسول﴾ أى من أولئك الرسل أى رسول كان
 / ﴿بما لا تهوى أنفسهم لا﴾ أى بشئ لا تحبه نفوسهم بحجة تتساقط بها إليه،
 ١٥ خالفوه، فكأنه قيل: أى مخالفة؟ فقيل: ﴿فريقا﴾ أى من الرسل ﴿كذبوا﴾
 أى كذبهم بنو إسرائيل من غير قتل، ودل على شدة بشاعة القتل وعظيم
 شناعته بالتميز بالمضارع تصويرا للحال الماضية وتنبها على أن هذا ديدنهم

(١) فى ظ: رسول (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: لم يكتف (٤) راجع كتاب
 الأنبياء (٥) فى ظ: برسوسهم (٦ - ٧) من ظ وصحيح البخارى، وفى الأصل:
 قافرا - كذا (٧) زيد من ظ (٨ - ٩) تكرر ما بين الرقين فى ظ بعد
 « ما فعلوا بالرسل » .

وهو أشد من التكذيب فقال: ﴿ وفريقا يقتلون في ﴾ أى مع التكذيب
 ول يدل على ما وقع منهم ' فى سم ' النبي صلى الله عليه وسلم ، و قدم
 المفعول للدلالة على انحصار أمرهم فى حال التكذيب و القتل ، فلا حظ
 لهم فى تصديق مخالف^٢ لأهويتهم ﴿ و حسبوا ﴾ أى لقلة^٣ عقولهم
 مع مباشرتهم لهذه العظام التى ليس بعدها شىء ﴿ ألا تكون ﴾ أى ه
 توجد ﴿ فتة ﴾ أى أنه لا يصيبهم بها عذاب فى الدنيا و لا خرى
 فى الأخرى ، بل استحقوا بأمرها ، فلا تعجب أنت من جرأتهم فى
 ادعائهم أنهم أبناء الله^٤ و أحباؤه ؛ و قرئ : تكون - بالرفع تزيلا للحسبان
 منزلة^٥ العلم فتكون مخففة من الثقيلة^٦ التى للتحقيق^٧ ، و بالنصب كان الحسبان
 على بابه ، و ' أن ، على بابها خفيفة ناصبة^٨ للفعل ، لأن القاعدة - كما ذكر ١٠
 الواحدى - أن^٩ الأفعال على ثلاثة أضرب : فعل للثبات و الاستقرار
 كالعلم و التيقن و البيان^{١٠} ، تقع بعده الثقيلة دون الخفيفة ؛ و فعل للزلزلة
 و الاضطراب^{١١} كالطمع و الخوف و الرجاء ، فلا يكون بعده إلا الخفيفة
 الناصبة للضارع ؛ و فعل يقع على وجهين كحسب : تارة تكون بمعنى

(١-١) فى ظ : من سهم (٢) فى ظ : تحليف - كذا (٣) فى ظ : الخفة (٤) فى
 ظ : أنهم (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : بمنزلة (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من
 ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : فأنصبته ، و فى روح المعانى ٢ / ٣٥٨ : و قرأ
 أبو عمرو و حمزة و الكسائى و يعقوب « ان لا تكون » بالرفع على أن ' ان ' هى المخففة
 من الثقيلة ، و أصله : أنه لا تكون ، تخفف ' أن ' و حذف ضمير الشأن (٩) فى
 ظ : لأن (١٠) فى ظ : الثبات (١١) من ظ ، و فى الأصل : الاضراب .

طمع قنصب^١، وتارة بمعنى علم قترفع^٢؛ فان رفع هنا كان الحسبان
بمعنى العلم عندم لقوة عنادهم، وإن نصب كان بمعنى الطمع لأنهم عالمون
بأن قتلهم لهم خطأ؛ فتنزل القراءتان على فريقين - والله أعلم، وأيضاً
قراءة الرفع تفيد تأكيد حساباتهم المفيد لعدم خوفهم بزيادة عمام
ه (فعموا) أى فتسبب عن إدلالهم إدلال الولد والمحجوب جهلاً منهم
وحماقة بظنهم أنهم لا تنالهم فتنة أنهم وُجد^٣ عمام العمى الذى لا عمى
فى الحقيقة سواء، وهو انطلاس البصائر دافئها لا تعمى الابصار ولكن
تعمى القلوب التى فى الصدور، حتى فى زمن موسى عليه السلام (وصموا)
أى بعده^٤، وبعد يوشع عليهما السلام، لأن الصمم أضر من العمى، فصاروا
١٠ كمن لا يهتدى إلى سبيل أصلاً، لأنه لا بصر له بعين ولا قلب ولا سمع
(ثم تاب الله) أى الذى له الإحاطة بصفات الكمال (عليهم) أى
فرجعوا إلى الحق وتكرر لهم ذلك (ثم عموا) أى فى زمن المسيح
عليه السلام (وصموا) أى بعده^٥.

ولما كان الإتيان بالضمير مفهماً لأن ذلك عنهم كلهم، أعلم سبحانه
١٥ أن ذلك ليس كذلك بقوله: (كثير منهم) إلا أن سؤقه للعبارة
هذا المساق يدل على أن من لم يكفر منهم كان مزلزلاً غير راسخ القدم
فى الهدى - والله أعلم، وربما دل عليه قوله: (والله) أى المحيط بكل
شئ. قدرة وعلماً (بصير بما يعملون ه) أى وإن دق وإن كانوا

(١) فى ظ : فينصب؛ (٢) فى ظ : فرفع (م) فى ظ : وجدوا (٤ - ٤) سقط ما بين
الرقيقين من ظ (ه) فى ظ : متزلزلاً.

يظنون أنهم أسسوا^١ عملهم على علم، وقد مضى في قوله "من لعنه الله و غضب عليه" ما يشهد لهذا من عبادتهم بعلا الصنم و غيره من الأصنام مرة بعد مرة .

١٠١ / و لما أخبر تعالى بفساد أعمالهم ، دل على ذلك بقوله مستفتحا^٢
 مينا من حال النصارى ما بين من حال اليهود ، و مؤكدا لحتم آية التبليغ^٥
 بما ينقض دعواهم في البتة و المحبة : (لقد كفر) أى ستر ما دل عليه
 النقل و هدى إليه العقل (الذين قالوا ان الله) أى على ما له من نعوت
 الجلال و الجمال (هو المسيح) فبين بصيغة فعل - التى لا مانع من أن
 تكون للفعل - بُعْدَه عما ادعوه فيه ، ثم أوضح ذلك بقوله : (ابن مريم)
 إيضا لا خفاء معه .

١٠

و لما كانت دعوى الاتحاد الذى هو قول اليعقوية أشد في الكفر
 و أننى للاله من دعوى التثليث الذى هو قول النسطورية و الملكية القائلين
 بالاقانيم ، قدمها و بين تعالى أنهم خالفوا فيها أمر المسيح الذى ادعوا
 أنه^٢ الإله فقال : (و قال) أى قالوا هذا الذى كفروا به و الحال أنه قال
 لهم (المسيح) [ضغطة عليهم و دعاء إلى ما هو الحق -^٤] (يبنى اسراءيل)^{١٥}
 أى الذى كان يتشرف بعبادة الله و تسميته بأنه عبده (اعبدوا الله)
 أى الملك الأعظم [الذى -^٤] كل شئ تحت قهره ، فأمرهم بأداء الحق
 لاهله مذكرا لهم بعظمته ، ثم ذكرهم بأحسانه و أنه و إياهم في ذلك شرع
 (١) من ظ ، و في الأصل : أسسوا - كذا (٢) من ظ ، و في الأصل : مستنتجا
 - كذا (٣) في ظ : افتتح - كذا (٤) زيد من ظ .

وأحد ، فقال مقدما لما يتعلق به لانه أمم لإنكارهم له ﴿ ربى وربكم ﴾^١ فلم يطيعوا الإله الحق 'ولا' الذى ادعوه إلها : فلا أضل منهم ولا أسفه ؛ قال أبو حيان فى النهر : وهذا الذى ذكره الله تعالى عنه هو^٢ مذكور فى إنجيلهم يقرؤنه ولا يعملون به ، وهو قول المسيح : يا معشر بنى المعمودية - وفى رواية : يا معشر الشعوب - قوموا بنا إلى أبى وأبيكم وإلى^٣ إلهى وإلهكم ومخلصى ومخلصكم - انتهى . وقد أسلفت أنا فى آل عمران وغيرها عن الإنجيل كثيرا^٤ من شواهد ذلك ، و يأتى فى هذه السورة وغيرها كثير منه .

ولما^٥ أمرهم بما يفهم منه الإخلاص لله تعالى فى العبادة لما ذكر ١٠ من جلاله وأن ما سواه مربوب ، ولانه أغنى الأغنياء ، فمن أشرك به شيئا لم يعتد^٦ له بعبادة ، علل^٧ ذلك بقوله : ﴿ انه من يشرك ﴾ أى الآن أو^٨ بعد الآن فى زمن من الأزمان ﴿ بالله ﴾ أى الذى تفرد بالجلال فى عبادة أو فيما هو مختص به من صفة أو فعل^٩ ﴿ فقد حرم الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فلا أمر لأحد معه ﴿ عليه الجنة ﴾ أى منعه من دخولها^{١٠} ١٥ منعا عظيما متحتما .

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : الحق ، ولم تكن الزيادة فى ظ والنهر فحذفناها - راجع البحر المحيط ٣/ ٥٣٤ (٣) سقط من النهر . (٤) فى ظ : كثير (٥) من ظ ، وفى الأصل : ما (٦) فى ظ : لم يعقد (٧-٧) من ظ ، وفى الأصل : بعباد عد (٨) فى ظ : اى (٩) فى ظ : فعله (١٠) من ظ ، وفى الأصل : دخول الجنة .

ولما كان المنع من دار السعداء 'مفهما لكونه' في دار الأشقياء،
 صرح به فقال: (وما يؤنه) أى محل سكناه (النار) ولما جرت عادة
 الدنيا بأن^٢ من نزل به ضيم يسعى في الخلاص منه بأنصاره وأعوانه،
 نفى ذلك سبحانه مظهرا للوصف المقتضى لشقايتهم تعليلا وتعميما فقال:
 (وما للظالمين) أى لهم لظلمهم (من انصاره) لا بقداء ولا بشفاعة ولا
 مقاهرة بمجاهرة ولا مساترة، لأن من وضع عمله في غير موضعه فكان
 ماشيا في الظلام، لا يمكنه^٣ أصلا مقاومة^٤ من هو في آثم ضياء، وهذا
 على التهديد على الكفر فلا يصح أن يكون على مطلق المعصية ولو كانت
 كبيرة، فبطل قول المعتزلة.

ولما انقضى هذا النقض، وقدمه لأنه كما مضى أشد، أتبعه بإبطال ١٠

دعوى التثليث بقوله مبدلا من تلك النتيجة نتيجة أخرى: (لقد كفر

الذين قالوا) بجمرة على الكلام المتناقض وعدم حياء / (ان الله) ١٠٢ /
 أى على ما له من العظمة التى منها الغنى المطلق (ثالث) أى واحد
 (ثلاثة) أى كلهم آلهة^٥، وأما القائل بأنه ثالث بالعلم فلا يكفر.

ولما أعلم بكفرهم، أشار إلى إبطاله كما أشار إلى إبطال الأول كما ١٥

سلف بما لا يخفى على أحد، تحقيقا لتلبسهم بمعنى الكفر الذى هو ستر ما
 هو ظاهر فقال: (وما) وأغرق في النقي كما هو الحق واقتضاه المقام
 فقال: (من اله الآله واحد) أى قالوا ذلك والحال أنه لا يصح

(١-١) في ظ: مغما للكون (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: لا يمكنه (٤) في ظ:

مقامه (٥) من ظ، وفي الأصل: اله.

ولا يتصور في العقل أن يكون الإله متعددًا لا تحقيقًا ولا تقديرًا بوجه
من الوجوه، لا يكون إلا واحدًا بكل اعتبار، وهو الله تعالى لا غيره، وقد
بين عيسى عليه السلام في الإنجيل الذي بين أظهرهم أنه لا يصح أن يكون
الإله إلا واحدًا - بالمعتمد من أدلة ذلك عند محقق أهل الأصول وهو برهان
التمانع المشار إليه في كتابنا بقوله تعالى "لو كان فيهما إلهة إلا الله
لفسدنا" فقال مترجمهم في إنجيل متى : حيثذ أنى إليه - أى عيسى عليه السلام -
بأسمى أخرس^{١٥} ه شيطان ، فأبراه حتى أنه تكلم وأبصر ، فبهت الجمع
كلهم وقالوا : لعل هذا هو ابن داودا فسمع الفريسيون فقالوا : هذا لا يخرج
الشياطين إلا بياعل زبول رئيس الشياطين ، فلما علم مكرم قال لهم : كل
١٠ مملكة تنقسم على ذاتها تخرب ، وكل مدينة أو بيت ينقسم لا يثبت^{١٦} ،
فان كان الشيطان يخرج الشيطان^{١٧} فقد انقسم فكيف يقوم ملكه ؟ فان
كنت أنا أخرج الشياطين^{١٨} بياعل زبول فأبناؤكم بما^{١٩} تخرجونهم^{٢٠} ! من
أجل هذا هم يكونون^{٢١} عليكم ، وإن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين
فقد قربت منكم ملكوت الله ، وكيف يستطيع أحد أن يدخل بيت
١٥ القوى ويخطف متاعه إلا أن يربط القوى^{٢٢} أولا ، حيثذ ينهب بيته . وقال
مرقس^{٢٣} : وأما^{٢٤} الكتبة الذين^{٢٥} أتوا من يروشلیم فقالوا : إن بعل زبول
معه ، وباركون^{٢٦} الشياطين يخرج الشياطين^{٢٧} ؛ فدعاهم وقال لهم : كيف
(١) في ظ : لانه (٢) سورة ٢١ آية ٢٢ (٣) من ظ ، وفي الأصل : اخر - كذا .
(٤) في ظ : لا تثبت (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) في ظ : بماذا (٧) في
ظ : يحكون (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، وفي الأصل : قش (١٠-١٠) في ظ :
الكهنة الذي (١١) بمعنى الرئيس والكبير ، وقد يأتي تفسيره بعد .

يقدر شيطان أن يخرج شيطانا ١ وكل ملكة تنقسم لا تثبت تلك الملكة ،
 فاذا اختلف أهل البيت لا يثبت ذلك البيت ، وإن كان الشيطان الذى
 يقاوم بقيته و ينقسم فلن يقدر أن يثبت ، لكن له انقضاء ، لا يقدر أحد
 أن يدخل بيت القوى و ينتهب بيته إلا أن يربطه ٢ أولا ، و ينتهب
 متاعه ، الحق أقول لكم ٣ إن كل ٢ شئ يغفر ١ لبنى الناس من الخطايا ه
 و التجديف الذى يحدفونه ٤ ، و المجدفين على روح القدس ليس يغفر لهم
 إلى الأبد ، بل يحل بهم العقاب الدائم ، لأنهم يقولون : إن معه روحا
 نجسا . قال متى : من ليس معى فهو ٢ على ٣ ، و من لا يجمع معى فهو ٢
 يفرق ، من أجل هذا أقول لكم : إن كل خطيئة و تجديف يترك للناس ،
 و التجديف على روح القدس لا يترك ، و ١ من يقل كلمة على ابن الإنسان ١٠
 يترك ٢ له ، و الذى يقول على روح القدس لا يترك له فى هذا الدهر
 و لا فى الآتى ، إما ٤ أن تصيروا الشجرة الجيدة و ثمرتها جيدة ، و إما
 أن تصيروا الشجرة الرديئة و ثمرتها رديئة ، لأن من الثمرة تعرف الشجرة ،
 يا أولاد الافاعى ! كيف ٤ تقدرون أن تتكلموا ١ بالصلاح و أتم أشرار !
 إنما يتكلم الفم من فضل ما فى القلب ، الرجل الصالح من كنزه الصالح يخرج ١٥
 الصلاح ، و الرجل الشرير من كنزه الشرير يخرج ١ الشر ، أقول لكم ١ : إن
 [كل - ١٠] كلمة يتكلم بها الناس بطالة يعطون عنها جوابا فى يوم

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تربطه (٣-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ .

(٤) زيد بعده فى ظ : لكم (٥) من ظ ، و فى الأصل : تجدفونه (٦) فى ظ : الروح .

(٧) فى الأصل و ظ : لا يترك ، و مبنى التصحيح نص الإنجيل (٨) فى ظ : الا .

(٩-١) فى ظ : تقدرون أن يتكلموا (١٠) زيد من ظ .

الدين ، لأنك من كلامك تبرّر ، و من كلامك يحكم عليك . و في إنجيل
لوقا : و فيما هو يتكلم إذ^١ رفعت امرأة من الجمع صوتها و قالت : طوبى
لبطن الذى حملتك ، و لثدى الذى أرضعتك ، فقال [لها - ^٢] : مهلا طوبى
لمن يسمع كلام الله و يحفظه - انتهى . حيث^٣ أجابه قوم من الكتبة
٥ و الفريسيين قائلين : نريد يا معلم أن ترينا آية ، أجابهم و قال لهم :
الجيل الشرير الفاسق يطلب آية فلا يعطى آية إلا آية يونان النبي ؛ قال لوقا :
فكما^٤ كان فى يونان آية لأهل نينوى ، كذلك يكون ابن الإنسان لهذا الجيل
آية - انتهى . رجال نينوى يقومون فى الحكم و يحاكمون هذا الجيل ، لأنهم
تابوا بكريرة يونان - و قال لوقا : بانذار يونان - و ههنا أفضل من
١٠ يونان ، ملكة التيمن تقوم^٥ فى الحكم مع هذا الجيل و تحاكمه ،
لأنها أتت من أقصى الأرض لتسمع من حكمة سليمان ،^٦ و ههنا أفضل
من سليمان^٧ ، إن الروح النجس إذا خرج من الإنسان يأتى أمكنة ليس
[فيها - ^٨] ماء ، يطلب راحة فلا يجد . فيقول حيث^٩ : أرجع إلى بيتي
الذى خرجت منه ، فيأتى فيجد المكان فارغا مكنوسا مزينا ، فيذهب
١٥ حيث^{١٠} و يأخذ معه سبعة أرواح أخر شرار منه و يأتى و يسكن هناك ،
فتصير آخره ذلك الإنسان شرار^{١١} من أوليته^{١٢} ، و هكذا يكون لهذا^{١٣}
[الجيل - ^{١٤}] الشرير - انتهى . و التجديف هو الكفر بالنعيم ، و يونان :

(١) فى الأصل : إذا ، و سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : صعيد - كذا .
(٤) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : فلما (٥) فى ظ : يقوم (٦ - ٧) سقط
من ظ (٧) زيد بعده فى ظ : منه (٨) فى الأصل و ظ : اولته - كذا (٩) فى ظ :

يونس عليه السلام ، : الكريزة - بينها لوقا بأنها الإنذار ، و التيمن :
 اليمن ، و الأركون - بضم الهمة و الكاف بينهما راء مهملة ساكنة :
 الكبير ، و يروشلیم - بفتح التحتانية و ضم ' المهملة ثم شين معجمة :
 بيت المقدس ، و باعل زبول - بموحدة و عين مهملة و زای و موحدة .
 هذا الدليل على التوحيد و أن الشركة في الإلهية لا تصح أصلا ، و أما ه
 الدليل على عدم شركة كل من عيسى و أمه عليهما السلام بخصوصهما
 فسيأتى تقريره بقوله تعالى " كانا ياكلن الطعام " و المراد من ذلك كله
 أنه متى دخلت الشركة أنى النقص فعلا أو إمكانا^١ ، و من اعترته شائبة
 نقص لم يصح كونه إلهيا .

ولما أخبر أنهم كفروا ، وأشار إلى نقض قولهم ، كان أنسب ١٠
 الأشياء بعده^٢ أن يعطف عليه زهيمهم ثم ترغيبهم فقال تعالى :
 ﴿ وان لم ينتهوا ﴾ أى الكفرة بجميع أصنافهم^٣ ﴿ عما يقولون ﴾ أى من هاتين
 المقالتين وما دافاهما^٤ ﴿ ليسن ﴾ أى مباشرة من غير حائل ﴿ الذين كفروا ﴾
 أى داموا على الكفر ، و بشر سبحانه بأنه يتوب على بعضهم بقوله :
 ﴿ منهم عذاب اليم^٥ ٥ ﴾ .

١٥

ولما كان من شأن العاقل أنه لا يقدم على باطل ، فإن وقع ذلك
 منه و شعر^٦ بنوع ضرر يأتى بسببه بادر إلى الإقلاع عنه ، تسبب عن هذا
 الإنذار - بعد بيان العوار - الإنكار عليهم في عدم المبادرة إلى التوبة إيضا

(١) من ظ ، وفى الأصل : بضم (٢) فى ظ : ذيلول (٣) فى ظ : مكاتا (٤) من ظ ،
 وفى الأصل : بعد (٥) فى ظ : اوضاعهم (٦) فى ظ : دافاهما (٧) فى ظ : شغف .

لأن معنى كفروا: داموا^١ عليه ، فقال : ﴿ افلا يتوبون ﴾ أى يرجعون
بعد هذا الكفر الذى لا أوضح من بطلانه ولا أمين من فسادِه والوعيد
الشديد ﴿ الى الله ﴾ أى المتصف بكل وصف جميل ﴿ ويستغفرونه ﴾
أى يطلبون منه غفران ما أقدموا عليه من العار البين العوار ؛ ولما
كان التقدير : فانه تواب حكيم ، عطف عليه قوله : ﴿ والله ﴾^٢ ويجوز
أن يكون التقدير : والحال أن المستجمع لصفات الكمال أزلا وأبدا
﴿ غفور ﴾ أى بليغ المغفرة ، يمحى الذنوب فلا يعاقب عليها ولا يعاتب
﴿ رحيم ﴾^٣ أى^٤ بالغ الإكرام لمن أقبل إليه . / ١٠٤

ولما أبطل الكفر كله بآيات أفعاله من إرساله وإنزاله وغير ذلك
١٠ من كماله ، وأثبت التوحيد على وجه عام ، أتبع ذلك تخصيص ما كفر به
المخاطبون بالإبطال ، فكان ذلك دليلا خاصا بعد دليل عام ، فقال تعالى على
وجه الحصر فى الرسلية ردا على من يعتقد فيه الإلهية واصفا له
بصفتين لا يكونان إلا لمصنوع^٥ مربوب : ﴿ ما المسيح ﴾ أى الممسوح
بدهن القدس المطهر المولود لأمه^٦ ﴿ ان مريم الا رسول ﴾ و بين
١٥ أنه ما كان بدعا من كان قبله من إخوانه بقوله : ﴿ قد خلت من قبله الرسل ﴾
أى فما من خارقة له ، و^٧ إلا وقد كان مثلها أو أعجب منها لمن قبله
كآدم عليه السلام^٨ فى خلقه من تراب ، و موسى عليه السلام^٩ فى قلب العصى
(١) من ظ ، وفى الأصل : اداموا (٢) زيد بعده فى ظ : أى (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : اتعل - كذا (٥) فى ظ : المصنوع (٦) فى الأصل و ظ : لانه .
(٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى ظ .

حية تسمى - ونحو ذلك .

ولما كفروا بأمه أيضا عليهما السلام بين ما هو الحق في أمرها فقال: (وامه صديقة^١) أى بليغة الصدق في نفسها والتصديق لما ينبغي أن يصدق، فرتبتها تلى رتبة الأنبياء، ولذلك تكون من أزواج نبينا صلى الله عليه وسلم في الجنة . وهذه الآية من أدلة من قال: إن مريم ه عليها السلام لم تكن نية، فانه تعالى ذكر أشرف صفاتها في معرض الرد على من قال بالهتيمها إشارة إلى بيان ما هو الحق في اعتقاد مالهما من أعلى الصفات، وأنه من رفع واحدا منهما فرق ذلك فقد أطراه، ومن نقصه عنه فقد ازدراه، فالقصد العدل بين الإفراط والتفريط باعتقاد أن أعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة، وأكمل صفات ١٠ أمه الصديقة .

ولما كان المقام مقام البيان عن نزولها عن رتبة الإلهية، ذكر أبعد الأوصاف منها فقال: (كانا يا كلن الطعام^٢) . وخص الأكل لأنه مع كونه ضعفا لازما ظاهرا هو أصل الحاجات المعترية للإنسان، فهو تنبيه على غيره، و^٣ من الأمر الجلى أن الإله لا ينبغي أن يدنو إلى جنبه عجز ١٥ أصلا، وقد اشتمل قوله تعالى "وقال المسيح" وقوله "كانا يا كلن [الطعام - ٤]" على أشرف أحوال الإنسان وأخسها، فأشرفها عبادة الله، وأخسها الاشتغال عنها بالأكل الذى هو^٥ مبدأ الحاجات .

(١) فى ظ : العد (٢) فى ظ : بعد (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ والقرآن الكريم (٥) فى ظ : تبدا - كذا.

ولما أوضح ما هو الحق في أمرهما حتى ظهر كالشمس ببعدهما عما ادعوه فيها، أتبعه التعجب^١ من تمام قدرته على إظهار الآيات و على الإضلال بعد ذلك البيان فقال: ﴿ انظر كيف نبين لهم الآيات ﴾ أى نوضح أيضا شافيا العلامات التي من شأنها الهداية إلى الحق والمنع من الضلال^٢، ولما كان العمى عن هذا البيان في غاية البعد، أشار إليه بأداة التراخي فقال: ﴿ ثم انظر أئى ﴾ أى كيف ومن أين^٣، ولما كان العجب قبولهم^٤ للصرف وتأثرهم به، لا كونه من صارف معين، بنى للفعول قوله: ﴿ يؤفكون^٥ ﴾ أى يصرفون عن الحق و يان الطريق صرف من لا نور له أصلا من^٦ أى صارف كان، فصرفهم^٧ في غاية السفول،^٨ و يان الآيات^٩ في غاية العلو^{١٠}، فينبها بون عظيم.

ولما نبى عنها الصلاحية لرتبة الإلهية للذات، أتبعها نبى ذلك من حيث الصفات، فقال منكرا مصرحا بالإعراض عنهم إشارة إلى أنهم ليسوا أهلا للاقبال عليهم: ﴿ قل ﴾ أى للنصارى أيها الرسول^{١١} الأعظم ﴿ اتعبدون ﴾^{١٢} ونبه على أن كل شيء دونه، وأنهم اتخذوه وسيلة إليه ١٠٥ / ١٥ بقوله: ﴿ من دون الله^{١٣} ﴾ / ونبه بآيات الاسم الأعظم^{١٤} على أن له جميع الكمال، و عبر عما عبدوه بأداة^{١٥} ما لا يعقل تنبيها على أنه سبحانه هو^{١٦} الذى

(١) في ظ: التعجب (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: قولهم (٤) في ظ: يصرفهم.
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) في ظ: الرسل (٧ - ٧) تكرر ما بين الرقين في الأصل. وسقط "من دون الله" من ظ، و زيد بعده في الأصل: أى، ولم يكن الزيادة في ظ لحذفنا (٨) في ظ: مناداة (٩) تقدم في ظ على "سبحانه".

أفاض عليه^١ ما رفته عن ذلك الحيز^٢، ولو شاء لسلبه عنه فقال:
 ﴿ ما لا يملك لكم ضرا ﴾ أى من نفسه فتخشوه ﴿ ولا قعاً ﴾ أى
 قترجوه، ليكون لكم نوع عذر أو شبهة، ولا هو سميع يسمع كل ما يمكن
 سماعه بحيث^٣ يغيب المضطر إذا استغاث به فى [أى - ^٤] مكان كان، ولا عليم
 يعلم كل ما يمكن عليه بحيث يعطى على حسب ذلك، وكل ما يملك ه
 من ذلك فتمليك الله^٥ له كما ملككم من ذلك ما شاء.

ولما نفى عنه ما ذكر تصريحاً وتلويحاً، أثبتة لنفسه المقدسة كذلك
 فقال: ﴿ والله ﴾ أى والحال أن الملك الذى له الأسماء الحسنى
 والصفات العلى: الكمال كله ﴿ هو ﴾ أى خاصة ﴿ السميع العليم ه ﴾
 وهو وحده الضار النافع، يسمع منكم هذا القول ويعلم هذا المعقد^٦ ١٠
 السيق، وإما قرن بالسميع العليم، دون البصير لإرادة التهديد لمن عبد
 غيره، لأن العبادة قول أو فعل،^٧ ومن الفعل^٨ ما محله القلب وهو
 الاعتقاد، ولا يدرك بالصر بل بالعلم، والآية - كما ترى - من الاحتباك:
 دل بما أثبتة لنفسه [على سبيل القصر - ^٩] على نفيه فى الجملة الأولى عن
 غيره، وبما نفاه فى الجملة الأولى عن غيره على إثباته له - والله الموفق . ١٥
 ولما قامت الأدلة على بطلان قول اليهود ثم [على - ^{١٠}] بطلان
 مدعى النصارى، ولم يبق لأحد علة، أمره صلى الله عليه وسلم أن
 ينهى الفريقين عن الغلو بالباطل فى أمر عيسى عليه السلام: اليهود

(١) فى ظ: اليه (٢) فى ظ: الحيز (٣) من ظ، وفى الأصل: بعيشه (٤) زيد
 من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: العقد (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ.

بأنزله عن رتبته ، و النصارى رفعه عنها بقوله تعالى : ﴿ قل يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾
أى عامة ﴿ لا تغلوا ﴾ أى تجاوزوا الحد علوا و لا نزولا
﴿ فى دينكم ﴾ .

و لما كان الغلو ربما أطلق على شدة الفحص عن الحقائق
و استنباط الحقى من الأحكام و الدقائق من خبايا النصوص ، نرى ذلك
بقوله : ﴿ غير الحق ﴾ و عرفه ليفيد أن المبالغة فى الحق غير منتهى عنها ،
و إنما المنهى عنه تجاوز دائرة الحق بكاملها ، و لو نكر لكان من جاوز
حقا إلى غيره واقعا فى النهى ، كمن جاوز الاجتهاد فى الصلاة النافلة
إلى الجرد فى العلم النافع ، و لو قيل : باطلا ، لادعى أن المنهى عنه
١٠ المبالغة فى الباطل ، لا أصله و مطلقه .

و لما نهام أن يضلوا بأنفسهم ، نهام أن يقلدوا فى ذلك غيرهم
فقال : ﴿ ولا تتبعوا ﴾ أى فاعلين فعل من يجتهد فى ذلك ﴿ أهواء قوم ﴾
أى هوى ما لهم من القوة ، فكانوا أسفل سافلين ، و الهوى
لا يستعمل إلا فى الشر ﴿ قد ضلوا ﴾ و لما كان ضلالهم غير مستغرق
١٥ للزمان الماضى . أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل زمانكم
هذا عن منهاج العقل فصبروا على ضلالهم و أنسوا بما تبادوا عليه فى
محالهم ﴿ و اضلوا ﴾ أى لم يكفهم ضلالهم فى أنفسهم حتى أضلوا غيرهم
﴿ كثيرا ﴾ أى من الناس بتباديهم فى الباطل من التلث و غيره حتى

(١) فى ظ : على (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : زمانهم (٤) من
ظ و فى الأصل : من .

ظن حقا ﴿ و ضلوا ﴾ أى بعد بعث النبي صلى الله عليه وسلم بمنازمة
الشرع ﴿ عن سوء ﴾ أى عدل ﴿ السيل ٤ ﴾ أى الذى لا سبيل فى
الحقيقة غيره . لأن الشرع هو الميزان^١ القسط والحكم العدل ، وهذا
إشارة إلى أنهم [إن - ٢] لم ينتهوا كانوا على محض التقليد لأسلافهم
الذين هم فى غاية البعد / عن النهج^٢ وترك الاهتداء بنور العلم^٣ ، وهذا ٥ / ١٠٦
غاية فى التبكيت ، فان تقليدهم لو كان فيما يشبه الحق كان جهلا ،
فكيف وإنما هو تقليد فى هوى .

ولما نهام^٦ عن ذلك وقبحه عليهم . علله محذرا منه بقوله تعالى
بأنيا^٧ للفعول ، لأن الفاعل معروف بقرينة^٨ من هو على لسانها : ﴿ لعن ﴾
و وصفهم بما نبه على علة لعنهم بقوله : ﴿ الذين كفروا ﴾ و صرح بنسبتهم ١٠
تعيينا لهم و تبكيئا^٩ و تقريرا فقال : ﴿ من بنى إسرائيل ﴾ و أكد هذا
اللعن و نغمه بقوله : ﴿ على لسان داود ﴾ أى الذى كان على شريعة
موسى عليه السلام ، و ذلك باعتبارهم فى السبت فصاروا قردة ﴿ و عيسى
ابن مريم^{١٠} ﴾ أى الذى نسخ شرع موسى عليه السلام ، بكفرهم بعد المائدة
ففسخوا خنازير ، لأنهم^{١١} خالفوا النبيين معا ، فلا هم تعبدوا بما دعاهم إليه ١٥
داود عليه السلام من شرعهم الذى هم مدعون التمسك به ، و عارفون

(١) زيد بعده فى ظ : ان (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : المنهج (٤) من ظ ،
وفى الأصل : العلم (٥) من ظ . وفى الأصل : يشبهه (٦) من ظ ، وفى الأصل :
تهوهم (٧) فى ظ : بياقاه (٨) من ظ ، وفى الأصل : لقريه - كذا (٩) سقط
من ظ (١٠ - ١١) تأخر ما بين الرقيين فى الأصل عن « كما مضى » .

بأن ما دعاهم إليه منه^١ حقاً ، ولا هم خرجوا عنه إلى ما أمروا بالخروج
إليه على لسان موسى عليه السلام في بشارته به^٢ متقدين بطاعته ، فلم تبق^٣
لهم علة من التقيد به ولا التقيد^٤ بحق دعاهم إليه غيره ، فلم قطعاً أنهم
مع الهوى كما مضى ، [و -^٥] لم ينفعهم مع نسبتهم إلى^٦ واحدة من^٧
الشريعتين نسبتهم إلى إسرائيل عليه السلام ، فإنه لا نسب لأحد عند الله
دون التقوى لا سيما في يوم الفصل إذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو إلا المتقين .

ولما أخبر بلعنهم^٨ وأشار إلى تعليله بكفرهم ، صرح بتعليله بقوله :
(ذلك) أى اللعن التام (بما) أى بسبب ما^٩ (عصوا) أى
١٠ فعلوا في ترك أحكام الله فعل العاصي على الله (وكانوا يعتدون^{١٠}) أى
كانت مجاوزة الحدود التى حدها الله لهم خلقاً .

ذكر الإشارة إلى لعنهم في الزبور والإنجيل ، قال في المزمور
السابع والسبعين^{١١} من الزبور : أنصت^{١٢} يا شعبي لوصاى^{١٣} ، قربوا أسماعكم
إلى قول فى ، فأنى أفتح بالأمثال فى ، وأنطق بالسرار الأزلية التى
١٥ سمعناها وعرفناها وأخبرنا آباؤنا بها ولم يخفوها عن أبنائهم ليعرفوا الجيل
الآتى تسايح^{١٤} الرب وقوته وعجائبه التى صنعها ، أقام شهادته فى يعقوب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فلم يبق (٣) فى ظ : التعبد (٤) زبدت الواو من
ظ (٥ - ٦) من ظ ، وفى الأصل : اسرال - كذا (٦) فى ظ : تلعنهم (٧) والنص
الآتى إنما هو فى المزمور الثامن والسبعين فيما عندنا من نسخ الزبور (٨) من ظ ،
وفى الأصل : انصب (٩) من ظ ، وفى الأصل : لوصاى (١٠) فى ظ : بتسايح .

وجعل ناموسا في إسرائيل كالذي أوصى آباءنا ليعلموا أبناءهم ، لكيما يخبر الجيل
 الآخر البنين الذين يولدون ويقومون ، و يعلمون أيضا بنبيهم أن يجعلوا
 توكلهم على الله ولا ينسوا أعمال الرب ، و يتبعوا 'وصاياهم' لئلا يكونوا كآبائهم
 الجيل المنحرف المخالف الخلف الذي لم يثق قلبه ولم يؤمن بالله المفرج
 عنه ، بنو إفرام الذين أوتروا ورفعوا^١ عن قسيهم وانهزموا في يوم القتال ٥
 لأنهم لم يحفظوا عهد الرب ولم يشاؤا أن يسيروا في سبله ، ونسوا حسن^٢
 أعماله وصنائه التي أظهرها^٣ قدام آبائهم ، العجائب التي صنعها بأرض
 مصر في^٤ مزارع صاعان ، فلق البحر وأجازهم وأقام المياه كالزقاق ، هدام^٥
 بالنهار في الغمام وفي الليل أجمع بمصايح [النار - ٦] ، فلق صخرة في البرية
 وسقاهم منها كاللجج^٦ العظيمة ، أخرج الماء من الحجر فجرت المياه كجرى ١٠
 الانهار ، وعاد الشعب أيضا في الخطيئة ، وأسخطوا^٧ العلي حيث لم يكن
 ماء^٨ ، جربوا الله في قلوبهم بمسألة الطعام لنفوسهم ، وقذفوا^٩ على الله وقالوا :
 هل يقدر أن يصنع لنا مائدة في البرية ، لأنه^{١٠} ضرب الصخرة فجرت المياه
 وفاضت الاودية ، هل يستطيع أن يعطينا خبزا أو يعد مائدة لشعبه ، سمع
 الرب فغضب واشتعلت النار في يعقوب ، وصعد الرجز^{١١} على إسرائيل ١٥
 لأنهم لم يؤمنوا بالله ولا رجوا خلاصه ، فأمر السحاب من فوق
 (١-١) في ظ : وصاياهم ليكون - كذا (٢) في ظ : ذحرا (٣) في ظ : احسن .
 (٤) زيد بعده في ظ : الرب (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفي الأصل : عراهم .
 (٧) زيد من ظ (٨) في ظ : كاللجج - كذا (٩) في الأصل : مدحوا ، وفي ظ :
 قدموا - كذا (١٠) في ظ : لان .

وافتحت أبواب السماء و أنزل لهم المن ليأكلوا، أعطاهم خبز السماء،
أكله الإنسان، أرسل اليهم صيدا ليشبعوا، أمواج ريح التيمن^١ من السماء
و أنى بقوة العاصف^٢، و أنزل اللحم مثل التراب و طير السماء ذات الأجنحة
مثل رمل البحار، يسقطن في محالهم حول خيامهم، فأكلوا و شبعوا جدا،
ه أعطاهم شهوتهم و لم يحرمهم إرادتهم، فبينما الطعام في أفواههم إذ غضب الله
نزل عليهم قتل و كثرتهم و صرع^٣ في مختارى إسرائيل، و مع هذا
كله أخطأوا^٤ إليه أيضا و لم يؤمنوا بمجائبه، فبليت^٥ بالباطل أيامهم،
و تصرمت عاجلا سنوهم، فحين قتلهم رغبوا إلى الله و عادوا و ابتكروا
إليه و ذكروا أن الله معينهم و أن الله العلي مخلصهم، احبوه بأفواههم
١٠ و كذبوه^٦ بالسنتهم، و لم تخلص له قلوبهم و لم يؤمنوا بعهده، و هو رحيم
رؤف، يغفر ذنوبهم و لا يهلكهم، و يرد كثرة سخطه عنهم و لا يبعث
كل رجزه، و ذكر أنهم لحم و روح يذهب و لا يعود. مرارا كثيرة
أسخطوه في البرية، أغضبوه في أرض ظامئة^٧، و عادوا [و -^٨] جربوا^٩ الله
و أسخطوا قدوس إسرائيل، و لم يذكروا يده في يوم نجاتهم^{١٠} من
١٥ المضطهدين^{١١} - انتهى .

هذا بعض ما في الزبور، و أما الإنجيل فطافح بذلك؛ منه ما في

- (١) في ظ : اليمن (٢) في ظ : العاطف (٣) من ظ و الزبور، و في الأصل :
صرح (٤) في ظ : خطأوا (ه) في ظ : بليت (٦) من ظ، و في الأصل : كذبوهم.
(٧) من ظ، و في الأصل : ظامئة (٨) زيدت الواو من ظ (٩) في ظ : احربوا.
(١٠) في ظ : نجاتهم (١١) في ظ : المضطرين .

إنجيل متى ، قال : و انتقل يسوع من هناك و جاء إلى عبر^١ الجليل ، و صعد إلى الجبل و جلس هناك ، و جاء إليه جمع كبير معهم^٢ خرس و عصى و عرج و عسم و آخرون كثيرون^٣ ، فخرروا عند رجليه فأبرأهم ، و تعجب الجمع لأنهم نظروا الخرس يتكلمون و^٤ الصم يسمعون^٥ و العرج يمشون^٦ و العمى يبصرون ، و مجدوا إله إسرائيل ، و إن يسوع دعا تلاميذه و قال لهم : إني آتخزن^٧ هـ على هذا الجمع ، لأن لهم معي^٨ ثلاثة أيام^٩ ههنا ، و ليس عندهم ما يأكلون ، و لا أريد أطلقهم صياما لئلا يضيعوا في الطريق ؛ قال مرقس : لأن منهم من جاء من بعيد - انتهى . قال له التلاميذ : من أين نجد^{١٠} من خبز القمح في البرية ما يشبع هذا الجمع ؟ فقال لهم يسوع : كم عندكم من الخبز ؟ فقالوا : سبعة أرغفة و يسير من السمك^{١١} ، فأمر الجمع أن يجلس على^{١٢} الأرض و أخذ السبع خبزات و السمك^{١٣} و بارك و كسر و أعطى تلاميذه ، و ناول^{١٤} التلاميذ الجمع ، فأكل جميعهم و شبعوا و رفعوا فضلات الكسر سبع قفاف مملوءة^{١٥} ، و كان الذين^{١٦} أكلوا نحو أربعة آلاف رجل " سوى النساء " و الصبيان ، و أطلق الجمع و صعد^{١٧} السفينة^{١٨} و جاء إلى تخوم مجدل - و قال مرقس : إلى نواحي ما بونا^{١٩} - و جاء الفريسيون^{٢٠}

(١) في ظ : غير (٢) سقط من ظ (٣) من الإنجيل ، وفي الأصل و ظ : كثير .
(٤-٤) في الإنجيل : العسم يصحون (٥) في ظ : يسعون (٦) في ظ : انحف .. كذا .
(٧) في ظ : مع (٨) من ظ ، وفي الأصل : سمك (٩) في ظ : تناول (١٠) في ظ : الذي (١١-١١) في ظ : يسوى النسوان .. كذا (١٢) في ظ : صعدوا .
(١٣) العبارة من هنا إلى « و الزنادقة يجربونه » سقطت من ظ (١٤) في الإنجيل : دلمانوتا .

و الزنادقة يحربونه و يسألونه أن يريهم آية من السماء ، فأجابهم يسوع قائلاً : إذا كان المساء قلم : / إن السماء صاحبة - لاحرارها ، و بالغداة تقولون^١ : اليوم شتاء - لاحرار جو السماء العبوس ، أيها المراؤون ! تعلمون آية هذا الزمان ، الجيل الشرير الفاسق يطلب آية ، و لا يعطى إلا آية ٥ يونان النبي - و تركهم و مضى ؛ ثم جاء التلاميذ إلى العبر و نسوا أن يأخذوا خبزاً - قال مرقس : و لم يكن في السفينة إلا رغيف واحد - و إن يسوع قال لهم : انظروا و تحرزوا من خمير الفريسيين و الزنادقة - و قال مرقس : و خمير هيرودس^٢ - ففكروا قائلين : إننا^٣ لم نجد خبزاً ، فلم يسوع فقال لهم : لماذا^٤ تفكرون في نفوسكم يا قليلي الأمانة ؟ إنكم ليس معكم ١٠ خبز ، أما تفهمون و^٥ لا تذكرون الخمس خبزات خمسة آلاف و كم سلا^٦ أخذتم ؟^٧ و السبع خبزات لأربعة آلاف ، و كم قفة أخذتم ؟^٨ لماذا لا تفهمون ؟ لأنى لم أقل لكم من أجل الخبز ، حيثئذ فهموا أنه^٩ لم يقل لهم أن يتحرزوا من خمير الخبز ، لكن من تعليم الزنادقة و الفريسيين ، و قال لوقا : تحرزوا^{١٠} لأنفسكم من خمير الفريسيين الذى هو الرياء^{١١} ، لأنه ليس ١٥ خفى إلا سيظهر ، و لا مكتوم إلا سيعلم ، الذى تقولونه^{١٢} فى الظلام سيسمع فى النور ، و الذى وعبتموه فى الآذان سوف ينادى به على السطوح ،

(١) فى ظ : يقولون (٢) من ظ ، وفى الأصل : هيرودس - كذا (٣) فى ظ : إنما (٤) فى ظ : فإذا (٥) من الإنجيل ، وفى الأصل وظ : او (٦) سقط من ظ . (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) من الإنجيل ، وفى الأصل وظ : انهم (٩) فى ظ : تحرزوا (١٠) فى ظ : الزنا (١١) فى ظ : يقولونه .

أقول لكم: "يا أجبائي لا تخافوا من يقتل الجسد، وبعد ذلك ليس له أن يفعل أكثر، خافوا من^١ إذا قتل^٢ له سلطان أن يلقى في نار جهنم - وسيأتي بقية الإشارة إلى لغتهم^٣ في سورة الصف إن شاء الله تعالى، والعسم^٤ جمع أعسم^٥ - بمهملتين، وهو من^٦ في يده أو قدمه اعوجاج، أو يده يابسة .

٥

ولما علل تعالى لغتهم بعصيانهم وغلوم^٧ في الباطل، بينه مخصصا^٨ للعلماء منهم بزيادة تهديد، لأنهم مع كونهم على المنكر لا ينفون غيرهم عنه، مع أنهم أجدر^٩ من غيرهم بالنهي، فصاروا على منكرين شديدي^{١٠} الشناعة، وسكوتهم عن النهي مغو^{١١} لأهل الفساد ومغريهم ولغيرهم على الدخول فيه^{١٢} والاستكبار منه فقال تعالى: ﴿كانوا لا يتناهون﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضا، وبين ١٠ إغراقهم في عدم المبالاة بالتكثير في سياق النفي فقال: ﴿عن منكر﴾ .

[ولما كان الفعل ما كان من الأعمال عن داهية من الفاعل سواء كان عن علم أو لا، عبر به إشارة إلى أن لهم في المناكر غرام من غلبته الشهوة، ولم يبق لهم نوع علم، فقال: ﴿فعلوه^{١٣}﴾ - ١٣] : ولما كان من طبع الإنسان النهي عن كل ما خالفه طبعاً أو اعتقاداً، لا سيما إن تأيد بالشرع، فكان لا يكف^{١٤} عن ذلك إلا بتدريب النفس^{١٥} عليه لغرض^{١٦}

(١) في ظ : من (٢) في ظ : قيل (٣) في ظ : الفهم (٤) في ظ : القسم (٥) في ظ : قسم (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : علوتهم (٨) في ظ : مخلصه (٩) في ظ : احذر (١٠) من ظ ، وفي الأصل : شدي - كذا (١١) في ظ : مغلو (١٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (١٣) في ظ : لا يكلف (١٤) في ظ : النفس (١٥) في ظ : بعض .

فاسد آداه إليه، أكد مقسماً معبراً بالفعل الذى يعبر به عما قد لا يصحبه علم ولا يكون إلا عن داهية عظيمة فقال: ﴿لبس ما كانوا﴾ أى جلة وطبعا ﴿يفعلون﴾ إشارة إلى أنهم لما تكررت فضائحهم [وتواترت قبائحهم - ٢] صاروا إلى حيز ما لا يتأتى منه العلم .

٥. ولما أخبر بأقرارهم على المناكر، دل على ذلك بأمر ظاهر منهم لازم ثابت دائم مقوض لبنيان دينهم، فقال موجهها بالخطاب لا صدق الناس فراسة وأوفرهم علما وأثبتهم توسما وفهما: ﴿ترى كثيراً منهم﴾ أى [من - ٢] أهل الكتاب؛ ولما كان الإنسان لا ينحاز إلى حزب الشيطان إلا بمنازعة الفطرة الأولى السليمة، أشار إلى ذلك بالفعل فقال: ١٠٩/١٠٠. ﴿يتولون﴾ أى يتبعون بغاية جهدهم ﴿الذين كفروا﴾ أى المشركين مجتهدين فى ذلك مواظبين عليه، وليس أحد منهم ينهام عن ذلك ولا يقبحه عليهم، مع شهادتهم عليهم بالضلال هم وأسلافهم إلى أن جاء هذا النبى الذى كانوا له فى غاية الانتظار وبه فى نهاية الاستبشار، وكانوا يدعون الإيمان به ثم خالفوه، فمنهم من استمر على المخالفة ظاهراً وباطناً، ١٥ ومنهم من ادعى أنه تابع واستمر على المخالفة باطناً، فكانت موالاته للمشركين دليلاً على كذب دعواه ومظاهرة لما أضمره من المخالفة وأخفاه . ولما كان ذلك منهم ميلاً مع الهوى بغير دليل أصلاً قال:

- (١) فى ظ: مقتسماً (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: المناكرة .
 (٥) فى ظ: ليلتان (٦) فى ظ: الخطاب (٧) من ظ، وفى الأصل: الفطر .
 (٨) من ظ، وفى الأصل: أسافلهم (٩) فى ظ: فكانت (١٠) فى ظ: مظهر .

(لبس ما قدمت) أى تقديم النزل للضيف (لهم انفسهم) أى التى من شأنها الميل مع الهوى ، سم بين المخصوص بالذم - وهو ما قدمت - بقوله : (إن سخط الله) أى وقع سخطه بجميع ما له من العظمة (عليهم) ولما كان من وقع السخط عليه يمكن أن يزول [عنه - ٣٠] ، قال مينا أن مجرد وقوعه جدير بكل هلاك : (وفي العذاب) أى الكامل من ٥ الإبدن في الدنيا والأكبر في الآخرة (هم مخلدون) .

ولما كان هذا دليلا على كفرهم ، دل عليه بقوله : (ولو) أى فعلوا ذلك مع دعواهم الإيمان والحال أنهم لو (كانوا) أى كلهم (يؤمنون) أى يوجد منهم إيمان (بالله) أى الملك الأعلى الذى له الإحاطة بكل شىء (والنبي) أى الذى له الوصلة التامة بالله ، ولذا ١٠ اتبعه بقوله : (وما أنزل إليه) أى من عند الله أعم من القرآن وغيره إيمانا خالصا من غير نقاس (ما اتخذوهم) أى المشركين مجتهدين فى ذلك (أولياء) لأن مخالفة الاعتقاد تمنع الوداد ، فمن كان منهم ٢ ياقبا على يهوديته ظاهرا وباطنا ، فالآلف فى النبي ، لكشف سريره للعهد ،

أى النبي الذى ينتظرونه ويقولون : إنه غير محمد صلى الله عليه وسلم . ١٥ أو للحقيقة ، أى لو كانوا يؤمنون بهذه الحقيقة - أى حقيقة النبوة - ما والوهم ، فإنه لم يأت نبي إلا بتكفير المشركين - كما أشار إلى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله : الأنبياء أولاد علات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد ،

(١) فى ظ : تقديم (٢) زيد من ظ (٣ - ٢) فى ظ : فمنهم من كان (٤) فى ظ : أى (٥) من ظ ، وفى الأصل : أولات - كذا .

كما سألني قريبا في حديث أبي هريرة، يعنى - والله أعلم - أن شرائعهم وإن اختلفت في الفروع فهي متفقة في الأصل وهو التوحيد؛ وإن كان منهم قد أظهر الإيمان فالمراد بالنبي في إظهار زيغ وميله وحيفه محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه نهى عن موالاته المشركين، بل عن مشاركتهم، ولم يرض إلا بمقارعتهم ومعاركتهم.

ولما أفهمت الشرطية عدم إيمانهم، استثنى منها منبها موضع الفسق^٢ موضع عدم الإيمان^٣ على أنه الحامل عليه فقال: ﴿ولیکن كثيرا منهم فسقون^٤﴾ أى متمكنون في خلق المروق من دوائر الطاعات .

ولما دل كالشمس ميلهم إلى المشركين دون المؤمنين على أنهم في غاية العداوة لهم، صرح تعالى / بذلك على طريق الاستتاج^٥، فقال دالا على رسوخهم في الفسق: ﴿لتجدن اشد الناس^٦﴾ أى كلهم ﴿عداوة للذين امنوا﴾ أى أظهروا الإقرار بالإيمان فكيف بالراشخين فيه ﴿اليهود﴾ قدمهم لأنهم أشد الفريقين لأنه لا أقبح من ضال على علم ﴿والذين اشركوا^٧﴾ لما جمعهم من الاستهانة بالانبياء هؤلاء جهلا وأولئك عنادا

١٥ وبغيا، فعرف أن من صدق في إيمانه لا يواليهم بقلبه ولا بلسانه، وأنهم ما اجتمعوا على الموالاته إلا لاجتماعهم في أشد العداوة لمن

(١) زيد بعده في ظ: منهم (٢) زيد بعده في الأصل: انهم ذلك، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٣) في ظ: بالفسق (٤ - ٤) في ظ: عليه (ه) في ظ: الاستفتاح .

(٦) زيد بعده في الأصل: عداوة، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٧) في ظ: لا لاثبت - كذا (٨) في ظ: ابتدائه .

آمن، فهذه الآية تعليل لما قبلها، كأنه قيل: هب أنهم لا يؤمنون بالله والنبي، وذلك لا يقتضى مودة المشركين فلم^١ والوهم حيثذ؟ فقيل: لأن الفريقين اجتمعوا فى أشدية العداوة للذين آمنوا.

ولما أخبر تعالى بأبعد الناس مودة لهم، أخبر بضدهم فقال^٢:
 ﴿ ولتجدن أقرهم ﴾ أى الناس ﴿ مودة للذين آمنوا ﴾ أى أوجدوا^٣ ه
 الإيمان بالقلب واللسان ﴿ الذين قالوا ﴾ [و - ٤] فى التوريك^٤ على قولهم إشارة إلى أنهم ما كانوا على حقيقة النصرانية ﴿ انا نصرى^٥ ﴾ أى لقلة اهتمامهم بالدنيا بمجرد قولهم ذلك ولو لم يكونوا عريقين^٦ فى الدين وإقبالهم على علم الباطن، ولذلك علله بقوله: ﴿ ذلك بان منهم قسيسين ﴾ أى مقبلين على العلم، من القس، وهو ملامة الشيء وتبعه ﴿ ورهبانا ﴾ ١٠
 أى فى غاية التخلي من الدنيا؛ ولما كان التخلي منها موجبا للبعد من الحسد، وهو سبب لمجانبة التكبر^٧ قال: ﴿ وانهم لا يستكبرون^٨ ﴾ أى لا يطلبون الرفعة على غيرهم و^٩ لا يوجدونها.

ولما كان ذلك علة فى الظاهر ومعلولا فى الباطن لركة^٩ القلب قال:

(١) فى ظ: فلما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: وجدوا (٤) زيدت الواو من ظ: (٥) من ظ - بمعنى الحمل، وفى الأصل: التورية، وفى البحر المحيط ٤ / ٤: وفى قوله تعالى « الذين قالوا انا نصرى » إشارة إلى أنهم ليسوا متمسكين بحقيقة النصرانية بل ذلك قول منهم وزعم (٦) فى ظ: غريقين (٧) فى ظ: الكفر. (٨) فى ظ: لوقد.

(واذا سمعوا) أى أتباع' النصرانية (ما أنزل الى الرسول) أى الذى ثبتت رسالته بالمعجز ، فكان من شأنه أن يبلغ ما أنزل إليه للناس (نرى أعينهم) ولما كان البكاء سببا لامتلاء العين بالدمع و كان الامتلاء سببا للفيض الذى حقيقته السيلان بعد الامتلاء ، عبر بالمسبب
 ٥ عن السبب فقال : (تفيض من الدمع) أصله : يفيض دمعها ثم تفيض هى دمعاً ، فهو من أنواع التمييز ، ثم علل الفيض بقوله : (بما عرفوا من الحق) أى وليس لهم غرض دنيوى يمنعهم عن قبوله ، ثم بين حالهم فى مقامهم بقوله : (يقولون ربنا) أى أيها المحسن إلينا (امنا) أى بما سمعنا (فاكبتنا) .

١٠ ولما كان من شأن الشاهد إحضار القلب وإلقاء [السمع - ٣] والقيام التام بما يتلى عليه ويندب إليه قال : (مع الشهدين) أى أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة ، فان تقويتنا على ذلك ليست إلا إليك (وما) أى ويقولون : ما ، أى أى شئ حصل أو يحصل (لنا) حال كوننا (لا تؤمن بالله) أى الذى
 ١٥ لا كفوه له ولا خير إلا منه (وما) أى وبما (جاءنا من الحق) أى الأمر الثابت الذى مهما عرض على الواقع / طابقه الواقع سواء كان حالاً أو ما ضياً أو آتياً .

/ ١١١

ولما كانوا يهضمون أنفسهم ، عبروا بالطمع الذى لا نظر معه لعمل
 (١) فى ظ : اتبعوا (٢) فى ظ : دمعها (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ .
 (٥) من ظ ، وفى الأصل : الانؤمن .

عنها ، لا غيرهم من العصاة المؤمنين وإن كثرت كبارهم .
 ولما مدح سبحانه الرهبان ، وكان ذلك داعيا إلى الترهيب^١ ، وكانت
 الرهبانية حسنة^٢ بالذات قيحة بالعرض ، شريفة في^٣ المبدأ دنية^٤ في المآل ،
 فانها مبنية على الشدة والاجتهاد في الطاعات والتورع عن أكثر المباحات ،
 ٥ و الإنسان مبنى على الضعف مطبوع على النقائص ، فيدعوه طبعه ويساعده
 ضعفه إلى عدم الوفاء بما عاقد عليه ، ويسرع بما له من صفة العجلة إليه ،
 فيقع في الحيانة كما قال تعالى ” فما رعوها حق رعايتها “^٥ عقب ذلك بالنهاي
 عنها في هذا الدين والإخبار [عنه * -] بأنه بناء على التوسط رحمة منه
 لأهله ولطفاً بهم تشريفاً لنبينهم صلى الله عليه وسلم ، ونهاهم عن الإفراط فيه
 ١٠ والتفريط فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى وجد منهم الإقرار
 بذلك ﴿ لَا تَحَرِّمُوا ﴾ أى تمنعوا أنفسكم بنذر أو يمين أو غيرهما تصديقا
 لما أقرتم به ، و رغبهم في امتثال أمره بأن جعله موافقا لطباعهم ملائما
 لشهواتهم فقال : ﴿ طَيِّبَتْ مَا ﴾ أى المطيبات وهى اللذائذ التى^٦
 ﴿ أحل الله ﴾ وذكر هذا الاسم الأعظم مرغبا في ذلك ، فان الإقبال
 ١٥ على المنحة يكون على مقدار المعطى ، وأكد ذلك بقوله : ﴿ لَكُمْ ﴾ أى
 وأما هو سبحانه فهو منزّه عن الأغراض ، لا ضرر^٧ يلحقه ولا نفع ،
 لأن له الغنى المطلق^٨ .

ولما أطلق لهم ذلك ، حثهم على الاقتصاد . وحذرهم من مجاوزة الحد

(١) فى ظ : الترغيب (٢) فى ظ : حسنت (٣-٢) فى ظ : الدانية - كذا .

(٤) سورة ٥٧ آية ٢٧ (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : ضرر .

إفراطاً و تفريطاً فقال: ﴿ ولا تعتدوا ^١ ﴾ فدل بصيغة الاعتقال على أن الفطرة الأولى مبنية على العدل، فعدوها عنه لا يكون إلا بتكلف، ثم علل ذلك بقوله مؤكداً لاستبعاد أن ينهى عن الإمعان في العبادة: ﴿ ان الله ﴾ أى وهو الملك / الأعظم ﴿ لا يحب المعتدين ﴾ أى ١١٣ / لا يفعل فعل المحب من الإكرام للفرطين في الورع بحيث يحرمون ما هـ أحلت، ولا للفرطين فيه الذين يحللون ما حرمت، أى يفعلون فعل المحرم من المنع وفعل المحلل من التناول، وما ذكر من سبب نزول الآية واضح في ذلك؛ روى الواحدى في أسباب النزول بسنده^٢ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: [يا رسول الله -^٦] إني إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت إلى النساء^٧ وإني ١٠ حرمت على اللحم، فنزلت "لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم" ونزلت "وكلوا مما رزقكم الله" - الآية. وأخرجه الترمذى في التفسير من جامعه وقال: حسن غريب، ورواه^٨ خالد الحذاء^٩ عن عكرمة^{١٠} مرسلًا. وقال الواحدى: وتبعه عليه البغوى: قال المفسرون: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناس و وصف القيامة ولم يزددهم على التخويف فرق الناس وبكوا، ١٥ فاجتمع عشرة من الصحابة رضى الله عنهم في بيت عثمان بن مظعون

(١) في ظ: لا (٢) في الأصل: للاستبعاد، وفي ظ: الاستبعاد (٣) إمن ظ، وفي الأصل: بسند (٤) زيد في ظ: الى، وليست الزيادة في رواية الترمذى (هـ) سقط من ظ (٦) زيد من جامع الترمذى (٧) زيد بعده في الجامع: وأخذتني شهوتى. (٨ - ٩) في ظ: لخالد الحذاءى - كذا.

الجمعى ، وهم أبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب و عبد الله بن مسعود
و عبد الله بن عمرو^١ و أبو ذر الغفارى و سالم مولى أبى حذيفة و المقداد
ابن الاسود و سلمان الفارسى و معقل بن مقرن ، و اتفقوا على أن يصوموا
النهار و يقوموا الليل و لا يناموا على الفرش و لا يأكلوا اللحم و لا الودك^٢
٥ و لا يقربوا النساء و الطيب^٣ و يلبسوا المسوح و يرفضوا^٤ الدنيا و يسبحوا
فى الأرض^٥ و يترهبوا و يجبّوا^٦ المذاكير ؛ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه و سلم فقال لهم : ألم أنبأ^٧ أنكم اتفقتم على كذا و كذا؟ قالوا : بلى
يا رسول الله ! و ما أردنا^٨ إلا الخير ، فقال : إني لم أؤمر^٩ بذلك ، إن
لأنفسكم عليكم حقا ، فصوموا و أفطروا .^{١٠} و قوموا و ناموا ، فإني أقوم
١٠ و أنام ، و أصوم و أفطر^{١١} ، و آكل^{١٢} اللحم و الدسم ، و من رغب عن ستنى
فليس منى ؛ ثم جمع الناس فخطبهم فقال : ما بال أقوام حرّموا النساء و الطعام
و الطيب و النوم و شهوات الدنيا ! أما^{١٣} ! إني لست آمركم أن تكونوا
قسيسين و رهبانا ، فانه ليس فى دينى ترك اللحم^{١٤} و النساء و لا اتخاذ
الصوامع ، و إن سياحة أمتى الصوم ، و رهبانيتهم^{١٥} الجهاد ، و " اعبدوا الله
(١) فى ظ : عمر ، و ما فى الأصل هو الصواب كما ورد فى بعض الأحاديث : أراد
رجال منهم عثمان بن مظعون و عبد الله بن عمرو أن يتبتّلوا (٢) هو الدسم من اللحم
و الشحم (٣-٣) فى ظ : لبس المنسوج و ترفضوا - كذا (٤-٤) سقط ما بين
الرقين من ظ (٥) أى يقطعوا (٦) من ظ ، و فى الأصل : ألم أنبأ (٧) فى ظ :
ما اردت (٨) من ظ ، و فى الأصل : لم آمر (٩) فى ظ : كلوا (١٠) فى ظ :
او ما (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ : رهبانيتها .

ولا تشركوا به شيئاً و حجوا و اعتمرُوا و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و صوموا رمضان ، فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد ، شددوا فشدد الله عليهم ، فأولئك بقاياهم في الديارات و الصوامع ، فأنزل الله تعالى هذه الآية^١ ، فقالوا : يا رسول الله ! فكيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها^٢ ؟ و كانوا حلفوا على ما عليه اتفقوا ، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى هـ

” لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم “ - الآية^١ ، و لا تعارض بين الخبرين لإمكان الجمع بأن يكون الرجل [لما - ٢] سمع تذكير النبي صلى الله عليه وسلم سأل^٣ ، و لو لم يجمع صح أن يكون كل منهما سياً ، فالشيء الواحد / قد يكون له أسباب جمة ، بعضها أقرب من بعض ، فمن الأحاديث الواردة / ١١٤

في ذلك ما روى البغوى بسنده من طريق ابن المبارك في كتاب الزهد ١٠
عن سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ائذن [لنا - ٤] في الاختصاء^٤ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس منا من خصى ولا اختصى ، إن خصاء^٥ أمي الصيام ، فقال : يا رسول الله ! ائذن لنا في السياحة ، فقال : إن سياحة أمي الجهاد في سبيل الله . فقال : يا رسول الله ! ائذن لنا في ١٥
الترهب^٦ ، فقال : إن ترهب أمي الجلوس في المساجد انتظاراً لصلاة .

(١) من ظ ، وفي الأصل : الآيات (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و كتاب الزهد - رقم الحديث ٨٤٥ .
(٦-٦) في كتاب الزهد : بالاختصاء (٧) في ظ : خصى ، و في كتاب الزهد : إخصاء (٨) في ظ : الرهب .

و للشيخين و الترمذى و النسائى و الدارمى عن سعد بن أبى وقاص
 رضى الله عنه ^١ أيضا قال : أراد عثمان بن مظعون ^٢ [أن - ^٣] يتبتل فيها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و لو أذن له - و فى رواية : و لو أجاز له -
 التبتل لاختصينا ^٤ . و للدارمى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ^٥ أيضا
 ه قال : لما كان من أمر عثمان بن مظعون رضى الله عنه ^٦ الذى كان ممن
 ترك النساء بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عثمان ! إني
 لم أؤمر بالرهبانة ، أرغبت عن ستى ؟ قال : لا يا رسول الله ! قال : إن
 من ستى أن أصلى و أنام ^٧ و أصوم و أطعم و أنكح و أطلق ، فمن رغب
 عن ستى فليس منى ، يا عثمان ! إن لأهلك عليك حقا ، و لعينك عليك
 ١٠ حقا ، قال سعد : فوالله لقد كان أجمع رجال من المؤمنين ^٨ على أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هو أقر عثمان على ما هو عليه [أن - ^٩]
 تختصى فتبتل . و قال شيخنا ^{١٠} ابن حجر ^{١١} فى تخرىج أحاديث الكشاف :
 و روى الطبرانى من طريق ابن جريج عن مجاهد قال : أراد رجال منهم
 عثمان بن مظعون و عبد الله بن عمرو أن يتبتلوا و يخصوا أنفسهم و يلبسوا
 ١٥ المسوح ^{١٢} . و من طريق ابن جريج عن عكرمة أن عثمان بن مظعون و على

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من صحيح مسلم - النکاح (٣) من ظ
 و الصحيح . و فى الأصل : اختصينا (٤) من مسند الدارمى - کتاب النکاح ،
 و فى الأصل و ظ : من (٥) زيد بعده فى ظ : و اصل . و ليست الزيادة فى
 الدارمى (٦) فى الدارمى : المسالین (٧) سقط من ظ (٨) زيد من الدارمى .
 (٩) سقت هذه الرواية فى الدر المنثور للسيوطى و زيد فيه : فزلت : ” بآيها
 الذين آمنوا لا تحرموا طيبت ما أحل الله لكم “ - و الآية التى بعدها .

ابن أبي طالب وابن مسعود والمقداد بن الأسود وسالم^١ مولى أبي حذيفة^٢
 في جماعة رضى الله عنهم^٣ تبتلوا فجلسوا في البيوت، [واعتزلوا النساء -^٤
 ولبسوا المسوح، وحرّموا طيبات الطعام واللباس^٥، وهموا بالاختصاص،
 وأجمعوا^٦ اقيام الليل وصيام النهار، فنزلت "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا
 طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ" - الآية، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال: إِنْ لَأَنْفُسَكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا^٧، فصوموا وأفطروا وصلوا وناموا،
 فليس منا من ترك سنتنا^٨. وللترمذى عن سمرة رضى الله عنه أن النبي
 صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل^٩. وقرأ قتادة "ولقد أرسلنا رسلا من
 قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية^{١٠}". وللنسائي عن عائشة رضى الله عنها
 نحوه وأشار إليه الترمذى، والطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك^{١١}.
 رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم / يأمر بالبائة
 وينهى عن التبتل نهياً شديداً^{١٢}. يقول^{١٣}: تزوجوا الودود الولود، فإني
 مكأثر بكم الأمم^{١٤} يوم القيامة. ومنها ما روى الشيخان عن عبد الله

١١٥ /

(١) في ظ: سالم (٢) في ظ: حديجة - كذا (٣-٣) موضعه في الدر المنثور:
 وقدامة (٤) زيد من ظ و الدر المنثور (٥) زيد في الدر المنثور: إلا ما يأكل
 ويلبس السياحة من بني إسرائيل (٦) من الدر المنثور، وفي الأصل وظ: اجتمعوا.
 (٧) زيد في الدر المنثور: ولأعينكم حقاً وإن لأهلكم حقاً (٨) زيد في الدر المنثور:
 فقالوا! اللهم صدقنا واتبعنا ما أنزلت مع الرسول (٩) زيد في الجامع بعده:
 وزاد زيد بن أخزم في حديثه (١٠) سورة ١٣ آية ٣٨ (١١-١١) سقط ما
 بين الرقيين من ظ (١٢) من ظ، وفي الأصل: الانبياء.

رضى الله عنه أنه قال : كنا نفزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لنا شيء - وفي رواية : نساء ، وفي رواية : كنا ' ونحن ' شباب - فقلنا : يا رسول الله ! ألا نستخصي ؟^٢ فنهانا عن ذلك ، ثم رخص لنا أن نتكح المرأة بالثوب ، ثم قرأ علينا عبد الله^٣ : ” يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم “ - الآية . ومنها ما روى البخارى وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ! إني رجل شاب ، وإني أخاف على نفسى العنت ، ولا أجد ما أتزوج به النساء - قال النسائي^٤ : ” فأختصي^٥ - فسكت عني ، ثم قلت مثل ذلك ' فسكت عني ، ثم قلت مثل ذلك ' [فسكت عني ، ثم قلت مثل ذلك - ^٦] فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ! جف القلم بما أنت لاق ، فأختص^٧ على ذلك أو ذر - وقال النسائي : أو دع . ومنها ما روى الشيخان وغيرهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء^٨ ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهن يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم - ' وفي رواية مسلم والنسائي أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم^٩ سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله

١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) في ظ : الانختص (٣) سقط من صحيح البخارى وثبت في صحيح مسلم (٤) من ظ و صحيح البخارى ، وفي الأصل : شباب (٥) سقط من ظ (٦ - ٦) من سنن النسائي ، وفي الأصل وظ : فاختصى ، وليست هذه الزيادة في صحيح البخارى (٧) زيد من صحيح البخارى (٨) في ظ : فاختصى .

في السر - فلما أخبروا كأنهم تقالوها^١ فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فاني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر^٢ ولا أفطر، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا؛ وفي رواية: وقال بعضهم لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ^٣ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا^٤؟ في رواية: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: أتم الذين قلتم كذا وكذا^٥ أما^٦ والله إني^٧ لأخشاكم لله وأتقاكم له^٨! لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني. والمبهمون^٩ في الحديث - قال شيخنا في مقدمة ١٠ شرحه للبخاري - هم ابن مسعود وأبو هريرة وعثمان بن مظعون، وسيأتي مفرقا ما يشير إلى ذلك، يعني ما قدمته أنا، قال: وقيل: هم^{١٠} سعد^{١١} ابن أبي وقاص وعثمان بن مظعون وعلي بن أبي طالب، وفي مصنف عبد الرزاق من طريق سعيد بن^{١٢} المسيب أن منهم عليا وعبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهم، وقال شيخنا في تخریج أحاديث الكشف: ١٥ إن [هذا - ^{١٣}] أصل ما رواه الواحدی عن المفسرين، وللشيخين والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به^{١٤} فافعلوا منه ما استطعتم، فانما

(١) أي عدوها قليلة (٢) سقط من ظ (٣) - سقط ما بين الرقین من ظ .
 (٤) تقدم في ظ على « أصوم وأفطر » (٥) في ظ : الفهمون (٦) في ظ : انهم .
 (٧) زيد من ظ .

أهلك الذين^١ من قبلكم كثرة^٢ / سؤلهم و اختلافهم على^٣ أنبيائهم^٤، و في
رواية: ذروني ما تركتكم، فانما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤلهم
و اختلافهم على أنبيائهم^٥، و لآبي داود عن أنس رضى الله عنه أن النبي
صلى الله عليه و سلم قال: لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم .
و للامام أحمد في المسند عن أنس^٦ رضى الله عنه و الحاكم في علوم الحديث
في [فن - ١] الغريب - و هذا لفظه - عن جابر بن عبد الله رضى الله
عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: إن هذا الدين متين، فأوغل فيه
برق، و لا تبغض^٧ عبادة [الله - ١] إليك، فان المنبت لا أرضا قطع
^٨ و لا ظهرا أبقى^٩. المتين^{١٠}: الصلب الشديد، و الإيغال: المبالغة، و المنبت -
١٠ بنون و موحدة و فوقانية مشددة هـ الذي^{١١} انقطع ظهرو^{١٢}، و روى
البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال
إن الدين يسر^{١٣}، و لن يشاد^{١٤} الدين [أحد - ١٢] إلا غلبه، فسددوا و قابروا
و أبشروا؛ و في بعض الروايات: و^{١٥} القصد القصد تبلغوا . و لمسلم و ابن ماجه
- و هذا لفظه - عن حنظلة الكاتب التميمي الأسدي^{١٦} رضى الله عنه قال: كنا

(١) في ظ: الذى (٢) تكرر في الأصل (٣) في ظ « و » (٤-٤) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٥) وقع في ظ: ابن عباس - خطأ (٦) زيد من ظ (٧) في ظ:
لا ينقص - كذا (٨-٨) في ظ: و لا اظهر لا نفى - كذا (٩) زيد بعده في ظ:
الشديد (١٠-١٠) في ظ: يقطع ظهر (١١) من صحيح البخارى - كتاب الإيمان،
و في الأصل: يسر، و في ظ: يشرون - كذا (١٢) في ظ: لم يشاد (١٣) زيد
من الصحيح (١٤) سقط من ظ (١٥) وقع في ظ: الاسدي .

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا الجنة والنار حتى كانا رأى العين^١، قممت إلى أهلى [وولدى -^٢] فضحكك ولعبت^٣، [قال -^٤] : فذكرت الذى كنا فيه ، فخرجت فلقيت^٥ أبا بكر رضى الله عنه فقلت^٥ : نافقت نافقت ! فقال أبو بكر : إنا لنفعله ، فذهب حنظلة فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا حنظلة ! لو كنتم كما تكونون عندى لصاغتكم^٥ الملائكة على فرشكم أو على طرفكم ، يا حنظلة ! ساعة وساعة . ولفظ مسلم من طرق^٦ جمعت متفرقات^٦ عن حنظلة - وكان من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم - قال : لقينى أبو بكر رضى الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة ! قال : سبحان الله ! ما تقول^٧ ؟ قلت : نكون^٨ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم^٩ يذكرنا بالنار والجنة كانا رأى عين ، فاذا خرجنا من^{١٠} عند رسول الله صلى الله عليه وسلم^٩ عافسنا^٩ الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيرا ، قال أبو بكر رضى الله عنه : [فوالله -^{١٠}] إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما ذاك ؟ قلت : يا رسول الله ! نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كانا رأى^{١١} ١٥

(١) من ظ وسنن ابن ماجه - كتاب الزهد ، وفي الأصل : عين (٢) زيد من السنن .
(٣) فى ظ : لعنت - كذا (٤) من ظ والسنن ، وفي الأصل : كان (٥ - ٥) سقط ما بين الرقنين من ظ (٦ - ٦) فى ظ : جمعة متفرقة (٧) فى ظ : يقول (٨) فى ظ : يكون (٩) أى حاولنا ومارسنا واشتغلنا (١٠) زيد من ظ والصحيح لمسلم - كتاب التوبة (١١) تكرر فى الأصل .

عين ، فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج و الأولاد و الضيعات ،
نسينا كثيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و الذى نفسى بيده !
[أن - ١] نو تدومون على ما تكونون عندي ١ وفى الذكر لصاغتكم
الملائكة على فرشكم و فى طرقكم ، ولكن [يا حنظلة - ٢] ساعة و ساعة و ساعة -
٥ ثلاث مرات . و فى رواية : قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم
فوعظنا فذكرنا النار - و فى رواية : الجنة و النار - ثم جئت إلى البيت فضاحكت
الصبيان و لاعبت المرأة ، فخرجت فلقيت [أبا بكر فذكرت ذلك له فقال :
و أنا قد فعلت مثل ما تذكر ، فلقينا - ٢] رسول الله صلى الله عليه و سلم ،
فقلت : يا رسول الله ! / نافق حنظلة ! فقال : مه ؟ فحدثته بالحديث ، فقال
١٠ أبو بكر : و أنا قد فعلت مثل ما فعل ، فقال : يا حنظلة ! ساعة و ساعة ،
فلو كانت تكون ٢ قلوبكم كما تكون ١ عند الذكر لصاغتكم الملائكة حتى
تسلم عليكم فى الطرق . و من هنا تبين لك مناسبة أول المجادلة لآخر الحديد
التي كاع ٣ فى معرفتها الأفاضل ، و كع ٤ عن طلبها لغموضها الأكابر ٥
الأمائل ، و سيأتى إن شاء الله تعالى بيان ذلك و إيضاح ما فيه من لطيف
١٥ المسالك ، و من هذه الآية وقع الالتفات إلى قوله تعالى " أحلت لكم
بهيمة الانعام " و قوله تعالى " قل أحل لكم الطيبات " و ما ١٠ أحسن تصديرها
(١) زيد من ظ و الصحيح لمسلم - كتاب التوبة (٢) العبارة من هنا إلى « ثلاث
مرات » ساقطة من ظ (٣) زيد من الصحيح (٤) سقط من ظ (٥-٥) سقط ما بين
الرقين من ظ (٦) أى هاب و جبن (٧) أى ضعف (٨) فى ظ : طلبها (٩) فى ظ :
أكابر (١٠) فى ظ : من .

يأيها الذين آمنوا - كما صدر أول السورة به ، وقد مضى بيان جميع ما مضى في الوفاء بالعقود ، فكان كأنه تعالى قال : أوفوا بالعقود ، فلا تنهائوا بها فتقضوها ، ولا تبالغوا فيها فتكونوا معتدين فتضعفوا ، فانه لن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، بل شددوا وقاربوا ، والقصد القصد تبلغوا ، وقال ابن الزبير بعد قوله " ومن الذين قالوا انا نضري اخذنا ميثاقهم " : ه ثم فصل للؤمنين أفعال الفريقين - أي اليهود والنصارى - ليتبين^٢ لهم فيما نقضوا ، ثم بين تفاوتهم في البعد عن الاستجابة فقال تعالى " لتجدن اشد الناس عداوة^٣ " - الآية . ثم نصح عباده وبين لهم أبوابا منها دخول الامتحان ، وهي سبب في كل الابتلاء ، فقال " لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا " فانكم إن فعلتم ذلك كنتم شارعين لأنفسكم و^٤ ظالمين - ١٠ انتهى . و " ما احل " شامل لكل ما كانوا أرادوا أن يتورعوا عنه من المآكل والملابس والمناكح والنوم وغير ذلك .

ولما كان الحال لما أرموا به أنفسهم مقتضيا للتأكيد ، أمر بالاكل بعد أن نهى عن الترك ليجتمع^٥ على إباحة ذلك الأمر^٦ والنهي فقال : ﴿ واكلوا ﴾ ورغبهم فيه بقوله : ﴿ بما رزقكم الله ﴾ أي الملك الأعظم ١٥ الذي لا يرد عطاؤه :

ولما كان الرزق يقع على الحرام ، قيده " بعد القيد بالتبويض " بقوله : ﴿ حللا ﴾ ولما كان سبحانه قد جعل الرزق شهيا ، وصفه

(١) زيد بعده في الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٢) في ظ : ليتبين - كذا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : ليحتم (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ .

امتنانا^١ و ترغيا فقال: ﴿طياص﴾ و يجوز أن يكون قيدا محذرا^٢ بما فيه شبهة تنبيهها على الورع ، و يكون معنى طيبه تيقن حله ، فيكون بحيث تتوفر الدواعي على تناوله [دينياً توفرها على تناول^٣ -] ما هو نهاية في اللذة شهوة و طبعاً، و أن يكون مخرجاً لما تعافه النفس مما أخذ في الفساد
 ٥ من الأطعمة لئلا يضر، قال ابن المبارك : الحلال ما أخذ من جهته ، و الطيب ما غدّى و نمتى ، فأما الطين و الجوامد و ما لا يغذى فمكروه إلا على جهة التداوى ، و أن يكون مخرجاً لما فوق سد الرمق في حالة الضرورة ، و لهذا و أمثاله قال : ﴿ اتقوا الله ﴾ أى الملك الذى له الجلال و الإكرام من أن تحلوا حراماً أو تحرموا حلالاً ، ثم وصفه بما يوجب رعى عهوده
 ١٠ / ١١٨ و الوقوف عند حدوده فقال : ﴿ الذى أنتم به مؤمنون ٥ ﴾ أى ثابتون

على الإيمان به ، فإن هذا الوصف يقتضى رعى العهود ، و خص سبحانه الأكل ، و المراد جميع ما نهى عن تحريمه من الطيبات ، لأنه سبب لغيره من المتمتعات^٤ ، فلما نزلت - كما نقل البغوى وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما - [هذه الآية - ٢] قالوا : يا رسول الله ! وكيف نصنع بأيماننا
 ١٥ التى حلفنا عليها ؟ وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه - كما تقدم ، فأُنزل الله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله ﴾ أى على ما له من تمام الجلال ﴿ بالغوى ﴾ و هو ما يسبق إليه اللفظ من غير قصد^٥ ﴿ فى إيمانكم ﴾ على أنى لم أعتمد على

(١) من ظ ، و فى الأصل : امتنا (٢) فى ظ : محذر - كذا (٣) زيد من ظ .
 (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : المتمتعات - كذا (٦) هو عند الشافعى ، و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله و عائشة رضى الله تعالى عنهم - كما فى روح المعانى ٢ / ٣٧٠ .

سبب النزول في المناسبة إلا لدخوله في المعنى ، لا لكونه سببا ، فانه ليس كل سبب يدخل في المناسبة - كما ينته في أول غزوة أحد في آل عمران ، وإنما كان السبب هنا دخلا في مناسبة النظم ، لأن تحريم ما أحل يكون تارة بنذر وتارة يسمين ، والنذر في المباح - وهو مسألتنا - لا ينعقد وكفارته^١ كفارة [يمين -^٢] ، فحيث لم تدع الحاجة إلا إلى التعريف هـ بالإيمان وأحكامها ، فقسمها سبحانه إلى قسمين : مقصود^٣ وغير مقصود^٤ ، [فأما غير المقصود - ٢] فلا اعتبار به ، وأما المقصود فقسمان : حلف على ماض ، وحلف على آت ، فأما الحلف على الماضي فهو اليمين الغموس التي لا كفارة لها عند بعض العلماء ، وسيأتى في آية الوصية ، وأما الحلف على الآتى - وهو الذى يمكن التحريم به - فذكر حكمه هنا بقوله تعالى : ١٠ ﴿ولكن يؤاخذكم﴾ .

ولما كان مطلق الحلف الذى منه اللغو يطلق عليه عقد لليمين ، أعلم أن المؤاخذة إنما هي بتعمد القلب ، وهو المراد بالكسب في الآية الأخرى ، فعبر بالتفعيل في قراءة الجماعة ، والمفاعلة على قراءة ابن عامر^٥ تنبيها على أن ذلك هو المراد من قراءة حمزة والكسائي^٦ بالتخفيف [فقال - ٢] ١٥ ﴿بما عقدتم الإيمان﴾ أى بسبب توثيقها وتوكيدها وإحكامها بالجمع

(١) وفي روح المعاني : وتعقيد الإيمان شامل للغموس عند الشافعية وفيه كفارة عندهم (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) سقط من ظ . (٥) من روح المعاني ١ / ٣٧١ ، وفي الأصل : ابن عمر - كذا ، والعبارة من هـ والمفاعلة « إلى هنا ساقطة من ظ (٦) زيد في روح المعاني : وابن عياش عن عاصم .

بين اللسان و القلب ، سواء كان على 'أدنى الوجوه' كما تشير إليه قراءة التخفيف ، أو على أعلاها كما تشير إليه قراءة التشديد ، فلا يحل لكم الحنث فيها إلا بالكفارة بخلاف اللغو فانه باللسان فقط ، فلا عقد فيه فضلا عن تعقيد ، و 'ما' مصدرية .

٥ ولما أثبت المؤاخذه سبب عنها قوله : ﴿ فكفارتة ﴾ أى الامر الذى يستر^٢ النكث^٣ والحنث عن هذا التعقيد ، ويزيل أثره بحيث تصيرون^٤ كأنكم ما حلفتم ﴿ اطعام عشرة مسكين ﴾ أى^٦ أحرار^٧ مساكين ، لكل مسكين ربع صاع ، وهو مدمن طعام ، وهو رطل وثلاث ﴿ من اوسط ما^٨ ﴾ كان عادة لكم أنكم ﴿ تطعمون اهلكم ﴾ أى^٦ من أعدله فى الجودة والقدر كية^٩ ، وكيفية ، فهو مد جيد من غالب القوت ، سواء كان من الحنطة أو من^٦ التمر أو غيرهما .

ولما بدأ بأقل ما يكفى تخفيفا ورحمة ، عطف على الإطعام ترقيا قوله : ﴿ او كسوتهم ﴾ أى ثوب^{١٠} يغطى العورة من قبض أو إزار أو غيرهما مما يطلق عليه اسم الكسوة ﴿ او تحرير ﴾ أى إعتاق ﴿ رقة^{١١} ﴾ أى مؤمنة سليمة عما يحل بالعمل - كما تقدم / فى كفارة القتل - حملا لمطلق الكفارات على ذلك المقيد ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم ما استأذنه أحد فى إعتاق رقة فى كفارة إلا اختبر إيمانها ، هذا ما على المكلف على (١ - ١) فى ظ : ذنى الوجه - كذا (٢) فى ظ : اشير (٣) من ظ ، وفى الأصل : يشير (٤) فى ظ : العت كذا (٥) فى ظ : يصيرون (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : حرام (٨) زيد بعده فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها . (٩) فى ظ : والكية (١٠) فى ظ : ثوب (١١) فى ظ : ينطق .

سبيل التخيير من غير تعيين، و التعيين إليه إذا كان واجدا للثلاثة
أو لاحدها^١، و الإتيان بأحدها^٢ مبرئ من العهدة، لأن كل واحد من
الثلاثة بعينه أخص من أحدها^٣ على الإيهام، و الإتيان بالخاص يستلزم
الإتيان بالعام ﴿فن لم يجد﴾ أى واحدا منها فاضلا عن قوته و قوت
من تلزمه مؤنته ﴿فصيام﴾ أى فالكفارة صيام ﴿ثلاثة أيام^٤﴾ و لو متفرقة . هـ
و لما تم ذلك، أكدته فى النفوس و قرره بقوله : ﴿ذلك﴾ أى
الامر العدل الحسن [الذى - ٦] ذكر ﴿كفارة إيمانكم﴾ أى المعقدة
﴿إذا حلفت^٥﴾ و أردتم نكثها^٦ سواء كان ذلك قبل الحنث أو بعده .
و لما كان التقدير : فافعلوا ما قدرتم عليه [منه ، عطف عليه - ٨]
ثلاثا تمتهن^٩ الإيمان لسهولة الكفارة قوله : ﴿واحفظوا إيمانكم^{١٠}﴾ أى ١٠
فلا تحلفوا ما وجدتم إلى ذلك سبيلا ، ولا تجمعوا الله عرضة لإيمانكم ،
فانه سبحانه عظيم ، و من أكثر الحلف وقع فى المحذور و لا بد ، و إذا
حلفت^{١١} فلا تحنثوا دون تكفير ، و يجوز للكفر الجمع بين هذه الحاصل
كلها و استشكل ، و حله بما قال الشيخ سعد الدين الفتازانى فى التلويح فى
بحث ' أو ' : و المشهور فى الفرق بين التخيير و الإباحة أنه يمتنع فى التخيير ١٥
الجمع^{١٢} و لا يمتنع فى الإباحة ، لكن الفرق ههنا أنه لا يجب فى الإباحة الإتيان
بواحد و فى التخيير يجب ، و حيثئذ إن كان الأصل فيه الحظر و ثبت
(١) فى ظ : لاحدهما (٢) فى ظ : باحدهما (٣) فى ظ : احدهما (٤) زيد بعده فى
ظ : عياله (٥) فى ظ : تلزمه (٦) من ظ ، و موضعه فى الأصل يابض (٧) سقط
من ظ (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : ثلاثا تمتهن .

الجواز بعارض الأمر - كما إذا قال : بع من عيدي هذا أو ذاك - يتمتع
الجمع ويجب الاقتصار على الواحد ، لأنه المأمور به ، وإن كان الأصل
[فيه - ١] الإباحة ووجب بالأمر واحد - كما في خصال الكفارة -
يجوز الجمع بحكم الإباحة الأصلية ، وهذا يسمى التخيير على سبيل
٥ الإباحة - انتهى .

ولما اشتملت هذه الآيات من البيان على ما يدهش الإنسان كان
كأنه قيل : هل يبين كل ما يحتاج إليه هكذا ؟ فبه من هذه الغفلة بقوله :
(كذلك) أى مثل هذا البيان العظيم الشأن (بين الله) [أى - ٢]
على ما له من العظمة (لكم آياته) أى أعلام^٢ شريعته وأحكامه^٣ على
١٠ ما لها من العلو باضافتها إليه .

ولما اشتمل ما تقدم من الأحكام والحكم والتهنئة والإرشاد والإخبار
بما فيها من الاعتبار على نعم جسيمة وسنن جليلة عظيمة ، [ناسب - ٢]
ختمها بالشكر المُرَبِّي لها في قوله على سبيل التعليل المؤذن بقطعها إن
لم توجد العلة : (لعلكم تشكرون) أى يحصل منكم الشكر بحفظ جميع
١٥ الحدود الآمرة والناهية .

ولما تم بيان حال المأكّل و^٤ كان داعية إلى المشرب ، احتجج إلى
بيانه ،^٥ فين تعالى^٦ المحرم منه . فلم أن ما عداه مأذون في التمتع به ،
(١) زيد من ظ والتلويح - مبحث « أو » (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي
الأصل : اعلا - كذا (٤) في ظ : إيمانه (٥) سقط من ظ (٦-٧) في ظ : فحين
تعليل - كذا .

وذلك محاذٍ في تحريم شيء مقترن باللازم^١ بعد^٢ إحلال آخر لما في أول
 السورة من تحريم الميتة وما ذكر معها بعد^٣ إحلال بهيمة الأنعام وما معها،
 فقال تعالى مذكرا لهم بما أقروا به من الإيمان الذي معناه الإذعان:
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى أقروا به . ونههم / على ما يريد العدو بهم من ١٢٠ /
 الشر بقوله تعالى: ﴿أَنَّمَا الْخَمْرُ﴾ وهى^٤ كل ما أسكر سواء فيه قليله وكثيره^٥،
 وأضاف إليها ما وإخاها في الضرر دينا و دينا وفي كونه سببا للخصام
 وكثرة اللفظ المقتضى للحلف والإقسام تأكيداً لتحريم الخمر بالتنبيه على
 أن الكل من أفعال الجاهلية ، فلا فرق بين شاربها والذابح على النصب
 والمعتمد على الإلزام فقال: ﴿والميسر﴾ أى الذى تقدم ذكره في
 البقرة ﴿و الانصاب والازلام﴾ المتقدم^٦ أيضاً ذكرهما أول السورة، ١٠
 والزم: القدح لا ريش له - قاله البخارى؛ وحكمة ترتيبها [هكذا -^٧
 أنه لما كانت الخمر غاية في الحمل على إتلاف المال ، قرن بها ما يليها في
 ذلك وهو^٨ القمار ، ولما كان الميسر مفسدة المال ، قرن به^٩ مفسدة الدين
 وهى الانصاب ، ولما كان تعظيم الانصاب شركاً جلياً إن عبدت ، وخفياً
 إن ذبح عليها دون عبادة ، قرن بها نوعاً من الشرك الخفى وهو الاستقسام ١٥
 بالازلام؛ ثم أمر باجتنب الكل إشارة وعبرة على أتم وجه فقال:
 ﴿رجس﴾ أى قدر أهل لأن يبعد عنه بكل اعتبار حتى عن ذكره
 سواء كان عيناً أو معنى ، وسواء كانت الرجسية في الحس أو^{١٠} المعنى،

(١) من ظ ، وفي الأصل: بالازلام (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) في
 ظ : هو (٤) سقط من ظ (٥) في ظ : العتمد (٦) زيد من ظ (٧) في ظ : هى .
 (٨) في ظ : «و» .

و وحده الخبر للنص على الخمر والإعلام بأن أخبار الثلاثة حذفت و قدرت ،
 لأنها^١ 'أهل لأن؟' يقال في كل واحد منها على حدتها كذلك ، ولا يكفي
 [عنها - ٢] خبر واحد على سبيل الجمع ؛ ثم زاد في التنفير عنها تأكيداً
 لرجميتها بقوله : (من عمل الشيطان) أى المحترق البعيد ، ثم صرح بما
 ٥ اقتضاه السياق من الاجتناب فقال : (فاجتنبوه) أى تعمدوا أن تكونوا
 عنه في جانب آخر غير جانبه ، وأورد لما تقدم من الحكم ، ثم علل بما
 يفهم أنه لا فوز بشيء من المطالب مع مباشرتها فقال : (لعلمكم تفعلون هـ)
 أى تظفرون بجميع مطالبكم ، روى البخارى في التفسير عن ابن عمر رضى الله
 عنهما قال : لقد حرمت الخمر وما بالمدينة منها شيء ، وفي رواية : نزل
 ١٠ تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذ خمسة أشربة ما فيها شراب العنب ، وفي
 رواية عنه : سمعت عمر على منبر النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أما
 بعد أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة : من العنب - وفي
 رواية : من الزبيب - و التمر و العسل و الخنطة و الشعير ، و الخمر ما خامر
 العقل . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ما كان لنا خمر غير فضيخكم^٢
 ١٥ هذا^٣ ، و إني^٤ لقائم أسقى أبا طلحة و فلانا و فلانا إذ^٥ جاء رجل فقال^٦ :

(١) في ظ : لأن (٢-٢) من ظ ، وفي الأصل : اسئل ان - كذا (٣) زيد من
 ظ (٤) في ظ : أفر (٥) في ظ : جامن - كذا (٦) في ظ : تضحكم - كذا ، والفضيخ
 شراب يتخذ من البسرو حده (٧) زيد بعده في صحيح البخارى : الذى تسمونه
 الفضيج (٨-٨) في الصحيح : فاني (٩) في ظ : اذا (١٠) زيد بعده في الصحيح :
 وهل بلغكم الخبر ؟ قالوا : وما ذاك ؟ قال .

حرمت الخمر ، قالوا : أهرق هذه القلال يا أنس ! فإسألوا عنها
ولا راجعوها بعد خبر الرجل ؛ و^١ في رواية عنه : حرمت علينا الخمر حين
حرمت و ما نجد خمر الأعتاب إلا قليلا ، وعامة^٢ خمرنا البسر^٣ و التمر .
قال الأصهباني : وذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام .

ولما كانت حكمة النهى عن الانصاب و الأزلام قد تقدمت في ه
أول السورة ، وهى أنها فسق ، اقتصر على بيان علة النهى عن الخمر و الميسر
إعلاما بأنهما المقصودان بالذات ، وإن كان الآخريين ما ضما^٤ إلاننا كيد
تحريم هذين - كما تقدم ، لأن المخاطب أهل الإيمان ، و قد كانوا مجتنبين
لذنبك ، فقال مؤكدا لأن الإقلاع عما حصل التماذى فى المرون عليه
يحتاج^٥ إلى مثل ذلك : ﴿ انما يريد الشيطان ﴾ أى بزيين الشرب و القمار لكم ١٠
﴿ ان يوقع بينكم العداوة ﴾ .

ولما كانت العداوة قد / تزول أسبابها ، ذكر ما ينشأ عنها بما إذا^٦ ١٢١ /
استحكم تعسر^٧ أو تعذر زواله ، فقال : ﴿ و البغضاء فى الخمر و الميسر ﴾
أى تعاطيها [لأن الخمر تزيل العقل ، فيزول المانع من إظهار الكامن
من الضغائن و المناقشة و المحاسدة ، فربما أدى ذلك إلى حروب طويلة ١٥
و أمور مهولة ، و الميسر يذهب المال فيوجب ذلك الإحثة على من سلبه
ماله و نقص عليه أحواله - ٦] .

ولما ذكر ضررها فى الدنيا ، ذكر ضررها فى الدين فقال :

(١) سقط من ظ (٢-٢) فى ظ : خمر بالبسر - كذا (٣) فى ظ : هما (٤) فى ظ :
محتاج (ه) فى ظ : بعسر (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

﴿ ويصدكم عن ذكر الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا إله [لكم - ١]
 غيره ولا كفوء له، وكرر الجارتا كيدا^٢ للأمر و تغليظا^٣ فى التحذير
 فقال: ﴿ وعن الصلوة ﴾ أما فى الحزب فواضح، وأما فى الميسر فلأن
 الفائز^٤ ينسى بيطر^٥ الغلبة، والحائب^٦ مغموه بهمته، وأعظم التهديد
 ٥ بالاستفهام والجملة الاسمية الدالة على الثبات بعد التأكيد بالحصص والضم
 إلى فعل الجاهلية ويان الحكم الداعية إلى الترك والشرور^٧ المنفرة عن
 الفعل فقال: ﴿ فهل اتم متتهون ﴾ أى قبل أن يقع بكم ما لا تطيقون .
 ولما كان ذلك مألوفاً لهم محبوباً عندهم، وكان ترك المألوف أمراً
 من ضرب السيوف، أكد دعوتهم إلى اجتنابه محذراً من المخالفة بقوله
 ١٠ عاطفاً على ما تقديره : فاتتهوا^٨ : ﴿ واطيعوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى
 لا شريك له ولا أمر لآحد سواه، أى^٩ فيما أمركم^{١٠} به من اجتناب ذلك،
 وأكد الأمر بإعادة العامل فقال: ﴿ واطيعوا الرسول ﴾ أى الكامل فى
 الرسالة فى ذلك، وزاد فى التخويف بقوله: ﴿ واحذروا ﴾ أى من
 المخالفة، ثم بلغ الغاية [فى ذلك - ١] بقوله^{١١}: ﴿ فان توليتم ﴾ أى
 ٥ بالإقبال على شئ من ذلك، وأشار بصيغة التفعّل إلى أن ذلك إنما يعمل
 بمعالجة من النفس للفطرة الأولى، وعظم الشأن فى ابتداء الجزاء^{١٢} بالتنبيه
 (١) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٢-٢) فى ظ : لأمرو وتعظيماً (٣-٣) فى
 الأصل : نسي بيطر، وفى ظ : نسي بيطر - كذا (٤) فى الأصل : الجانب، وفى
 ظ : الجانب - كذا (٥) فى ظ : النشرو - كذا (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ،
 وفى الأصل : امرهم (٨) فى ظ : لعولك - كذا (٩) فى ظ : الخبر .

بالامر بالعلم فقال: ﴿فاعلموا﴾ أنكم لم تضروا إلا أنفسكم، لأن الحجة قد قامت عليكم، ولم يبق على الرسول شيء^١ لأنكم علمتم ﴿انما على رسولنا﴾ أى البالغ فى العظمة مقدارا يحل عن الوصف باضافته إلينا ﴿البلغ المين^٢﴾ أى البين فى نفسه الموضح لكل من سمعه ما يراد منه لا غيره، فمن خالف فلينظر ما يأتية من البلاء من قبَلنا، وهذا ناظر إلى قوله "بلغ^٣ • ما أنزل إليك من ربك"، فكأنه قيل: ما عليه إلا ما تقدم من الزمان^٤ له به^٥ من البلاغ، فمن^٦ اختار لنفسه المخالفة كفر، والله لا يهدى^٧ من كان مختارا لنفسه الكفر.

ولما كانوا قد سألوا عند نزول الآية عما من شأن الانفس الصالحة الناطرة للورع المتحرك^٨ للسؤال عنه، وهو من مات منهم وهو يفعلها، ١٠ قال جوابا لذلك السؤال: ﴿ليس على الذين آمنوا و عملوا﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿الصلحت جناح﴾ فبين سبحانه أن هذا السؤال غير وارد لأنهم لم يكونوا منعوا منها، وكانوا مؤمنين عاملين للصالحات متقين^٩ لما يسنخ الرب من المحرمات، وقد بين ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: حرمت الخمر ثلاث ١٥ مرات: قدم^{١٠} رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر وبأكلون الميسر، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم^{١١} عن ذلك^{١٢}،

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) فى ظ: فما (٤) فى ظ: لا يجب (٥) فى ظ: لا تحرك (٦) فى ظ: معينين (٧-٧) فى السند ٢/٣٥١: عنها.

فأنزل الله تعالى [على نبيه صلى الله عليه وسلم - ١] " يستلونك عن الخمر والميسر " - الآية ، فقال الناس : لم يحرم^٢ علينا ، إنما قال : " إن فيها إثماً^٣ ، وكانوا يشربون الخمر حتى [إذا - ١] كان يوم^٤ من الأيام صلى رجل من المهاجرين المغرب فخلط في قراءته ، فأنزل الله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى " فكانوا يشربونها حتى يأتي أحدهم

الصلاة وهو مفق ، فنزلت " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ^٥ " - الآية ، فقالوا : انتهينا يا رب ! / وقال الناس : يا رسول الله ! ناس قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر و يأكلون الميسر وقد جعله الله رجساً من عمل الشيطان ! فأنزل الله " ليس على الذين

/ ١٢٣

١٠. 'آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ' - الآية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو حرمت عليهم لتركوها كما تركتم^٦ . ولا يضر كونه من رواية أبي معشر وهو ضعيف لأنه موافق لقواعد الدين ، و روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : كنت ساقياً القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة رضي الله عنه وما شربهم إلا الفضخ^٧ : البسر والتمر ، وإذا منادٍ ينادى : ألا ! إن الخمر قد حرمت^٨ ، فقال [لى - ١١] أبو طلحة رضي الله عنه : أخرج فاهرقها ،

(١) زيد من المسند (٢) في ظ : لم تحرم ، وفي المسند : ما حرم (٣-٢) في المسند : فيها اثم كبير (٤) من ظ والمسند ، وفي الأصل : يوماً (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من المسند ، وفي الأصل و ظ « و » (٧) وسيقت هذه الرواية فيما عندنا من نسخة المسند باختلاف ألفاظ وزيادة شيء على ما هنا . (٨) من ظ و صحيح مسلم - الأشربة ، واللفظ له (٩) من ظ و الصحيح ، وفي الأصل : الفضخ - كذا (١٠) زيد في الصحيح قال : فجرت في سكك المدينة . (١١) زيد من الصحيح .

فهرقتها^١، فقال بعض القوم: قد قتل^٢ فلان وفلان^٣ وهى فى بطونهم؟
 فأنزل الله تعالى "ليس على الذين آمنوا و عملوا الصلّحت جناح" - الآية، على
 أنه لو لم يرد هذا السبب^٤ كانت المناسبة حاصلة، وذلك أنه تعالى لما أباح
 الطيب من المأكّل وحرم الخبيث من المشرب، نفى الجناح عن يأكل
 ما أذن فيه أو يشرب^٥ عدا ما حرّمه. فأتى بعبارة تعم المأكّل والمشرب ه
 فقال: ﴿ فيما طعموا ﴾ أى ما كلاً كان أو مشرباً، و شرط ذلك عليهم
 بالتقوى ليخرج المحرمات فقال: ﴿ اذا ما اتقوا ﴾ أى أوقعوا جميع التقوى
 التى تطلب منهم فلم يطعموا محرماً .

ولما بدأ بالتقوى وهى خوف الله الحامل على البعد عن المحرمات،
 ذكر أساسها الذى لا تقبل^٦ إلا به فقال: ﴿ و آمنوا ﴾ ولما ذكر الإقرار ١٠
 باللسان^٧، ذكر مصداقه فقال: ﴿ و عملوا ﴾ أى بما أداهم إليه اجتهدهم
 بالعلم^٨ لا اتفاقاً^٩ ﴿ الصلّحت ثم اتقوا ﴾ أى فاجتنبوا ما جدد عليهم تحريمه
 ﴿ و آمنوا ﴾ أى بأنه من عند الله، وأن الله له أن يمحو ما يشاء ويثبت
 ما يشاء، وهكذا كلما تكرر تحريم شيء كانوا يلبسونه .

ولما كان قد نفى الجناح أصلاً ورأساً^{١٠}، شرط الإحسان فقال: ١٥
 ﴿ ثم اتقوا واحسنوا^{١١} ﴾ أى لازموا التقوى إلى أن أوصلتهم^{١٢} إلى
 مقام المراقبة، وهى الغنى عن رؤية غير الله، فأفهم ذلك أن^{١٣} من لم يبلغ^{١٤}

(١) فى ظ : فوقها (٢ - ٢) سقط ما بين الرقعين من ظ (٣) زيد فى ظ : ما .

(٤) فى ظ : لا يقبل (٥) فى ظ : بالإيمان - كذا (٦ - ٦) فى ظ : لاتفاق .

(٧) فى ظ : لها - كذا (٨) من ظ ، وفى الأصل: وصاتم (٩ - ٩) فى ظ :

لم تبلغ .

[رتبة - ١] الإحسان لا يتمتع أن يكون عليه جناح مع التقوى والإيمان، يكفر عنه بالبلايا والمصائب حتى ينال ما قدر له بما لم يبلغه عمله من درجات الجنان، وبما يدل^٢ على قفاسة التقوى وعزتها أنه سبحانه لما شرطها في هذا العموم، حث عليها عند ذكر المأكل بالخصوص -
 ٥ كما مضى فقال "واقفوا الله الذي اتم به مؤمنون"، وهذا في غاية الحث على التورع في المأكل والمشرب وإشارة إلى أنه لا يوصل إلى مقام الإحسان إلا^٣ به - والله^٤ الموفق؛ ولما كان التقدير: فان الله يحب المتقين المؤمنين، عطف عليه قوله: ﴿والله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿يحب المحسنين﴾^٥.

١٠ ولما ذكر ما حرم من الطعام في كل حال، وكان الصيد ممن حرم في بعض الأوقات، وكان من أمثل مطعوماتهم، وكان قد ذكر لهم بعض أحكامه عقب قوله "احلت لكم بهيمة الانعام"، "واحل لكم الطيبات" أخذ هنا في ذكر شيء من أحكامه، وابتدأها - لأنهم خافوا على من مات منهم على شرب^٦ الخمر قبل تحريمها^٧ بأنه يتلهم لتمييز الورع منهم ١٥ من غيره - بالصيد في الحال التى حرمه عليهم فيها كما ابتلى^٨ إسرائيل في السبت، فكان ذلك سببا لجعلهم^٩ قردة، ومن سبحانه على الصحابة من هذه الأمة بالعصمة عند بلوهم بآنا لفضلهم على من سواهم، / فقال تعالى مناديا لهم

/ ١٢٣

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : يدلك (٣) في ظ : كما (٤-٤) في ظ : باق (٥) في ظ : احلت (٦) في ظ : شيئا (٧) في ظ : شراب (٨) من ظ ، وفي الأصل: تحريمه . (٩) في ظ : بنى (١٠) تكرر في الأصل .

بما يكفهم^١ ذكره^٢ عن المخالفة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى أوقعوا
الإيمان ولو على أدنى وجوهه ، فعم بذلك العالى والدانى ﴿ لِيَلُونَكُمْ اللَّهُ ﴾
أى يعاملكم معاملة المختبر فى قبولكم تحريم الخمر وغيره المحيط بكل
شئ قدرة وعلما ، وذكر الاسم الأعظم إشارة بالتذكير بما له من
الجلال إلى أن له أن يفعل ما يشاء ، وأشار إلى تحقير البلوى تسكينها
للنفوس بقوله^٣ : ﴿ بشئ من الصيد ﴾ أى الصيد فى البر فى الإحرام ،
وهو ملتفت إلى قوله ” هل انبشكم بشر من ذلك مثوبة عند الله “ [وشارح
لما ذكر أول السورة فى قوله ” غير محلى الصيد وانتم حرم - °] الآية ،
وما^٤ ذكر بعد المحرمات من قوله ” فكلوا بما امسكن عليكم “ ، ووصف
المتبلى به بوصف هو من أعلام النبوة فقال : ﴿ تَاللَّهِ إِيْدِيكُمْ ﴾ أى إن^٥
أردتم أخذه سالما ﴿ ورماحكم ﴾ إن أردتم قتله ، ثم ذكر المراد من
ذلك وهو إقامة الحججة على ما يتعارفه العباد بينهم فقال : ﴿ لِيَعْلَمَ اللَّهُ ﴾
أى وهو الغنى عن ذلك بما له من صفات الكمال التى لا خفاء بها عند
أحد يعلم هذا الاسم الأعظم ﴿ من يخافه بالغيب ° ﴾ أى بما حجب
به من^٦ هذه الحياة الدنيا التى حجبهم عن أن يعرفوه حق معرفته سبحانه ،
والمعنى أنه يخرج بالامتحان ما كان من أفعال العباد فى عالم الغيب إلى عالم
الشهادة ، فيصير تعلق العلم به تعلقا شهوديا كما^٧ كان تعلقا غيبيا
[لتقوم - °] بذلك^٨ الحججة على الفاعل^٩ فى مجارى عاداتهم^{١٠} ، ويزداد من

(١) فى ظ : يكفهم (٢) من ظ ، وفى الأصل : ذكر (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ
” و “ (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : بما (٧) من ظ ، وفى الأصل : لما (٨-٨) فى
ظ : على الفاعل الحججة (٩) فى ظ : عاداتكم .

له اطلاع على اللوح المحفوظ من الملائكة لإيمانا وبقينا وعرفانا، وقد حقق سبحانه معنى هذه الآية فابتلاهم بذلك عام الحديبية حتى كان يغشاهم الصيد في رحالهم ويمكنهم أخذه بأيديهم .

ولما كان هذا زاجرا في العادة 'عن التعرض' لما وقعت البلوى ه به وحاسما للطمع فيه بمن^٢ اتسم بما جعل محط النداء من الإيمان، سبب عنه قوله: (فمن اعتدى) أى كلف نفسه مجاوزة^٣ الحد في التعرض له ؛ ولما كان سبحانه يقبل التوبة عن عباده ، خص الوعيد بمن استغرق الزمان بالاعتداء فأسقط الجار لذلك فقال: (بعد ذلك) أى الزجر العظيم (فله عذاب اليم .) بما التذ من تعرضه إليه لما عرف بالميل^٤ إلى هذا أنه [إلى ما -] هو أشهى منه كالخمر وما معها أميل .

ولما أخبرهم بالابتلاء: صرح لهم بما لوح إليه بذكر المخافة من تحريم التعرض لما ابتلاهم به^٥، فقال منوها بالوصف الناهى عن الاعتداء: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) وذكر القتل الذى هو أعم من الذبح إشارة إلى أن الصيد - لما عنده من النفرة المانعة من التمكن من ذبحه - يجبس بأى وجه كان من أنواع القتل فقال: (لا تقتلوا الصيد) أى لا تصطادوا^٦ ما يحل أكله من الوحش ، و أما غير المأكول فيحل قتله ، فانه لاحظ للنفس فى قتله إلا الإراحة من أذاه المراد بالفسق فى قوله صلى الله عليه وسلم: خمس فى الدواب فواسق ، لاجتراح على من قتلها فى حل ولا حرم - وذكر منهن السبع العادى ، فدل الحكم برفع الجناح عقب الوصف بالفسق

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) فى ظ : بمن (٣) فى ظ : مجاوز (٤) فى ظ : بالمثل (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : لا تصادوا .

على أنه علة الإباحة ، ولا معنى لفسقها إلا إذاها (و اتم حرم ^١) أى محرمون أو ^٢ فى الحرم .

ولما كان سبحانه [عالما - ^٣] بأنه لا بد أن يوافق موافق ^٤ تبعاً

لأمره و يخالف مخالف موافقة لمراده ، شرع لمن خالف كفارة تخفيفاً منه

على هذه الأمة و رفعاً لما كان على من ^٥ كان من قبلها من الآصار ، هـ

فقال عاطفاً على ما تقديره : فمن انتهى فله عند ربه أجر عظيم :

/ (ومن قتله منكم متعمداً) أى قاصداً للصيد ذاكر الأحرار إن كان محرماً ،
والحرم إن كان فيه عالماً بالتحريم .

ولما كان هذا الفعل العمد موجبا للآثم و الجزاء ، ومتى اختل وصف

منه كان خطأ موجبا للجزاء فقط ، و كان سبحانه قد عفا عن الصحابة ١٠

رضى الله عنهم العمد الذى كان سبباً لنزول الآية كما فى آخرها ، لم يذكره

واقصر على ذكر الجزاء فقال : (فجز آء) أى فكفارة (مثل ما قتل)

أى أقرب الأشياء به شبهة فى الصورة ^٦ لا النوع ^٧ ، و وصف الجزاء بقوله :

(من النعم) لما قتله ^٨ عليه ، ^٩ أى عليه ^{١٠} أن يكافى ما قتله بمثله ، وهو

من إضافة المصدر إلى الفاعل ، هذا على قراءة الجماعة بإضافة د جزاء ، إلى ١٥

د مثل ، و أما على قراءة الكوفيين و يعقوب بقتولين د جزاء د و رفع د مثل ،

فالأمر واضح .

(١) من ظ ، وفى الأصل : أى (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤ - ٥) فى ظ :

قتلها (٥ - ٥) فى ظ : لو يذكره (٦ - ٦) من ظ ، وفى الأصل : كالنوع (٧) من

ظ ، وفى الأصل : قتل (٨ - ٨) سقط ما بين الرقعين من ظ .

ولما كان كأنه قيل : بما تعرف المماثلة ؟ قال : ﴿ يحكم به ﴾ أى
بالجزاء ، ولما كانت وجوه المشابهة بين الصيد وبين النعم كثيرة ، احتاج
ذلك إلى زيادة التأمل فقال : ﴿ ذوا عدل منكم ^٢ ﴾ أى المسلمين ، وعن
الشافعي أن الذى له ^٢ مثل ضربان : ما حكمت فيه الصحابة ، وما لم تحكم
فيه ، فما حكمت فيه لا يعدل إلى غيره لأنه قد حكم به عدلان فدخل
تحت الآية ، وهم أولى من غيرهم لأنهم شاهدوا التنزيل و حضروا التأويل ؛
وما لم يحكموا به يرجع فيه إلى اجتهد عدلين ، فينظر إلى الاجناس الثلاثة
من الأنعام ، فكل ما ^٦ كان أقرب شبيها به يوجبانه ؛ فان كان القتل
خطأ جاز أن يكون [الفاعل - ^٦] أحد الحكمين ، وإن كان عمدا فلا ،
١٠ لأنه يفسق به .

ولما كان هذا المثل يساق إلى مكة المشرقة على وجه الإكرام والنسك
^٨ رققا بمساكنها ، قال ^٨ مينا لحاله من الضمير فى " به " : ﴿ هديا ﴾ ولما
كان الهدى هو ما تقدم تفسيره ، صرح به فقال : ﴿ ببلغ الكعبة ﴾ أى
الحرم المنسوب إليها ، وإنما صرح بها زيادة فى التعظيم وإعلاما بأنها هى
١٥ المقصودة بالذات بالزيارة والعمارة لقيام ما يأت ذكره ، تذبح الهدى
بمكة المشرقة ويتصدق به على مساكين الحرم ^٢ ، والإضافة لفظية لأن الوصف

(١) فى ظ : بم (٢) تأخر فى ظ عن « الضمير فى به » (٣) سقط من ظ (٤) فى
ظ : لم يحكم (٥) من ظ والبحر المحيط ٢/٤ ، وفى الأصل : الثلاث (٦-٧) من
ظ والبحر ، وفى الأصل : فما (٧) زيد من ظ (٨-٨) فى ظ : فقال بمساكنها
- كذا .

بشبهه^٥ يبلغ ، فلذا وصف بها النكرة .

ولما كان سبحانه رحيمًا بهذه الأمة ، خيرها بين ذلك وبين ما بعد فقال^١: (أو) عليه (كفارة) هي (طعام مسكين) في الحرم بمقدار قيمة الهدى ، لكل مسكين مد (أو عدل ذلك) أى قيمة المثل (صياما) في أى موضع تيسر له ، عن^٢ كل مد يوم ، فأمر للتخيير لأنه الأصل فيها ، والقول بأنها للترتيب يحتاج إلى دليل .

ولما كان الأمر مفروضاً في المتعمد قال معلقاً بالجزاء ، أى فعلية أن يحازى بما ينقص المال أو يؤلم الجسم ((ليذوق وبال)) أى ثقل^٣ (أمره^٤) وسوء عاقبته ليحترز^٥ عن مثل ما وقع فيه ؛ ولما كان هذا الجزاء محكوماً به في دار العمل التى لا يطلع أهلها بمجرد عقولهم فيها على ١٠ غيب ، ولا يعرفون عاقبة أمر إلا تخرصاً ، طرد الحكم في غير المتعمد ؛ لئلا يدعى المتعمد أنه مخطئ ، كل ذلك حتى لحمة الدين وصونا لحمة الشرع وحفظاً لجانبه / ورعاية لشأنه ، ولما كان قد مضى منهم قبل نزولها ١٢٥ / من هذا النوع أشياء ، كانوا كأنهم قالوا : فكيف نصنع بما أسلفنا ؟ قال جواباً : ((عفا الله)) أى الغنى عن كل شيء الذى له الإحاطة بجميع ١٥ صفات الكمال ((عما سلف^٦) أى تعمله^٧ ، أى لكم من ذلك ، فمن

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : يقل - كذا (٣) من ظ ، وفي الأصل : ليحترز .

(٤) في ظ : المتعمد ، والعبارة من بعده الى « المتعمد » الآتى ساقطة منه .

(٥ - هـ) من ظ ، وفي الأصل : الى تعملها ، وهو متخلل في الأصل بين

« عما » و « سلف »

حفظ نفسه بعد هذا فاز (و من عاد) إلى تعدد شيء من ذلك ولو قل ؛
ولما كان المبتدأ متضمنا معنى الشرط ، قرن الخبر بإفناء إعلاما بالسببية
فقال : (فينتقم الله) أى الذى له الأمر كله (منه ^١) أى بسبب عوده
بما يستحقه من الانتقام .

هـ ولما كان فاعل ذلك متهمًا لحرمته الإحرام والحرم ^٢ ، وكان
التقدير : فاقه قادر عليه ، عطف على ذلك ما اقتضاه المقام من الإنيان
بالاسم الأعظم ووصف العزة فقال : (والله) أى الملك [الأعلى - ^٣]
الذى لا تدانى عظمته عظمت ^٤ (عزيز) لا يظلب ^٥ (ذو انتقام هـ)
من خالف أمره .

١٠ ولما كان هذا عاما فى كل صيد ، بين أنه خاص بصيد البر فقال :
(أحل لكم صيد البحر) أى اصطيداه ، أى الذى مبناه غالبا على الحاجة ،
و المراد [هـ - ^٢] جميع المياه من الأنهار والبرك وغيرها (و طعامه)
أى مصيده ^٦ طريا وقديدا ولو كان طافيا قذف البحر ، وهو الحيتان
بأنواعها وكل ما لا يعيش فى البر ، ^٧ وما أكل مثله فى البر ^٨ .

١٥ ولما أحل ذلك ذكر علقه فقال : (متاعا لكم) أى إذا كنتم مسافرين
لرُمقيمين (والسيارة ^٩) أى يزودونه إلى حيث أرادوا من البر
أو البحر ، وفى تحليل صيد البحر حال الابتلاء من النعمة على هذه الأمة
ما بين فضلها على من كان قبلها بمن جعل صيد البحر له محنة يوم الابتلاء -

(١) فى ظ : بالسة - كذا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : لا يدانى .

(٥) فى ظ : لا يظالب (٦) فى ظ : مصيده (٧-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ .

وفيه المجد، والظاهر أن المراد بصيد البحر الفعل، لأن ثم أمرين: الاصطياد والاكل، والمراد يان حكمها، فكأنه^١ أخل اصطياد حيوان البحر، وأحل طعام البحر مطلقا ما اصطادوه وما لم يصطادوه^٢، سواء كانوا مسافرين أو مقيمين، وذلك لأنه لما قدم تحريم اصطياد ما في البر بقوله " لا تقتلوا الصيد و اتم حرم " أتبعه يان [إحلال اصطياد مصيد البحر في حال تحريم ه ذلك، ثم أتبعه يان -^٣] حرمة مصيد البر بقوله: (و حرم عليكم صيد البر) أى اصطياده وأكل^٤ ما صيد منه لكم، وهو ما لا عيش^٥ له^٦ إلا فيه، وما يعيش فيه^٧ وفي البحر^٨، فإن صيد^٩ للحلال^{١٠} حل للحرم أكله، فانه غير منسوب إليه اصطياده بالفعل ولا بالقوة (ما دتم حراما^{١١}) لأن مبنى أمره غالبا في الاصطياد والاكل مما صيد على الترف والرفاهية، ١٠ وقد تقدم أيضا حرمة اصطياد مصيد البر و حرمة الأكل مما صيد منه، وتكرر ذلك بتكرر الإحرام في آية " غير محلي^{١٢} الصيد " وآية " لا تقتلوا الصيد^{١٣} و اتم حرم " فلا يمارضه مفهوم " ما دتم حراما^{١٤} "، وعبر بذلك ليكون نضا في الحرمة في كل جزء من أجزاء وقت الإحرام إلى تمام التحلل - و افه أعلم، ولا يسقط الجزاء بالخطأ والجهل كسائر محظورات ١٥ الإحرام .

ولما كان الاصطياد بمجر المصيد إلى حيث يعجز عن الخلاص

(١) في ظ : فكانها (٢) زيدت الواو بعده في ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ (٥) في ظ : كل (٦) في ظ : لا يعيش (٧ - ٧) سقط ما بين الرقنين من ظ . (٨-٨) تكرر ما بين الرقنين في الأصل .

/ ١٢٦

منه، وكانت حالة الإحرام أشبه شيء بحالة الحشر في التجرد عن الخيط
والمعارض عن الدنيا وتمتعاتها، ختم الآية بقوله عطفًا على ما تقديره:
فلا تأكلوا شيئًا منه^١ في حال إحرامكم: ﴿واتقوا الله﴾ أى الذى له الأمر
كله فى ذلك وفى غيره^٢ من الاصطیاد وغيره ﴿الذى إليه تحشرون﴾
هـ ليكون العرض عليه نصب أعينكم فتكونوا مواظبين على طاعته محتزين
عن معصيته .

ولما كان الإحرام وتحريم الصيد فيه إنما هو لقصد تعظيم الكعبة،
بين تعالى حكمة ذلك و^٣ أنه كما جعل الحرم والإحرام سببًا لأمن الوحش
والطير جعله سببًا لأمن الناس وسببًا لحصول السعادة في الدنيا وأخرى، فقال
١٠ مستأنفا يانا لحكمة المنع فى أول السورة من استحلال من يقصدها
للزيارة: ﴿جعل الله﴾ أى بما له من العظمة وكمال الحكمة ونفوذ الكلمة
﴿الكعبة﴾ وعبر عنها بذلك لأنها مأخوذة من الكعب الذى به قيام
الإنسان وقوامه، ويثبتها مادحا بقوله: ﴿البيت الحرام﴾ أى الممنوع من
كل جبار دائما الذى تقدم فى أول السورة أنى منعتكم من استحلال من
١٥ يؤمّه ﴿قيما للناس﴾ أى فى أمر معاشهم ومعادهم لأنها لهم كالعماد
الذى يقوم به البيت، فيأمن به الخائف ويقوى فيه الضعيف ويقصده
التجار والحجاج^٤ والعمار فهو عماد الدين والدنيا .

ولما ذكر ما به القوام من المكان، أتبعه ذلك من الزمان فقال:
﴿والشهر الحرام﴾ أى الذى يفعل^٥ فيه الحج وغيره^٦ يأمن فيه الخائف^٧.

(١-١) فى ظ: منه شيئا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: كما (٤) فى ظ:
استخلاص (٥-٥) سقط ما بين الرقین من ظ .

ولما ذكر ما به القوام^١ من المكان والزمان، أتبعه^٢ ما به^٣ قوام الفقراء من شعاره فقال: (والهدى) ثم أتبعه أعزّه وأخصه فقال: (والقلائد^٤)
 أى والهدى العزيز الذى يقلد فيذبح ويقسم على الفقراء، و فى الآية التفات إلى ما^٥ فى أول السورة من قوله "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ^٦ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ^٧" - الآية، فقوانينها أن من قصدتها فى شهر الحرام^٨ لم يتعرض له أحد ولو كان قتل ابنه^٩، ومن قصدتها فى غيره ومعه هدى قلده أو لم يقلده أو لم يكن معه هدى وقلد نفسه من لحاء^{١٠} شجر الحرم^{١١} لم يعرض له أحد^{١٢} حتى أن بعضهم يلقي الهدى وهو مضطر فلا يعرض له^{١٣} ولو مات جوعاً، و سواء فى ذلك صاحبه وغيره لأن^{١٤} الله تعالى أوقع فى قلوبهم تعظيمها، لأنه تعالى جبل العرب على الشجاعة ليفتح^{١٥} بهم البلاد شرقاً وغرباً ليظهر عموم رسالة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فلزم من ذلك شدة حرصهم على القتل والغارات، وعلم أن ذلك إن دام بهم شغلهم عن تحصيل ما يحتاجون إليه لعيشهم، فأدى إلى فناءهم، فجعل بيته المكرم وما كان من أسبابه أماناً يكون به قوام معاشهم^{١٦} ومعاشهم^{١٧}، فكان ذلك برهاناً ظاهراً على أن الإله عالم بجميع المعلومات^{١٨} وأن له الحكمة البالغة.

(١) تكرر فى الأصل (٢) العبارة من «أتبعه ذلك» إلى هنا تكررت فى ظ مع سقوط الألفاظ التى نهبنا عليها (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) فى ظ؛
 ايه (٥) من ظ، وفى الأصل: لها - كذا (٦) من ظ، وفى الأصل: الحرام؛
 وزيدت الواو بعده فى ظ (٧) من ظ، وفى الأصل: أن.

ولما أخبر بعلّة التعظيم لما أمر بتعظيمه من نظم أمور الناس ، ذكر
 علة^١ ذلك الجعل فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى الجعل العظيم الذى تم^٢ أمره
 على ما أراد جاعله^٣ سبحانه ﴿ لتعلموا ﴾ أى بهذا التدبير المحكم^٤
 ﴿ ان الله ﴾ أى^٥ الذى له الكمال كله الذى جعل ذلك ﴿ يعلم ما فى السموات ﴾
 ٥ فلذلك رتبها ترتيبا فصلت به الأيام والليالى ، فكانت من ذلك الشهور
 والأعوام ، وفصل من ذلك ما فصل للقيام / المذكور ﴿ وما فى الارض ﴾
 فلذلك جعل فيها ما قامت به مصالح الناس وكف فيه أشدهم وأفئسهم
 عن أضعفهم وآمن فيه الطير والوحش ، فيؤدى ذلك من له عقل رصين
 وفكر متين إلى أن يعلم أن فاعل ذلك من العظمة وفوذ الكلمة بحيث
 ١٠ يستحق الإخلاص فى العبادة وأن يمثل أمره فى إحلال ما أحل
 من الطعام وتحريم ما حرم من الشراب وغير ذلك .

/ ١٢٧

ولما ذكر هذا العلم العظيم ، ذكر ما هو أهم منه فقال : ﴿ وان ﴾
 أى ولتعلموا^٦ أن ﴿ الله ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة وعلما الذى فعل
 ذلك قم له ﴿ بكل شيء عليم ٥ ﴾ وإلا لما أثبت جميع مقتضيات ذلك
 ١٥ ونفى جميع موانعه حتى كان ، ولقد اتخذ العرب - كما فى السيرة الهشامية^٧
 وغيرها - طواغيت ، وهى بيوت^٨ جعل لها^٩ سدنة وحجابا وهدايا
 أكثروا منها ، وعظمت كل قبيلة ما عندها أشد تعظيم^{١٠} وطافوا به فلم يبلغ
 (١) من ظ ، وفى الأصل : عليه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 عاجله (٤) من ظ ، وفى الأصل : الحكمة - كذا (٥) فى ظ : ليعلموا (٦) فى ظ :
 الهاشمية (٧-٧) فى ظ : جعلها بها - كذا (٨) فى ظ : تعظيما .

شيء^١ منها ما بلغ أمر الكعبة المشرفة ولا قارب ، ليحصل العلم بأنه سبحانه لا شيء مثله ولا شريك له .

ولما أتج هذا كله أنه على كل شيء قدير لأنه بكل شيء عليم ، وكانت هذه الآية - كما تقدم - ناظرة إلى أول السورة من آية " لا تحلوا

شعائر الله " ، وما بعدها أتم نظر ، ذكر^٢ سبحانه ما اكتف آية " حرمت ه

عليكم الميتة " من الوعيد الذي ختم به ما قبلها والوعد الذي ختمت هي

به في هذه الآية على ترتيبه ، ساقا له مساق النتيجة والثمرة لما قبله ، يانا

لأن من ارتكب شيئا من هذه المنهيات كان خطه ، فقال محذرا ومبشرا

لأن الإيمان لا يتم إلا بهما : ﴿ اعلوا إن الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها

الذى نهاه عنها ﴿ شديد العقاب ﴾ فليكن عباده على حذر منه ، وأن ١٠

من أوقعه في شيء منها القدر ، ثم فتح له التوفيق باب الحذر ، فكفر

فيما فيه كفارة وتاب ، كان مخاطبا بقوله : ﴿ وإن ﴾ أى واعلوا أن

﴿ الله ﴾ أى الذى له الجلال والإكرام مع كونه شديد العقاب

﴿ غفور رحيم ﴾ يقبل عليه ويمحو زلله ويكرمه ، فكان اكتاف أسباب

الرجاء سابقا للانذار ولاحقا معلما بأن رحمته سبقت غضبه وأن ١٥

العقاب إنما هو لإتمام رحمته ، قال ابن الزبير : ثم قال : " جعل الله الكعبة " -

آية^٣ ، فنه على سوء العاقبة في منع البحث على التعليل وطلب الوقوف

على ما لعله مما استأثر الله بعلبه ، ومن هذا الباب أتى على بنى إسرائيل في^٤

(١) فظ : شيئا (٢) فظ : ذلك (ج) فظ : الآية (د) فظ : غلبت (ه) زيد بعده

فظ : البيت الحرام (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : من . ٢

[أمر - ١] البقرة وغير ذلك؛ وجعل هذا التنبيه إيماء، ثم أعقبه بما يفسره "يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء" - الآية، ووعظهم^١ بحال غيرهم في هذا، وأنهم سألوا فأعطوا ثم امتحنوا، وقد كان التسليم أولى لهم، فقال تعالى "قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحتوا بها عكرين" ثم عرّف عبادة أنهم إذا استقاموا فلن يضرهم خذلان غيرهم "يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم" - انتهى .

ولما رغب سبحانه ورحمته، علم أنه المجازي لوحده، فأتى ذلك أنه ليس إلى غيره إلا ما كلفه به، فأتى ذلك ولا بد قوله: ﴿وما على الرسول﴾ / ١٢٨
ألمى الذى من شأنه الإبلاغ / ﴿إلا البذلغ^٢﴾ أى بأنه يحل لكم الطعام وغيره
١٥: ويحرم عليكم الخمر وغيرها، وليس عليه أن يعلم ما تضرعون وما تظهرون
ليحاسبكم عليه^٣ ﴿والله﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة وعلما ﴿يعلم ما تبدون﴾
أى تجددون إبداءه على الاستقرار ﴿وما تكتمون﴾ من إيمان وكفر
وعصيان وطاعة وتعبد لقتل الصيد وغيره وحجة للخمر وغيرها وتعق
في الدين بتحريم الحلال من الطعام والشراب وغيره إفراطا وتفریطا،
١٥: لأنه الذى خلقكم وقدر ذلك فيكم في أوقاته، فيجازيكم على ما في نفس
الأمر، من عصى أخذه بشديد العقاب، ومن أطاعه منحه حسن
الواب، وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يحكم إلا بما يطلبه بما تبدونه
فما لم يكشف له الباطن وأمره فيه بأخرى، وهذه أيضا ناظرة إلى قوله تعالى
(١) زيد من ظ (٤) من ظ، وفى الأهل: وعظ (٢) سقط من ظ (٤) في
ظ: بالمر .

”بلغ ما أنزل إليك من ربك“ ،

ولما سلب سبحانه العلم عن كل أحد وأثبتته لنفسه الشريفة، أصبح ذلك أمراً لا أمر لغیره ولا نهی ولا إثبات ولا نفي، فأخذ سبحانه يبين حكمة ما مضى من الأمر في إحلال الطعام وغيره من الاصطیاد والاكل من الصيد وغيره والزواج عن الحر وغيرها بأن الأشياء منها طيب ونجس، هـ وأن الطيب وإن قل خير من الخبيث وإن كثر، ولا يميز هذا من ذلك إلا^١ الخلاق العليم، فربما ارتكب الإنسان طريقة شرعها لنفسه ظاناً أنها حسنة فجرت به إلى السيئة وهو لا يشعر فيهلك، كالمهانية التي كانوا عزموا عليها والحر التي دعا شفقهم^٢ بها إلى الإنزال فيها مرة بعد أخرى إلى أن أكد فيها هنا أشد تأكيد، وحذر فيها أبلغ تحذير، فقال ١٠ تعالى صارقاً الخطاب إلى أشرف الأورى صلى الله عليه وسلم إشارة إلى أنه لا ينهض بمعرفة هذا من الخلق غيره: ﴿ قل لا يستوى الخبيث ﴾ أى من المظنومات والطاعمين ﴿ والطيب ﴾ أى كذلك، فإن ما يتوهونه في الكثرة من الفضل لا يوازى النقصان من جهة الخبيث .

ولما كان الخبيث من الذوات والمعاني أكثر في الظاهر وأبسر ١٥ قل: ﴿ ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾ والخبيث والطيب منه جسماني ومنه روحاني، وأخبثهما الروحاني وأخبثه الشرك، وأطيب^٣ الطيب الروحاني وأطيبه معرفة الله وطاعته، وما يكون للجسم من طيب أو خبيث^٤.

(١) لى ظ : لانه (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : شفهم (٤) فى ظ : اطيعه (هـ) من ظ ، وفى الأصل : خبيث .

ظاهر لكل أحد ، فما خالطه نجاسة صار مستقدرا لأرباب الطباع السليمة ،
وما خالط الأرواح من الجهل صار مستقدرا عند الأرواح الكاملة المقدسة ،
وما خالطه من الأرواح معرفة الله فواظب على خدمته أشرق بأنوار
المعارف الإلهية وابتهج بالقرب من الأرواح المقدسة الطاهرة ، و كما
٥ أن الخبيث والطيب لا يستويان في العالم الروحاني [كذلك لا يستويان
في العالم الجسماني - ٢] ، والتفاوت بينهما في العالم الروحاني أشد ، لأن مضرة
خبيث الجسماني ٢ قليلة ، ومنفعة ٢ طيبة يسيرة ، وأما خبيث ٤ الروحاني
فضرته عظيمة دائمة ، وطيب الروحاني منفعته جليلة [دائمة - ٥] ، وهي
القرب من الله والانشراط في زمرة السعداء ، وأدلى دليل على إرادة
١٠ العصاة والمطيعين قوله : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أي اجعلوا بينكم وبين ما يسخط
الملك الأعظم الذي له صفات الكمال من الحرام وقاية من الحلال
/ لتكونوا ٦ من قسم الطيب ، فانه لا مقرب إلى الله مثل الانتهاء عما حرم - / ١٢٩
كما تقدم الإشارة بقوله ” ثم اتقوا واحسنوا “ ويزيد المعنى ٧ وضوحا
قوله : ﴿ يَأُولَى الْأَلْبَاب ﴾ أي العقول الخالصة من شوائب النفس
١٥ فتوثروا الطيب وإن قل في الحس لكثرت في المعنى على الخبيث وإن
كثر في الحس لنقصه في المعنى ﴿ لعلمكم تفلحون ٨ ﴾ أي لتكونوا على رجاء
من أن تفوزوا بجميع المطالب ، وحينئذ ظهر كالشمس مناسبة ٩ تعقيها

(١) من ظ ، وفي الأصل : الطيب والخبيث (٢) زيد كي تستقيم العبارة -

(٣-٣) من ظ و وفي الأصل : في قلبه وينافقه (٤) من ظاء وفي الأصل :

خبيث (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : ليكونوا (٧) سقط من ظ .

بقوله على طريق الاستئناف والاستتاج : ﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى أعطوا من أنفسهم^١ العهد على الإيمان الذى معناه قبول جميع ما جاء به مَنْ وقع به الإيمان ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ ﴾ وذلك لأنهم إذا كانوا على خطر فيما يسرعون وفيما به ينتفعون من المآكل والمشارب وغيرها من الأقوال والأفعال فهم مثله فيما عنه يسألون سواء سألوا شرعه أولا ، ٥ لأنه ربما أجابهم من لا يضره شيء إلى ما فيه ضررهم مما سألوه ، فأنهم لا يحسنون^٢ التفرقة بين الخيىث والطيب كما فعل بأهل السبت حيث أبوا الجمعة^٣ وسألوه ، فاشتد اعتاقها حيثئذ بقوله ” ان الله يحكم ما يريد “ وبقوله ” ما على الرسول الا البلغ “ فكان كأنه قيل : فابلغكم ياه نخذوه بقبول وحسن اتياد ، وما لا فلا تسألوا عنه ، و سبب نزولها - كما^٤ فى الصحيحين ١٠ عن أنس رضى الله عنه - أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه^٥ بالمسألة^٦ ، فغضب فصعد المنبر فقال : لا تسألونى اليوم عن شيء إلا ينتهى لكم - وشرع يكرر ذلك ، وإذ [جاء -^٧] رجل كان إذا لاحى^٨ الرجال يدعى لغير أبيه فقال : يا رسول الله ! من أبى ؟ قال : [أبوك -^٩] حذافة ، ثم أنشأ عمر رضى الله عنه فقال : رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ١٥

(١) من ظ ، وفى الأصل : نفوسهم (٢) فى ظ : لا يحسبون (٣) فى ظ : للجماعة .
 (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و صحيح البخارى - كتاب الفتن و صحيح مسلم -
 الفضائل (٦) من الصحيحين ، وفى الأصل وظ : المسألة (٧) زيد من ظ ، وفى
 الصحيحين : فأنشأ - مكان : وإذ جاء (٨) من الصحيحين ، وفى الأصل :
 لابي ، وفى ظ : لاح - كذا (٩) زيد من الصحيحين .

رسولا ، نعوذ بالله من [سنوء - ١] الفتن . وفي آخره : فزلت " يا أيها الذين
 امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم " وللبخارى في التفسير عن
 أنس أيضا قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت
 مثلها قط ، قال : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، فغطى
 ٥ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ، لهم حنين ، فقال رجل :
 من أبي ؟ قال : فلان ، فزلت " لا تسئلوا عن اشياء " - الآية . وللبخارى
 أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان قوم يسألون رسول الله
 صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل : من أبي ؟ ويقول الرجل
 تضل ناقته : أين ناقتي ؟ فأزول الله فيهم هذه الآية " يا أيها الذين امنوا
 ١٠ لا تسئلوا عن اشياء " حتى يفرغ من الآية كلها ، ولا بن ماجه مختصرا .
 و^٢ للحافظ أبي القاسم ابن عساكر في المواقفات فيما أفاده المحب الطبري :
 في مناقب العشرة و أبي يعلى في مسنده مطولا عن أنس رضى الله عنه .
 قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان ونحن
 نرى أن معه جبرئيل عليه السلام حتى صعد المنبر - وفي رواية : فخطب
 ١٥ الناس - [فقال - ٤] : سلوني ! فوالله لا تسألوني عن شيء اليوم إلا أخبرتكم
 - وفي رواية : أنبأتكم به - فما رأيت به ما كان أكثر باكيًا منه ، فقال رجل :
 يا رسول الله - وفي رواية : فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله - إنا كنا
 (١) زيد ثمن الصحيحين (٢-٣) قال ظن لحافظ وأبو (٣) هو أحمد بن عبد الله بن
 محمد بن أبي بكر محب الدين الطبري . من مؤلفاته : الرياض النضرة في فضائل
 العشرة (٤) زيد من ظ .

١٣٠ / حديث عهد بجاهلية ، من أبى ؟ قال : أبوك حذافة - لآيه / الذى كان يدعى له - وفي رواية : أبوك حذافة الذى تدعى له - فقام إليه آخر فقال : يا رسول الله [١ -] أأفى الجنة أنا أم فى النار ؟ فقال : فى النار ، فقام إليه آخر فقال : يا رسول الله ! أعلينا الحج كل عام ؟ - وفي رواية : فى كل عام - فقال : لو قلت : نعم ، لوجبت ، ولو وجبت لم تقوموا بها ، ولو لم تقوموا بها عذبتم ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : رضينا^٢ بالله ربنا وبالاسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا - وفي رواية : رسولا - لا تفضحن^٣ بسرارنا - وفي رواية : فقام إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ! إنا كنا حديث عهد بجاهلية فلا تبد علينا سرارنا ، أ تفضحن^٤ بسرارنا - اعف عنا عفا الله عنك^٥ ، فسرى عنه ، ثم التفت إلى الحائط ١٠ فذكر بمثل الجنة والنار^٦ . وللإمام أحمد ومسلم والنسائي والدارقطني والطبري عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ^٧ خطب - وفي رواية^٨ : خطبنا - رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس ! إن الله [قد - ^٩] فرض عليكم الحج حجوا ، فقال رجل - وفي رواية النسائي : فقال الأقرع بن^{١٠} حابس التميمي - : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى ١٥ قالها ثلاثا ، فقال : من السائل ؟ فقال : فلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : و الذى نقضى يده^{١١} لو قلت : نعم ، لوجبت ، ثم إذا^{١٢} لا تسمعون ولا تطيعون ، ولكن حجة واحدة - وفي رواية الدارقطني والطبري :

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) فى ظ : رضيت (٤) فى ظ : فلا تفضحن (٥ - ٥) من ظ ، وفى الأصل : تفضحن (٦) فى ظ : عنه (٧) زيد بعده فى ظ : فيه (٨) زيد من ظ : ويسق النسائي - المناسك ، ومستند الإمام أحمد ٥٠٨ / ٢ (٩) فى ظ " و " (١٠) سقط من ط (١١ - ١٢) فى ظ : اذ

ولو رجبت ما أطقتموها، ولو لم تطيقوها - وفي رواية الطبري: ولو تركتموه - لكفرتم، فأنزل الله تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم" ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنا هلك من كان قبلكم بكثرة أسئلتهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه - وفي رواية: فاجتنبوه . وهذا الحديث له ألفاظ كثيرة من طرق شتى استوفيتها في كتابي والإطلاع على حجة الوداع . ولا تعارض بين هذه الأخبار ولو تعذر ردها إلى شيء واحد لما تقدم عند قوله تعالى "لا تجرموا طيبت ما أحل الله لكم" من أن الأمر الواحد قد تعدد أسبابه، بل وكل ما ذكر من أسباب تلك وما أشبهه كقوله تعالى "الم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة واتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال" - الآية، يصلح أن يكون سببا لهذه، وروى الدارقطني في آخر الرضاع من سننه عن أبي ثعلبة الخشني وفي آخر الصيد عن أبي الدرداء رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، ١٥ وحرم حرمات فلا تنتهكوها، وحدودا فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها؛ وقال أبو الدرداء: فلا تكلفوها، رحمة من ربكم فاقبلوها . وأخرج حديث أبي الدرداء أيضا الطبراني .

(١) سقط من ظ (م) في ظ: تركتم (م) من المسند، وفي الأصل وظ: فأتوا - كذا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (ه) في ظ: فلا تكلفوها . (٦) زيدت الواو بعده في ظ .

ولما كان الإنسان^١ قاصرا عن^٢ علم ما غاب ، فكان زجره عن الكشف عما يسوءه زجرا^٣ له عن كل ما يتوقع أن يسوءه ، قال تعالى : (ان تبد) أى تظهر^٤ (لكم) باظهار عالم الغيب لها (تسؤكم) ولما كان ربما وقع في بهم متعنت أن هذا الزجر إما هو لقصد راحة المسؤل عن السؤال^٥ خوفا من عواقبه . قال : (وان تسئلوا عنها) أى تلك الأشياء التى تتوقع^٦ مساءتكم عند إبدائها (حين ينزل القرآن) أى / و الملك حاضر (تبد لكم) ولما كان ربما قال : فإله لا ييدها سئل عنها أم لا ؟ قال : (عفا الله) بما له من الغنى المطلق والعظمة الباهرة وجميع صفات الكمال (عنها) أى سترها فلم ييدها لكم رحمة منه لكم وإراحة عما يسوءكم ويثقل عليكم فى دين أو دنيا ؛ ولما كانت صفاته سبحانه أزلية ، لا تتوقف^٧ لواحدة منها على غيرها ، وضع الظاهر موضع المضمحل لا يختص بما قبله فقال نادبا من^٨ وقع منه ذنب إلى التوبة : (والله) أى الذى له^٩ مع صفة الكمال صفة الإكرام (غفور) أزلا وأبدا يمحو الزلات عينا وأثرا ويعقبها بالإكرام على عادة الحكماء (حلیم) أى لا يعجل على العاصي بالعقوبة .

١٥

ولما نهى عن السؤال عنها ليتعرف حالها ، علل ذلك بأن غيرهم عرف أشياء وطلب أن يعطاها ، إما بأن سأل غيره ذلك ، وإما بأن شرعها

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : على (٣) وظ : زاجرا (٤) فى ظ : يظهر (٥) من ظ ، وفى الأصل : السؤل (٦) من ظ ، وفى الأصل : يتوقع (٧) فى ظ : لا تتوقف . (٨-٨) فى ظ : باديا قبل - كذا (٩-٩) فى ظ : موضع .

و سأل غيره أن يوافقه عليها وهو قاطع بأنها غاية في الحسن فكانت سبب شقائه فقال : ﴿ قد سألتها ﴾ يعنى أمثالها ، ولم يقل : سألت عنها ، إشارة إلى ما أبدته ﴿ قوم ﴾ أى ' أزلوا عزم وبأس وقيام في الأمور .

ولما كان وجود القوم فضلا عن سؤالهم لم يستغرق زمان القبل ، هـ . أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ ولما كان الشيء إذا جاء عن مسألة جديرا^١ بالقبول لاسيما إذا كان من ملك فكيف إذا كان من ملك الملوك . فكان رده في غاية البعد ،^٢ عبر عن استبعاده بأداة البعد^٣ في قوله : ﴿ ثم اصبحوا بها ﴾ أى عقب إتيانهم^٤ إياها سواء من غير مهلة ﴿ كافرين هـ ﴾ أى ثابتين في الكفر ، وهذا زجر بليغ لأن يعودوا لمثل ما أرادوا ١٠ . من تحريم ما أحل لهم ميلا إلى الرهبانية والتعمق في الدين المنهى عنه بقوله " لا تحرموا طينيت ما أحل الله لكم " .

ولما فرغ من زجرهم عن أن يشرعوا لأنفسهم أو يسألوه عن أن يشرع لهم وأن يسألوا من رخصهم بابتدائهم بهذا الشرع عن شيء من الأشياء اعتمادا على أنه ما ابتدأ بذلك إلا وهو غير مخف عنهم شيئا^٥ ينفعهم ١٥ ولا مبد لهم شيئا^٦ يضرهم لأنه بكل شيء عليم - كما تقدم التنبيه على ذلك ، قال معللا [بختام - °] الآية التي قبلها : ﴿ ما جعل الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال فلا يشرع شيئا^٧ إلا وهو على^٨ غاية الحكمة ، وأغرق^٩

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : جدير (٣-٤) سقط ما بين الرقين

من ظ (٥) في ظ : انبيائهم - كذا (هـ) زيد من ظ (٦) في ظ : في (٧) زيدت

الواو بعده في ظ ،

في النفي بقوله: (من بحيرة) و أكد النفي بإعادة النافي فقال :
 (ولا حاتبة ولا وصيلة ولا حام ^١) دالا بذلك على [أن - ^٢] الإيمان
 قد يقع في شرعه لنفسه ^٣ على الخيث ^٤ دون الطيب ، وذلك لأن الكفار
 شرعوا لأنفسهم هذا وظنوا أنه من محاسن الأعمال ، فإذا هو عما لا يعبأ
 الله به بل وبما يعذب عليه ، لكونه أوقعهم فيما كانوا معترفين بأنه أقبح القبائح
 وهو الكذب ، بل في أقبح أنواعه وهو الكذب على ملك الملوك ، [ثم - ^٥]
 صار لهم ديناً ^٦ ، و صاروا أرسخ الناس فيه وهو عين الكفر ، وهم معترفون
 بأنه ما شرعه إلا عمرو بن لحي ^٧ أو هو ^٨ أول من غير دين إبراهيم - كما رواه
 الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 إن عمراً أول من غير دين إسماعيل فنصب الاوثان و بحر البحيرة و سيب ١٠
 السوائب و وصل الوصيلة و حمى الحامى . و رواه عبد بن حميد في مسنده
 عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه / وفي آخره : و كان عمرو بن لحي أول
 من عمل العرب على عبادة الأصنام ^٩ ، و رواه البخاري في المناقب من
 صحيحه و مسلم في صفة النار ^{١٠} عن أنس هريرة رضي الله عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه ^{١١}
 في النار ، و كان أول من سيب السوائب . قال ابن هشام في السيرة :
 (١) زيد بعده في ظ : الآية (٢) زيد من ظ (٣-٤) - قط ما بين الرقين من ظ .
 (٤-٥) في ظ : بيعث (٥) من ظ ، وفي الأصل : دنيا (٦) في ظ : الاوثان .
 (٧) في ظ : الكفار (٨) من صحيح البخاري و مسلم - بمعنى الأمعاء ، وفي
 الأصل و ظ : قضية - كذا .

و البحيرة عندهم الناقة تشق أذنفا فلا يركب ظهرها ولا يجرّ وبرها
 ولا يشرب لبنها إلا ضيف أو^١ يتصدق به و تهمل^٢ لآلهم^٣ . و روى
 البخارى فى المناقب و مسلم فى صفة النار عن سعيد بن المسيب قال : البحيرة
 التى يمنع درها للطواغيت و لا يحلبها أحد من الناس ، و السائبة التى كانوا
 ٥ يسيبونها لآلهم فلا يحمل عليها شئ . و كذا رواه البخارى أيضا فى
 التفسير و قال : و الوصلة الناقة البكر تبكر فى أول تاج الإبل ثم تنثى
 بعد بأنثى ، و كانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحدهما^٤ بالآخرى
 ليس بينهما ذكر . و قال البرهان السفاقي^٥ فى إعرابه : قال أبو عبيد^٦ :
 و هى الناقة إذا تجت خمسة أبطن ، فى الآخر^٧ ذكر ، شقوا^٨ أذنفا و خلوا
 ١٠ سبلها لا تركب و لا تحلب - و قيل غير ذلك ، و قال أبو حيان فى النهر :
 قال ابن عباس : السائبة هى التى تسبب للأصنام أى تعتق ، و كان الرجل
 يسبب من ماله شيئا فيجىء به إلى^٩ السدة و هم^{١٠} خدم آلهم فيقطعون
 من لبنها للسبل ، و الوصلة - قال ابن عباس - إنها الشاة تنتج سبعة
 أبطن ، فان كان السابع أنثى لم تنتفع^{١١} النساء منها بشئ إلا أن تموت
 ١٥ فإكلها الرجال و النساء ، و إن كان ذكرا^{١٢} ذبحوه و أكلوه [جميعا -] ،

(١) من السيرة . و فى الأصل و ظ « و » (٢) فى ظ : يهلك (٣) من صحيح
 البخارى ، و فى الأصل و ظ : أحدهما - كذا (٤) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم
 المالكي برهان الدين ، من مؤلفاته : إعراب القرآن (٥) و نسب هذا القول فى
 البحر المحيط ٢٨/٤ إلى أبي عبيدة (٦) فى البحر : آخرها (٧) من ظ و البحر ، و فى
 الأصل : شققوا (٨-٨) فى ظ : سرية و هى - كذا (٩) من النهر - راجع البحر
 المحيط ٣٣/٤ ، و فى الأصل و ظ : لم ينتفع (١٠) فى ظ : ذكر (١١) زيد من النهر .
 ٣٢٠ (٨٠) و إن

وإن كان ذكرا وأتى قالوا^١: وصلت أخاها^٢، فترك مع أخيها
[فلا تدبح - ^٣]، و منافعها للرجال دون النساء، فإذا ماتت اشترك^٤
الرجال و النساء فيها . وقال ابن هشام^٥: والحامى الفحل إذا تجم له^٦
عشر إناث^٧ متابعات ليس بينهما ذكر، حتى ظهره فلم يركب [ظهره - ^٨]
ولم يجمز وبره و خلى فى إبله يضرب فيها لا يتفجع منه^٩ بغير ذلك . ه
وقال السفافسى: قال ابن مسعود و ابن عباس رضى الله عنهم - و اختاره
أبو عبيدة و الزجاج - : هو الفحل ينتج من صلبه^{١٠} عشرة أبطن^{١١} فيقولون :
[قد - ^{١٢}] حتى ظهره ، فيسيبونه لأصنامهم فلا يحمل عليه شيء .

و لما كانوا قد حرموا هذه الأشياء، وكان التحريم و التحليل من
خواص الإله، وكان لا إله إلا الله، كان حكمهم عليها بالحرمة نسبة لذلك . ه
إلى الله سبحانه كذبا، فقال تعالى بعد أن نقي أن يكون جعل^{١٣} شيئا من
ذلك : ﴿ ولكن الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دل عليه^{١٤} عقلهم من أن الله
ما جعل هذا، لأنهم لا وصول لهم إليه سبحانه و عز شأنه، فلذلك قال :
﴿ يفترون ﴾ أى يتعمدون بجعل هذه الأشياء من تحريم و تحليل
﴿ على الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ الكذب ﴾^{١٥} فيحرمون ما لم يحرمه^{١٦}

(١) فى ظ : قال (٢) من ظ و النهر، وفى الأصل : اخا (٣) زيد من ظ و النهر .
(٤) فى النهر : فتى (٥) من ظ و النهر، وفى الأصل : اشتر - كذا (٦) ونسب
ابن هشام هذا القول إلى ابن إسحاق (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : ناقة (٩) زيد
من السيرة (١٠) من البحر ٢٩/٤ حيث سبق هذا القول، وفى الأصل و ظ :
صلبة (١١) زيد من ظ و البحر (١٢) من ظ، وفى الأصل : عليهم (١٣) زيد
بعده فى ظ : الله .

و يحللون ما لم يحلله^١ ﴿ واكثرهم ﴾ أى هؤلاء الذين جعلوا هذه الاشياء
 ﴿ لا يعقلونه ﴾ أى لا يتجدد لهم عقل ، وهم الذين ما نوا على كفرهم .
 [ثم - ٢] لما حرموا هذه الاشياء اضطروا إلى تحليل / الميتة لحرموا
 الطيب وأحلوا الخبيث ، ولما اتخذوه ديناً واعتقدوه شرعاً ومضى عليه
 ٥ أسلافهم ، دعهم الحظوظ والآفة من نسبة آباءهم إلى الضلال والشهادة
 عليهم بالسفه إلى الإصرار عليه وعدم الرجوع عنه بعد انكشاف قبحه
 وبيان شناعته^٢ حتى ألقى أكثرهم السيف وطأته^٣ الدواهي ، فوطأت
 أكتافهم وذللت^٤ أعناقهم وأكتانهم^٥ ، فقال تعالى دالا على ختام الآية
 التى قبله^٦ من عدم عقولهم : ﴿ واذا قيل لهم^٧ ﴾ أى من أى قائل كان
 ١ ولو أنه ربهم ، بما ثبت من كلامهم^٨ بالعجز عنه أنه كلامه^٩ ﴿ تعالوا ﴾
 أى ارفضوا أنفسكم عن هذا الحضيض السافل ﴿ الى ما أنزل الله^{١٠} ﴾ أى
 الذى لا أعظم منه ، وقد ثبت أنه أنزله بعجزكم عنه ﴿ والى الرسول ﴾
 أى الذى من شأنه لكونه سبحانه أرسله أن يبلغكم^{١١} ما يحبه لكم ويرضاه
 ﴿ قالوا حسبنا ﴾ أى يكفيننا ﴿ ما وجدنا عليه آباءنا^{١٢} ﴾ .

١٥ ولما كانوا عالمين بأنه ليس فى^{١٣} آباءهم عالم ، وأنه من تأمل أدنى تأمل
 عرف أن الجاهل لا يهتدى إلى شيء ، قال منكراً عليهم موجباً لهم^{١٤} :

(١) فى ظ : لم يحرمه (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : بشاعته (٤) فى ظ : وطنهم .
 (٥) فى ظ : ذلت (٦) من ظ ، وفى الأصل : قبل (٧) مسقط من ظ (٨) من
 ظ ، وفى الأصل : كلامه (٩) فى ظ : كلامهم - كذا (١٠) فى ظ : يبلغه (١١) من
 ظ ، وفى الأصل : من .

(اولو) أى 'يكفيهم ذلك' إذا قالوا ذلك^٢ ولو (كان آباؤهم لا يعلمون شيئا) أى من الأشياء حق علمه لكونهم لم يأخذوه عن الله بطريق من الطرق الواصلة^٣ إليه ، ولما كان من لا يعلم قد يشعر بجهله فتعلم فيهدى فيصير أهلا للاقتداء به ، وقد لا يشعر لكونه جهله حركيا فلا يجوز الاقتداء به ، بين أنهم من أهل هذا القسم فقال : (ولا يهتدون) أى لا يطلبون هداية فلا توجد هدايتهم إلى صواب ، لأن من لا يعلم لا صواب له ، لأنه ليس للهدى آلة سوى العلم ، وأدل دليل على عدم هدايتهم أنهم ضيعوا الطيب من أموالهم فاضطروهم ذلك إلى أكل الخبيث من الميتة ، وأغضبوا بذلك خالقهم فدخلوا النار ، فلا أقبح مما يختاره لنفسه المطبوع على الكدر ، ولا أحسن مما يشرعه له رب البشر ، وهذه الآية ناظرة إلى ١٠ قوله تعالى فى سورة النساء " ان يدعون من دونه الا انا و ان يدعون الا شيطنا مريدا - إلى قوله : ولأمرهم فليتبكن أذان الانعام " فالتفت حيثئذ إلى قوله " رجس من عمل الشيطان " أى التفات .

ولما كان المانع لهم من قبول الهدى كون ذلك تسفيها لآبائهم ، فيعود ضررا عليهم يُسَبِّون^٤ به على زعمهم ، أعلم الله المؤمنين أن مخالفة ١٥ الغير فى قبول الهدى لا تضرهم أصلا ، بأن عقب آية الإنكار عليهم فى التقيد بآبائهم لمتابعتهم لهم فى الكفر بقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أى عاهدوا ربهم ورسوله^٥ على الإيمان (عليكم أنفسكم) أى الزموا هدايتها

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) فى ظ : الوصية (٤) فى ظ : الا (٥) آية ١١٩ (٦) فى ظ : يسنون (٧) فى إظ : مقابلة (٨) فى ظ : رسولهم .

وإصلاحها؛ ولما كان كأنه قيل: إنا ننسب^١ بآبائنا وننسب إليهم، فربما ضربنا^٢ نسبتنا إليهم عند الله كما جوز أكنم بن الجون الخزاعي أن يضربه شبه عمرو بن لحي به^٣ حتى سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: لا، إنك مؤمن وهو كافر - كما في أوائل السيرة^٤ الهاشمية^٥ عن أبي هريرة رضى الله عنه، وكان ذلك ربما وقف بأحد منهم عن الإسلام قال:

(لا يضركم^٦ من ضل^٧) [أى - ^٨] من المخالفين بكفر أو غيره بنسبتكم إليه ولا بقول الكفار: إنكم سفهت آباءكم، ولا بغير ذلك من وجوه الضرر، وحق هدايتهم بشارة لهم بأداة التحقيق فقال مفهما لوجود

/ ١٣٤

الضرر عند فقد الهداية^٩: ((إذا اهتديتم^{١٠}) أى بالإقبال على ما أنزل الله ١٠. وعلى الرسول [حتى - ^٨] تصيروا علماء وتعملوا^{١١} بعلمكم فتخالقوا من

ضل، فإن كان موجودا فبالاجتهاد في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بحسب الطاقة، فإن لم يستطع رده انتظر به يوم الجمع الأكبر والهلل الأعظم، وإن كان مفقودا فبمخالفته في ذلك الضلال وإن كان أقرب الأقرباء وأولى الأحباء، وإلا كان الباقي^{١٢} أسفه من الماضي، وقد كان لعمري أحدم لا يتبع أباه^{١٣} إذا كان سفها في أمر دنياه عاجزا عن

(١) في ظ: نسب (٢) في ظ: ضربتنا (٣) سقط من ظ (٤-٥) في ظ: لآنك .

(٥) من ظ، وفي الأصل: السورة (٦) في ظ: الهاشمية (٧-٨) سقط ما بين

الرقمين من ظ (٨) زيد من ظ (٩) زيد بعده في ظ: فقال (١٠) من ظ، وفي

الأصل: تعملوا (١١) زيد بعده في ظ: في (١٢) زيدت الواو بعده في الأصل،

ولم تكن في ظ لحذفها .

تحصيلها ولا يتحاشى عن مخالفته فى طريقته بل يعد الكدح فى تحصيلها
والتعمق فى اقتناصها وحسن السعى فى تمييزها^١ و لطف الحيلة فى توسيعها
من معالى الأخلاق وإصالة رأى وجودة النظر على أن ذلك ظل زائل
وعرض تافه، فكيف لا يخالفه^٢ فيما به^٣ سعادته الأبدية و حياته الباقية
و يأخذ بالحزم فى ذلك ويشمر ذيله فى أمره ويسهر ليله فى إعمال الفكر
وترتيب النظر فيما أمره الله بالنظر فيه حتى يظهر له الحق فيقبه، وينتهك
لديه الباطل فيجتنبه، ما ذاك^٤ إلا لمجرد الهوى، وقد كان الحزم العمل^٥
بالحكمة التى كشفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه أحمد والترمذى
وابن ماجه عن شداد بن أوس رضى الله عنه الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان^٦، ١٠
وروى مسلم والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من
المؤمن الضعيف، وفى كل خير أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله
ولا تعجز، وإن أصابك شئ فلا تقل : لو أنى فعلت كان كذا وكذا -
وقال ابن ماجه : ولا تقل : لو أنى فعلت كذا وكذا - فإن 'لو' تفتح عمل ١٥
الشیطان، وفى بعض طرق الحديث : ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل
يعنى : والله ! اعمل عمل الحزمة فأوسع النظر حتى لا تترك أمرا يحتمل^٧
أن^٨ ينفعك ولا يضرك إلا^٩ أخذت به، ولا تدع أمرا يحتمل أن يضرك

(١) فى ظ : غير - كذا (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) فى ظ : دل (٤) فى
ظ : لا عمل (٥) سقط من ظ (٦) من ظ، وفى الأصل : يتحمل (٧) فى ظ : إذا .

ولا يفعلك إلا تجتنبه ، فانك إن فعلت ذلك و غلبك القضاء والقدر
لم نجد في وسعك أمرا تقول^١ : لو أنى فعلته أو^٢ تركته ، ولكنك تقول :
قدر الله و ما شاء^٣ فعل ، بخلاف ما إذا لم تنعم^٤ النظر و عملت عمل العجزة
فانك حتما^٥ تقول : لو أنى فعلت كذا وكذا ، لأن الشيطان يفتح لك
ه تلك الأبواب التي^٦ نظر فيها الحازم ، فيكثر لك من 'لو' لأنها مفتاح
عمله ، وليس في الآية ما يتعلق به من يتهاون^٧ في الأمر بالمعروف كما
يفعله كثير من البطلة ؛ روى أحمد في المسند عن [أبي - ^٨] عامر
الأشعري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال له في أمر رآه :
يا أبا عامر ! ألا^٩ غيرت ؟ فتلا هذه الآية " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
١٠ " لا يضركم من ضل إذا اهتديتم^{١٠} " ، فغضب رسول الله صلى الله عليه و سلم
وقال : أين ذهبت ؟ إنما هي لا يضركم من ضل من الكفار / إذا اهتديتم ،
وروى أحمد و أصحاب السنن الأربعة و الحارث^{١١} و أحمد بن منيع و أبو يعلى
أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال : يا أيها الناس ! إنكم^{١٢} تقرؤون هذه
الآية و تضعونها على غير مواضعها^{١٣} ، وإني^{١٤} سمعت رسول الله صلى الله
١٥ عليه و سلم يقول : إن الناس إذا رأوا منكرا^{١٥} فلم يغيروه يوشك أن

/ ١٣٥

(١) في ظ : يقول (٢) في ظ : ان (٣) زيد في ظ : الله (٤) في ظ : تمنع - وهو
مرادف لما في الأصل (٥) في ظ : حيثما (٦) في ظ : الذى (٧) في ظ : تهاون .
(٨) زيد من ظ و التهذيب ، واسم أبي عامر عبد الله بن هاني ، وقيل : ابن
وهب (٩) في ظ : لا (١٠-١١) سقط ما بين الرقيين من ظ (١١) هو ابن أبي أسامة
محدث له مسند - راجع تذكرة الحفاظ و معجم المؤلفين (١٢) في ظ : إنما (١٣) وفي
رواية أحمد : ما وضعها الله ، وفي رواية له : موضعها (١٤) في ظ : منكرا .

يعتهم^١ الله بعقابه^٢ . قال البغوي : وفي رواية : لتأمرن بالمعروف ولتنهون^٣
عن المنكر أو لتستعملن^٤ الله عليكم شراركم فليسومونكم^٥ سوء العذاب ،
ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجاب لكم - والله الموفق .
ولا حكم [الله - *] تعالى - وهو الحكم العدل - أنه لا ضرر عليهم
من غيرهم بشرط هدام ، وكان الكفار يعيرونهم^٦ ، قال مؤكدا لما أخبر به ه
ومقررا^٧ لمعناه : ﴿ الى الله ﴾ أى^٨ الملك الاعظم الذى لا شريك له ،
لا إلى غيره ﴿ مرجعكم ﴾ أى^٩ أتمم من يعيركم^{١٠} ويهددكم وغيرهم من
جميع الخلاق ﴿ جميعا فينبئكم ﴾ أى يخبركم إخبارا عظيما مستوفى مستقصى
﴿ بما كنتم تعملون ه ﴾ أى تعمدوا جبلة وطبعا ، ويجازى كل أحد^{١١} بما
عمل^{١٢} على حسب ما عمل ، ولا يؤخذ أحدا بما عمل غيره ولا بما أخطأ^{١٣}
فيه أو تاب منه ، وليس المرجع ولا شيء منه إلى الكفار ولا معبوداتهم
ولا غيرهم حتى تخشوا شيئا من غائلتهم^{١٤} فى شيء من الضرر .

ولا خاطب سبحانه أهل ذلك الزمان بأنه نصب المصالح العامة
كالبيت الحرام والشهر الحرام ، وأشار بآية البحيرة وما بعدها إلى أن
أسلافهم لا وفروا عليهم ما لهم ولا نصحوا لهم فى دينهم ، وختم ذلك ١٥
بقهره للعباد بالموت وكشف الأسرار يوم العرض بالحساب على النقيير
والقطمير والجليل والحقير ؛ عقب ذلك بآية الوصية إرشادا منه سبحانه

(١-١) فى ظ : بعدا به (٢) من ظ ، وفى الأصل : لتنهن (٣) فى ظ : لتستعملن .
(٤) فى ظ : فيسومونكم (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : يعيرونهم (٧) فى ظ :
مقونا (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : يعيركم (١٠-١٠) سقط ما بين الرقنين من
ظ (١١) فى ظ : قائلته .

إلى ما يكشف سريرة^١ مَنْ خان فيها علما منه سبحانه أن الوفاء في مثل ذلك بقل وحثا لهم على أن يفعلوا ما أمر سبحانه به^٢ لينصحو لمن خلفوه بتوفير المال و يقتدى بهم فيما ختم به الآية من التقوى و السماع و البعد من الفسق و النزاع، فقال تعالى مناديا لهم بما عقدوا به العهد بينهم و بينه ه من الإقرار بالإيمان : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى أخبروا عن أنفسهم بذلك ﴿شهادة بينكم﴾^٣ هو كناية عن التنازع و التشاجر لأن الشهود إنما يحتاج إليهم عند ذلك، و سبب نزول الآية قد ذكره المفسرون و ذكره الشافعى في الام فقال : أخبرنى أبو سعيد^٤ معاذ بن موسى الجعفرى عن [بكير - ^٥] بن معروف عن مقاتل [بن حيان - ^٦] قال : أخذت هذا ١٠ [التفسير - ^٧] عن مجاهد و الحسن و الضحاك^٨ أن رجلين نصرانيين من أهل دارين أحدهما تميمى و الآخر يمانى ، صحبهما^٩ مولى لقريش في تجارة فركبوا البحر، و مع القرشى مال معلوم^{١٠} قد علمه أولياؤه من بين آنية^{١١} و بز [ورقة - ^{١٢}] فرض القرشى لجعل وصيته إلى الدارين

(١) فى ظ : ستره (٢) سقط من ظ (٣) زيد فى ظ : أى (٤) فى ظ : نحتاج . (٥) من ظ ، وفى الأصل : الفهم (٦) من تفسير الطبرى ١١ / ١٩١ و سنن البيهقى ١٠ / ١٦٥ حيث سقت هذه الرواية ، وفى الأصل و ظ : أبو سعد ، و ترجم له فى تعجيل المنفعة فقط و لم يصرح بكنيته و لا نسبته (٧) زيد من ظ و الطبرى و السنن (٨) زيد فى الطبرى و السنن : بكير قال مقاتل (٩) زيد من الطبرى و السنن (١٠) زيد فى الطبرى و السنن : فى قول الله "اثنان ذوا عدل منكم" . (١١) من ظ و السنن ، وفى الأصل : صحبهما ، وفى الطبرى : صاحبها (١٢) و من هنا أحال البيهقى لفظ هذه الرواية على التى قبلها من طريق إسماعيل بن قتيبة عن أبى خالد يزيد بن صالح عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان (١٣) فى ظ : آنية - كذا .

فأتى القوم ، وقبض الداريان المال^١ فدفعاه^٢ إلى أولياء الميت^٣ ، فأنكر القوم قلة المال فقالوا للداريين : إن صاحبنا قد خرج معه^٤ بمال^٥ أكثر مما أتيتمونا به ، فهل باع شيئاً أو اشترى شيئاً فوضع فيه ؟ أو هل طال مرضه فأنفق على نفسه ؟ قالوا : لا ، قالوا : فانكما ختمانا^٦ ، فقبضوا / المال ، ١٣٦ / ورفعوا أمرهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل هـ " يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم " فلما نزلت^٧ أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقاما بعد الصلاة ، خلفا بالله رب السماوات : ما ترك مولاكم^٨ من المال إلا ما^٩ أتيناكم به ، فلما خلفا خلى سبيلهما ، ثم إنهم وجدوا بعد ذلك إناه من آنية الميت فأخذوا الداريين فقالا : اشتريناه منه في حياته ، فكذبنا وكلفنا البينة فلم يقدرنا عليها ، فرفعوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٠ فأنزل الله عز وجل " فان عثر " - يعنى إلى آخرها ؛ ثم ذكر وقت الشهادة وسيها فقال : (إذا حضر) وقدم المفعول تهويلاً^{١١} - كما ذكر في النساء - لأن الآية نزلت لحفظ ماله فكان أهم ، فقال : (اخذكم الموت) أى أخذته أسبابه الموجبة لظنه .

- (١) زيد في الطبرى : والوصية (٢) من ظ والطبرى والسنن وفي الأصل : فدفعوه (٣) زيد في الطبرى والسنن : وجاءا ببعض ماله (٤) سقط من ظ . (٥) من الطبرى والسنن ، وفي الأصل : مال ، وفي ظ : بماله (٦) في ظ : قالوا . (٧-٧) من الطبرى ، وفي الأصل : فانكم ختمانا ، وفي ظ : فانكم ختيمونا ، وفي السنن : انكما قد ختمتنا لنا (٨) زيد في الطبرى والسنن : ان يحبسنا من بعد الصلاة . (٩) من ظ والطبرى والسنن ، وفي الأصل : مولى (١٠) في ظ : بما (١١) في ظ : تهويلاً .

ولما كان الإيصال إذ ذاك أمرا متعارفا ، عرف فقال معلقا بشهادة
 كما علق به "إذا" أو مبدلا من "إذا" لأن الزمنين^١ واحد: ﴿حين الوصية﴾
 [أى - ٢] إن أوصى ، ثم أخبر عن المبتدأ فقال : ﴿اثنتين﴾ أى
 شهادة بينكم فى ذلك الحين شهادة اثنتين ﴿ذوا عدل منكم﴾ أى من
 قبيلتكم العارفين بأحوالكم ﴿أو آخرن﴾ أى ذوا عدل ﴿من غيركم﴾
 أى إن لم تجدوا قريين يضبطان أمر الوصية من كل ما للوصى و عليه ،
 وقيل : بل هما الوصيان أنفسهما احتياطا يجعل الوصى اثنتين ، وقيل :
 آخران من غير أهل دينكم ، وهو خاص بهذا الأمر الواقع فى السفر
 للضرورة لا فى غيره ولا فى غير السفر ؛ ثم شرط هذه الشهادة بقوله^٢ :
 ١٠ ﴿ان اتم ضربتم﴾ أى بالارجل ﴿فى الارض﴾ أى بالسفر ، كأن الضرب
 بالارجل لا يسمى ضربا إلا فيه لأنه موضع الجد والاجتهاد ﴿فاصابكم﴾
 وأشار إلى أن الإنسان هدف لسهام الحداث بتخصيصه بقوله :
 ﴿مصيبة الموت^٣﴾ أى أصابت الموصى المصيبة التى لا مفر منها
 ولا مندوحة عنها .

١٥ ولما كان قد استشعر من التفصيل فى أمر الشهود* مخالفة لبقية
 الشهادات ، فكان فى معرض السؤال عن الشهود : ما ذا يفعل بهم ؟ قال
 مستأنفا : ﴿تحبسونهما﴾ أى تدعونهما إليكم وتمنعونهما من التصرف لأنفسهما
 لإقامة ما تحمله من هذه الواقعة وأدائه ؛ ولما كان المراد إقامة البين
 (١) فى ظ : الذميين (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : لا مفر ما .
 (٥) من ظ ، وفى الأصل : الشهود .

ولو في أيسر زمن ، لا استغراق زمن البعد بالحبس ، أدخل الجار فقال :
 ﴿ من بعد الصلوة ﴾ أى التى هى أعظم الصلوات ؛ فكانت بحيث
 إذا أطلقت معرفة انصرفت إليها وهى الوسطى وهى العصر ، ثم ذكر
 الغرض من حبسها فقال : ﴿ فيقسمن بالله ﴾ أى الملك الذى له تمام
 القدرة وكال العلم ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن اليمين إنما تكون^٥
 إذا كانا من غيرنا ، فإن كانا مسلمين فلا يمين ، وعن غيره : إن كان
 الشاهدان على حقيقتها فقد نسخ تحليفها ، وإن كان الوصيين فلا ؛
 / ثم شرط لهذا الحلف شرطا فقال اعتراضا بين القسم والمقسم عليه :
 ﴿ ان ارتبتم ﴾ أى وقع بكم شك فيما أخبرا به عن الواقعة ؛ ثم ذكر
 القسم عليه [بقوله - ٢] : ﴿ لا نشترى به ﴾ أى هذا الذى ذكرناه^{١٠}
 ﴿ ثمتنا ﴾ أى لم نذكره ليحصل لنا به^٢ عرض دينوى وإن كان فى نهاية
 الجلالة ، وليس قصدنا به^٢ إلا إقامة الحق ﴿ ولو كان ﴾ أى الوصى الذى
 أقسمنا لأجله تبرئة له ﴿ ذا قري^٣ ﴾ أى لنا ، أى إن هذا^٢ الذى فعلناه
 من التحرى عادتنا التى أطينا فيها ” كونوا قويمين بالقسط شهداء لله “ - الآية ،
 لا أنه فعلنا فى هذه الواقعة فقط ﴿ ولا نكتم شهادة الله ﴾ أى هذا^{١٥}
 الذى ذكرناه^٤ لم نبدل فيه لما^٢ أمر الله [به - ٢] من حفظ الشهادة
 وتعظيمها ، ولم نكتم شيئا وقع به الإشهاد ، ولا نكتم فيما يستقبل شيئا
 نشهد به لأجل الملك الأعظم المطلع على السرائر كما هو مطلع على الظواهر ؛
 ثم علل ذلك بما لقنهم إياه ليكون آخر كلامهم ، كل ذلك تغليظا^٥ وتنبها
 (١) فى ظ : يكون (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 ذكرنا (٥) فى ظ : تعظيما .

على أن ذلك ليس كغيره من الايمان ، فقال تذكيرا لهم وتحذيرا من التغير :
 ﴿ انا اذا ﴾ أى إذا فعلنا شيئا من التبديل أو الكتم ﴿ لمن الأئمين ه فان ﴾
 ولما كان المراد مجرد الإطلاع نبي للمفعول قوله : ﴿ عثر ﴾ أى اطلع
 مطلع بقصد أو بغير قصد ؛ قال البغوى : وأصله الوقوع على الشيء أى من
 عثرة الرجل ﴿ على - انهما ﴾ أى الشاهدين إن أريد بهما الحقيقة أو الوصيين^٥
 ﴿ استحقا إنما ﴾ أى بسبب شيء خانا فيه من أمر الشهادة ﴿ فاخرن ﴾
 أى من الرجال الأقرباء للميت ﴿ يقومن مقامهما ﴾ أى لفعلا حيث اشتدت
 الريبة من الإقسام عند مطلق الريبة ما فعلا ﴿ من الذين استحق ﴾ أى
 طلب وقوع الحق بشهادة من شهد ﴿ عليهم ﴾ هذا^٢ على قراءة الجماعة ،
 ١٠ و^٢ على قراءة حفص بالبناء للفاعل ، المعنى^٣ : وجد وقوع الحق عليهم ،
 وهم أهل الميت وعشيرته .

ولما كان كأنه قيل : ما منزلة هذين الآخرين من الميت ؟ ف قيل :
 هما ﴿ الاولين ﴾ أى الأحقان بالشهادة الأقربان إليه العارفان بتواطن
 أمره ، وعلى قراءة أبى بكر وحزمة بالجمع ، كأنه قيل : هما من الاولين
 ١٥ أى فى الذكر وهم أهل الميت ، فهو نعت للذين استحق ﴿ فيقسمن ﴾ أى
 هذان الآخران ﴿ بالله ﴾ أى [الملك - °] الذى لا يقسم إلا به لئلا له
 من كمال العلم وشمول القدرة ﴿ لشهادتنا ﴾ أى بما يخالف شهادة الحاضرين
 للواقعة ﴿ احق من شهادتهما ﴾ أى أثبت ، فان تلك إنما ثباتها فى الظاهر ،
 وشهادتنا ثابتة فى نفس الأمر وساعدها الظاهر بما عثر عليه من الريبة

(١) من ظ ، وفى الأصل : الوصية (٢-٢) تكرر فى الأصل (٣) سقط من ظ .

(٤) فى ظ : قال (٥) زيد من ظ .

(وما اعتدنا بكم) أى تعمدنا فى يميننا مجاوزة الحق (انا اذا) أى
 إذا وقع منا اعتداء (لمن الظلمين) أى الواضعين الشيء^١ فى غير
 موضعه كمن يمشى فى الظلام ، وهذا إشارة إلى أنهم على بصيرة ونور
 بما شهدوا به ، وذلك أنه لما وجد الإناء الذى فقدته^٢ أهل الميت وحلف
 الداريان بسببه أنهما ما خانا طالبوهما ، فقالا : كنا اشتريناه منه ، فقالوا : هـ
 ألم نقل لكما : هل باع صاحبنا شيئا ؟ فقلتما : لا ، / فقالا : لم يكن
 عندنا بينة فكرهنا أن نقر [لكم - ٣] ، فرفعوا ذلك إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فأمر فقام اثنان من أقارب الميت لخلقا على الإناء ، فدفعه
 النبي صلى الله عليه وسلم إليهما ، لأن الوصيين ادعيا على الميت البيع فصار
 اليقين فى جانب الورثة لأنهم أنكروا ، وسمى أيمان الفريقين شهادة كما
 سميت أيمان المتلاعنين شهادة - نبه على ذلك الشافعى ، وكان [ذلك - ٣]
 لما فى البابين من مزيد التأكيد .

١ ولما تم هذا [على هذا - ٣] الوجه الغريب ، بين سبحانه سره فقال :
 (ذلك) أى الأمر المحكم المرتب بهذا الترتيب بالإيمان وغيرها (ادنى)
 أى أقرب (ان) أى إلى أن (ياتوا) أى الذين شهدوا أولا ١٥
 (بالشهادة) أى الواقعة فى نفس الأمر (على وجهها) من غير
 أدنى ميل بسبب أن يخافوا من الخنس عند الله بعد هذا التغليظ
 (او يخافوا) إن لم يمنعهم الخوف من الله (ان ترد) أى تثنى و تعاد

(١) فى ظ : للشيء (٢) من ظ ، وفى الأصل : فقد (٣) زيد من ظ (٤) من
 ظ ، وفى الأصل : كما (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : على .

(ايمان) أى من الورثة (بعد ايمانهم^١) للثور على ربة فيصبروا باقتضاحهم مثلاً للناس ، قال الشافعى : وليس فى هذا رد اليمين ، فما كانت يمين الدارين على ما ادعى الورثة من الحياة ، ويمين ورثة الميت على ما ادعى الداريان بما وجد فى أيديهما وأقرا أنه مال الميت وأنه صار لهما من قبله ، فلم تقبل دعواهما بلا بينة ، فأحلف وارثاه ، قال :
 وإذا كان هذا كما وصفت فليست الآية ناسخة ولا منسوخة لأمر الله بأشهاد ذوى عدل ومن رضى^٢ من الشهداء ، هذا ما اقتضى إيلائها لما قبلها ، وقد نزعها إلى مجموع هذه السورة متنازع منها ما تقدم من ذكر القتل الذى هو من أنواع الموت عند قصة بنى آدم وما بعدها ،
 ١٠ ثم تعقيب ذلك بالجهاد الذى هو من أسباب الموت ، وقوله تعالى ” وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس “ - الآية ، ثم ذكره^٣ أيضا فى قوله تعالى ” يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم “ وقد جرت السنة الإلهية بذكر الوصية عقب مثل ذلك فى البقرة ، ولم يذكر عقب واحدة من الآيات المذكورة لزيادتها على آية البقرة بمنزلة الحلف ، فناسب
 ١٥ كونها بعد آية الايمان ، ومنها تغليظ الحلف والخروج به عما يشاكله من القسم على المال بكونه فى زمان مخصوص بعد عبادة مخصوصة ، فناسب ذكرها بعد تغليظ أمر الصيد فى حال مخصوص^٤ وهو الإحرام والخروج به عن أشكاله من الأحوال وبعد تغليظ جزائه والخروج به عن أشكاله من الكفارات وتغليظ أمر المكان المخصوص وهو الكعبة والخروج

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يرضى (٣) فى ظ : ذكر (٤) فى ظ : مخصوصة .

نبا عن أشكالها من البيوت ، وكذا تغليظ الزمان المخصوص وهو الشهر
الحرام والخروج به عن أشكاله من الأزمته ، وكل ذلك لقيام أمر الناس
وإصلاح أحوالهم ، وهكذا آية الوصية وما خرج من أحكامها عن
أشكاله كله^١ لقيام الأمور / على السداد وإصلاح المعاش والمعاد ، وهي
١٣٩ / ملتفتة إلى أول السورة إذ هي من أعظم العهود ، والوفاء بها من أصعب
الوفاء ، و^٢ إلى قوله تعالى "و تعاونوا على البر والتقوى" وإلى قوله تعالى
"كونوا قوامين لله شهداء بالقسط" انظر إلى ختمها بقوله "إن الله خير بما
تعملون" ، وإلى كون هذه في سياق الإعلام بأن الله عالم بالحقیقات ، وقوله -
عطفًا على ما تقديره : فالزموا ما أمرتكم به وأرشدتكم إليه تفلحوا :
(واتقوا الله) أي ذاك الجلال والإكرام إلى آخرها - ملتفت إلى ١٠
قوله "وميثاق الذي واثقكم به" - الآية ، أي خافوا الله خوفًا عظيمًا يحملكم
على أن تجعلوا بينكم وبين سخطه وقاية لئلا تحلفوا كاذبين أو تخونوا
أذن خيانة (واسمعوا) أي الموعظة^٣ سمع إجابة وقبول^٤ ذاكرين
لقولكم^٥ "سمعنا واطعنا" فان الله يهدي المتمسكين بالميثاق (واتقوا الله) أي
الذي له [الكمال كله و - ^٦] تمام الحكمة وكال العزة والسطوة ١٥
(لا يهدي القوم) أي لا يخلق الهداية في قلوب الذين لهم قدرة على
١) سقط من ظ (٢) من ظ والقرآن الكريم سورة هـ آية ٨ ، وفي الأصل
« و » (٣) من ظ ، وفي الأصل : كونه (٤) فـ ظ : ذى (هـ) سقط ما بين
الرفيقين من ظ (٦) في ظ : الواعظ (٧-٧) من ظ ، وفي الأصل : ذاكر لقوله .
(٨) زيد من ظ (٩) من ظ ، وفي الأصل : لا يخلقوا .

ما يحاولونه ﴿الفسقين﴾ أى الذين هم خارجون، أى من هادتهم ذلك على وجه الرسوخ، فهم أبداً غير متقيدين بقيد ولا منضبطين بدائرة عقد ولا عهد .

و لما كان فيها إقامة الشهود^١ وحبسهم عن مقاصدهم حتى يفرغوا
 ه من هذه الواقعة المبحوث فيها عن خفايا متعلقة بالموت والتغليظ بالتحليف
 بعد صلاة العصر ، وكانت ساعة يجتمع فيها الناس و فريقا الملائكة
 المتعاقبين فينا ليلاً ونهاراً [مع - ٢] أنها ساعة الاصيل المؤذنة^٢ بهجوم الليل
 و تقوُّض النهار حتى كأنه لم يكن و رجوع الناس إلى منازلهم وتركهم
 لمعايشهم ، وكانت عادته سبحانه بأنه يذكر أنواعاً من الشرائع و التكليف ،
 ١٠ ثم يتبعها إما بالإلهيات وإما بشرح أحوال الانبياء وإما بشرح أحوال
 القيامة ، ليصير ذلك^٣ مؤكداً لما تقدم من التكليف ، ولا يقتل من فن
 إلى آخر إلا بغاية الإحكام فى الربط ، عقبها تعالى بقوله : ﴿ يوم يجمع الله ﴾
 أى الملك الأعظم الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ الرسل ﴾ أى الذين أرسلهم
 إلى عباده بأوامره ونواهيهِ إشارة إلى تذكر انصرام هذه الدار و سرعة
 ١٥ هجوم ذلك بمشاهدة هذه الأحوال المؤذنة به و بأنه يومٌ يقوم فيه الاشهاد ،
 و يجتمع فيه العباد ، و يفتضح فيه أهل الفساد - إلى غير ذلك من
 الإشارات لأرباب البصائر و القلوب ، و الظاهر أن ” يوم “ ظرف للضاف
 المحذوف الدال عليه الكلام ، فان من المعلوم أنك إذا قلت : خف من

(١) من ظ ، و فى الأصل : او (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : المودية (٤) سقط
 من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل : الرسل ، و لم تكن الزيادة فى ظ لمخذاتها .

فلان، فإن^١ المعنى: خَفَّ من عقابه ونحو ذلك، فيكون المراد هنا:
 واتقوا غضب الله الواقع في ذلك اليوم، أى اجعلوا بينكم وبين سطواته
 في ذلك اليوم وقايةً، أو يكون المعنى: اذكروا / هذه الواقعة وهذا
 الوقت الذى يجمع فيه الشهود ويحبس المعترف والجود يوم الجمع
 الأكبر بين يدي الله تعالى^٢ ليسألهم عن العباد ويسأل العباد عنهم ه
 ﴿ فيقول ﴾ أى للرسل تشريعاً لهم وبياناً لفضلهم وتشريعاً للمحق من
 أمهم وتبكيته للبطل وتوبيخاً للمُفْرِط منهم والمفْرِط .

ولما كان مما لا يخفى أصلاً أنهم أجيبوا، ولا يقع فيه نزاع ولا يتعلق
 بالسؤال عنه غرض، تجاوز السؤال إلى الاستفهام من نوع الإجابة فقال:
 ﴿ ما ذا اجبتم ﴾ أى أى إجابة أجابكم من أرسلتم^٣ إليهم ؟ إجابة طاعة ١٠
 أو إجابة معصية .

ولما كان المقصود من قولهم بيان الناجي من غيره، وكانت الشهادة
 في تلك الدار لا تنفع إلا فيما وافق فيه الإضمار^٤ الإظهار، فكانت
 شهادتهم لا تنفع المشهود له بحسن الإجابة إلا أن يطابق^٥ ما قاله بلسانه
 اعتقاده بقلبه ﴿ قالوا ﴾ نافين لعلمهم أصلاً ورأساً إذا كان موقوفاً ١٥
 على شرط هو من^٦ علم ما غاب ولا علم لهم به ﴿ لا علم لنا ﴾ أى على
 الحقيقة لأننا لا نعلم إلا ما شهدناه، وما غاب عنا أكثر، وإذا كان الغائب
 قد يكون محالاً للمشهود، فما شهد [ليس - ٧] بعلم، لأنه غير مطابق.

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: أرسلتمكم (٣) في ظ «و» (٤) زيدت الواو
 بعده في ظ (٥) في ظ: طابق (٦) من ظ، وفي الأصل: في (٧) زيد من ظ.

للوّاقع ، ولهذا عللوا بقولهم : ﴿ انك انت ﴾ أى وحدك ﴿ علام الغيوب ٥ ﴾
 أى كلها ، تعلمها علما تاما فكيف بما^١ غاب عنا من أحوال قومنا !
 فكيف بالشهادة فكيف بما شهدنا من ذلك ! وهذا فى موضع قولهم :
 أنت أعلم^٢ ، لكن هذا أحسن أدبا ، فانهم محوا أنفسهم من ديوان العلم
 بالكلية ، لأن كل علم يتلاشى إذا نسب إلى علمه ويضمحل مهما^٣ قرن
 بصفته أو اسمه .

ولما كان سؤاله سبحانه للرسول^٤ عن الإجابة متضمنا لتبكيك
 المبطلين وتوبيخهم ، وكان أشد الأهم افتقارا^٥ إلى التوبيخ أهل الكتاب ،
 لأن تمردهم تعدى إلى رتبة الجلال بما وصفوه سبحانه به^٦ من اتخاذ
 ١٠ الصاحبة و الولد ، ومن ادعاء^٧ الإلهية لعيسى عليه السلام لما أظهر من
 الخوارق التى دعا^٨ بها إلى الله مع اقترانها بما يدل على عبوديته ورسالته
 ثللا يهتضم حقه أو يُعلى^٩ فيه ، مع مشاركتهم لغيرهم فى أذى الرسول
 عليهم السلام بالكذب وغيره ، وكان فى الآية السالفة ذكر الآباء وما
 آثروا للأبناء^{١٠} ، ذكر أمر عيسى عليه السلام بقوله مبدلا من قوله
 ١٥ " يوم يجمع [الله -] " معبرا بالماضى تذكيرا بما " لذلك اليوم من
 تحتم^{١١} الوقوع ، و تصويرا لعظيم تحققه ، و تنديها على أنه لقوة قربه كأنه

(١) فى ظ : هما (٢-٢) سقط ما بين الرّتين من ظ (٣) فى الأصل : منها ، وفى
 ظ : منها (٤) فى ظ : توديه - كذا (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : ادعى .
 (٧) فى ظ : دعوا (٨) فى ظ : يعلى (٩) فى ظ : لا لانياء (١٠) زيد من ظ والقرآن
 الكريم (١١) من ظ ، وفى الأصل : لما (١٢) فى ظ : تحتم .

قد وقع ومضى: ﴿ اذ قال الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ﴿ يعيسى ﴾ ثم بينه بما هو الحق من نسيبه فقال ^١: ﴿ ابن مريم ﴾ .

ولما كان ذلك يوم الجمع الأكبر والإحاطة بجميع الخلائق وأحوالهم في ^٢ حركاتهم و سكناتهم ، وكان الحمد هو الإحاطة بأوصاف الكمال ،

أمره بذكر حمده سبحانه على نعمته عنده فقال : ﴿ اذكر نعمتى عليك ﴾ ^٥ ١٤١ /
أى فى خاصة نفسك ، وذكر ما يدل للعاقل على أنه عبد مربيوب فقال :
﴿ وعلى والدتك ^٣ ﴾ إلى آخره مشيراً إلى أنه أوجده من غير أب فأراحه مما يجب للآباء من الحقوق وما ^٤ يورثون أبناءهم من اقتداء أو اهتداء وإقامة بحقوق أمه ، فأفردته - وهو فى المهد - على الشهادة لها بالبراءة والخصانة والعفاف ، وكل نعمة أنعمها سبحانه عليه صلى الله عليه وسلم ^{١٠} فهى نعمة على أمه دينا ودنيا .

ولما ذكر سبحانه هذه الأمة المدعوة من العرب وأهل الكتاب وغيرهم بنعمه عليهم فى أول السورة بقوله " اذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه " ، " اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم " ^٦ ، وكانت هذه الآيات من عند " لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم " كلها فى النعم ، أخبرهم ^{١٥} أنه يذكر عيسى عليه السلام بنعمه فى يوم الجمع إشارة إلى أنهم إن لم يذكروا نعمه فى هذه الدار دار العمل بالشكر ، ذكروها حين يذكرهم بها فى ذلك اليوم قسراً ^٧ بالكفر ، و ^٨ يالها ^٩ فضيحة فى ذلك الجمع

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : من (٣) فى ظ : بما (٤) فى ظ :
العفاة (٥) آية ٧ (٦) آية ١١ (٧) فى ظ : قرا - كذا (٨ - ٨) فى ظ : بانها .

الأكبر و الموقف الأول^١ و ليتبصر أهل الكتاب فيرجعوا عن كفرهم^٢
بعيسى عليه السلام: اليهود بالتقصير في أمره، و النصارى بالغلو في
شأنه و قدره .

و لما كان أعظم الأمور التنزيه، بدأ به كما فعل بنفسه الشريفة في
٥ كلمة الدخول إلى الإسلام، و لما كان أعظم ذلك تنزيهه أمه عليها السلام
و تصحيح ما خرق لها من العادة في ولادته، و كان أحكم ما يكون ذلك
بتقوية روحه حتى يكون كلامه طفلا كلامه كهلا، قدمه فقال معلقا
بذكر قارنا بكل نعمة ما يدل على عبوديته و رسالته، ليخرى من غلا
[في أمره - ٢] أو قصر في وصفه و قدره^٣: ﴿ اذ ايدتك ﴾ أى قوتك
١٠ تقوية عظيمة ﴿ بروح القدس ﴾ أى الطهر الذى يحيى القلوب و يطهرها
من أضرار الآثام، و منه جبرئيل عليه السلام، فكان له منه^٤ في الصغر
حظ لم يكن لغيره؛ قال الحرالى: و هو يدبسط لروح الله في القلوب
بما يحييها الله به من روح أمره إرجاعا إليه في هذه الدار قبل إرجاع
روح الحياة بيد القبض من عزرائيل عليه السلام، [ثم - ٢] استأنف
١٥ تفسيره هذا التأيد فقال: ﴿ تكلم الناس ﴾ أى من أردت من عالمهم
و ساقطهم ﴿ فى المهد ﴾ أى بما^٥ برأ الله به أمك^٦ و أظهر به
كرامتك و فضلك .

و لما ذكر هذا الفضل العظيم . أتبعه خارقا آخر، و هو إحيائه

(١) من ظ، و فى الأصل: كفر (٢) زيد من ظ (٣) من ظ . و فى الأصل:
قدرته (٤) فى ظ: و كان (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: عما (٧) من ظ، و فى
الأصل: أمه .

نفسه وحفظه جسده أكثر من ألف سنة لم يدركه الهرم ، فانه رفع شاباً
وينزل على ما رفع عليه ويبقى حتى يصير كهلاً ، و تسوية كلامه في
المهد بكلامه في حال^١ بلوغ الأشد و كمال العقل خرقاً لما جرت به العوائد
فقال : ﴿ كهلاً ج ﴾ . ولما ذكر هذه الخارقة ، أتبعها روح العلم الرباني
فقال : ﴿ و اذ علمتكَ الكتب ﴾ : أى الخط الذى هو مبدأ العلم و تلقيح^٥
روح الفهم ﴿ الحكمة ﴾ أى الفهم لحقائق^٢ الأشياء و العمل بما يدعو
إليه العلم ﴿ و التوراة ﴾ أى المنزلة على موسى^٣ عليه السلام . ﴿ و الانجيل^٤ ﴾
أى المنزل عليك .

ولما ذكر تأييده بروح / الروح . أتبعه تأييده بإفاضة الروح على جسده^{١٤٢/}
لا أصل له فيها فقال : ﴿ و اذ تخلق من الطين ﴾ أى هذا الجنس^{١٥}
﴿ كهينة الطير باذنى ﴾ ثم سبب عن ذلك قوله^٥ : ﴿ فتنفخ فيها ﴾ أى
في الصورة المهيأة ﴿ فتكون ﴾ أى تلك الصورة التى هيأتها ﴿ طيراً باذنى ﴾
ثم بإفاضة روح ما على بعض جسد ، إما ابتداء فى الأكمة^٦ كما فى
الذى قبله ، وإما إعادة^٧ كما فى الحادث العنى و البرص بقوله :
﴿ و تبرئى الأكمة و الارص ﴾ .

ولما كان من أعظم ما يراد بالسياق توبيخ من كفر [به -^٨]
كرر قوله : ﴿ باذنى^٩ ﴾ ثم برّد روح كامل إلى جسدها بقوله :
(١) فى ظ : حالة (٢) من ظ ، وفى الأصل : لحاق (٣) من ظ ، وفى الأصل :
عيسى (٤) من ظ ، وفى الأصل : جسده (٥) فى ظ : بقوله (٦) من ظ ، وفى
الأصل : هياها (٧-٧) تكرر ما بين الرقيين فى الأصل (٨) زيد من ظ .

﴿ واذ تخرج الموتى ﴾ أى من القبور فعلا أو قوة حتى يكونوا كما كانوا من سكان البيوت ﴿ باذنى ﴾ ثم بعصمة روحه^٢ ممن أراد قتله بقوله: ﴿ واذ كففت بنى اسرائيل عنك ﴾ أى اليهود لما هموا بقتاك؛ ولما كان ذلك ربما أوهم نقصا استحلوا قصده به، بين أنه قصد^٣ ذلك كمعادة الناس مع الرسل و الأكار من أتباعهم تسلياً لهذا النبى الكريم والتابعين له باحسان فقال: ﴿ اذ جئتهم بالبينات ﴾ أى كلها، بعضها بالفعل والباقي بالقوة لدلالة ما وجد عليه من الآيات الدالة على رسالتك الموجبة لتعظيمك ﴿ فقال الذين كفروا ﴾ أى غطوا تلك البينات عناداً ﴿ منهم ان ﴾ أى ما ﴿ هذا الاسحرمبينه ﴾ ثم بتأييده^٤ بالانصار الذين أحيا^٥ أرواحهم بالإيمان وأجسادهم باختراع^٦ المأكول الذى من شأنه فى العادة حفظ الروح، وذلك فى قصة المائدة وغيرها فقال: ﴿ واذ اوحيت ﴾ أى بالهام باطنا وبإيصال^٧ الأوامر على لسانك ظاهراً ﴿ الى الحوارين ﴾ أى الأنصار ﴿ ان آمنوا بى و برسولى ﴾ أى الذى أمرته بالإبلاغ^٨ يعنى إبلاغ^٩ الناس ما أمرهم به، ثم استأنف^{١٠} مبينا لسرعة إجابتهم لجعله محياً^{١١} إليهم مطاعاً فيهم بقوله: ﴿ قالوا آمنا ﴾ .
ولما كان الإيمان باطنا فلا بد فى إثباته من دليل ظاهر، و كان

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: هو، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها.

(٣) من ظ ، فى الأصل: بصد - كذا (٤) فى ظ: عما (٥) فى ظ: اخفى .

(٦) من ظ ، وفى الأصل: بالاختراع (٧) فى ظ: إيصال (٨ - ٨) سقط ما

بين الرقين من ظ (٩) فى ظ: محياً .

في سياق عدّة النعم و الطواعية لوحى الملك الأعظم دلوا عليه بتمام
الانقياد، ناسب المقام زيادة التأكيد بآيات النون الثالثة في قولهم:
(و اشهد باننا) بخلاف آل عمران (مسلمون هـ) أى متقادون أتم انقياد،
فلا اختيار لنا إلا ما تأمرنا به، وانظر ما أنسب إعادة "اذ" عند
التذكير بروح كامل حساً أو معنى و حذفها عند الناقص، فأثبتها عند هـ
التأييد بها في أصل الخلق و في الكمال الموجب للحياة الابدية و في تعليم
الكتاب و ما بعده المفيض لحياة الابد على كل من تخلّق بأخلاقه و في
خلق الطير و هو ظاهر و هكذا إلى الآخر .

ذكرُ شيء مما عزي إليه من الحكمة في الإنجيل: قال متى: و كان

يسوع بطوف المدن و القرى و يعلم في مجامعهم و يكرز ببشارة الملكوت ١٠

و يشفي كل الأمراض و الأوجاع، ثم قال: فلما سمع / يوحنا في السجن / ١٤٣

بأعمال المسيح أرسل إليه اثنين من تلاميذه قائلاً: أنت هو الآتى

أم تترجى^١ آخر؟ قال لوقا: و في تلك الساعة أبرأ كثيراً من الأمراض

و الأوجاع و الأرواح الشريرة و وهب النظر لعميان كثيرين^٢، فأجاب

يسوع و قال لهما^٣: إذهبا و أعلما يوحنا بما رأيتهما و سمعتهما، العميان ١٥

يمهرون و العرج يمشون [و البرص - ^٤] يتطهرون و الصم يسمعون

(١) من ظ، و في الأصل: تترعى - هكذا (٢) من إنجيل لوقا، و في الأصل:

كثير، و العبارة من هنا مع هذا اللفظ إلى « أعلما يوحنا » ساقطة من ظ .

(٣) زيد بعده في الأصل: و قال، و لم تكن الزيادة في الإنجيل لحذفناها (٤) زيد

من ظ و الإنجيل .

و الموقى يقومون و المساكين يبشرون^١، فطوى لمن لا يشك فى ! فلما ذهب
تليذا^٢ يوحنا بدأ يسوع يقول للجمع من أجل يوحنا: لما ذا خرجتم
إلى البرية تنظرون - قال لوقا: قصبة تحركها^٣، الريح - أم^٤ لما ذا خرجتم
تنظرون ؟ إنسانا لباسا ناعما ؟ إن^٥ اللباس الناعم يكون فى
بيوت الملوك^٦ ، و قال لوقا: فإن^٧ الذين عليهم لباس المجد و التعم^٨ هم فى
بيوت الملوك - انتهى . لكن لما ذا خرجتم تنظرون ؟ نيا ؟ نعم ، أقول
لكم: إنه أفضل من هذا الذى كتب من أجله: هوذا أنا مرسل ملكى
أمام وجهك ليسهل طريقك قدامك ، الحق أقول لكم ! إنه لم يقم فى^٩
مواليد النساء أعظم من يوحنا المعمد^{١٠} ، و الصغير فى ملكوت السماء
أعظم منه ، و جميع الشعب الذى سمع و العشارون شكروا الله حيث
اعتمدوا من معمودية يوحنا ، فأما^{١١} الفريسيون و الكتبة فعلوا أنهم
رفضوا^{١٢} أمر الله لهم إذ لم يعتمدوا منه ؛ قال متى : ثم قال : من له أذنان
سامعتان فليسمع ! بماذا أشبه هذا الجيل ؟ يشبه صيانا جلوسا فى الأسواق ،
يصيحون إلى أصحابهم قائلين : زمرنا لكم فلم ترقصوا ، و نحنا لكم فلم تيكوا ،
١٥ جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب ، فقالوا : معه جنون ، جاء ابن الإنسان

(١) من الإنجيل ، وفى الأصل: يوسرون ، وفى ظ: يوثرون - كذا (٢) فى
ظ: تليذ (٣) من ظ ، وفى الأصل: يحركها (٤-٤) سقط ما بين الرقيب
من ظ (٥) فى ظ: فان (٦) فى ظ: إن (٧) من الإنجيل ، وفى الأصل: التعم ،
وفى ظ: نعيم (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ: العهد ، وفى الإنجيل: المعمدان ،
و سياتى تفسيره (١٠) من ظ ، وفى الأصل: قال (١١) فى ظ: فرضوا .

بأكل ويشرب ، فقالوا : هذا إنسان أكل شرّيب خليل العشارين و^١ الخطاة ،
 فبررت^٢ الحكمة من بيدها ، حيثئذ بدأ يغيّر المدن التي كان فيها أكثر
 قواته ، لأنهم لم يتوبوا ، ويقول^٣ : الويل لك يا كورزين^٤ ! والويل لك
 يا بيت صيدا^٥ ! لأن^٦ القوات اللاتي^٧ كنّ فيكما^٨ قديما لو كنّ في صور
 و صيدا لتابوا بالمسوح و الرماد ، لكن أقول لكم : إن لصور و صيدا ه
 راحة في يوم الدين أكثر منكن ، و أنت يا كفرناحوم لو ارتفعت إلى
 السماء ستهبطين إلى الجحيم ، لأنه لو كان في سدوم هذه^٩ القوات التي
 كانت فيك إذن لثبّت إلى اليوم ، و أقول لكم أيضا : إن أرض سدوم
 تجد راحة يوم الدين أكثر منك . ثم قال : و انتقل يسوع من هناك
 و دخل إلى مجعهم و إذا رجل هناك يده يابسة - و قال لوقا : يده ١٠
 اليمنى يابسة - فسأله قائلين : هل يعمل أن يشفي في السبت ؟ فقال
 لهم : أي إنسان منكم يكون له خروف ، يسقط في حفرة في السبت ،
 و لا يمسكه و يقيمه ؟ فيكم أخرى الإنسان أفضل من الخروف ، فاذن
 جيد هو فعل الخير في السبت ؛ و قال لوقا : فقال للرجل / اليا بس^{١١} اليد :
 ١٤٤ / قف في الوسط ، فقام ، و قال لهم يسوع : أسألكم^{١٢} : ما ذا^{١٣} يعمل أن ١٥
 يعمل في السبت ؟ خير أم شر ؟ نفس تخلص أم تهلك ؟ فسكتوا ؛
 قال متى : [حيثئذ - ٩] قال للانسان : امدد يدك ، فدها فصحت

(١-١) في ظ : الخطاب فبررت - كذا (٢) في ظ : يقولوا (٣) في ظ : لا ان .
 (٤-٥) في ظ : بيتا . (٦) في ظ : هذا . (٧) تكرر في الأصل (٨) من ظ ، و في
 الأصل : يستلكن (٨) في ظ : ما (٩) تزيد من ظ

مثل الأخرى ، فخرج الفريسيون - قال مرقس : مع أصحاب هيرودس -
متوأمين في إهلاكه ، فلم يسوع و انتقل من هناك و تبعه جمع كثير ،
فشفي جميعهم ، و أمرهم أن لا يظهروا ذلك لكي يتم ما قيل في أشعيا
النبي القائل : ها هو ذا ' فتى الذى هويت ، و حببى الذى به سررت ،
٥ أضع روحى عليه و ينخر الامم بالحكم ، لا يمارى و لا يصيح و لا يسمع
أحد ' صوته فى الشوارع ، ' قصبة مرضوضة ' لا تكسر ، و سراج
' مطفئ لا يطفأ ' حتى يخرج الحكم ' فى الغلبة ' ، و على اسمه تتكل
الأمم ؛ ثم قال : و فى ذلك اليوم خرج يسوع من البيت و جلس
جانب البحر ، فاجتمع إليه جمع كبير حتى أنه صعد إلى السفينة و جلس ،
١٠ و كان الجمع كله قايما على الشط ، و كلهم بأمثال كثيرة قائلا : ها هو ذا
خرج الزارع ليزرع ، و فيما هو يزرع سقط البعض على ^٦ الطريق ،
فأتى الطير و أكله - و قال لوقا : فديس و أكله طائر السماء - و بعض
سقط على الصخرة حيث لم يكن له أرض كثيرة ، و للوقت شرق
إذ ليس له عمق أرض . و لما أشرقت الشمس احترق ، ^٧ و حيث ^٨
١٥ لم يكن له أصل يبس ، و بعض سقط فى الشوك ^٩ فطلع الشوك ^{١٠}
و خنقه ، و قال [مرقس - ^{١١}] : نخنقه بعلوه عليه فلم يأت بشمرة ^{١٢} ؛

(١) فى ظ : هوذا (٢) فى ظ : احدا (٣-٣) فى ظ : قصيبه مرصوصه - كذا .
(٤-٤) فى ظ : متعلق لا يطفى ، و تفسير ' مطفئ ' ، سياتى (٥-٥) فى ظ :
بالغلبة (٦) فى ظ : عن (٧-٧) فى ظ : لحيث (٨-٨) سقط ما بين الرقين من
ظ (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ : ثمره .

وقال متى: و بعض سقط في الأرض الجيدة فأعطى ثمره، للواحد مائة
وللآخر ستين وللآخر^١ ثلاثين - قال لوقا: فلما قال هذا نادى: من له
أذنان سامعتان فليسمع - فقدم إليه تلاميذه وقالوا له: لماذا تكلمهم بالأمثال؟
فأجابهم وقال: أنتم أعطيتم معرفة سرائر ملكوت السموات - وقال لوقا:
فقال لهم^٢: لكم أعطى علم سرائر ملكوت الله - وأولئك لم يعطوا،^٥
ومن كان له يعطى ويزاد، ومن ليس له فالذى له يؤخذ منه - وقال
لوقا: والذي ليس له يزرع منه الذى يظن أنه له - فلهذا أكلهم بالأمثال،
لأنهم^٢ يبصرون فلا يبصرون، و يسمعون فلا يسمعون ولا يفهمون،
لكي تتم فيهم نبوة أشعيا القائل: سماعا يسمعون فلا يفهمون، و نظرا
ينظرون فلا يبصرون، لقد غلظ قلب هذا الشعب، وثقلت آذانهم عن^{١٠}
السماع، و غمضوا أعينهم لكيلا يبصروا بعيونهم ولا يسمعوا بآذانهم
و يفهموا بقلوبهم و يرجعوا فأشفيهم، فأما أنتم فطوبى لعيونكم! لأنها
تظر، و لآذانكم! لأنها تسمع^٤؛ وقال [لوقا - ٥]: و مثل الزرع هذا
هو كلام الله^٤، و قال متى: كل من يسمع كلام الملكوت ولا يفهم يأتي
الشريير فيخطف ما يزرع في قلبه، هذا الذى زرع على الطريق، والذي زرع^{١٥}
على الصخرة هو الذى يسمع الكلام و للوقت يقبله^٦ بفرح، و ليس له^٤ فيه
أصل، لكن في زمان / يسير، إذا حدث^٧ ضيق أو طرد فلو وقت يشك^٨ -

١٤٥ /

- (١) في ظ: و الآخر (٢) في ظ: له (م) في ظ: لانه (٤) سقط من ظ.
(٥) زدناه بناء على أن الجملة الآتية هي في إنجيل لوقا فقط (٦) في ظ: قبله.
(٧) في ظ: حصل.

وقال مرقس : بسبب^١ الكلمة فيشكون للوقت ؛ وقال لوقا : وهم إنما يؤمنون
إلى زمان التجربة ، وفي زمان التجربة يشكون^٢ - والذي يزرع في الشوك
فهو الذي يسمع الكلام فيخنق الكلام فيه ؛ وقال لوقا^٣ : تغلب^٤ عليهم
هموم هذا الدهر وطلب الغنى ؛ وقال مرقس : ومحبسة الغنى وسائر
الشهوات التي يسلكونها ، فتخنق الكلمة فلا تثمر^٥ فيهم ؛ وقال متى :
فيكون بغير ثمرة ، والذي يزرع في الأرض الجيدة هو الذي يسمع
الكلام ويتفهم ويعطي ثمرة ؛ وقال لوقا : وأما الذي وقع في الأرض
الصالحة فهم الذين يسمعون الكلمة بقلب جيد فيحفظونها^٦ و يثمرون
بالصبر ؛ قال متى : للواحد مائة وللآخر ستين وللآخر ثلاثين . وضرب
١٠ لهم مثلاً آخر قائلاً : يشبه ملكوت السماوات إنساناً زرع زرعاً جيداً
في حقله^٧ ، فلما نام الناس جاء عدوه فزرع زواناً في وسط القمح ومضى ،
فلما نبت القمح ظهر الزوان ، فجاء^٨ عبيد رب^٩ البيت^{١٠} فقالوا له : يا سيد !
أليس زرعاً جيداً زرعت في حقلك^{١١} فمن أين صار فيه زوان ؟ فقال
لهم : عدو فعل هذا ، فقال عبيده : تريد^{١٢} أن نذهب فتجمعه ؟ فقال لهم :
١٥ لا ، لئلا تنقلع معه الحنطة ، دعوها ينبتان جميعاً إلى زمان الحصاد ،

(١) وقع في الأصل وظ : نسيت - كذا . ومبنى التصحيح نص الإنجيل (٢) وقع
في الأصل وظ : مرقس ، والتصحيح نظراً إلى نص الإنجيل (٣) في ظ : فيقلب .
(٤) في ظ : فلا يسمر - كذا (٥) من ظ والإنجيل ، وفي الأصل : فيحفظونها .
(٦) في ظ : بخلقه (٧-٧) في ظ : عبيده - كذا (٨) من الإنجيل ، وفي
الأصل : النبت ، وفي ظ : الرب (٩) في ظ : خلقك (١٠) في ظ : يريد . (١١)
١٧

[و - '] أقول للحصادين: أولا اجمعوا الزوان فشدوه. جزما ليحرقه.
 فأما القمح فاجفوه إلى أهرائي. وضرب لهم مثلا آخر قائلا: يشبه
 ملكوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله، لأنها
 أصغر الزراريح كلها - وقال مرقس: وهى أصغر الحبوب التى على
 الأرض - فإذا طالت صارت أكبر من جميع^٢ البقول وتصور^٣ شجرة ه
 - وقال مرقس: وصنعت أغصانا عظاما: وقال لوقا: فمت وصارت
 شجرة عظيمة - حتى أن طائر السماء^٤ يستظل تحت أغصانها. وكلهم بمثل
 آخر وقال لهم: يشبه ملكوت السماوات خميرا أخذته امرأة وعجته في
 ثلاثة أكيال دقيق فاختم الجميع؛ وقال مرقس: وكان يقول لهم: هل
 يوجد سراج فيوضع تحت مكيال أو سرير، لكن على منارة؛ وقال لوقا: ١٠
 ليس أحد يوقد سراجا فيغطيه، ولا يجعله تحت سرير، لكن يضعه على
 منارة فيرى نوره كل من يدخل؛ قال مرقس: كذلك ليس خفي إلا سيظهر،
 ولا مكتوم إلا سيعلم؛ وقال لوقا: سراج الجسد العين، فإذا كانت
 عينك بسيطة لجسدك كله^٥ نير، وإن كانت عينك شريرة لجسدك كله^٦
 يكون مظلما، احرص أن لا يكون النور الذى فىك ظلاما، فان كان ١٥
 جسدك كله نيرا وليس فيه جزء مظلم فانه يكون كاملا نيرا، كما أن
 السراج ينير لك^٧ بلمع ضيائه؛ وقال مرقس: من له أذنان سامعتان
^٨فليسمع، وقال لهم: انظروا ما ذا تسمعون، فبالكيل الذى / تكيلون
 يكال لكم - وتزادون أيها السامعون؛ لأن الذى له يعطى^٩ ومن ليس

١٤٦ /

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ: القبول و يصير (٣) من ظ و الإنجيل، وفى
 الأصل: الزمان - كذا (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) سقط من ظ.

عنده فالذى عنده يؤخذ منه ، وقال : يشبه ملكوت الله إنسانا يلقى زرعه
على الأرض وينام ، ويقوم ليلا ونهارا و الزرع ينمو و يطول وهو
لا يعلم ، أولا أعشب وبعد ذلك سَنَبِلَ ، ثم يمتلئ السنبِل حتى إذا انتهت
الثمرة حينئذ يضع المنجل^١ إذ قد دنا الحصاد ، قال متى : هذا كله قاله
٥ يسوع للجموع ليتم ما قيل في النبي القائل : أفتح فاهى بالأمثال و أنطق^٢
بالحقيقت من قبل أساس العالم . حينئذ ترك الجمع و جاء إلى البيت فجاء إليه
تلاميذه و قالوا : فسر لنا مثل زوال الحقل ، أجب : الذى زرع الزرع
الجيد هو ابن الإنسان ، و الحقل هو العالم ، و الزرع الجيد هو بنو الملكوت ،
و الزوان هو^٣ بنو الشر ، و العدو الذى زرع^٤ هو الشيطان ، و الحصاد هو
١٠ منتهى الدهر ، و الحصادون هم الملائكة ، فكما أنهم يجمعون الزوان أولا ،
و بالنار يحرق ، هكذا يكون منتهى هذا الدهر ، يرسل ملائكته و يجمعون
من مملكته كل الشوك و فاعلى الإثم ، فيلقونهم فى أتون النار ، هناك
يكون البكاء و صرير الأسنان ، حينئذ يضىء الصديقون مثل الشمس فى
ملكوت أبيهم ، من له أذنان سامعتان فليسمع . و يشبه ملكوت السماوات
١٥ كنزا مخفيا فى حقل وجده إنسان^٥ نجباء ، و من فرحه مضى و باع كل
شئ و اشترى ذلك الحقل . و أيضا يشبه ملكوت السماوات إنسانا تاجرا
يطلب الجوهر الفاخر الحسن . فوجد درة^٦ كثيرة الثمن^٧ فضى و باع

(١) فى ظ : النخل (٢) فى ظ : انطلق (٣) من ظ و الإنجيل ، وفى الأصل : هم .
(٤) فى ظ : ابن (٥) من الإنجيل ، وفى الأصل و ظ : زرعهم (٦) فى ظ : انسانا .
(٧-٧) فى ظ : كبيرة .

كل ماله واشتراها . و أيضا يشبه ملكوت السماوات شبكة^١ ألقيت في البحر فجمعت من كل جنس ، فلما امتلأت أطلعوها إلى الشط فجلسوا وجمعوا الخيار في الأوعية ، والردى رموه خارجا ، هكذا يكون في انقضاء هذا الزمان ، تخرج الملائكة ويميزون الأشرار من وسط الصديقين ، و يلقونهم في أتون النار ، هناك يكون البكاء و صرير^٥ الأسنان^٢ . فلما أكمل يسوع هذه الأمثال انتقل من هناك وجاء إلى بلده و كان^٣ يُعَلِّم في مجامعهم حتى أنهم بهتوا وقالوا : من أين له هذه الحكمة والقوة ؟ و قال مرقس : من أين له هذا التعليم و هذه الحكمة التي أعطاها والقوات التي تكون على يديه - انتهى . أليس هذا ابن^٤ النجار ؟ و قال لوقا : و كان جميعهم يشهدون له و يتعجبون من^٥ كلام النعمة^٦ الذي^{١٠} كان يخرج من فمه ، و كانوا يقولون : أليس هذا ابن يوسف ؟ انتهى . أليس أمه تسمى مريم وإخوته يعقوب و يوسا و سمعان و يهوذا ؟ أليس هو و أخواته^٦ عندنا جميعا ؟ فمن أين له هذا كله ؟ و كانوا يشكون فيه ، فان يسوع قال لهم : لا بهان نبي إلا في بلده و بيته ؟ و قال مرقس : ليس^٧ بهان نبي إلا في بلده و عند أنسابه و بيته ؟ و قال لوقا : فقال لهم : ١٥ لعلكم^٨ تقولون لي هذا المثل : أيها الطبيب^٩ ! اشف نفسك ، / و الذي سمعنا

١٤٧ /

(١) في ظ : سمكة (٢) في ظ : الانسان (٣) في ظ : يكون (٤) من ظ والإنجيل ، وفي الأصل : من (هـ-هـ) في ظ : كلامه - كذا (٦) من الإنجيل ، وفي الأصل و ظ : أخوته (٧) في ظ : أليس (٨) من ظ ، وفي الأصل : لعنكم ، وفي الإنجيل ؛ على كل حال (٩) من ظ و الإنجيل ، وفي الأصل : المتطبيب .

أنك صنعت^١ في كفرناحوم افعله^٢ أيضا ههنا في مدينتك ، فقال لهم :
الحق أقول لكم ، [إنه لا يقبل نبي في مدينته ، الحق أقول لكم -]^٣ ،
إن الأرامل كثيرة كنّ في^٤ إسرائيل في أيام إيليا إذ أغلقت السماء ثلاث
سنين وستة أشهر ، و صار جوع عظيم في الأرض كلها ، ولم يرسل
إيليا إلى واحدة منهن إلا أرملة في^٥ صارقة^٦ صيدا ، و برص كثيرون^٧
كانوا في إسرائيل على عهد اليسع النبي ولم يطهر واحد منهم إلا نعمان
الشامي ، فامتلا جميعهم غضبا عند ما سمعوا هذا وأخرجوه خارج
المدينة ، و جاءوا به^٨ إلى أعلى الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه
ليطرحوه إلى أسفل ، فأما هو فجاز وسطهم و مضى ، و نزل إلى كفرناحوم^٩
١٠ مدينة في الجليل^{١٠} ، و كان يعلمهم في السبت و بهتوا من تعليمه لأن
كلامه كان بسلطان . و^{١١} قال في موضع آخر : و جاء إليه ناس من
الفريسيين و قالوا له : اخرج فاذهب من ههنا فان هيرودس يريد ليقطلك^{١٢} ،
فقال لهم : امضوا^{١٣} و قولوا لهذا الشعب : إني هو ذا^{١٤} أخرج الشياطين
و آتم الشفاء اليوم و غدا و في اليوم الثالث أكمل ، و ينبغي أن أقيم

(١) من ظ ، و في الأصل : ضيعته (٢) في ظ : فعله (٣) زيد ما بين الحاجزين من
ظ (٤) زيد في ظ : بني (٥) سقط من ظ (٦) من الإنجيل ، و في الأصل :
صار فيه ، و في ظ : فيه - كذا (٧) من الإنجيل ، و في الأصل و ظ : كثير .
(٨) زيدت الواو بعده في الأصل و ظ ، و لم تكن في الإنجيل فخذناها (٩) في
ظ : الجبل (١٠) من ظ ، و في الأصل : بقتلك (١١) في ظ : هوذا - كذا .

اليوم وغدا، وفي اليوم الآتي^١ أذهب، لأنه ليس يهلك نبي^٢ خارجا عن
 يروشلیم، أيا يروشلیم^٣ أيا يروشلیم^٤ يا قاتلة الانبياء و راجعة المرسلين
 إليهما! كم من مرة أردت أن أجمع بينك مثل الدجاجة التي تجمع فراخها
 تحت جناحيها فلم يردوا،^٥ هو ذا أترك بيتكم خرابا، فسمع هيرودس
 رئيس الربع بجميع ما كان فتحير، لأن كثيرا كانوا يقولون: إن يوحنا ه
 قام من الأموات، وآخرون يقولون: إن إلیا ظهر، وآخرون يقولون:
 نبي من الأولين [قام - °]، فقال هيرودس: أنا قطعت رأس يوحنا،
 فمن هو الذي نسمع عنه هذا، وطلب أن يبصره؟ وفي إنجيل متى: وفي
 ذلك الزمان سمع هيرودس رئيس الربع خبر يسوع فقال لغللمائه: هذا
 هو يوحنا المعمدان، وهو قام من الأموات من أجل هذه القوات التي
 يعمل بها. قوله: الممد، من أعمده - إذا غسله في ماء المعمودية، قوله:
 تبررت، أي صارت برية بالنسبة إليهم، قوله: بعيرا^٦ المدن، أي يذكر
 ما أوجب لها العار، قوله: القوات جمع قوة وهي المعجزات هنا، قوله:
 الذي هويت، يعني أحببت جدا شديدا، ولفظ الهوى الظاهر أنه يفهم نقصا
 فلا يحل في شرعنا إطلاقه على الله تعالى^٧، قوله: مطفطف، أي مملوء إلى
 رأسه، لا يزال كذلك، قوله: شرق - وزن: فرح، أي ضعف، من:
 (١) من ظ، وفي الأصل: الأولى - كذا (٢) في ظ: ابن (٣-٣) في ظ:
 إنما يروح وسيلة - كذا (٤) من الإنجيل، وفي الأصل: فلم يردوا،
 وفي ظ: فلم يريدوا (٥) زيد من الإنجيل (٦) في ظ: البعير - كذا (٧) زيد
 بعده في ظ: إلى .

شرق جريقه ، و شرقت الشمس - إذا ضعف ضوءها ، قوله : أتون [و - ١]
هو وزن تنور و قد يخفف : أخذود^٢ الجيار و الجصاص^٣ ، قوله : بسيطة ،
أى على الفطرة الأولى ، قوله : يروشلیم - بتحتانية و مهملة و شين معجمة :
بيت المقدس ، قوله : ملكوت أبيهم ، تقدم ما فيه غير مرة .

٥ ولما كان من المقصود بذكر معجزات عيسى عليه السلام تنبيه الكافر
ليؤمن ، و المؤمن ليزداد إيماناً ، و تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم و توبيخ
اليهود المدعين^٢ أنهم أبناء و أحباء - إلى غير ذلك مما أراد الله ، قرعت به
/ الأسماء^٥ ، و لم يتعلق بما يجب به يوم القيامة عند أمره بذلك غرض
١٤٨ / فطوى ؛ و لما كان أجل المقاصد تأديب هذه الأمة لنبيها عليه السلام لتجلبه
١٠ عن أن تبدأ^٦ بسؤال أو تقترح عليه شيئاً في حال من الأحوال ، ذكر لهم
شأن الحوارين في اقتراحهم بعدما تقدم من امتداحهم بَعْدَهُمْ في عداد أولى
الوحي و مبادرتهم^٧ إلى الإيمان امتثالاً للأمر ثم إلى الإشهاد على سبيل
التأكيد بتمام الانقياد و سلب الاختيار ، فقال معلقاً بـ ” قالوا آمنا “ مقرباً
لزمّن تعنتهم من زمن إيمانهم ، مذكراً لهذه الأمة بحفظها على الطاعة ، و مبكّتا
١٥ لبنى إسرائيل بكثرة تقلبهم و عدم تماسكهم إبعاداً لهم عن درجة المحبة
فضلاً عن النبوة ، و هذه القصة قبل قصة الإيحاء إليهم فتكون^٨ ” إذ “ هذه

(١) زيدت الواو من ظ (٢-٣) من القاموس ، و في الأصل : الحمار و الحصاد ،
و في ظ : الحيار و الحصاد - كذا (٣) في ظ : المدعين - كذا (٤) في ظ : ما .
(٥) في ظ : الأسماء (٦) في ظ : يبدوه (٧) من ظ ، و في الأصل : مبادرته (٨) من
ظ ، و في الأصل : فيكون .

ظرفاً لتلك ، فيكون الإيحاء إليهم بالأمر^١ بالإيمان في وقت سؤالهم هذه
 بعد ابتدائه^٢ ، ويكون فائدته حفظهم من أن يسألوا آية أخرى كما سألوا
 هذه بعد ما رأوا^٣ منه صلى الله عليه وسلم من الآيات : ﴿ اذ قال ﴾ وأعاد
 وصفهم ولم يضمره تنصيصاً عليهم لئلا يذكر من حالهم هذا من حالهم^٤
 الأول فقال : ﴿ الخواريون ﴾ وذكر أنهم نادوه باسمه واسم أمه^٥
 فقالوا^٦ : ﴿ يعيسى ابن مريم ﴾ ولم يقولوا : يا رسول الله ولا يا روح
 الله ، ونحو هذا من التبجيل^٧ أو التعظيم^٨ ﴿ هل يستطيع ربك ﴾ بالياء
 مستنداً إلى الرب^٩ وبالتاء الفوقانية مستنداً إلى عيسى عليه السلام ونصب
 الرب^{١٠} ، ومعناها واحد يرجع إلى التهيج والإلهاب^{١١} بسبب الاجتهاد
 في الدعاء بحيث تحصل الإجابة ، وتكون هذه^{١٢} العبارة أيضاً للتلطف^{١٣}
 كما يقول الإنسان لمن يعظمه : هل تقدر أن تذهب معي إلى كذا؟
 وهو يعلم أنه قادر ، ولكنه يكتنى بذلك عن أن السائل يجب ذلك
 ولا يريد المشقة على^{١٤} المسؤل ﴿ ان ينزل ﴾ أى الرب المحسن إليك
 ﴿ علينا مأثدة ﴾ وهى الطعام ، ويقال أيضاً : الخوان إذا كان عليه
 الطعام^{١٥} ، والخوان شئ يوضع عليه الطعام للأكل ، هو فى العموم
 بمنزلة السفرة لما يوضع فيه طعام المسافرين بالخصوص ، وهى من مادة -
 (١) من ظ ، وفى الأصل : الأمر (٢) من ظ ، وفى الأصل : طيه - كذا .
 (٣) فى ظ : اراد (٤) فى ظ : حاله (٥) من ظ ، وفى الأصل : قال .
 (٦ - ٧) سقط ما بين الرقین من ظ (٧) فى ظ : الإلهاب (٨) فى ظ : بهذه .
 (٩) فى ظ : الى (١٠) سقط من ظ ،

إذا^١ أعطاه وأطعمه^٢.

ولما كان هذا ظاهرا في أنها سماوية ، صرحوا به احترازا عما عودهم به صلى الله عليه وسلم من أنه يدعو بالقليل^٣ من الطعام^٤ فيبارك فيه فيمده الله فيكفي [فيه -^٥] القيامة من الناس فقالوا: (من السماء^٦)
 ٥ أى لا صنع للآدميين فيها لنختص بها عن تقدمنا من الأمم .

ولما كان المقصود من هذا وعظنا وإرشادنا إلى أن لا نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم شيئا^٧ ، اكتفاء بما يرحنا به ربنا^٨ الذى رحنا بابتدائنا بارساله إلينا لإيصالنا إليه سبحانه ، وتخويفا من أن نكون مثل من^٩
 / ١٤٩ / مضى من المقترحين الذين كان اقتراحهم سبب هلاكهم ؛ دل على ذلك

١٠ بالنزوع من أسلوب الخطاب إلى الغيبة فقال مستأنفا إرشادا إلى السؤال من جوابهم^{١٠}: (قال) ولم يقل: فقلت (اتقوا الله) أى اجعلوا بينكم وبين غضب الملك الأعظم الذى له الكمال وقاية تمنعكم عن الاجترار^{١١} على الاقتراح (ان كنتم مؤمنين) أى بأنه قادر وأنى رسوله ، فلا تفعلوا فعل من وقف إيمانه على رؤية ما^{١٢} يقترح
 ١٥ من الآيات .

ولما كانت المعجزات إنما تطلب لإيمان من لم يكن آمن ، وكان في هذا الجواب أتم زجر لهم ، تشوف السامع إلى جوابهم فقليل :

(١ - ١) فى ظ : أطعمه و اعطاه (٢ - ٢) فى ظ : بالطعام (٣) زيد من ظ .
 (٤) فى ظ : السام - كذا (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : ما (٧) فى ظ : جوابه .
 (٨) فى ظ : الاخيراء - كذا (٩) من ظ ، وفى الأصل : من .

لم ينتهوا بل ﴿ قالوا ﴾ إنا لا نريدها لأجل إزالة شك عندنا بل ﴿ نريد ﴾
 مجموع أمور : ﴿ ان ناكل منها ﴾ فانا جياع ؛ ولما كان التقدير : فتحصل
 لنا بركتها ، عطف عليه : ﴿ وتطمئن قلوبنا ﴾ أى بضم ما رأينا منها إلى
 ما سبق من معجزاتك من غير سؤالنا فيه ﴿ ونعلم ﴾ أى بنين اليقين
 وحقه ﴿ ان قد صدقتا ﴾ أى فى كل ما أخبرتنا به ﴿ ونكون عليها ﴾ هـ
 وأشاروا^١ إلى عمومها بالتبعض فقالوا : ﴿ من الشهادين هـ ﴾ أى شهادة
 رؤية مستعلية عليها بأنها وقعت ، لا شهادة إيمان بأنها جائزة الوقوع
 ﴿ قال عيسى ﴾ ونسبه زيادة فى التصريح به تحقيقاً لأنه لا أب له وتسفيهاً^٢
 لمن أطراه أو وضع من قدره فقال : ﴿ ابن مريم اللهم ﴾ فافتتح دعاءه
 بالاسم الأعظم ثم بوصف الإحسان فقال : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن ١٠
 إلينا ﴿ انزل علينا ﴾ وقدم المقصود فقال : ﴿ مائدة ﴾ وحقق موضع
 الإنزال بقوله : ﴿ من السماء ﴾ ثم وصفها بما تكون* به بالغة العجب
 عالية الرتبة فقال : ﴿ تكون ﴾ أى هى أو يوم نزولها ﴿ لنا عيداً ﴾
 وأصل العيد كل يوم فيه جمع ، ثم قيد بالسرور ، فالمعنى : نعود^٣ إليها
 مرة بعد مرة سروراً^٤ بها ، ولعل منها ما^٥ يأتى من البركات حين ترد له ١٥
 عليه السلام - كما فى الأحاديث الصادقة ، ويؤيد ذلك قوله مبداً من " لنا " :
 ﴿ لاولنا واخرنا ﴾ .

(١) فى ظ : فيحصل (٢) فى ظ : اشار (٣) فى ظ : تسفيه (٤) سقط من ظ .

(٥) فى ظ : يكون (٦) فى ظ : الترتيب (٧) فى ظ : يعود (٨) فى ظ : سرور .

(٩) فى ظ : كما .

ولما ذكر الأمر الدينوى، أتبعه الأمر الدينى فقال: ﴿وإية منك ٤﴾
 أى علامة على صدق ﴿وارزقنا﴾ أى رزقا مطلقا غير مقيد بها؛
 ولما كان التقدير: فأنت خير المسؤولين، عطف عليه قوله: ﴿وانت
 خير الرزقين ٥﴾ أى فأنك تغنى من تعطيه وتزیده ١ عما يؤمله ويرتجيه
 ٥ بما لا ينقص شيئا عما عندك، ولا تطلب منه شيئا غير أن ينفع نفسه بما
 قوته عليه من طاعتك بذلك الرزق ﴿قال الله﴾ أى الملك المحييط
 علما وقدره .

ولما كان ظاهر سؤالهم من ٢ الاستفهام عن الاستطاعة للاضطراب ٤
 وإن كان للالهاب، أكد ١ الجواب فقال: ﴿انى منزلها عليكم ٣﴾ أى
 ١٠ الآن بقدرتى الخاصة بى ﴿فمن يكفر بعد﴾ أى بعد إزالتها ﴿منكم﴾
 / ١٥٠ وهذا السياق مشعر بأنه يحصل ٥ / منهم كفر، وقد وجد ذلك حتى فى
 الحوارين على ما يقال فى يهودا الإسخريوطى أحدهم الذى دل على
 عيسى عليه السلام، فألقى شبهه عليه، ولهذا ٦ خصه بهذا العذاب فقال:
 ﴿فانى آعذبه﴾ أى على سبيل البتّ والقطع ﴿عذابا لا آعذبه﴾ أى
 ١٥ مثله أبدا فيما يأتى من الزمان ﴿احداً من العالمين ٧﴾ وفى هذا أتم
 زاجر لهذه الأمة عن اقتراح الآيات، وفى ذكر قصة المائدة فى هذه
 السورة التى افتتحت باحلال المآكل واختتمت بها أعظم تناسب، وفى
 ذلك كله إشارة إلى تذكير هذه الأمة بما أنعم عليها بما أعطى نبيها من
 المعجزات، ومن عليها به ٨ من حسن الاتباع، وتحذير من كفران هذه النعم

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تزيد (٣) فى ظ : فى (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 الاضطراب (٥) تكرر فى الأصل (٦) فى ظ : لذلك (٧) فى ظ : بها .

المعدة^١ عليهم ، وقد اختلف المفسرون في حقيقة هذه المائدة
 وفي أحوالها ؛ قال أبو حيان : و أحسن ما يقال فيه ما أخرجه^٢ الترمذى
 في أبواب التفسير عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : أنزلت المائدة من السماء خبزاً و لحماً ، و أمروا أن
 لا يدخروا لعدو ولا يخونوا ، فخانوا و ادخروا^٣ و رفعوا^٤ لعدو ، ففسخوا^٥ ه
 قرده و خنازير - انتهى . قلت : ثم صحح الترمذى وقفه على عمار و قال :
 لا نعلم^٦ للحديث المرفوع أصلاً ، غير أن ذلك لا يضره لكونه لا يقال
 من قبل الرأى ، و لا أعلم^٦ أحداً ذكر عماراً فيمن أخذ عن أهل
 الكتاب ، فهو مرفوع حكماً ، و هذا الخبر يؤكد^٧ أن الخبر في الآية
 على بابه ، فيدفع قول من قال : إنها لم تنزل ، لأنهم لما سمعوا الشرط ١٠
 قالوا : لا حاجة لنا بها ، لأن خبره تعالى لا يخلف و لا يبدل القول لديه ،
 و هذا الرزق الذى من السماء قد وقع مثله لآحاد الأمة ، روى البيهقى
 فى أواخر الدلائل عن أبي هريرة قال : كانت امرأة من دوس يقال لها
 أم شريك أسلمت فى رمضان ، فأقبلت تطلب^٨ من يصحبها إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فلقيت رجلاً من اليهود فقال : ما لك يا أم شريك ؟ ١٥
 قالت^٩ : أطلب رجلاً يصحبنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

(١) فى ظ : المعدودة (٢) فى ظ : أخرجه (٣-٢) سقط ما بين الرقین من ظ .
 (٤) من ظ و جامع الترمذى - أبواب التفسير ، و فى الأصل : مسخوا .
 (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لا يعلم (٧) فى ظ : موكد (٨) من ظ والدلائل ،
 و فى الأصل : تطلب (٩) فى ظ : فقالت .

فقال فأنأ^١ أصبحك^٢ ، قالت : فانتظرنى حتى أملا^٣ سقائى ماء^٤ ، قال : معنى ماء^٥
 ٢ ما لا تريدن^٦ ماء^٧ ، فانطلقت معهم فسادوا يومهم حتى أسوا^٨ ، فزل
 اليهودى ووضع سفرته فتعشى و قال : يا أم شريك ! تعالى إلى العشاء !
 فقالت : اسقى من الماء فانى عطشى ، ولا أستطيع أن آكل حتى
 ٥ أشرب ، فقال لها : لا أسقيك حتى تهودى^٩ ! فقالت : لا جزاك الله خيرا !
 غربتى و منعنى [أن - ١٠] أحل ماء ، فقال : لا والله لا أسقيك
 منه قطرة حتى تهودى ، فقالت : لا والله لا أتهود أبدا بعد إذ هدانى الله
 للإسلام ؛ فأقبلت إلى بغيرها فعقلته^{١١} و وضعت رأسها على ركبته فنامت ،
 قالت : فما أيقظنى إلا برد دلو^{١٢} قد وقع^{١٣} على جبينى^{١٤} ، فرفعت / رأسى
 ١٥ فنظرت إلى ماء أشد يابضا من اللبن و أحلى من العسل ، فشربت حتى
 رويت ، ثم نضحت على سقائى حتى ابتل ثم ملأته ، ثم رفع بين يدى
 و أنا أنظر حتى توارى عنى فى السماء ، فلما أصبحت جاء اليهودى فقال :
 يا أم شريك ! قلت : و الله قد سقائى الله ، قال : من أين أنزل عليك ؟
 من السماء ؟ قلت : نعم ، و الله لقد أنزل الله على من السماء ثم رفع
 (١) فى ظ : و أنا ، وفى الدلائل : أنا - راجع « باب فيما ظهر من الكرامات على
 أم شريك » (٢) ليس فى ظ والدلائل ، و موجود فى رواية البيهقى فى الخصائص
 الكبرى (٣ - ٣) فى الدلائل : لا ترددن ، وفى الأصل : ما لا تريد من ، وفى
 ظ : لا تريد من - كذا (٤) سقط من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل : معنى ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ والدلائل لحذفها (٦) زيد من الدلائل (٧) فى ظ :
 فعقلته (٨) زيدت الواو بعده فى الدلائل (٩ - ٩) من الدلائل ، وفى الأصل
 و ظ : فى جنى .

بين يدي حتى توارى عني في السماء^١ ثم أقبلت حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصت عليه القصة ، فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها نفسها فقالت : يا رسول الله ! لست أرضى نفسي لك ولكن بضعى لك فزوجنى من شئت ، فزوجها زيدا وأمر لها بثلاثين صاعا وقال : كلوا ولا تكيولوا ، وكان معها عكة سمن هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الجارية لها : بلغنى^٢ هذه العكة رسول^٣ الله صلى الله عليه وسلم ، قولى : أم شريك تقرئك السلام ، وقولى : هذه عكة سمن أهديناها لك ، فانطلقت بها الجارية [إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - ^٢] فأخذوها ففرغوها ، وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : علقوها ولا توكوها ، فعلقوها فى مكانها ، فدخلت أم شريك فظفرت إليها بملوءة سمن ، فقالت : ١٠ يا فلاتة^٤ ! أليس أمرتك أن^٥ تنطلقى بهذه العكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : قد والله انطلقت بها كما قلت ، ثم أقبلت بها أضربها^٦ ما يقطر منها شيء . ولكنه قال : علقوها ولا توكوها ، فعلقتها فى مكانها ، وقد^٧ أوكتها أم شريك حين رأتها^٨ بملوءة فأكلوا منها حتى فثيت ، ثم كالوا الشعير فوجدوه ثلاثين صاعا لم ينقص منه شيء ، قال : وروى ١٥

(١) من الدلائل ، وفى الأصل : أتى ، وفى ظ : بلغنى - كذا (٢) من ظ والدلائل ، وفى الأصل : لرسول (٣) زيد من الدلائل (٤) من ظ والدلائل ، وفى الأصل : فلال - كذا (٥) سقط من ظ (٦) فى الخصائص ٢ / ٥٣ : اصوبها (٧-٧) من الدلائل ، وفى الأصل و ظ : أو كاهها شريك حين وآها - كذا .

ذلك من وجه آخر ، و لحديثه^١ شاهد صحيح عن جابر رضى الله عنه .
 و روى بإسناده عن أبي عمران الجوني أن أم أيمن هاجرت من مكة إلى
 المدينة و ليس معها زاد ، فلما كانت عند الروحاء و ذلك عند غيوبة الشمس
 عطشت عطشا شديدا ، قالت : فسمعت هفيفا^٢ شديدا فوق رأسي ، فرفعت
 رأسي فإذا دلو مدلى من السماء برشاء أبيض ، فتناولته يدي حتى استمسكت
 به^٣ ، قالت : فشربت منه حتى رويت ، قالت : فلقد أصوم [بعد تلك
 الشربة -^٤] في اليوم الحار الشديد الحر ثم أطوف في الشمس كي أظلمأ
 فما ظلمت بعد تلك الشربة . قال^٥ : و في الجهاد عن البخاري عن أبي هريرة
 قال : بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم عشرة رهط سرية عينا ،
 ١٠ و أقر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم^٦ بن عمر بن الخطاب
 رضى الله عنهم - فذكر الحديث حتى قال : فاتباع خيبا - يعنى ابن عدى
 الأنصاري - بنو الحارث^٧ بن عامر / بن نوفل بن عبد مناف ، و كان خيب
 قد قتل الحارث بن عامر^٨ يوم بدر ، فلبث خيب عندهم أسيرا ، فأخبرني^٩
 عبيد الله بن عياض^٩ أن ابنة الحارث^{١٠} قالت : والله ما رأيت أسيرا قط

/ ١٥٢

(١) في ظ : لحديث في (٢) في الدلائل : حفيفا - و المعنى واحد (٣) سقط من
 ظ (٤) زيد من الدلائل (٥) زيد في ظ : ابن ثابت الأنصاري (٦) العبارة من
 هنا إلى « ابنة الحارث » ساقطة من ظ (٧-٧) تكرر في الأصل ، و ما ورد
 التكرار في صحيح البخاري (٨) بين مطري الصحيح : قائله الزهرى (٩) من
 الصحيح ، و في الأصل : عاصم - كذا (١٠) وقع هنا اختصار ، و راجع لمزيد
 التفصيل صحيح البخاري - باب « هل يستأمر الرجل » من كتاب الجهاد .

خيرا من خيب ، والله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب في يده
 وإنه لموثق في الحديد وما بمكة من تمر^١ ، وكانت تقول : انه لرزق^٢
 من الله^٣ رزق خيبا - الحديث . ومن الأمراجلي أن عيسى عليه السلام
 بعد أمر الله تعالى له بذكر هذه النعم يقوم في ذلك الجمع فيذكرها
 و يذكر المقصود من التذكير بها ، وهو الثناء على المنعم بها بما يليق بجلاله ، ه
 فيحمد ربه تعالى بمحامد تليق بذلك المقام في ذلك الجمع ، فمن أنسب
 الأمور حيثن سؤاله - وهو المحيط علما بمكنونات الضمائر وخفيات
 السرائر إثر^٤ التهديد لمن يكفر - عما كفر به النصارى ، فلذلك قال تعالى
 عاطفا على قوله ” اذ قال الله يعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك “ :
 ﴿ و اذ قال الله ﴾^٥ أى بما له من صفات الجلال والجمال مشيرا إلى ما له ١٠
 من علو الرتبة بأداة النداء : ﴿ يعيسى ابن مريم ﴾ وذلك تحقيقا لانه
 عمل بمقتضى النعمة^٦ وتبكيئا^٧ لمن ضل فيه من النصارى وإنكارا
 عليهم ﴿ انت قلت للناس ﴾ أى الذين أرسلت إليهم من بنى إسرائيل ،
 وكأنه عبر بذلك لزيادة التوبيخ لهم^٨ ، لكونهم^٩ اعتقدوا ذلك وفيهم
 الكتاب ، فكأنه لا ناس^{١٠} غيرهم ﴿ اتخذونى ﴾ أى كلفوا أنقسمكم خلاف ١٥
 ما تعتقدونه^{١١} بالفطرة الاولى^{١٢} فى الله بأن^{١٣} تأخذونى ﴿ و اى الهين ﴾ .

(١) من الصحيح ، وفى الأصل وظ : تمر (٢) من الصحيح ، وفى الأصل وظ :
 رزق (٣) زيد بعده فى ظ : ما (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين
 من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : يكونهم (٧) فى ظ : ياس - كذا (٨) فى
 الأصل وظ : تعتقدونه - كذا (٩ - ٩) فى ظ : بالله ان .

ولما كانت عبادة غير الله - ولو كانت على سبيل الشرك - مبذلة لعبادة الله ، لأنه سبحانه أغنى الأغنياء ، ولا يرضى الشرك إلا فقير ، قال : ﴿ من دون الله ^١ ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوة له ، فيكون المعنى : اتخذوا ^٢ تألهنا سلبا تتوصلون ^٣ به إلى الله ، ويجوز أن يكون المعنى ^٤ على المغايرة ، ولا دخل حيثئذ للمشاركة .

ولما كان من المعلوم لنا فى غير موضع أنه لم يقل ذلك ، صرح به هنا تويخا لمن أطراه ، وتأكيذا لما عندنا من العلم ، وتجيلا له صلى الله عليه وسلم بما يبدى من الجواب ، وتفضيلا ^٥ بالإعلام بأنه لم يحد ^٦ عن طريق الصواب ، بل بذل الجهد فى الوفاء بالعهد ، وتقريعا لمن قال ذلك عنه وهو يدعى حبه واتباعه عليه السلام وتنجيلا لهم ، فلما تشوفت لجوابه الاستماع وأصغت له الآذان ، وكان فى ذكره من ^٧ الحكم ما تقدمت الإشارة إليه ، ذكره سبحانه قائلا : ﴿ قال ﴾ مفتتحا بالتنزيه ﴿ سبحانه ﴾ أى لك التنزه الأعظم عن كل شائبة نقص ، ودل ^٨ بالمضارع على أن هذا القول لا يزال ممنوعا منه فقال : ﴿ ما يكون لى ﴾ ^٩ أى ما ينبغي ولا يصح أصلا ﴿ ان أقول ﴾ أى فى وقت من الاوقات ﴿ ما ليس لى ﴾ وأغرق فى التنى كما هو حق المقام فقال : ﴿ بحق ^{١٠} ﴾ . ولما بادر عليه السلام إعظاما للمقام إلى الإشارة إلى نفي ما سئل

(١) من ظ ، وفى الأصل : اتخذوا (٢) فى ظ : يتوصلون (٣) سقط من ظ .

(٤) فى ظ : تفصيلا (٥) من ظ ، وفى الأصل : لم يحد (٦) من ظ ، وفى

الأصل : ذكر .

عنه ، أتبعه ' ما يدل ' على أنه كان يكنى في الجواب عنه : أنت أعلم ،
و إنما أجاب بما تقدم إشارة إلى أن هذا القول تكاد السهوات يتفطن
منه و مبادرة^٢ إلى تبكيك من ادعاه له ، فقال دالا على أنه لم يقنع بما^٣
تضمن أعظم المدح لأن المقام للخضوع : (ان كنت قلته) أى مطلقا
للناس أو حدثت به نفسى (فقد علمته) وهو مبالغة في الأدب ه
و إظهار الذلة و تفويض الأمر كله إلى رب العزة ؛ ثم علل الإخبار
بعلمه بما هو من خواص الإله فقال : (تعلم) ولما كانت النفس
يعبر بها عن الذات ، و كان القول يطلق على النفس ، فاذا اتقى اتقى
اللسانى ، قال : (ما فى نفسى) أى وإن اجتهدت فى إخفائه ، فانه
خالقك ، و ما أنا له إلا آله و وعاء ، فكيف به إن كنت أظهرته . ١٠
و لما أثبت له سبحانه ذلك ، ففاه عن نفسه تويخا لمن ادعى له
الإلهية فقال مشاكلة : (و لا أعلم ما فى نفسك) أى ما أخفيه عنى
من الأشياء ؛ ثم علل الأمرين كليهما بقوله : (انك انت) أى وحدك
' لا شريك لك ' (علام الغيوب ه) .

و لما نفى عن نفسه ما يستحق النفى و دل عليه ، أثبت ما قاله لهم ١٥
على وجه مصرح بنفى غيره ليكون ما نسب إليه من دعوى الإلهية منقيا
مرتين : إشارة و عبارة ، فقال معبرا عن الأمر بالقول مطابقة للسؤال ،

- (١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : مبادر (٣) فى
ظ : ما (٤) زيد بعده فى الأصل : ما فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفها .
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : ما .

وفسر بالامر بيانا لأن كل ما قاله من مباح أو غيره دأر على الامر من^١ حيث الاعتقاد بمعنى أن المخاطب بما قاله الرسول مأمور بأن يعتقد فيه^٢ أنه بتلك المنزلة، لا يجوز أن يعتقد فيه^٣ أنه فوقها ولا دونها، بعد^٤ الله تعالى بذلك: ﴿ما قلت لهم﴾ أى ما أمرتهم بشيء من الأشياء ٥. ﴿الا ما أمرتني به﴾ ثم فسر دالا بشأن المراد بالقول الامر بالتعبير فى تفسيره بحرف التفسير بقوله: ﴿ان اعبدوا﴾ أى ما أمرتهم إلا بعبادة ﴿الله﴾ أى الذى لم يستجمع نموت الجلال والجمال أحد غيره؛ ثم أشار إلى أنه كما يستحق العبادة لذاته يستحقها لنعمه^٦ فقال: ﴿ربى وربكم﴾ أى أنا وأنتم فى عبوديته سواء، وهذا الحصر بصح ١٠. أن يكون للقلب على أن 'دون' بمعنى 'غير'، وللأفراد على أنها بمعنى سفول المنزلة، وهو من بدائع الأمثلة.

ولما فهم صلى الله عليه وسلم من هذا السؤال أن أتباعه غلوا فى شأنه، فزه الله سبحانه وعز شأنه من ذلك وأخبره بما أمر الناس به فى حقه سبحانه من الحق، اعتذر عن نفسه بما يؤكد ما مضى قويا وإثباتا ١٥ / ١٥٤ فقال: ﴿و كنت عليهم﴾ أى خاصة / لا على غيرهم.

ولما كان سبحانه قد أرسله شاهدا، زاد فى الطاعة فى ذلك إلى أن بلغ جهده كإخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقال معبرا

(١) سقط من ظ. (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من. ظ (٣) فى ظ: فعبد.

(٤) فى ظ: شيئا (٥) من ظ، وفى الأصل: بالعبادة (٦) فى ظ: النعمة.

بصيغة المبالغة: ﴿شهِدَا﴾ أى بالغ الشهادة، لا أرى فيهم منكرا
إلا اجتهدت في إزالته ﴿ما دمت فيهم ج﴾ وأشار إلى الثناء على الله
بقوله: ﴿فلما توفيتى﴾ أى رفعتى إلى السماء كامل الذات والمعنى مع
بذلهم جهدهم في قتلى ﴿كنت انت﴾ أى وحدك ﴿الرقيب﴾ أى
الحفيظ القدير^١ ﴿عليهم ط﴾ لا يغيب عليك شئ من أحوالهم. وقد ه
منعهم [أنت -^٢] أن يقولوا شيئا غير ما أمرتهم أفا به من عبادتك
بما نصبت لهم من الأدلة وأنزلت^٣ عليهم على لسانى من الينات
﴿وانت على كل شئ﴾ أى منهم ومن غيرهم حيوان وجاد ﴿شهِد ط﴾
أى مطلع غاية الاطلاع، لا يغيب عنك شئ منه سواء كان فى عالم
الغيب أو الشهادة، فإن^٤ كانوا قالوا ذلك فانت تعلمه دونى، لأنى لما ١٠
بعدت عنهم فى المسافة انقطع على عن أحوالهم.

و لما كان هذا الذى^٥ سلف كله سؤالا وجوابا: وإخبارا حمد^٦
الله تعالى وثناء عليه بما [هو -^٧] أهله بالتنزيه له والاعتراف بحقه
والشهادة له بعلم الخفايا والقدرة والحكمة وغير ذلك من صفات الجلال
والجمال، و كان هذا السؤال يفهم إرادة التعذيب للسؤل عنهم مشيرا ١٥
إلى الشفاعة فيهم على وجه الحمد لله سبحانه وتعالى والثناء الجميل عليه^٨
لأن العذاب ولو للطيع عدل، والعفو عن المعاصى بأى ذنب كان فضل

(١) فى ظ: الرقيب (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: انت (٤) فى ظ: وه (٥) فى

ظ: قال ان - كذا (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، وفى الأصل: جد - كذا.

مطلقا، و غفران الشرك ليس بمتعا بالذات، قال^١: ﴿ان تعذبهم﴾ أى
 القائلين بهذا القول ﴿فانهم عبادك﴾ أى فأنت جدير بأن ترحمهم ولا اعتراض
 عليك فى عذابهم لأن كل حكمك^٢ عدل ﴿وان تغفر لهم﴾ أى تمنح ذنوبهم
 عينا و أثرا ﴿فانك انت﴾ أى خاصة أنت^٣ ﴿العزیز﴾ فلا أحد يعترض
 عليك ، لا ينسبك إلى وهن ﴿الحكيم﴾ فلا تفعل شيئا إلا فى أعلى
 ٥ درج الإحكام ، لا قدرة لاحد على تعقيه و لا الاعتراض على شيء منه .
 ولما اقتضى جوابه عليه الصلاة و السلام على هذا الوجه الجليل ،
 تشوف السامع إلى جواب الله له^٤ ، فقال تعالى مشيرا إلى كون جوابه
 حقا و مضمونه صدقا ، منبها على مدحه حائثا على ما بنيت عليه السورة
 ١٠ من الوفاء بالعقود: ﴿قال الله﴾ أى الملك المحييط بالجلال و الإكرام جوابا
 لكلامه ﴿هذا﴾ أى مجموع يوم القيامة ، و لما كان ظهور الجزء النافع
 هو المقصود قال: ﴿يوم﴾ هذا على قراءة الجماعة بالرفع ، و قراءة نافع
 / بالنصب غير منون أيضا لإضافته إلى متمكن بمعنى: هذا الذى ذكر
 ١٥ واقع^٥؛ أو قال الله هذا الذى تقدم يوم ﴿ينفع الصديقين﴾ أى العريقين
 فى هذا الوصف نفعا لا يضرهم معه شيء ﴿صدقهم﴾ أى الذى كان لهم
 فى الدنيا وصفا ثابتا ، فحداهم على الوفاء بما عاهدوا عليه ، فكأنه قيل : ينفعهم
 بأى شيء ؟ فقال : ﴿لهم جنت﴾ أى هى من رى الأرض الذى يستلزم
 زكاه الشجر و طيب الثمر بحيث ﴿ينجى﴾ و لما كان تفرق المياه فى

/ ١٥٥

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لهذا (٣) فى ظ : حكمة (٤) فى

ظ : قرأ (٥-٥) سقط ما بين الرقنين من ظ .

الأراضى أبهج ، بقض فقال : ﴿ من تحتها الأنهر ﴾ و لما كان مثل هذا لا يريح إلا إذا دام قال : ﴿ تخلدين فيها ﴾ و أكد معنى ذلك بقوله : ﴿ ابدأ ^١ ﴾ .

و لما كان ذلك لا يتم إلا برضى المالك قال : ﴿ رضى الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ عنهم ﴾ أى بجميع ما له من الصفات ، و هو كناية ه عن أنه أنابهم بما يكون من الراضى ثوابا متنوعا بتنوع ما له من جميع صفات الكمال و الجمال ^١ و لما كان ذلك لا يكمل ^٢ و يبسط و يحمل إلا برضاهم قال : ﴿ و رضوا عنه ^٣ ﴾ يعنى أنه لم يدع لهم شهوة إلا أنالهم إياها ، و قال ابن الزبير بعد ما أسلفته عنه : فلما طلب تعالى المؤمنين بالوفاء فيما نقض به غيرهم ، و ذكرهم ببعض ما وقع فيه النقض و ما أعقب ذلك فاعله ، ١٠ و أعلمهم بشمرة التزام التسليم و الامثال ، أراهم جل و تعالى ثمرة الوفاء و عاقبته ، فقال تعالى ” و اذ قال الله يعيسى ابن مريم ءانت قلت للناس - إلى قوله - هذا يوم ينفع الصدقين “ - إلى آخرها . فيحصل من جملتها الأمر بالوفاء فيما تقدمها و حال من حاد و نقض ، و عاقبة من وفى ، و أنهم الصادقون ، و قد أمرنا أن نكون معهم ” يا أيها الذين امنوا اتقوا الله ١٥ و كونوا مع الصدقين ^٢ “ - انتهى .

و لما كان سبحانه قد أمرهم أول السورة بالوفاء شكرا على ما أحل لهم فى دنيائهم ، ثم أخبر أنه زاد الشاكرين منهم و رقاهم إلى أن أباحهم أجلا

(١) من ظ ، و فى الأصل : الجلال (٢) فى ظ : لا يميل (٣) سورة ٩ آية ١١٩ .
(٤) فى ظ : أباهم .

النفائس في أخراهم ، و وصف سبحانه هذا الذي أباحه لهم الى أن بلغ
في وصفه ما لا مزيد عليه ، أخذ يغطهم به فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى
الامر العالى لا غيره ﴿ الفوز العظيم ٥ ﴾ .

و لما كان هذا الذى ' أباحه لهم و أباحهم إياه لا يكون إلا بأسباب
٥ لا تسعها العقول ، و لا تكنته ' بفروع ' و لا أصول ، علل ' إعطاءه
إياه و سهولته لديه بقوله مشيرا إلى أن كل ما ادعيت فيه الإلهية مما تقدم
في هذه السورة و غيرها بعيد عن ذلك ، لأنه ملكه و فى ملكه و تحت
قهره : ﴿ لله ﴾ أى الملك الذى لا تكنته * عظمته و لا تضعف قدرته ،
لا لغيره ﴿ ملك السموات ﴾ بدأ بها لأنها ' أشرف و أكبر ' ، و آياتها
١٠ أدل و أكثر ﴿ و الارض ﴾ [على اتساعها و عظمتها - '] و تباعد
ما بينهما ﴿ و ما فيهن ' ﴾ أى من جوهر و عرض ،

و لما كان ذلك أنهى ما نعله ' ، عمم بقوله : ﴿ و هو على كل شيء ﴾
أى من ذلك و غيره من كل ما يريد ﴿ قدير ٤ ﴾ فلذلك هو يحكم ما يريد
لأنه هو الإله وحده ، و هو قادر على إسعاد من شاء و إشقاء من شاء ،
١٥ و إحلال ما شاء و تحريم ما شاء ، و الحكم بما يريد و نفع الصادقين
الموفين ' بالعقود الثابتين على العهود ، لأن له ملك هذه العوالم و ما فيها
بما ادعى فيه الإلهية من عيسى و غيره ، و الكل بالنسبة إليه أموات ،

(١) سقط من ظ (٢) أى لا يبلغ كنهها ، و فى ظ : لا تكبه - كذا (٣) من ظ ،
و فى الأصل : فروع (٤) فى ظ : عفى - كذا (٥) فى ظ : لا يشه (٦) فى ظ : لأنه .
(٧) فى ظ : أكثر (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : يعلم (١٠) فى ظ : بالموتين - كذا .

١٥٦/

بل موات جديرون بأن يعبر عنهم بـ "ما" لا بـ "من"، فمن يستحق
 معه شيئاً ومن يملك معه ضراً أو نفعاً ؛ وقد انطبق ' آخر السورة على'
 أولها . كما ترى - [أى ٢ -] انطبق ، واتسقت جميع آياتها أخذاً
 بعضها بحجز بعض أى اتساق ؛ فسبحان من أنزل هذا القرآن على أعظم
 البيان ؛ مخجلاً لمن أباه من الأمم ، معجزاً لأصحاب السيف ، والقلم ، هـ
 والله [سبحانه وتعالى - ٣] أعلم .



(١) في ظ : اطبق (٢) تكرر في الأصل (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفي
 الأصل : السبب (٥) زيد في ظ : بالصواب .

خاتمة الطبع

تم بئنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء السادس من تفسير
 « نظم الدرر في تناسب الآيات و السور » للشيخ العلامة برهان الدين
 أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله يوم الجمعة السابع والعشرين
 من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٣ هـ = ٢٩ / يونيو سنة ١٩٧٣ م
 تحت مراقبة الأديب الأريب و الحبيب اللبيب صاحب الفضيلة الدكتور
 محمد عبد المعيد خان مدير الدائرة و عميدها - أبقاه الله لخدمة العلم و الدين !
 و قد غنى بتصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة رفيق الفاضل
 محمد عمران الأعظمي العمري (الحامل شهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس)
 حفظه الله !

و اعتنى بتنقيحه خادم العلم و العلماء راقم هذه الخاتمة - كان الله له
 و لوالديه !

و يليه الجزء السابع إن شاء الله تعالى أوله « سورة الانعام » .
 و في الختام ندعو الله سبحانه أن يفتحنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه !
 و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ،
 و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغني الحميد
 السيد محمد حبيب الله القادري الرشيد
 (كامل الجامعة النظامية)
 صدر المصحح بدائرة المعارف العثمانية